تطوّر علم التّاريخ الإسلامى

حتى نهاية العصور الوسطى

تأليف

الأستاذ الدكتور أحمد رمضان أحمد







تأليف
الأستاذ الدكتور أحمد رمضان أحمد
أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
جامعة عين شمس



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

اهـداء

الى من صمت حين تكلمت فندمت على الـكلام وتعلمت منه مواضع الصمت ، الى من كان راضيا فأصبح مرضيا ، الى روح والدى الغالية أهدى اليه حصاد هشيمى هذا تغمده الله بواسع رحمته ٠٠



تقديم

لقد رأينا ونحن بسبيل الكتابة عن نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، أن نلجأ أولا الى القرآن والسنة لنرى رأيهما فى هذا العلم . فقد شمل القرآن الكريم تاريخ البشرية وتطورها وأصل الحضارة الاسلامية التى احتوت كيان المسلمين الروحى والمادى . أما الحديث فهو تفسير وتوضيح لما صعب فهمه عليهم من القرآن الكريم .

حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن يونس عن أبى شهاب ، أخبرنى أبو سلمة قال ، قال أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار (١) .

وحدثنا عياش بن الوليد حدثنا عبد الأعلى حدثنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لاتسموا العنب الكرم ولا تقولوا خيبة الدهر ، فان الله هو الدهر (٢) .

ويحدثنا عبد الله بن العباس عن جهل العرب بالتاريخ فيقول : حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ، اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم » الى قوله : « قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (٣) .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٨ ص ٨٦ .

(٢) حديث متواتر .

(٣) صحيح البخارى : جـ ٥ ص ٢٢ .

أما عن المعنى اللغوى للدهر والزمن فيقول الفيروزبادى(٤) الدهر ، قد يعد من الأسماء الحسنى والزمان الطويل والأمد الممدود وألف سنة أدهر ودهور والنازلة والهمة والغاية والعادة والغلبة ٠

والدهارير أول الدهر فى الزمن الماضى بلا واحد ٠

والزمن اسمان لقليل الوقت وكثيره أزمان ، وأزمنة وأزمن ولقيته ذات الزمين ٠

أما عن التقويم الاسلامى فيحدثنا البخارى (٥) فيقول :

حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا عبد العزيز عن أبيه عن سهل بن سعد قال : ماعدوا من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ، ما عدوا الا من مقدمه المدينة » ٠

ويعرف المقريزى التاريخ فيقول : الخبر عن البصر ، والقرن الأمة تأتى بعد الأمة ، قيل : مدته عشر سنين وقيل : عشرون سنة ، وقيل : ثلاثون وقيل : ستون ، وقيل : سبعون ، والله أعلم مقدار التوسط فى أعمار أهل الزمان ٠ فالقرن فى قوم نوح وعيسى وعاد وثمود على قدر أعمارهم وقيل : القرن أربعون سنة وجمعه قرون ٠ وفلان على قرن فلان أى سنه وفده ، وهو قرنه أى لدنه ٠

قال ابن سيده (٦) ، وفى الصحاح : القرن ثمانون سنة ويقال ثلاثون سنة ٠ والقرن مثلك فى السن ٠ تقول : هو على قرنى أى على سنى ٠ والقرن من الناس أهل زمان واحد ٠

أما المعنى اللغوى للدهر فيقول فريد وجدى (٧) : الدهر : الزمان الطويل وعمر العالم يقال (دهر داهر ٠ ودهر دهارير) مبالغة ويقال (لا أفعله دهر الداهرين) بمعنى أبدا ٠ الدهرى : هو الملحد الذى يزعم بأن العالم موجود أزلا وأبدا (٨) زمن : الرجل يزمن اصابته الزمانة فهو زمن ٠ (وأزمن الشىء) مضى عليه زمان ٠ و (الزمان) العصر واسم لقليل الوقت وكثيره ٠

والزمن : صاحب العاهة وجمعه زمنى ٠

---

(٤) الفيروزبادى ، القاموس المحيط ج ٤ ٠ فصل الزاى باب النون ، فصل الدال باب الراء ٠

(٥) صحيح البخارى : ج ٥ ص ١٧١ ٠

(٦) ابن سيده : المخصص ج ٥ ص ١٢٢ ٠

(٧) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين المجلد الرابع ص ٧٠ ٠

(٨) دائرة معارف القرن العشرين المجلد الرابع ص ٥٩٧ ٠

أما عن التفسير الديني للتاريخ ، فيقول عبد الرحمن بدوى (٩) : ان أصحاب النظريات الدينية في الزمان وفى التاريخ الذين ربطوا الزمان بالخلق الأول وبمصير الانسان فى الدنيا وبنهاية يرتبط بها حساب وعقاب وثواب ٠

ومن أبرز القائلين بهذا الاتجاه فيلون (حوالى سنة ٢٥ ق٠م ـ سنة ٥٠ م) بالنسبة الى اليهودية ، والقديس أوغسطين (سنة ٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) بالنسبة الى المسيحية ، وابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م) بالنسبة للاسلام ٠

وهناك فريق أنكروا الاتجاه السابق ، فقد ربطوا الزمان بأحداث فلكية ، بمعزل عن كل المعانى الدينية ، كما هو الحال عند علماء الفلك ، والانثروبولوجيا الفلسفية وعلماء الحياة ، ومن حذا حذوهم من المؤرخين المتأثرين بالعلوم الفيزيائية والطبيعية ، مثل رينان (Renan) (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ م) وأرنست هكل (Ernst Hackel) (١٨٣٤ م ـ ١٩١٩ م) ٠

وقد وصف علم التاريخ فقيل (١٠) ، ان التاريخ علم (متزمن) هو الوحيد بين العلوم ـ باستثنناء علم الموسيقى ـ الذى يقوم الزمن ٠ التاريخ ليس شيئا سوى اضافة الزمن الى الحديث يصبح أقصوصة أو أسطورة ٠ الحدث خلال الزمن هو الاسم البديل الممكن لكلمة تاريخ ٠ انه يسير فى فلك ذى ثلاث حدود : الإنسان والمكان والزمان ٠ تلك هى ثلاثية التاريخ الرئيسية التى تدخل على موضوعة التحولات الواسعة المدى ٠ ولو جردنا التاريخ من عنصر الزمن لوجدنا أن مادته (أى أن التاريخ الخالص المؤلف من وقائع) غير ذات معنى ٠ وان الوقائع ليس لها فى نفسها معنى (١١).

هذا وقد قيل (١٢) ان الأفكار الأولى للتاريخ تدخل فى اطار الأسطورة (المثيولوجيا) أو باب علم الأديان أو باب (الموفورلوجيا) الاجتماعية ، لكنها على أية حال لا تدخل باب التاريخ الذى يتصل أساسا بظهور ما يمكن تسميته بالوعى التاريخى أو الوعى المزدوج للزمن وللحقيقة ٠

---

(٩) أحدث النظريات فى فلسفة التاريخ ص ٢١٥ (مجلة عالم الفكر المجلد الخامس العدد الأول سنة ١٩٧٤) ، الكويت ٠

(١٠) شاكر مصطفى : التاريخ هل هو علم ؟ ٠

(١١) Valéry, P. Variétes, vol. VI, p. 134.

(١٢) التاريخ هل هو علم ؟ ص ١٧٦ ٠

ثم ربط التاريخ بالأسطورة فقيل ان الفكر التاريخي انما ولد في الواقع من ضلع الفكر الاسطوري ، فقد طبعت الأسطورة الخطوات الأولى للتاريخ ، فمطالع التاريخ موصلة بأواخر عصور الأسطورة التي حاولت سد النقص والنسيان في الماضي الانساني من جهة ، وأن تقدم من جهة أخرى المحاولات الأولى لتبين الترتيب الزمني (للخلق) وللأشياء والأحداث ، أي لايجاد علم كوني وعلم أنساب للآلهة وللناس ٠

لكن هذا العلم الكوني وعلم النسب لايدلان على تميز تاريخي بالمعنى الصحيح لأن الماضي والحاضر والمستقبل مرتبطة فيها معاً ، وهي تكون جميعاً وحدة لاتمايز بين أجزائها وليس للزمن الأسطوري زمن محدد وانما هو زمن أزلي ، لأن الأسطورة ترى أن الماضي لم ينته بل ما يزال مستمرا أبدا ٠

ويعرف المسلمون التاريخ بأنه استحضار للتجارب الماضية ، فقد عبر عنها المؤرخون المسلمون كل بأسلوبه وطريقته ، فهو عندهم كلهم (مرآة الزمان) لسبط بن الجوزي (ووقائع الدهور) لابن وصيف شاه و (خبر من خبر) للذهبي وابن اياس و (أخبار من ذهب) للحنبلي (وأخبار الزمان) للمسعودي (وتجارب الأمم) لابن مسكويه ٠

كذلك يعرف مفكرو الغرب التاريخ بنفس المعنى الذي قال به مؤرخو المسلمين ، اذ يقولون ان التاريخ هو معرفة الماضي الانساني ، فمادته اذن هي ما جرى في الزمن السالف ٠ فيقول جوستاف مونو(١٣) مثلا ، ان غاية التاريخ المثلى هي اعادة تمثيل الحياة البشرية السابقة كما هي ٠ أما هنري جونسون (١٤) فيقول ، ان التاريخ بمعناه الواسع هو كل شيء حدث في الماضي ، انه الماضي نفسه مهما يكن هذا الماضي ٠

أما المؤرخ (وولش) (١٥) فيقول : من المتفق عليه أن الماضي الانساني هو الهدف الأول لدراسة المؤرخ ٠ أما (رانكه) فيقول : ان مهمة التاريخ هي تصوير أحداث الماضي كما وقعت وحدثت بالضبط ٠

ويحاول المؤرخ الانجليزي كولنغوود أن يعبر عن التاريخ بأسلوب عصري فيقول : ان التاريخ استحضار للتجربة الماضية ٠

---

(١٣) G. Moud : La Methode dans les Sciences, p. 367.

(١٤) هنري جونسون : تدريس التاريخ (المترجم) ص ١ ٠

(١٥) وولش : المدخل الى فلسفة التاريخ (ترجمة أحمد حمدي محمود) ٠

ونرى هنا ، وقبل أن نبين معنى كلمة التاريخ عند المسلمين والمعنى المألوف عالميا لكلمة تاريخ ، أن نوضح كلمة تاريخ فى اللغة العربية ٠

ان كلمة تاريخ في اللغة العربية تأخذ معاني متعددة ، فقد استعملت في التراث العربي الاسلامي بمعنى أمجاد القوم وخلاصة شمائلهم (١٦) ، فيقال : فلان تاريخ قومه ، واستعملت بمعنى تراجم الرجال ، ومن ذلك تاريخ البخاري ، وتاريخ الحنابلة لابن أبي يعلى ٠
واستعملت بمعنى رواية ، أخبار الماضي كعناوين : تاريخ الطبري وابن الأثير والذهبي وغيرهم ٠ وتستعمل اليوم أيضا بمعنى مسيرة البشر ، فيقال : جرى ذلك في التاريخ ، كما نستعمل بمعنى كتابة التاريخ ودراسته (١٧) ٠

كذلك أصبح من المألوف التفريق بين التاريخ كمسيرة للانسانية (History) وبين علم التاريخ (Historiography) كفاعلية فكرية انشائية (١٨) ٠

ويقول شاكر مصطفى (١٩) : أنه بين المعاني الكثيرة التي تعنيها كلمة التاريخ يجب ألا نخلط بين معنيين ، الأول وهو سياق الحوادث كلما تقع فعلا والثاني مشهد هذه الاحداث الذي يتلفظه المؤرخ ويتضمنه كتابه ، ذلك أن التاريخ في المعنى الأول دفق هائل وفي الثاني تأليف محدود ٠

ولم تقف دراسة علم التاريخ عند هذا الحد بل حاول المفكرون تقنين (٢٠) التاريخ حتى يتمكنوا من اعطاء رؤيا مستقبلية للغد ، وقد جاءت هذه الدراسات والمحاولات في اتجاهين : الاتجاه الأول وهو الخط المسترسل التصاعدي باستمرار ، ذلك لأنهم يعتبرون أن التاريخ عبارة عن خط مستقيم متصاعد دائما نحو اكتمال مسترسل لاينتهي ٠ وهذه النظرية نتيجتها وقاعدتها كذلك الايمان المطلق بالرقي ، فهو تقنين متفائل للتاريخ وللحاضر والمستقبل (٢١) ٠

---

(١٦) التاريخ هل هو علم ؟ ص ١٦٨ (حاشية رقم «٢») ٠

(١٧) المرجع السابق ص ١٧٠ ٠

(١٨) جورج سانتيانا : مولد الفكر ص ١١٩ (مترجم) ٠

(١٩) التاريخ هل هو علم ؟ ص ١٦٨ ٠

(٢٠) محمد المطلبي : التاريخ اليوم والغد ص ٣٥ (مجلة عالم الفكر ، المجلد الخامس العدد الأول سنة ١٩٧٤ ٠

(٢١) ومن أهم من قال بذلك من المؤرخين الأجانب
George William Freidrich Hegel (1770-1831) and Karl Marx (1798-1857) and Auguste Comte (1818-1883).

أما الاتجاه الثاني وهو الاتجاه الدوري فان أصحابه يعتقدون أن التاريخ عبارة عن حلقة أو جملة حلقات متناهية زمنا ومكانا ، ومنفصلة بعضها عن بعض ، اذ تمثل كل حلقة منها حضارة وذلك من يوم نشأتها حتى اضمحلالها ومواتها وذلك عند انغلاق الحلقة (٢٢) . ومن ثم فاننا نستطيع القول بأن كل حضارة عبارة عن حلقة لها بداية ونهاية ولها أربعة أطوار : التكوين والنمو والجمود ، الانحلال والاضمحلال (٢٣) . وهي بهذا تشبه الكائنات الحية فهي تولد وتحيا ثم تموت (٢٤) .

على أن النقاش الذى دار حول التاريخ والغـــد ليس بالجديد على المؤرخين المسلمين فقد تناول تقنين التاريخ بنفس الاسلوب الفلسفى ، الصوفى جلال الدين الرومى (ولد سنة ٦٠٤هـ/سنة ١٢٠٧م وتوفى سنة ٦٧٢هـ/سنة ١٢٧٣م) . كذلك قال بهذا ابن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) وهو الذى يؤمن بدورات الحضارة . ومن المفـكرين المسلمين فى العصر الحديث محمد اقبال (١٨٧٣ ـ ١٩٣٨ م) الذى سجل هذه الفكرة فى تقنين التاريخ فى قصيدته التى كتبها باللغة الفارسية وعنوانها (رسالة الشرق) والتى ترجمت الى اللغة الفرنسية تحت (Méssage de l'Orient) (٢٥)

ويختم الفيلسوف عبـد الرحمن بدوى (٢٦) مسـألة تقنين مسـار التاريخ من الناحية الفلسفية فيقول ان الذين قالوا بأن للتاريخ مسارا واحدا تصوروا التاريخ معرضا للروح المطلقة تسير عبر الزمان اللامتناهى . وأبرز ممثلى هذا الاتجاه هيجل Hegel ـ (١٧٧٠م ـ ١٨٣١م) والذين قالوا بأن التاريخ دوائر ، فقد تصوروا التاريخ دوائر اما مقفلة ، هى الحضارات المختلفة ، أو دوائر يفضى بعضها الى بعض عوادات (Ricorso)

أما من قال بأن التاريخ دوائر مقفلة هى الحضـــارات المختلفـة شبنجلر (Spengier) (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦ م) . وأما مـن قال بأن التاريخ دوائر يفضى بعضها الى بعض ولها عودات هو فيكو Vico (١٦٦٨ ـ ١٧٤٤ م) .

أما المؤرخ (زمل) (٢٧) فانه ينقد وجود قانون ثابت يحكم التاريخ

---

(٢٢) Teggart : The Processus of History.
The Theory of History.

(٢٣) Sonokni : Social and Cultural Dynamics.

(٢٤) Arnold Toymby · Study of History.

(٢٥) وترجمتها الى اللغة العربية محمد الطالبى وألحقت بالترجمة الفرنسية .

(٢٦) عبد الرحمن بدوى : أحدث نظريات فلسفة التاريخ ص ٢١٦ .

(٢٧) زمل : مشكلات فلسفة التاريخ ص ١٠٨ (المترجم) .

فيقول : ان القانون قضية تعبر عن العلاقة الثابتة بين مجموعة من الوقائع السابقة التى تتلوها بالضرورة وقائع لاحقة من ناحية ، وبين مجرى العوامل والأحداث الأخرى وهى عديدة جدا ومتشابكة كل الاشتباك . فاذا ما نظرنا الى الأحداث التاريخية وجدناها فى غاية التعقيد والتركيب والاشتباك بحيث يصعب أن يقرر روابط ثابتة بين مجموعات منها . وهذا يفسر أن من المستحيل على المؤرخ أن يقرر روابط ثابتة بين الأحداث التاريخية بحيث تقع النتائج بالضرورة كلما تحققت الأسباب . ثم ينتهى الفليسوف عبد الرحمن بدوى (٢٨) بقوله : ولهذا لانجد فى التاريخ حوادث متشابهة تماما ، والحدث التاريخى الواحد لا يتكرر أبدا .

ونختتم هذه المقدمة بقولنا ، بأن التاريخ الانسانى فى سيره يتأثر تأثرا قويا بنمو المعرفة الانسانية ، بحيث لايمكن لنا بالطرق العقلية أو العملية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية ، بحيث يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الانسانى (٢٩) .

---

(٢٨) أحدث نظريات فلسفة التاريخ ص ٢٢٣ .

(٢٩) انظر بوبر : عقم المذهب التاريخى ص ٥ ـ ٦ (المترجم) .

الباب الأول

الوقت والزمن
قبل الاسلام وبعده

الوقف والزمن عند العرب
قبل الاسلام وبعد

لقد عرف الفلاسفة التاريخ بأنه اعلام بالزمن والحدث ، وان الزمن هو التقويم ، والحدث هو الخبر أو الواقعة المجهولة الزمن ، ومن ثم فان انفراد أحدهما عن الآخر فيه ضياع للمقومات الأساسية للتأريخ ٠

أما من الناحية اللغوية فقد تعددت أصول كلمة التأريخ ومعانيها وان لم تبعد كثيرا عن مضمونها ٠ فقد قيل أن أصل كلمة تأريخ قد أخذ من الأصل السامي العام لكلمة (ورخ) وهي التي جاءت في اللغة العربية في كلمتي (ياريخ) بمعنى القمر و (تدخ) بمعنى الشهر ، ومن ثم يكون معنى كلمة تأريخ هو التوقيت ، أي تحديد الشهر القمرى ٠ ثم اتسع مدلول هذا اللفظ فشمل تحديد عهد حدث ما (١) ، ومن جهة أخرى تحديد الوقت أو العصر أو التاريخ المدون بحسب الشهور والسنين القمرية ٠

أما البيرونى (٢) وكذا الخوارزمى (٣) ، فقد ذكرا أن كلمة تأريخ فارسية الأصل وعربت ٠ أما الأصل الفارسى فهو (ماه روز) ، مما يدعو الى الاعتقاد أنهما أرادا من ذلك القول بأن كلمة تأريخ تعنى — تعيين بدء الشهر ، ومن ثم فقد ربطا بين هذا المعنى وبين الرواية التى رواها العديد من المؤرخين والتى تقول بأن المسلمين أخذوا من تاريخ الهجرة

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (ت) جب
(٢) الآثار الباقية ص ٢٩ (طبعة ساخو)
(٣) مفاتيح العلوم ص ٧٩ (طبعة فان فلوتن) ٠

تقويما لهم وذلك عملا بنصيحة الهرمزان للخليفة عمر بن الخطاب (٤) ·
كما قيل ان التقويم الهجرى أخذ فى الأصـــل من اليمن ، فقد ذكر السخاوى (٥) ، أن أول من أرخ التأريخ هو يعلى بن أميــة الذى كان باليمن ، فقد كتب الى عمر بن الخطاب كتابا من اليمن مؤرخا فاستحسنه عمر ، فشرع فى التأريخ (٦) ·

وروى ابن أبى خثيمة (٧) قال : قدم رجل من اليمن فقال رأيت باليمن شيئا يسمونه التأريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر: هذا حسن فأرخوا ·

ويعلق روزنتال (٨) عن أصــل كلمة (تاريخ) فيقول : وأغلب الظن أن أصلها من العربية الجنوبية ، حيث يوجد مركز ثقافى يمكن أن يصاغ فيه مثل هذا التعبير الفنى · وليس ببعيد أن يكون شكلها الأصلى هو (توريخ) وان (تاريخ) هو التكوين الفنى القديم من (مـؤرخ — ومورخ) ·

---

(٤) لم يكن فى صدر الاسلام تاريخ الى أن ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فافتتح بلاد العجم ، ودون الدواوين ، وجبى الخراج ، وأعطى الأعطية ، فقيل له : ألا تؤرخ ؟ فقال وما التاريخ ؟ فقيل له : شىء كانت تعمله الأعاجم ، يكتبون فى شهر كذا من سنة كذا· فقال عمر : هذا حسن فأرخوا · فقال قوم : نبدأ بالتأريخ من مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال قوم : بل من وفاته ، وقال قوم بل من الهجرة · ثم أجمعوا على الابتداء بالتاريخ من الهجرة ، لأن الله أعز الاسلام وأظهره بالهجرة (السخاوى : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٨) · ثم قالوا : بأى شهر من الشهور نبدأ ؟ فقال بعضهم نبدأ من رمضان وقال البعض من المحرم ، لأنه وقت انصراف الناس من حجهم · وكانت الهجرة فى شهر ربيع الأول ، وكان مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة يوم الاثنين لاثنى عشرة ليـــلة خلت منــه ، فقدم التأريخ على الهجرة بشهرين واثنتى عشرة ليلة ، وجعل من المحرم · وقد وصل (J. Mayer) اعتمادا على ما ذكر بابنجر Bablinger فى كتابه (Die geschichshreber ان يوم (١٥) يولية سنة ٦٢٢م هو اليوم الأول للتاريخ الهجرى ·

وكانوا يكتبون : شهر رمضان ، وشهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الثانى ، فيذكرون الشهر فقط مع هذه الشهور الأشهر ، ولا يذكرونه مع غيرها من الشـــهور الهجرية · والشهور كلها مذكرة الأسماء ، الا جمادى الثانية (أو الآخرة) ، وهى كلها معارف جارية مجرى الأسماء الأعلام ، (عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ص ١٩٩) ·

(٥) التوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٩ ·

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل بسند صحيح ·

(٧) عن محمد بن سيرين ·

(٨) Rosenthal, in Orientalia : a. N.S. VIII, p. 231 (1939).

ويبدو واضحا أن كلمة (تاريخ العربية) تعنى كلا من (الزمن) (والحقبة) وأنها لم تظهر فى الأدب قبل الاسلام ، كما أنها غير مذكورة فى القرآن ولا فى الاحاديث النبوية ، وأن الحديث الوحيد الذى أشار الى التقويم الاسلامى استعمل كلمة (عد) (٩) وأنها استعملت لأول مرة فى الآداب العربية مع أخبار التقويم الهجرى ·

كذلك اختلف العرب قبل الاسلام فى تعريف الوقت والزمن وذلك من الناحية اللغوية · فالوقت كما يقول علماء العربية ، هو مقدار من الزمن ، وكل شيء قدرت له حينا ، فهو موقت · وان الوقت تحديد الأوقات كالتوقيت (١) ·

وقالوا فى الزمان ، انه الدهر ، وعارضهم آخرون فقالوا : يكون الزمان شهرين الى ستة أشهر ، أما الدهر فلا ينقطع · والزمان يعنى كذلك الفصل من فصول السنة (٢) ·

كذلك اختلفوا فى معنى الدهر ، وذلك بسبب مسألة القدم والحدوث ، وصلة التفاسير بهما · فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » · وجاء فى الحديث عن أبى هريرة ، قال الله تعالى : « يؤذينى ابن آدم يسب الدهر ، وانما أنا الدهر · أقلب الليل والنهار » (٣) ·

ويقاس الوقت عند العرب قبل الاسلام بالسنين ، والسنة أطول وحدة قياسية له وتنقسم الى أجزاء · على أن لفظة سنة من الألفاظ العربية القديمة فهى من الألفاظ السامية التى ترد فى كل لغاتها ، فهى لفظة عربية شمالية وردت فى القرآن الكريم (٤) ، كما وردت فى النصوص

---

(٩) فى صحيح البخارى ·
(١) نهاية الأرب ج ١ ص ٨٨ ، الزبيدى تاج العروس ج ١ ص ٥٩٤ ·
(٢) الزبيدى : تاج العروس ج ٩ ص ٢٢٧ ·
(٣) ابن رشيق : العمدة ج ٢ ص ٢٥٢ ، تاج العروس ج ٣ ص ٢١٨ ·
(٤) جواد على ج ٨ ص ٤٣٧ (تاريخ اللغات السامية ص ١٨٠) ·

العربية الشمالية مثل نقش النمارة الذى يرجع الى (سنة ٣٢٨م) ، كما وردت فى الكتابات الصفوية ، وفى نقش حران الذى يعود الى (سنة ٥٦٨ م) اى الى عهد قريب من مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ·

ويعبر عن كثرة عدد السنين بمصطلحات مثل عصر ، وهو كل مدة ممتدة غير محدودة ، وقد وردت فى القرآن الكريم « والعصر ان الانسان لفى خسر (٥) » وذهب بعض المفسرين الى ان العصر هو الدهر (٦) · وتقابل لفظة (العصر) عند العبرانيين لفظة (دور) (Dor) ومنها (دور آدهور) (Dor Wadhor) (٧) بمعنى الدهر والدهور ، أى الزمان الدائم ، وقد أيد القرآن هذا المعنى ، فذكر ان الوقت لا شئ بالنسبة الى أبديته ، « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » (٨) ·

ويرادف للسنة لفظ آخر هو العام ، فقد ورد لفظ عام فى نص من نصوص المسند (٩) بمعنى سنة ــ وكذا (الحول) هو السنة اعتبارا بانقلاب الشمس ودوران الشمس ، وقد وردت فى القرآن الكريم · وهى كذلك من الألفاظ العربية القديمة · والحولى ما أتى عليه حول من ذى حافر وغيره (١٠) ·

وفى معنى التاريخ يقول البطليموسى (١١) كذلك ، أرخت الكتاب تأريخا ، وهى أفصح اللغات ، وورخته توريخا فهو مؤرخ · وأرخته (خفيفة الراء) أرخا ، فهو مأروخ ، وهى أقل اللغات ·

وكانت العرب قبل الاسلام تؤرخ بالكوائن والحوادث المشهورة ، من قحط أو خصب ، أو قتل رجل عظيم أو موته ، أو وقعة مشهورة عند الناس (١٢) ·

---

(٥) سورة العصر ، تاج العروس ج ٣ ص ٤٠٤ ·

(٦) تفسير الطبرى ج ٣٠ ص ١٨٧ ·

(٧) Hastings : Dictionary of the Bible, p. 288.

المزمور العاشر الآية (٦) ·

(٨) سورة الحج آية رقم (٤٧) ·

(٩) تاج العروس ج ٨ ص ٤١٢ ·

(١٠) المرجع السابق ج ٧ ص ٢٩٣ ·

(١١) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ص ١٩٦ ·

(١٢) وفى ذلك يقول الربيع بن ضبع الفزارى : أحد المعمرين قبل الاسلام عاش سنة ٣٤٠م :

هاأنذا آمل الخلود وقد أدرك عقلى ومولدى حجرا
أبا امرئ القيس قد سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا

(عن عبد القادر البغدادى : الخزانة ج ٣ ص ٣٠٨)

وكانت الفرس تؤرخ بالوقت الذى جمعهم فيه أردشير ملك الدولة الساسانية ، بعد أن كانوا فرقا وطوائف .

ومن المصادر الهامة التى تناولت تعريف علم التأريخ ، كتـــاب الكافيجى (١٣) (المختصر فى علم التأريخ) الذى جاء فيه :

« أقول التأريخ فى اللغة هو تعريف الوقت ، وفى العرف والاصطلاح هو تعيين وقت لينسب اليه زمانا مطلقا سواء كان قد مضى أو كان حاضرا أو سيأتى . وقبل التأريخ تعريف الوقت باسناده الى أول حدوث أمـر شائع كظهور ملة أو وقوع حادثة هائلة من طوفان أو زلزلة عظيمـة » .

= وقال النابغة الجعدى :

فمن يك ســائلا غنى فانى   من الشـــبان أيام الختان

(الاقتضاب ص ٩٧) وكانوا يؤرخون بعام الفيل والفجار ، التى بينها وبين عام الفيل عشرون سنة . وأيام الفجار كانت بعكاظ ، تفاجروا فيها واستحلوا كل حرمة . وكـانت أربعـة أفجرة ، وآخرها فجار البراض ، وهى الوقعة العظمى . نسبت الى البراض بن قيس ، الذى قتل عروة الرحال .

وقيل انها سميت بذلك لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس بن عيلان قبل الاسلام وكانت الهزيمة على قيس .

(تاج العروس) . وقيل ان يوم الفجار ليست أيام الغدر وانما هى أيام القتال فى الشهر الحرام ، الاقتضاب ص ١٩٨ . ويسمى البيرونى أيام الفجار بيوم الغدر (الآثار الباقية ص ٣٤) .

(١٣) الكافيجى : هو محى الدين محمد بن سليمان الكافيجى أصله من مدينـــة (كوك جاكى) بالأناضول ، ولد (٧٨٨هـ/١٣٨٦م) وتوفى (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) ، وقد تردد اسمه فى تراجم القرن التاسع الهجرى (٩) م فى (الضوء اللامع) للسخاوى . وقد جاء عنه أنه كان معلما شعبيا ترك كثيرا من المؤلفات غير أن معظمها قصيرة ولم ينشر منها شىء . وله فى دار الكتب المصرية بالقاهرة بالاضافة الى كتاب (المختصر فى علم التأريخ) عدة مخطوطات منها شرح لكتاب ابن هشام فى النحو ومجموعتـــان من رسائله الصغرى . ويحدثنا روزنتال) عن رسائله هذه فيقول ص ٣١٩ ، وموضوع هذه الرسائل لا يختلف كثيرا ، غير أنه يبدو أن الكافيجى عالجها بأصالة كثيرة على أن الكافيجى لم يكن مؤرخا محترفا ، ولا يبدو أنه اهتم بصفة خاصة بالتاريخ . ومن مؤلفاته التى اهتم فيها بالمعضلات التاريخية هو (كتاب النصر القاهر والفتح الظاهر) (بركلمان ج ١ ص ١٣٤) .

وكان يعتبر فى زمانه ــ حجة فى العلوم غير الدينية وغير الأحاديث ويبدو واضحا فى كتاباته عن التاريخ أن معرفته عن الفلسفة والعلوم ضئيلة .

ومخطوطه (المختصر فى علم التأريخ) محفوظة فى دار الكتب المصرية (ج ٥ ص ٣٣٥) من الفهرس الجديد لدار الكتب . وقد جاء فى وصف هذه المخطوطة ، أنها كتبت بعـــد ثمانية أيام من انتهاء المؤلف من كتابتها (٨٦٧هـ/١٤٦٣م) ، أما ناسخها فهو أحـــد تلاميذه ، وهو على بن داود الجوهرى المؤرخ المتوفى (سنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م) . وهنـــاك مخطوطتان فى (أيا صوفيا ٣٤٠٢ ، ٣٤٠٣) .

ونحوها من الآيات السماوية والعلاقات الأرضية · وقيل التاريخ مدة معلومة بين حدوث أمر ظاهر وبين أوقات حوادث أخرى (١٤) ·

ويستطرد الكافيجى فى تعريف التأريخ فيقول : ولكل واحد من هذه الاصطلاحات وجه وجيه ، فاختر منها ما كان أحلى عندك وأولى ، ذلك ان علم التاريخ فى الاصطلاح مشترك (١٥) كاشتراك العين بين معانيها، ولا حرج في ذلك ، اذ كل واحد له أن يصطلح على ما يشاء كيف يشاء بغرض (١٦) » ·

وينهى الكافيجى (١٧) التعريف بعلم التاريخ فيقول : أما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته » ·

ومن المصادر الهامة كذلك التى عنيت بتعريف علم التأريخ لفظا ومعنى ، السخاوى (١٨) فى كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) وليس من شك أن أفكار الكافيجى عن التأريخ ، كان لها أكبر الأثر على السخاوى ، وكما يقول روزنتال (١٩) ، ولولا كتاب (المختصر فى علم التاريخ ، لما كان بالامكان ظهور كتاب الاعلان بالتوبيخ) ذلك ان المسائل وعرضها الى حد ما ، هى نفسها الموجودة فى كلا الكتابين ، ولا يوجد مبرر لافتراض وجود مصدر مشترك لهما ، غير ان السخاوى كان يحاول دائما آن يعطى حلولا جديدة للمسائل التى أثارها الكافيجى ·

ويقول السخاوى (٢٠) فى التعريف بالتاريخ لغة : فالأول فالتاريخ فى اللغة الاعلام بالوقت ، يقال أرخت الكتاب وورّخته أى بينت وقت كتابته ·

---

(١٤) الكافيجى : المختصر فى علم التاريخ ص ٥ ·

(١٥) المقريزى : الخطط والآثار ج ١ ص ٢٥٠ (طبعة بولاق سنة ١٢٦٠) ·

(١٦) الشيرازى : نهاية الادراك ص ٣١٣ ·

(١٧) المختصر فى علم التاريخ ص ٩ ،

(١٨) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عثمان بن محمد السخاوى الأصل ، القاهرى المولد الشافعى ، فقيه مقرىء محدث مؤرخ ، مشارك فى الفرائض والحساب والتفستير وأصول الفقه والميقات ، أصله من سخا من قرى مصر · ومن تآليفه الكثيرة ، الضوء اللامع لوفيات القرن التاسع فى (١٢) مجلدا ، والمقاصد الحسنة فى الأحاديث الجارية على الألسنة · البستان فى مسألة الختان ، الأصل الأصيل فى تحريم النظر فى التوراة والانجيل · ولد سنة ٨٣١ وتوفى سنة ٩٠٢هـ) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ج ٩ ص ١١٣ ·

(١٩) Franz Rosenthal · A history of Muslim Historiography, p. (197) (second edition, Leiden 1968).

(٢٠) الاعلان بالتاريخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٦ ·

ويقول الجوهرى (٢١) : التاريخ تعريف الوقت ، والتوريخ مثله يقال أرخت وورخت وقيل اشتقاقه من الأرخ يعنى بفتح الهمزة وكسرها، وهو الانثى من بقر الوحش لأنه شىء كما يحدث الولد . انتهى .

وقد فرق الأصمعى بين اللغتين فقال : بنو تميم يقول ورخت الكتاب توريخا .

وقيس تقول أرخته تأريخا (٢٢) . وهذا يؤيد كونه عربيا وقيل أنه ليس بعربى محض ، بل هو معرب مأخوذ من (ماه روز) بالفارسية ماه القمر وروز اليوم ، وكان الليل والنهار طرفه .

وقال أبو منصور الجواليقى (٢٣) فى كتابه المعرب من الكلام الاعجمى : يقال ان التاريخ الذى يؤرخه الناس ليس بعربى محض ، وانما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب . وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصار تأريخا الى اليوم ، انتهى .

وقال فرج بن قدامه (٢٤) بن جعفر الكاتب فى كتاب الخراج له : « تاريخ كل شىء آخره » فيؤرخون بالوقت الذى فيه حوادث مشهورة . ونحوه قول الصولى ، تاريخ كل شىء غايته ووقته . الذى ينتهى اليه

---

(٢١) هو اسماعيل بن حماد الجوهر توفى فى نهاية القرن الرابع الهجرى/أوائل الحادى عشر للميلاد (انظر بروكلمان جـ ١ ص ١٢٨) الصحاح جـ ١ ص ٢٠٠ (طبعة بولاق) موهوب بن أحمد الجواليقى المتوفى (سنة ٣٥٩هـ/١١٤٤م) (بروكلمان جـ ١ ص ٢٨٠)

لسان العرب جـ ٣ ص ٤٨١ (طبعة بولاق سنة ١٣٠٠هـ) .

(٢٢) عبد الملك بن قريب الاصمعى توفى (سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م) (بروكلمان جـ ١ ص ١٠٤) أما عن التميز فى اللهجات فانظر أيضا الصولى : ادب الكتاب ص ١٨٠ .

(٢٣) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٦ .

(٢٤) عاش ابن قدامه حوالى (سنة ٩٠٠م) (بروكلمان جـ ١ ص ٢٢٨) ، ياقوت ، ارشاد جـ ١٧ ص ١٢ — انظر تاريخ دمشق جـ ١ ص ١٨ (دمشق سنة ١٣٢٩) يذكر أن هذا النص مأخوذ من تاريخ قدامه ، ولعل هذا التاريخ هو « زهرة الربيع » الذى يقول المسعودى أنه من كتب قدامه (انظر الاعلان ص ١٥٦ ، وياقوت : ارشاد جـ ١٧ ص ١٣ . ولكنه غير موجود فى الفهرست لابن النديم .

وقد نقل عن الجوهرى وقدامه ، ابن الدويدارى فى كنز الدرر (القاهرة مصور . تاريخ رقم ٢٥٧٨ جـ ١ ص ٨١ . كما نقل عن قدامة فقط عبد الله بن الفضل اللخمى فى (واسطة الأدب) مخطوطة باريس رقم ٦٤٩٣ Fal 146

زمنه ، ومنه قيل لفلان تاريخ قومه ، وذلك لكون اليه المنتهى فى شرف قومه (٢٥) ٠

كما قال المطرزى (٢٦) ، وذلك بالنظر لاضافة الأمور الجليلة من كرم أو فخر أو نحوهما اليه ، واما لكونه ذاكرا للأخبار ، وما شاكلها٠ وممن لقب بذلك أبو البركات محمد بن سعد بن سعيد البغدادى العسال المقرىء الحنبلى المتوفى فى سنة تسع وخمسمائة (٢٧) (سنة ١١١٦م)٠

ويعرف السخاوى التاريخ اصطلاحا فى كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) ، فيقول : وفى الاصطلاح التعريف بالوقت الذى تضبط به الاحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحجج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه فحص أحوالهم فى ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض وخليفة وزير وغزوة وملحمة حرب وفتح بلد انتزعه من متغلب عليه وانتقال دولة وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة ومقدماتها وغير ذلك (٢٨) ٠

والحاصل انه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم (٢٩) ٠

أما عن موضوع التاريخ فيقول السخاوى : وأما موضوعه فالانسان والزمان ، ومسائله أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة فى الانسان وفى الزمان » ٠ ويضيف فيقول : « وأما

---

(٢٥) هو محمد بن يحيى الصولى (ت سنة ٣٣٥هـ/سنة ٩٤٦م) (بروكلمان جـ ١ ص ١٤٣) ٠ أدب الكتاب ص ١٧٨، ٠

(٢٦) هو ناصر بن عبد السيد توفى (سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م) بروكلمان جـ ١ ص ٢٩٣) المغرب جـ ١ ص ١٣ (حيدراباد ، ١٣٢٨) حيث ينقل عن الصولى ٠

(٢٧) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٤ ص ٢٦ (القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ) يحيى ابن على بن عبد اللطيف المصرى ، وكان يدعو « تاريخ » سوريا ٠ (السلفى : المعجم ، مصور القاهرة ، تاريخ (٣٩٤٢ ، ٤٦٨) ٠ أما صدقة بن منصور فكان (تاريخ) العرب الاشراف (ت سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م) عن ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ١٥٩ ، ابن أبى الدم : مختصر التاريخ (مخطوطة البودليان (Ms. or Marsh 60) تاريخ بغداد جـ ٤ ص ٦٥٠ ٠

(٢٨) الاعلان والتوبيخ ص ٧ ٠

(٢٩) المرجع السابق ص ٧ ٠

فائدته (أى التاريخ) ، فمعرفة الأمور على وجهها ، ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التى يعلم بها النسخ فى احد الخبرين المتعارضين المتعـزر الجمع بينهما ، بالاضافة لوقت متأخر كرؤيته قبل أن يموت بعـــام أو نحوه (٣٠) .

(٣٠) تاريخ بغداد جـ ٤ ص ١٤ ، ابن الصلاح : المقدمة ص ٢٣٩ .

بداية التقويم

أما التقويم ، وهو الجزء المتمم لكلمة التأريخ كما عرفه الفلاسفة فيعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور ، وبمعنى حساب الازمان وحصرها ، وبمعنى تحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا (١) ٠

ولما كان (التقويم) بكل المفاهيم السابق الاشارة اليها على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للفكر التاريخى عند المسلمين ٠ لذلك فقد رأينا أن نتناول بالبحث والدراسة كيف بدأ التقويم وتطوره عبر العصور (٢) ٠

ولعل من أقدم الشعوب التى اهتدت الى حساب الزمن هم المصريون القدماء فقد ساعد على ذلك عوامل طبيعية اختصت بها مصر منـذ أقدم العصور ، ذلك هو فيضان نهر النيل (٣) ذى التوقيت الثابت المنتظم ٠ على ان المصرى لم يستطع اختراع التقويم ولم يتوصل الى تقسيم السنة الى فصول الا بعد ان عرف القراءة والكتابة (٤) ٠

ففى عهد زوسر زاد الاهتمام بمدينة عين شمس مقر عبادة الشمس وحمل كبير المهندسين (ايمحوتب) لقبـــا قد يقرأ (كبير المتطلعين الى السماء لرصد حركات الكواكب والنجوم باعتبـاره رئيس الفلكيين فى مدينته ، أو يقرأ بما يعنى انه المتطلع الى رب الشمس الكبير باعتبـــاره

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية (ت) ٠

(٢) Parker : The Calendars of Ancient Egypt, p. 122 (1950).

(٣) R.W. Sloley : The Origin of the 365-day Egyptian Calendar. 132, 1952.

(٤) ابو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى ص ١٢٧ (دار النهضة سنة ١٩٧٩ ٠

رئيس كهنته وارتبطت رعاية زوسر للمدينة بخطوة حضارية جديدة اهتدى فيها علماؤها الى ابتداع تقويم مدنيّ يجمع بين خصائص التقويم الشمسى والتقويم النجمى ٠ (٥)

وقد نفذ عام (٢٧٧٣ ق٠م) على وجه التقريب ٠ واحتسبوا السنة على أساسه ٣٦٥ يوما بدلا من ¼ ٣٦٥ يوم ٠ (٤) وقسموها الى اثنى عشر شهرا ضمنوا كل شهر منها ثلاثين يوما ثم اعتبروا أن الأيام الخمسة الأخيرة أيام أعياد تحتفل الدولة فيها بمولد الأرباب (٥) : أوزير ، ايسه ست ، بنت حت ، حور (أوزيريس ، ست ، نفيتس ، حورس) وهى أيام النسىء التى تحتفظ السنة الزراعية بها حتى الآن (٦) ٠

هذا فضلا عما اشرنا اليه من قبل وهو اهتداء المصريين الى تقويم سنوى قبل عهد زوسر وهو التقويم النيلى ، أو التقويم الذى يبدأ ببداية وصول فيضان النيل الى منطقة معينة ذات أهمية سياسية ، وهى منطقة (برجعبى) التى توسطت بين عين شمس ومنف وتقربه من جزيرة الروضة أو مصر العتيقة الحالية ٠ كما أنه من (٧) المؤكد أن المصريين قد اهتدوا الى التاريخ بالشهور قبل عهد زوسر وهو تأريخ اعتمد على الدورة القمرية الشهرية التى يمكن رسم بدايتها ونهايتها فى سهولة ٠ وشيئا فشيئا لحظ المصريون المحتفلون بوفاء نيلهم أن فجر وصول فيضانه الى ما يجاور عين شمس ومنف يقترن بظاهرة سماوية معينة وهى أنه بعد اختفاء نجم الشعرى ذى الضوء الساطع الذى اعتبروه أنثى وسموه (سوبده) عن مجال الرؤية نحو سبعين يوما ، يعود فيتألق فى أفق السماء ويبقى حتى مطلع الشمس المبكر كانما ليبشر ببداية الفيضان (٨) ولما استقرت هذه الظاهرة فى أذهانهم ولحظوها زمنا ، أصبحوا يترقبون اجتماع هذه الظواهر الطبيعية عن قصد ، وأطلقوا على الشعرى لقب جالبة الفيضان ، واعتبروا بداية ظهورها فى الأفق الشرقى عند الفجر (حوالى ١٧ يوليو من التقويم اليوليانى) أول يوم فى أول شهر فى فى أول فصل ، وهو فصل الفيضان (٩) ٠

---

(٥) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ص ٩٨ ، (الانجلو سنة ١٩٧٣) ٠

(٦) المرجع السابق ص ٩٩ ٠

(٧) Neugebauer : Die Bedeutung slosigkeit der Sothisperiod. p, 175.

(٨) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ١ ص ١٢١ (ترجمة زكى نجيب محمود القاهرة سنة ١٩٧٣) ٠

(٩) عبد العزيز صالح ص ١٠٠ ٠

ثم حسبوا ما بين كل ظهور صادق وظهور صادق آخر للشعرى مع مطلع الشمس فوجدوه ٣٦٥ يوما ووجدوه يتضمن اثنى عشر شهرا قمريا وكسورا لا تصل الى نصف شهر ، فأكملوا عدة كل شهر ثلاثين يوما وتبقى خمسة أيام احتسبوها نسيئا وأعيادا .

على أنهم اعتبروا السنة ثلاثة فصول ، فصل الفيضان (آخة) وفصل خروج النبت من الأرض (برت) وهو يوازى فصل الشتاء ثم فصل التحاريق (شمو) وكان من الطبيعى أن تكون هذه الخطوة البارعة فى عهد نشط ينزع أهله الى التجديد ، ولذلك رجح العلماء أن يكون ذلك قد تم فى عهد زوسر .

هذا وقد أشار خلفاؤهم الى دورة الشعرى فى وثائقهم ثلاث مرات على أقل تقدير فى فترات متباعدة ، غير أن هذه الخطوة التى ربط فيها المصريون بينها وبين دورة الشعرى ، وبينها وبين الانقلاب الشمسى قصدا واتفاقا ، وقسمة الشهور الى اثنى عشر شهرا وهى الخطوة التى سبقوا بها كل شعوب العالم القديم ، التى ظلت تؤرخ بالتقويم القمرى وحده لم تكن بدون مأخذ يؤخذ عليها (١٠) . فهم قد احتسبوا سنتهم كما سبق أن ذكرنا ٣٦٥ يوما وليس ٣٦٥ وربع تقريبا (١١) ثم لا تعود وتتفق معها الا بعد أن يبلغ الفارق بينهما حولا كاملا بعد كل ١٤٥٦ سنة (١٢) .

ولم تتكرر ظاهرة الاتفاق بين البدايتين ، بداية السنة المدنية والفلكية وبداية الفيضان غير ثلاث مرات منذ بدأ المصريون توقيتهم عام (٢٧٧٣ ق.م) وهو عام البداية وعام ١٣١٧ ق.م (١٣) وهو عام تولى سيتى الأول عام ١٣٩ م وقد سجلها فى هذه المرة الرومانى كنسورينوس وأثبت فيها أن نجم سوبدة ظهر فى موعده (١٤) .

وأدرك المصريون هذا الفارق ولكنهم لم يعملوا على تلافيه فى حدود ما تدل عليه وثائقهم المعروفة حتى الآن ولم يتعدل التقويم بصورة دائمة

---

(١٠) طه باقر : مقدمة تاريخ الحضارات القديمة جـ ١ ص ٦٩ .
(١١) ألكسندر شارف : تاريخ مصر فى فجر التاريخ ص ٤٨ (مترجم) .
(١٢) عبد العزيز صالح ص ١٠٠ .
(١٣) H. Breasted : The Down of Consience, p. 49.
(١٤) Massoulard. : Prehistoire et Prehistoir d'Egypte, p. 434.
(١٥) H.p Balez : Die Altaegyptische Wandgiederung, p. 54.
(١٦) Kees : Das Atte Aegypten, p. 68.

الا فى عهد (أوغسطس) عام ٣٠ ق٠م (٦) حين ظهر التقويم اليوليانى ، وثبت العام بمقتضاه (٣٦٥ يوما وربع اليوم) ٠ وهذا وان كان التقويم القديم مأخوذا به فى أساسه حتى الآن فى السنة الزراعية وهو ما يعرف أنه أنسب لتعيين مواقيت الحرث والبذر والرى والحصاد ، على الرغم من نقص ربع اليوم الفلكى فيه (١٧) ٠

(١٧) J. Vandier : Manuel d'Archeologie Egyptienne. I, p. 117.

تقاويم بلاد مابين النهرين

ولاعطاء فكرة متكاملة عن التقاويم التى أرخت بها الشعوب العربية والمجاورة والتى كانت لها صلة بها فى منطقة الشرق الأوســـط ، فقد رأينا أن نذكر شيئا عنها .

من المعروف أنه قد سكن بلاد ما بين النهرين أمم مختلفة استوطنت فى هذه الديار من قديم الزمان وأولى هذه الأمم هى الأمة السومرية (١) والسومريون من أصل طورانى من أواسط آسيا كما أثبت ذلك بعض العلماء وقد أنشأوا حضارة عظيمة فى الجهة الجنوبية من نهر الفرات (٢) وقد دلت الحفريات الأخيرة التى قامت بها بعثة جامعة بنسلفانيا الأمريكية ومتحف لندن فى مدينة أور(٣) سنة ١٩٢٨ تحت ادارة العالم الانجليزى سير ليونارد وولى Sir Leonard Woolley (٤) آثارا هامة استنتج منها هذا العالم ، أن الحضارة السومرية يرجع تاريخها الى ما قبل الحضارة المصرية القديمة (٥) .

وثانية هذه الأمم هى الأمة الآكادية (٦) وهى من أصل سامى كالعرب وهذه الأمة أتت من الجنوب الغربى وأنشأت حضارة أخرى فى المنطقة

(١) L. Sedillot : Histoire Generāl des Arabe, V. II, p. 131.

(٢) De Lacy O'Leary : Arabia before Mottammaal, p. 23.

(٣) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٣٦ .

(٤) R. J. Braidwooé : Sumer III, 59 (1947).

(٥) E. A Speiser : The Sumerian Problem Reviewed, p. 339

(٦) Sarzec and Heuzey : Decouverts en Chaldée, p. 51

الوسطى من بلاد ما بين النهرين وقد أطلق اسم الأمم الكلدية على أمتى السومر والأكاد لأنهما امتزجتا فيما بعد . ونجد اسمى سومر وأكاد (٧) فى كتابات الملك الآشــورى (٨) سيناحريب التى تنص على أن جيش العلاميين (٩) اخترق بلاد أكاد للذهاب من شــوس الى بابل ، وكانت أسماء ملوك آشور (١٠) تذكر فى هذه الكتابات مضافا اليها لقب ملك سومر واكاد (١١) .

وثالثة هذه الأمم هى الأمة الآشورية (١٢) وكانت تسكن فى الجهة الشمالية أى فى المنطقة الجبلية (١٣) ، وقد أغارت على بلاد بين النهرين واستولت عليها ووصل ملكها الى الشام وفتحت مصر مرتين (١٤) . ولكن لم تعمر دولة الآشــوريين الأخــيرة الا قليلا وقد اشــتهر ملوكها بالظلم والقسوة .

وبعد انقراضها قامت مملكة بابل (١٥) الثانية وقد رأت مدينــة بابل خيرا كثيرا على يد ملكهـــا بختنصر (١٦) وفى عصره بلغت هــذه العاصمة ذروة المجد والحضارة .

لقد أثرت حضارات هذه الأمم فى بعضها البعض لعدم وجود موانع طبيعية كالجبال والبحار تفصل بين البلاد التى يقطنونها (١٧) . فهم يسكنون سهلا واحدا ويشربون من مياه النهرين التوأمين ولهــذا ســيجمع بحث تقاويم (١٨) هذه الأمم معا التى أطلق عليها اسم الفن المزويتامى أى بلاد ما بين النهرين أو العراقى القديم (١٩) .

---

(٧) Thureau-Dangin : Les Inscriptions de Sumer et de Akkad, p. 27.

(٨) Sidney Smith : Early History of Assyria, 96.

(٩) L.W. King : A History of Sumer and Akkd, p. 24'5.

(١٠) T.J. Ge'b Materiat for lde Assyrian Oictionary, I, p. 17.

(١١) Sidney Smith : Early history of assyria, p. 96.

(١٢) Gaéé : S.merıcn Reading book, p. 172.

(١٣) Journal of the Cuneiform Studies V. 1951.

(١٤) Jacobsen ; Mitzeh : Orientalia. XIV, p. 185.

(١٥) Dupont : Sommer, p. 17.

(١٦) Dupont : Op. cit., 18-32.

(١٧) B. Pritchard : The Ancient Near East, p. 121.

(١٨) Sidney Smith : Early History of Assyria, 123.

(١٩) فؤاد مرابط : تاريخ الفنون القديمة ص ٩٢ .

وقد أطلق على الكتابة القديمة لبلاد ما بين النهرين اسم الكتابة المسمارية (٢٠) Cunéiforme لانها تشبه المسامير الموضوعة بعضها بجانب البعض بأوضاع مختلفة . وكان يبصم بقلم خاص على قوالب الطين ثم تحرق هذه القوالب فتبقى هذه الكتابات الغائرة ثابتة .

وما تزال المراسلات التي كان ملوك آشور يرسلونها الى فراعنة مصر نراها معروضة في المتحف المصري باقية كما كانت (٢١) ويرجع الفضل الأكبر في حل رموز هذه الكتابة الى اللورد راولنسون Rawlinson (٢٢) الذي اتم المحاولات الأولى التي قام بها العالم الألماني جروتفند Grotefend سنة ١٨٠١ . وكان مفتاح الكتابة المسمارية لوحة منحوتة بجنب الجبل في بهيستون Behistun بايران ومنقوش عليها بثلاث لغات مختلفة وهي الفارسية والعيلامية والبابلية (٢٣) وهي عبارات مدح وتبجيل مقدمة الى الملك دارا .

ومن غريب الصدف أن تشبه طريقة حل الرموز المسمارية طريقة حل الرموز المصرية القديمة ، فقد كانت الوسيلة في حل رموزهما واحدة وهي العثور على لوحة منقوش عليها عبارات بثلاث لغات مختلفة وقد فكت رموز اللغة المطلوبة بمقارنة الكتابات الثلاث بعضها ببعض (٢٤) . هذا وقد قام باتمام أعمال هذين العالمين أربعة علماء من بلاد مختلفة منهم العالم الفرنسي أوبير Oppert والآن أمكن بفضل هؤلاء العلماء قراءة الكتابة المسمارية بالسهولة التي تقرأ بها اللغة المصرية القديمة (٢٥) .

وبرغم ما وصلت اليه الحضارة السومرية الا أننا لم نعثر على تقويم خاص بالسومريين . وان كنا نستطيع ضمنا أن نتبينه وذلك عند تقدير الفترة التي أمضاها السومريون قبل أن تتكون لهم وحدة وقدرت بثلاثة آلاف سنة . وان ذكر البعض أنه من الثابت أنه كان لديهم تقويم ، وان كان

---

(٢٠) Jacobson : Journal of the Cuniform Studies Vél. V.

(٢١) عبد العزيز صالح : تاريخ الشرق القديم ص ٣٨٢ .

(٢٢) Rawlinson : Cuniform Inscription.

(٢٣) Frankfort : The birth of Civilization in the Near East p. 18.

(٢٤) Kramer : From the tablet of Summer, XXII, p. 233.

(٢٥) تتكون اللغة المصرية القديمة من ثلاث أنواع من الكتابة ، الهيروغليفية وهي عبارة عن صور تحفر على التماثيل والمقابر والهيروطيقية وهي الكتابات الدينية على أوراق البردي وهي على شكل انصاف دوائر والكتابة الثالثة هي الديموطيقية وهي اللغة العامية التي يتكلمون بها .

لا يعرف متى نشأ ولا أين نشأ (٢٦) . قسمت السـنة بمقتضاها الى اثنى عشر شهرا قمريا يزيدونها شهرا في كل ثلاثة أعوام أو أربعة حتى يتفق تقويمهم هذا مع فصول السنة ومع منازل الشمس . وكانت كل مدينة تسمى هذه الأشهر بأسماء خاصة (٢٧) .

أما بالنسبة للبابليين فكان الفلك هو العلم الذى امتاز به البابليون، وهو الذى اشتهروا به فى العالم القديم كله ، ولم يدرس البابليون النجوم ليرسموا الخرائط التى تعين على مسير القوافل والسفن بل درسوه من أجل التنبؤ بمستقبل الناس ولذلك كانوا منجمين أكثر منهم فلكيين(٢٨) . ولذا نشأ علم الفلك نشأة بطيئة حتى استطاعوا منذ عام ٢٠٠٠ ق.م أن يسجلوا بالدقة شروق الزهرة وغروبها بالنسبة الى الشمس (٢٩) . وربط البابليون معرفتهم الفلكية بنظامهم السداسى في الحساب ، ولما كانت الدائرة عندهم مقسمة الى ٣٦٠ درجة جعلوا محيط الأرض ومحيط الفلك مثل ذلك ثم جعلوا اليوم الطبيعي (الليل والنهار) ٢٤ ساعة والساعة ستين دقيقة والدقيقة ستين ثانية . وربما كان للقمر أثر فى تبينهم النظـام السداسى لأن القمر يولد مرة فى كل ثلاثين يوما . وحسبوا السنة اثنا عشر شهر أو ٣٦٠ يوما .

ثم عظم البابليون الرقم (٧) فأولوا الأيام ٧ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٨ ، من كل شهر اهتماما خاصا ، وقد جعلوا الأسبوع سبعة أيام وجعلوا كل شهر يبدأ باليوم الأول من الأسبوع . فنتج عن ذلك أن كل شهر كان يتألف عندهم من أربعة أسابيع صحيحة ، ولعل اليومين الباقيين كانا أبيضين عيدين (٣٠) ثم أدرك البابليون أن السنة أكثر من ٣٦٠ يوما . ومنـذ عام ١٩٠٠ ق.م بدأ المنجمون البابليون يرصـدون الكواكب والنجوم ويدونون مطالع كوكب الزهرة خاصة لأن الزهـرة من الكواكب المتحيرة التى تسبق الشمس حينا وتتأخر عنها حينا آخر ، ثم حسبوا قران الزهرة (اجتماعها مع الشمس أى وجودهما فى خط نظر واحد فلا تظهر للعين فى أثناء ذلك) فوجدوا أن بين كل قرانين ٥٨٤ يوما (٣١) . كما حاولوا تفسير ظاهرة تعاقب الفصول فانكبوا على دراسة خرائطهم ، الفلكية ولكنهم لم

(٢٦) Baridwcod : Sumcr, III. p. 62.

(٢٧) ديورانت : قصة الحضارة (المترجم) ص ٢٥ .

(٢٨) Leonard W. King : The Letters and Inscriptions of Hammurabi p. 45, .

(٢٩) ديورانت ، قصة الحضارة ص ٢٦ .

(٣٠) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٤٢ .

(٣١) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٤٨ .

يصلوا الى أى برهان أو قرينة أثبتت لهم أن حركة النجوم البادية هـذه مرجعها دورة الأرض ، فجاء تفسيرهم لها بطريقة قد تبـدو خيالية فى تصويرها (٣٢) ٠

ذلك أنهم افترضوا أن الشمس فى مدى عام تتبع مسـارا ملتويا طويلا بين الكواكب ويكتمل هـذا المسار بعودة الشمس الى النقطة التى بدأت سيرها منها أول العام ، وقد اعتبروا أن الشمس فى مسارها هذا على الدرب الملتوى الطويل تقوم بزيارة مختلف مجموعات النجوم وهى التى نعرفها فى وقتنا الحاضر باسم البروج أو الكوكبات البروجية (٣٣) ٠ وتبقى فى زيارة كل كوكبة منها مدة ثلاثين يوما كاملا ثم تنتقل الى الكوكبة التى تليها ثلاثين يوما أخرى وهكذا حتى تعود فى النهاية الى النقطة التى بدأت منها فى أول الأمر ٠ وبهذا تكون قد زارت بالترتيب اثنتى عشرة كوكبة مختلفة وبقيت مع كل كوكب منهـا ثلاثين يوما كاملا فيما عـدا الكوكبة التى تصل اليها فى نهاية فصل الصيف ، فهى تمضى معها خمسة أيام اضافية أخرى (٣٤) ٠

وأهم ما توصلوا اليه أن نصف السنة الأولى من الاعتدال الخريفى الى الاعتدال الربيعى تكون الشهور فيهـا ٣٠ يوما ، فيما عدا الشهر الخامس يوافق شهر فبراير ٢٩¼ يوما ٠ أما النصف الآخر فمجموعه ١٨٦ يوما أو ٦ أيام زيادة على الثلاثين يوما التى يتكون منها كل شهر من شهوره وقد وزعت هذه الأيام الستة على جميع شهور الصيف ولو أن أكبر تركيز فيها ظهر فى الشهرين اللذين كانا يوافقـان شهرى أغسطس وسبتمبر فى شهورنا الحالية (٣٥) ٠

أما التقويم عند الكلدانيين الذين أقاموا دولتهم فى بابل سنة ٦٢٥ ق٠م وورثوا حضارة العراق ، وبرعوا فى علم الفلك خاصة ٠ وربط الكلدانيين أيام الأسبوع بالكواكب الخمسة (عطارد ــ الزهرة ــ المريخ ــ المشترى ــ زحل) (٣٦) وفى زمن الكلدانيين استقرت أسماء البروج الاثنى عشر على ما نعرف اليوم وقد أخذوها عن البابليين وهى (الحمل ــ الثور ــ الجوزاء ــ السرطان ــ الأسد ــ العذراء أو السنبلة ــ الميزان ــ العقرب ــ القوس ــ الجدى ــ الدلو ــ الحوت) وهذه هى الأسماء العربية أما أسماؤها الكلدانية

---

(٣٢) L. Sedillot : Histoire General des Arabe, v. II, p. 138.

(٣٣) E. A. Speiser : The Sumerian Problem Reviewed, p. 401.

(٣٤) كيث ايروين : قصة التقويم (مترجم) ص ٩٤ ٠

(٣٥) المرجع السابق ص ٩٥ ٠

(٣٦) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ص ٩٥ ٠

فهى (أموا ـ ثورا ـ تامي ـ سرطان ـ اربا ـ شبلت ـ ماساشـا ـ عقربا ـ قشتا) ، (٣٧) وقد أقام الكلدانيون المراصد لرصد الكواكب ٠

وقد اشتهر من الفلكيين الكلدانيين (نابور يمانو) (٣٨) الذى ظهر بعد ما يقرب من ٢٥٠ سنة من زوال بابل ، أى قبل خمسمائة عام ق٠م ٠ فقد بلغ الفلكى فى تفكيره العلمى مبلغ العلماء المحدثين ، اذ له الفضل فى وضع جداول تقيس حركات الشمس والقمر فى دوريتهما اليومية والشهرية والسنوية ٠ ووضع أيضا للخسوف حسابا دقيقا ، وقد حسب طول السنة بثلاثمائة وخمسة وستون يوما وست ساعات وخمسين دقيقة ، واحدى وأربعين ثانية ، وهذا التقويم الزمنى الذى وضعه هذا العالم كان أقدم بحث علمى ذى قيمة انشائية بناءة فى علم الفلك ، وقد شمل ما لم يصل اليه العقل البشرى من قبل ٠

وقد خلف (نابوريمانو) فلكى آخر هو (كيدينو) (٣٩) ٠ فكان هذا الفلكى يستعمل الأرصاد القمرية ، ويدخلها فى جداوله وحساباته فبلغ من تحديد دورة الشمس والقمر ، أنه لم يخطئ فى حسابه الا بثانية واحدة فى كل سنة ٠ وكانت بعض حساباته لدورة الاجرام السماوية أدق وأصدق من الأرقام التى يستعملها الفلكيون المحدثون حتى عهد قريب ٠ وقد أثبت التغير البطىء فى درجة ميل المحور من الأرض وهو التغيير الذى يسمونه باسم مضاف الى الاعتدال ٠

وقد استفاد اليونان من عبقرية هذين الكلدانيين النابغين بعد أن أخذوا بدرس وتطبيق جداولهما وسجلاتهما ٠ فنظم اليونانيون بعد مائة سنة من موت كيدينو تقويما علميا فى أثينا اقتبسوه من تقارير (نابوريمانو) العراقى الذى كان له ولزميله الفضل فى وضع أول التقاويم الفلكية فى العالم (٤٠) ٠

---

(٣٧) B. Petchrd : The Anceint Near East 142.

(٣٨) عمر فروخ ص ٤٣ ٠

(٣٩) دليل الجمهورية العراقية بغداد سنة ١٩٦٠ ص ١٧٢ ٠

(٤٠) Petchard : Ibid, p. 149.

تقويم الشعوب التى اختلطت
بالشعوب العربية

أما عن تقويم الشعوب التى اختلطت بالشعوب العربية وأثرت فيهم وتأثرت بهم فان أقدمها اليونانيون • أما عن الأجناس التى تكون منها اليونان فقد كانت بلاد اليونان قديما تسكنها أمم أسيوية أطلق عليها اسم الأمم الآخية achéens (١) ولكن تاريخهم مجهول ، وكانوا يسكنون أيضا جزر الأرخبيل ومنها جزيرة كريت التى اكتشفت فيها آثار هامة فى كثير من مدنهـا وعلى الأخص فى مدينة كنوسوس (٢) Cnossos التى كانت عاصمتها فقد كشفت الحفريات عن قصر الملك مينوس Minos (٣) وهو مبنى على تخطيط غير منتظم وبه غرف ودهاليز على غير مستوى واحد وبعض مبانيه من طابق واحد والبعض الآخر من طابقين •

أما التماثيل فلا وجود لها الا اذا استثنينا بعض القطع الصغيرة التى تعتبر من الفنون الصناعية أو الزخرفية وهى ما تسمى (٤) bileelats ومنها المعبودة الممسكة بيدها ثعبانين ، وتمثال رأس ثور وقطعة ثالثة تمثل ثورا من الخزف وكلها بمتحف كانديا بجزيرة كريت • وقد أثبت العلماء وجود حضارة ازدهرت فى هذه الجزيرة حوالى القرن الخامس عشر ق•م • ومنها انتقلت الحضارة الى مدينة ميكينا Mycéne (٥) ببلاد اليونان

---

(١) Brokelmann : Geschichte der Arabische Litterature p. 152.

(٢) فؤاد مرابط ص ١٢١ •

(٣) المرجع السابق ص ١٢٢ •

(٤) أحمد فخرى ص ١٣٧ •

(٥) فؤاد مرابط ص ١٢٢ •

وقد تسمى اليونان بالهلاس أو الهلينيين وهم ثلاث قبائل كبرى اليونيون ، Ionoi والأيوليون Aeoloi والدوريون Dorioi • ونـزل اليونيون شواطىء آسيا الصغرى والايوليون فى لسبس ، وما والاها ، والدوريون فى المرة وصقليـة وغيرها • وكان التمدن مزدهرا فى وادى النيل ووادى الفرات فى عصر ظهور اليونان ، وكان الفينيقيون جيران اليونيون برا والدوريون بحرا • ثم استعمر الفينيقيون شواطىء آسـيا الصغرى ، فأصبح اليونيون (اليونان الآسيويون) على مقربة منهم فنقل اليهم الفينيقيون كثيرا من أسباب التمدن ونقلها هؤلاء بدورهم الى الدوريين فى الجانب الغربى من بحر ايجا ، وقد نبغ اليونانيون فى كافة مجالات العلم والمعرفة (٦) •

فقد حاول (اويدوكس) (٧) المتوفى سـنة ٣٥٥ ق•م أن يعلل تفاوت حركات الكواكب بأن يجعل لكل جرم سماوى فلكا واحدا أو فلكين أو ثلاثة افلاك ، وكبس السنة الشمسية بأن جعل أيام السنة العادية ٣٦٥ يوما ، وجعل كل سنة رابعة مكبوسة ٣٦٦ يوما • ومن المشاهير ابرخس (١٨٠ ــ ١٢٥) ق•م ، الذى قام بأرصاد دقيقة فى الاسكندرية ورودس •

وكان الراصد اليونانى الأول الذى قسم الدوائر على آلات الرصد التى كان يستخدمها فى ثلاثمائة وستين درجة ، ثم وضع أول كرة عليها الأجرام السماوية • وقد ميز ابرخس السنة النجمية من السنة الشمسية، وحسب الشمسية فكانت عنـده ٣٦٥ يوما و ٥ سـاعات و ٥٥ دقيقة و ١٢ ثانية ، وكذلك حسب الشهر القمرى فكان عنده ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و½ ثانية وقد لاحظ ظهور نجم وقتى (٨) فى برج العقرب عام ١٣٤ ق•م • أما شهور اليونان فهى (٩) : أوردناس ــ مادوطاس ــ دسطوس ــ كسنفوس ــ اطما سادس ــ داسارس ــ انامس لواس ــ غربيياس ــ أوبرفارطاوس ــ دياس ــ ابلادس •

أما عن التقويم السكندرى وهو المنسوب الى الاسكندر بن فيليبس ابن آمنته بن هركلش بن الاسكندر الأعظم ، الذى تولى الاسكندر الملك بعد مقتل أبيه فهزم الروم وملك بلادهم ثم سار الى الاسكندرية ثم بيت المقدس

---

(٦) F. Wuestenfeld : Die Geschichtschreiber der Arab. p. 390.

(٧) عمر فروخ : ص ٤٦ •

(٨) نجم وقتى : نجم يظهر فجأة بلمعان شديد ثم يخبو رويدا رويدا فى وقت قصير وقد يبلغ أياما فقط • عمر فروخ : ص ٤٨ •

(٩) البيرونى : الآثار الباقية ص ٧١ •

ثم خرج لمحاربة دارا ملك الفرس ثم هزمه (١٠) ٠ وواصل سيره الى الشام فخضع له حكامها ثم ذهب الى طرسوس وفتحها ، ومنها الى رودس ثم الى مصر فأخضعها وبنى مدينة الاسكندرية بأرض مصر ٠ ثم عادت الحروب سيرتها بينه وبين الفرس التي انتهت بمقتل دارا ملك الفرس (١١) ٠

أما عن تأريخ الاسكندر فهو على سنى الروم فعندما خرج من بلاد اليونان وهو ابن ست وعشرين سنه لقتال دارا ملك الفرس ووصل الى بيت المقدس ، أمر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه ٠ فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه ، واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن ابتدأوا من السنة السادسة والعشرين لميلاده ، وهو أول وقت تحركه ليتموا ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتصمين بهذا التاريخ ، ومستعملين له وعليه عمل اليونانيون ، وكانوا قبل ذلك يؤرخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب (١٢) ٠

وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين أول تشرين الأول ويوافقه اليوم الرابع من بابه ٠ ومبدأ الأيام عندهم من طلوع الشمس الى وقت غروبها والى أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كمل يوم بليلته ، أما مبدأ الشهور فترجع الى عدد واحد ٠ وعدد شهورهم اثنا عشر شهرا وهي تشرين الأول ٣١ يوما تشرين الثانى ٣٠ يوما ، كانون الأول ٣١ يوما كانون الثانى ٣١ يوما ، شباط ٢٨ يوما وربع ، آذار ٣١ يوما ، نيسان ٣٠ يوما ، آيار ٣١ يوم ، حزيران ٣٠ يوما ، تموز ٣١ يوما ، آب ٣١ يوما ، أيلول ٣٠ يوما ٠

وهكذا نجد أنه سبعة أشهر كل منها ٣١ يوم وأربعة أشهر كل منها ٣٠ يوم وشهر واحد ثمانية وعشرين يوما وربع يوم ٠ وذلك أنهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما ٠ وجعلوه فى السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما (١٣) ، فيكون عدد أيام سنتهم ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم ٠ ويجعلون السنة الرابعة ثلاثمائة وستة وستين يوما ويسمونها السنة الكبيسة (١٤) ٠

---

(١٠) ابراهيم نصحى : البطالمة جـ ١ ص ٣٧ ٠

(١١) Ginzel : Chronologie. Vol. I, p. 229.

(١٢) البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٨ ٠

(١٣) المرجع السابق ص ٦ ٠

(١٤) Schram : Kalendario graphischen Tafeln, Vol. I, p. 69.

وقد زادوا الربع فى كل سنة ليقرب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى أمورهم على نظام واحد فتكون شهور البرد وشهور الحر أوان الزرع ولقاح الشجر فى وقت معلوم من السنة لا يتغير ٠ وكان ابتداء الكبيس فى السنة الثالثة من ملك الاسكندر ، وكان بين يوم الاثنين أول يوم من تاريخ الاسكندر وبين يوم الخميس أول شهر المحرم من السنة التى هاجر فيها النبى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما ، وبينه وبين يوم الجمعة أول يوم من الطوفان ألفا سنة وسبعمائة واثنتان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما ، وبين ابتداء ملك بختنصر ، وبين أول تاريخ الاسكندر أربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتان وثلاثون يوما (١٥) ٠ وقد اعتبروا أن السنة التى بدأ فيها حكمه للشرق ٣١١ ق٠م وهى أول سنة فى التقويم السكندرى أو المقدونى ، وما بين الاسكندر الى المسيح ثلاثمائة سنة وتسع وستون (١٦) ٠ وقد استعمل التقويم الذى يؤرخ بحكم الاسكندر تقويما عند اليونان وفى بلاد الشام (١٧) ٠

وكان الفرق بين التقويم السلوقى ، (أى قواد الاسكندر الذى خلفوه فى حكم فارس) تقويم الاسكندر اثنتا عشرة سنة فقد بدأ تقويم السلوقيين المبنى على الأشهر اليونانية من دخول سلوق نيقاطور مدينة بابل ٠ ويعرف بتاريخ العقود (١٨) ٠

هذا وقد عثر فى خرائب (١٩) (زيد) على كتابات كتبت بثلاث لغات ، هى اليونانية والسريانية والعربية ومؤرخة بالتقويم السلوقى (سنة ٨٢٣) ، والموافقة لسنة (٥١٢) م ٠

ويأتى بعد التقويم السلوقى التقويم الرومانى من حيث الترتيب

---

(١٥) Dussaud : Les Arabes en Syrie, p. 34.

(١٦) دائرة المعارف البريطانية ص ١١١ ٠

(١٧) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام جـ٨ ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٨ ص ٥١٩ ٠

(١٨) دائرة المعارف البريطانية ص ١١١ ٠

(١٩) زيد : تقع بين قنسرين ونهر الفرات جنوب شرقى حلب (جواد على جـ ١ ص ١٥١) ٠

الزمنى وقد ذهب البعض الى أن كلمة تقــويم (٢٠) مأخوذة من اللغـة الرومانية القديمة وهى مشتقة من اللغة الاغريقية ذات المعنى الدال على النداء Icry أى أنا أنادى ، وهى العبـارة التى كان يبـدأ بهـا منادى المدينة فى روما مدينة القلاع القديمـة ، ليعلن على الملأ مواقيت الأيام القادمة • فقد كان من واجب الدولة أن تذيع للنـاس متى يبدأ الشهر ومتى سيكون موعد السوق ، وموعد أقرب يوم لمنتصف كل شهر •

وهو اليوم الذى يستحق فيه كراء البيوت ودفع الأجور ، وكان المنادى يتلقى تعليماته فى هذا الشأن من رؤساء رجال الدين فى ذلك الحين • وكان هذا ضرورى لأن الرومان كانوا يبدأون كل شهر برؤية القمر الجديد ، أى يوم ظهوره على شكل هلال رفيع فى السماء الغربية بعد غروب الشمس مباشرة • ومن يوم بزوغ قمر جديد الى القمر التالى له ومعنى ذلك أن تقويمهم كان يحسب بظهور القمر (٢١) •

وكان ذلك التقويم بدائى اذ كان الراصـدون يرقبون أول بزوغ الهلال فى كل شهر ولما تقدم الوقت أصبح فى الامكان التنبؤ بموعد ظهور ذلك الهلال واستخدموا لذلك الأرصاد • وكان الرومان يستعملون التقويم القمرى حيث تشتمل السنة على ٣٥٥ يوما ، وكان أول مارس فى الأصل هو رأس السنة الرومانية ، وكان الشهر النسىء يضـاف الى فبراير وأصبح هو الشهر الثالث عشر من السـنة ويعرف بالشهر الاضـافى أو الشهر النسىء (٢١) •

وكانت السنة العادية المؤلفة من ٣٥٥ يوما تنقسم الى ١٢ شـهرا سبعة تشتمل على ٢٩ يوم وأربعة على ٣١ يوما وواحـد وهو فبراير (٢٨ يوما) والمجموع الكلى ٣٥٥ يوما ، ولكن حدث أن غفل الكهنة بين سـنى ٥٩ ، ٤٦ ق٠م هـذه الاضافات الضرورية لأسـباب سياسية وشخصية وترتب على ذلك أن صارت السنة الرومانية تسبق السـنة الشمسية بأكثر من شهرين فأضاف قيصر الروم العدد اللازم من الأيام للسنة الرومانية الموافقة لعام ٤٦ حتى يطابق التقويم الرومانى التقويم الشمسى ، أما الأشهر الرومانية فهى (٢٢) : ماريتوس ـ (٢٣) ابريليس ـ

---

(٢٠) كيث ج٠ ايروين : قصة التقويم ص ١٠٨ (المترجم) •

(٢١) عبد اللطيف أحمد على : التاريخ الرومانى عصر الثورة بيروت ١٩٧٣ دار النهضة العربية ص ٣١٤ •

(٢٢) كيث ج٠ ايروين : قصة التقويم ص ١١٢ •

(٢٣) البيرونى : ص ٦٠ •

مايوس ـ يونيوس ـ كوينتيليس سكسيتليس ـ سبطمبر ـ اقطوبر ـ نوفمبر ـ دشمبر ـ يانيوراس ـ فبرواريس ٠

أما التقويم الميلادى والذى كان يطلق عليه التقويم (اليوليسى) نسبة الى يوليوس قيصر الذى جعل ميلاد المسيح بدءا للتاريخ وكان هناك ٣١١ سنة فرق بين التقويم السكندرى واليوليسى ٠ وعندما عين يوليوس قيصر حبرا أعظم وكبيرا للكهنة فى روما ، قام باصلاح التقويم الرومانى القديم (٢٤) ٠ وهو أنفع اصلاحاته وأبقاها أثرا ، حيث أعلن قيام تقويم جديد ليحل محل التقويم المستعمل فى ذلك الوقت (٢٥) ٠

وكان هذا التقويم الجديد من ابتكار الفلكى الاسكندري (سوسيجنس (SoSigenes (٢٦) وجرى العمل به من أول يناير عام ٤٥ ق٠م (٢٧) وبموجبه قسمت الخمسة أو الستة أيام الاضافية على شهور السنة ، ووزعت باضافة يوم الى كل شهر وآخـــر بالتبادل (٢٨) ٠ وقد دخل التقويم اليوليانى فى دور التنفيذ بعد عام كامل من الاستعدادات ، وأسماء الشـــهور (٢٩) هى : ماريتوس ـ ابريليس ـ مايوس ـ يونيوس ـ كونتيليس ـ سكستيليس ـ سبتمبر ـ أكتوبر ـ نوفمبر ـ دسمبر ـ يانيوزاس ـ فبرواريس ٠ وبعد عامين من قيام التقويم الجديد استبدل شهر كونتليس باسم يوليوس تكريمـــا ليوليوس قيصر الذى كان قد اغتيل قبلها بوقت قصير ، وخلفه أغسطس وفى عام ٨ ق٠م استبدل سكسيتليس بأغسطس تكريما له (٣٠) ٠ ويبدأ التقويم اليوليسى فى ٢٥ مارس وحسبوا السنة ٣٦٥¼ يوم وتجمعت الفروق بمرور الزمن ٠ وان ظل هذا التقويم معمولا به بعد سقوط الامبراطورية فى أنحاء العالم المسيحى حتى أمر البابا جريجورى الحادى عشر بتصحيحه فى فبراير ١٥٨٢ م فحذفت عشرة أيام ، وثلاثة أيام نسىء فى كل ٤٠٠ سنة منذ عام ٤٥ ق٠م لأن السنة حسب التقويم اليوليوسى تزيد حوالى ١١ دقيقة عن السنة الشمسية الحقيقية (٣١) ٠

---

(٢٤) Charles Singers : Greek Sience and Modern Sience, p. 147.

(٢٥) Book : A history of Rome to 565, A.D.P. 185.

(٢٦) Aldo Mieli : La Nciense Arabe et son Rôle dans l'evolution Scientific Mondiale, p. 176.

(٢٧) C. Singer : A Short History of Scientific Ideas, p. 115.

(٢٨) عبد اللطيف أحمد على : ص ٣١٥

(٢٩) كيث ج٠ ايروين : ص ٧٢

(٣٠) البيرونى : ص ٦٠ ٠

(٣١) عبد اللطيف أحمد على : ص ٣١٥ ٠

وتـلا التقويم الميــــلادى أو (اليوليسى) التقويـم القبطى أو (الدقلديانوسى) وقـــد عرف التقـــويم باســم (الدقلديانوسى) أو الدقلطيانوسى (٣٢) ، وهو نسبة الى دقلطيانوس (١) أحد أباطرة الرومان المعروفين الذى تولى الملك فى منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر · وعندما تولى الملك تجبر وامتد ملكه الى مدائن كسرى ومدينة بابل ، ولما اعتنق أهل مصر والاسكندرية الدين المسيحى بعث اليهم من قتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وأغلق كنائسهم، وحمل الناس على عبادة الأصنام (٣٣) · وقيل أن رجلا فى مصر يقال له (أجله) خرج عن طاعة الرومان فسار اليه دقلطيانوس وحاصر الاسكندرية وقتل أجله وعم أرض مصر كلها بالسبى والقتل (٣٤) ، ولهذا اتخذوا من ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا ، ويعرف بتاريخ الشهداء (٣٥) · وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة ، وبينه وبين ملك أول يوم من تاريخ الاسكندر خمسمائة وأربع وتسعون سنة ، واحدى عشر شهرا وثلاثة أيام ، وبينهم وبين السنة الهجرية النبــوية ثلاثمائة وثمان وثلاثون ســـنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما (٣٦) · وعدد أشهرهم اثنا عشر شهرا كل منهــا ثلاثون يوما · فاذا تمت الأشهر الاثنا عشر اتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموها (ايغمنا) (٣٧) ، ومعناه الشهر الصغير ، وقيل (أبو عمنا) (٣٨) · وتعرف بأيام النسىء فسنتهم شمسية ٣٦٥ ¼ (٣٩) يوم ولذلك كبسوا الأيام لتتمة السنة ، ويفعلون ذلك كل ثلاث سنوات متتاليات فاذا كانت السنة الرابعة جعلوا الكبيسة ســـتة أيام لتنجيز الأرباع من اليوم (٤٠) الواجب لكل سنة فتحصل أيام ســنيهم على الحقيقة و ٣٦٥ ¼ يوم (٤١) · وقبط مصر القدماء يتركون الأرباع حتى يجتمع منها أيام سنة تامة (٤٢) وذلك فى كل ألف وأربعمائة وستين

---

(٣٢) Diefl and Marcais : Le Monde Oriental, 395.

(٣٣) Dalton : East Christian Art. p. 157.

(٣٤) George Dubuit : Sculpture Copte.

(٣٥) De grueneisen Les Caracteristiques de l'Art Copte.

(٣٦) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ـ القاهرة وزارة الثقافة والارشاد جـ ٢ ص ٣٨٣ ·

(٣٧) المقريزى : ص ٢٦٢ ·

(٣٨) البيرونى : ص ٤٩ ·

(٣٩) المقريزى : ص ٢٦٣

(٤٠) المسعودى : التبينة والأشراف ص ١٩٦ ·

(٤١) المرجع السابق : ص ٢٠١ ·

(٤٢) المقريزى : ص ٢٦١ ·

سنة (٤٣) ثم يكسبونها سنة واحدة ، ويتفقون فى أول تلك السنة مع أهل الاسكندرية وقسطنطينية (٤٤) ٠

وقد يكون من المفيد توضيح السبب الذى من أجله اتخذ مسيحو مصر تقويما خاصا بهم غير التقويم الميلادى ، وكذا السبب فى اتخاذهم لقب قبط اسما خاصا بهم دون باقى مسيحى العالم ٠

من المعروف أن مسيحى مصر هم أول الشعوب التى اعتنقت المسيحية وجاهرت باعتناقها المسيحية أمام أقسى الطغاة من أباطرة الدولة الرومانية الوثنية ٠ وقد لاقى مسيحو مصر كما لاقى غيرهم من المسيحيين الكثير من صنوف العذاب والاضطهاد على أيدى أباطرة الرومان ، الذين كان يستمتعون برؤية هولاء المسيحيين يقدمون طعاما للحيوانات المفترسة فى الحلبات الرياضية (٤٥) ٠

أما بالنسبة لمسيحى مصر فلعل أقسى ما تعرضوا له من عذاب واضطهاد بل حد الاستشهاد فى سبيل العقيدة ، ما قام به الامبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤ م من قتل جماعة كبيرة منهم فى مدينة الاسكندرية وقد كانت هذه الحادثة التى عرفت باسم حادثة (الشهداء) والتى أقيم عامود السوارى بالاسكندرية تخليدا لها ، نقطة تحول فى تقويم السنة المسيحية فى مصر (٤٦) ٠

لقد اعتبر المصريون هذه السنة وهى سنة ٢٨٤ م (٤٧) ، التى استشهد فيها أكبر عدد منهم فى سبيل العقيدة المسيحية ، بدءا لتقويمهم اذ اعتبروا تلك الحادثة ، وذلك العام مماثلا لاستشهاد السيد المسيح (٤٨). كما اتخذوا لأنفسهم اسما علما تميزا لهم عن باقى مسيحى العالم وهو جبت gupt المشتقة من كلمة ابجبيتوس (٤٩) Egeat us اليونانية المأخوذة من (٥٠) Ha-Ku-Ph وهو أحد أسماء منف العاصمة القديمة كناية عن مصر كلها (٥١) ٠

---

(٤٣) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، القاهرة وزارة الثقافة والارشاد جـ ١ ص ١٥٩ ٠

(٤٤) دائرة المعارف البريطانية ص ١١١ ٠

(٤٥) Clarke : Christian Antiquities in the Nile Valley, p. 189.

(٤٦) أبو صالح الدرمينى : كنائس وأديرة مصر ص ٤٧ ٠

(٤٧) Workman : The Evolution of the Monasticism, Ideal, p. 86.

(٤٨) سعاد ماهر : الفن القبطى ص ٧ ٠

(٤٩) Diehl and Marcais · Le Monde Oriental, p. 172.

(٥٠) Dalton : East Christian Art, p. 195.

(٥١) Badewy, A. : L'Art Copt, p. 29.

وأول شهر من شهور القبط(٥٢) توت وأول يوم منه النوروز وهو رأس سنة القبط ، بابه ، هاتور كيهك · وفي الأول منه تدخل الأربعينات وهي أربعين يوما باردة ، تؤذن بالشتاء والخامس طوبة ، أمشير ، برمهات ، برمودة (٥٣) · وفي أوله تدخل الخمسينات وهي أيام حارة تؤذن بالصيف بشنس (٥٤) ، بؤونه ، أبيب ، مسرى ، وفي آخره تكبيس الأيام الخمسة ، وهو التقويم الذي عليه القبط الى اليوم (٥٥) ·

أما مسيحو فارس والعراق وبلاد الشام فقد اتخذوا تقاويم تتفق وتقاويم الرومان تارة وأخرى تتفق وتقاويم اليهود ، بل كثيرا ما كانوا يمزجون بين شهور الرومان وشهور اليهود بأن استعملوا شهور الرومان وجعلوا أول سنتهم من أول شهر طبريوس الروماني ليكون أقرب الى رأس سنة اليهود فتشرى يتقدمه قليلا وسموها بأسماء سريانية وافقوا في بعضها اليهود وباينوهم في بعضها (٥٦) ، ونسبوا تلك الشهور الى أسماء السريانيين وهم النبط أهل السواد (٥٧) · وسواد العراق يدعى سورستان ولا يعرف لماذا نسبت (٥٨) هذه الشهور اليهم ؟ ، فانهم مستعملون شهور العرب في الاسلام ، وشهور الفرس في الجاهلية · وقد قالوا أن سورستان هي الشام فان كان كذلك فان أهلها كانوا قبل الاسلام نصارى (٥٩) ، وهم الذين توسطوا بين رأى اليهود ورأى الرومان وأسماء تلك الشهور وهي (٦٠) تشرين قديم — تشرين جراى — كانون قديم — كانون جراى — شباط كح — آذار لا — نيسان ل ايرلا — حزيران ل — تموز — آب لا — أيلول ل ؛ ويكبسون شباط كل أربع سنين بيوم فيصير تسعة وعشرين يوما ، ويوافقون الرومان في سنتها وقيدوا بها ما احتاجوا اليه من أوقات الأعمال ، وعربوا قديم وهو الأول وجراى وهو الآخر وزادوا في ايرالفا حتى صار آيار (٦١) ·

كذلك اتخذت بصرى تقويما خاصا بها ، فقد أرخ شاهد قبر (امرىء

---

(٥٢) C. Clemen : Religion of the world, their nature, their history, p 43.

(٥٣) U. Homberg : Mythology of all Races.

(٥٤) كيث ج· ايروين : ص ١١٥ ·

(٥٥) Dalton : East Christian Art, p. 230.

(٥٦) ولفنستون : تاريخ اللغات السامية ص ١٩٢ ·

(٥٧) مجلة سومر عدد (١٩٢) ص ١٣٢ ·

(٥٨) Rivista degli Studi Orientali (1911), p. 195.

(٥٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٧٢ ·

(٦٠) الطبرى ج ١ ص ١٩٣ ·

(٦١) التنبيه والاشراف ·

القيس) فى يوم (٦٢) بكسلول من سنة (٢٢٣) وهى تقابل سنه ٣٢٨م · وهذه السنة (سنة ٢٢٣) هى من سنى تقويم بصرى (٦٣) Bostra · وكان أهل الشام وحوران وما يليها يؤرخون بهذا التقويم (٦٤) بالسنة التي دخلت فيها بصرى فى حوزة الرومان وهى سنة ١٠٥ م (٦٥) ·

وقد اتخذ العبريون تقويما خاصا بهم ، فقد ورد تقويم فى سفر (عاموس) وهو أقدم الأسفار ويظن أنه كتب حوالى سنة ١٥٠ م (٦٦) · « أما شهور السنة فهى اثنا عشر شهرا وهى : تشرى ـ مرحشوان ـ كسلاو ـ طابات ـ شباط ـ آذار ـ نيسان ـ آيار ـ سيوان ـ تموز ـ آب ـ أيلول » جملة أيامهم ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما وهى أيام سنة القمر فشهورهم قمرية وسنتهم شمسية · ذلك لأن خروجهم من مصر الى التيه وتفسحهم وافق الخامس عشر من نيسان والقمر تام والضوء والزمان ربيع ، فأمروا بحفظ هذا اليوم . ولم يكن المعنى بهذا تشرى وانما نيسان من أجل أن الله تعالى أمر موسى وهارون أن يكون شهر الفصح رأس شهورهم (٦٧) فاضطروا الى استعمال سنة الشمس ليقع اليوم الرابع عشر من نيسان فى أوان الربيع ، حين تورى الأشجار ، والى استعمال شهور القمر ، ليكون فى جرمه بدرا تام الضوء فى برج الميزان · فاضطروا الى الحاق الايام التى يتقدم بها عن الوقت المطلوب بالشهور ، فاذا استوفت الأيام شهرا سموه آذار الأول وسموا آذار الأصلى ـ آذار الثانى ·

وسموا السنة العادية القمرية البسيطة والسنة الكبيسة عبورا اشتقاقا من معبارث · وكل واحدة من السنين ثلاثة أنواع (٦٨) ، أحدها (حسارين) ومعناها ناقصة وهى التى يكون الشهر الثانى والثالث منها مرحشوان وكسلا ، ناقصين وكل واحد منهما تسعة وعشرون يوما · والنوع الثانى (شلاميم) ومعناه تامة ، وهى التى يكون فيها كل شهر من الشهرين المذكورين تاما ، والنوع الثالث (كسوران) ومعناه معتدلة وهى التى يكون أشهرها ناقص يتلوه تام · وهذا يلزم

---

(٦٢) البيرونى : ص ٥٩ ·

(٦٣) مجلة سومر ، العرب قبل الاسلام ص ١٣١ (الجزء الأول كانون الثانى سنة ١٩٤٧ المجلد الثالث) ·

(٦٤) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٥١ ·

(٦٥) Dussaud : Les Arabe en Syrie, p. 34 Nabia Abut, p. 4.

(٦٦) Hastings : Dictionary of the Bible, p. 27.

(٦٧) البيرونى : ص ٥٣ ·

(٦٨) القلقشندى : صبح الأعشى ص ٤٠٠ ·

من جهة أنهم لا يجيزون أن يكون رأس سنتهم يوم أحد ، ولا أربعاء ، ولا خميس ، أما معبارث فانها تكون فى كل تسع عشر سنة سبع مرات وهذه ولا تكون على التوالى وانما تكون تارة سنتان بسيطتان يتلوهما معبارث ، وتارة سنة بسيطة يتلوها معبارث .

وهذا كله من أجل قاعدة الأيام الثلاثة التى لا يريدون أن تكون أول سنتهم . فاذا انقضى آذار من هذه السنة كبسوا شهرا وسموه آذار الثانى ، فاذا ما نقصت التسعة عشر سنة أعادوا دورا ثانيا وعملا فيه كذلك ، وعلى هذا أبدا فجملة أيامهم ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما . (٦٩) .

أما عن التقويم الذى اتخذته (حران) اليونانية فكان بسنة أربع مئة وثلاث وستين من الاندقطية الأولى وهى تقابل سنة ٥٦٨ م . ومعنى كلمة الاندقطية ، هى عبارة عن دائرة ثمانى سنين عند الرومانيين ، كانت تستعمل فى تصحيح تقويم السنة (٧١) .

أما النص العربى الذى أرخ به أهل حران فهو سنة ٤٦٣ م بعد مفسد خيبر بعم (أى عام) (٧٢) . وعبارة (بعد مفسد خيبر بعم) فتشير الى غزوة قام بها أحد أمراء غسان لخيبر . وفى ذلك يقول جواد على (٧٣) : وفى استعمال هذه الجملة التى لم ترد فى النص اليونانى ، دلالة على أن العرب الشماليين كانوا يستعملون التواريخ المحلية ، كما كانوا يؤرخون بالحوادث الشهيرة التى تقع بينهم (٧٤) .

أما الكتابات الصفوية والثمودية واللحيانية ، فان من بينها كتابات مؤرخة (٧٥) ، الا أن تواريخها لا تفيد بشىء ، ذلك أنها أرخت بحوادث خاصة بهم مثل (سنة جاء الروم) أو (يوم نزل هذا المكان فلان) ، ومثل هذه الحوادث لا يمكن الاستدلال بها أو الاستفادة منها او الاعتماد عليها فى ضبط الأحداث .

ومن التقاويم التى أرخت بها بعض الشعوب أو الجاليات التى كان لها احتكاك بالعرب قبل الاسلام وبعده ، هم السريان .

---

(٦٩) البيرونى : ص ٥٣ .
(٧٠) جواد على : جـ ١ ص ٥٣ .
(٧١) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٢٨٢ (تحقيق محمد محيى الدين) .
(٧٢) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٩٢ .
(٧٣) Bargolouth : Lectures on Arabic Historians, p. 29.
(٧٤) بلوغ الارب جـ ١ ص ١٧ .
(٧٥) Dussaud : Les Arabes en Syrie, p. 36.

والسريان هم بقايا العراق القديم (٧٦) أرخوا بالسنين الشمسية. ومقدار سنتهم الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع اليوم ٠ مراعين في ذلك ابتداء سير الشمس من نقطة الاعتدال الربيعى ثم العودة اليها واعتبروا أن سنتهم اثنا عشر شهرا ومن هنا احتاجوا الى كبس الأيام لتتمة مدة السنة ٠ (٧٧) وشهورهم تنسب للاسكندر وهى اثنا عشر شهرا ، منها أربعة كل شهر منها ثلاثون يوما ، وشهر واحد ناقص عن الثلاثين وسبعة زائدة وهى : (٧٨) تشرين الأول ٣١ يوم ـ تشرين الثانى ٣٠ يوم ـ كانون الأول ٣١ يوم ـ كانون الثانى ٣١ يوم ـ شباط ٢٨ يوم ـ آذار ٣١ يوم ـ نيسان ٣٠ يوم ـ أيار ٣١ يوم ـ حزيران ٣٠ يوم ـ تموز ٣١ يوم ـ آب ٣١ يوم أيلول ٣٠ يوم ٠

وهكذا وزعت الأيام الخمسة الزائدة ، ثم يبقى الربع الزائد فاذا انقضت ثلاث سنين متواليات جمعوا الأرباع فيجتمع منها يوم يضيفونه الى شباط فيصير تسعة وعشرين يوما (٧٩) ٠

---

(٧٦) جواد على : جـ ١ ص ٤٣ ٠

(٧٧) مروج الذهب ص ٩٩ ٠

(٧٨) صبح الأعشى جـ ١ ص ٣٩١ ٠

(٧٩) Ptiny : Naturalis Distoria, edited by C. Mayerhoff, p. 331.

التقويم الفارسى

قد يكون من المفيد قبل أن نتناول بالبحث والدراسة التقويم الفارسى أن نشير الى أن الفرس من الشعوب الآرية ، اخوان الهنود واليونان ، وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون ، وهم أهل ذكاء وقد ظهرت مهارتهم فى كافة مجالات العلوم • أما بالنسبة للتقويم فالاصطلاح عند الفرس على أن اليوم بليلته ، وهو من لدن طلوعها من أفق المشرق الى طلوعها منه بالغد • فصار النهار عندهم قبل الليل (٢) وهم يؤرخون بالسنين الشمسية ومقدار سنتهم ٣٦٥ وربع اليوم ويراعوا فى ذلك سير الشمس من نقطة الاعتدال الربيعى الى عودها اليها ولذلك احتاجوا الى كبس الأيام لتتمة مدة السنة •

أما شهور الفرس فهى اثنا عشر شهرا وهى موافقة لشهور القبط فى العدد (٢) فلكل شهر منها ثلاثون يوما ، الا (ابان ماه) وهو الشهر الثامن فانهم يضيفون اليه خمسة أيام لأجل النسىء ويسمونها الاندركاه، ولكل يوم من ايام الشهر اسم خاص يزعمون انه اسم ملك من الملائكة موكل به (٣) • وهذه الشهور هى : فرودين ماه ، أول يوم منه النوروز ومعناها بالفارسية اليوم الجديد لأن الجديد فى لغتهم نو واليوم روز وهو أعظم الأعياد عندهم وماه معناها شهر ثم أرد يهشتماه ــ خرد ادماه ــ تيرماه ــ شهر يراه ــ مهرماه (٤) • وفى هذا الشهر فى السادس عشر

---

(١) البيرونى : ص ٩

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠١ •

(٣) النويرى : ص ١٦٣ •

(٤) القلقشندى : ص ٣٩٠

منه المهرجان ، وبينه وبين النوروز ستة أشهر ونصف تكون أياما مائة وخمسة وتسعين يوما ، ابان ماه فى السادس والعشرين منه تدخل الأيام العشرة المعروفة بالفرود جان منها تمام أبان ماه وخمسة كبيسة لا تعد من الشهور تسمى (الاندرجاهان) ، آذار ماه ديماه · بهمن ماه ـ اسفندار فدماه ·

أما أسماء الأيام فهى : هرمز بهمن ، أرديهشت ، شـهرير ، اسفندارفد ، خرداد ، مرداد ، ديبادر ، آذر ، خور ، تير ـ جوس ، ديبمهر ، مهر ، اسروش ، رشن ، فروردين ، بهرام ، رام اباد ، ديبدين دين ، اردشتان ، اسمان ، زامياد ، مارسقند ، انيران · (٥) فتصير جملتها ٣٦٥ يوما مع الخمسة أيام الغير معدودة ·

وكانوا يؤرخون ربع اليوم الذى يجب لتمام السنة الى مائه وعشرين سنة فيكبسون حينئذ شهرا ، وصارت شهور تلك السنة ١٣ شهرا سموها كبيسة ، وسموا أيام الشهر الزائد بأسماء سائر الشهور · وقد امتنعوا عن كبس يوم كل أربع سنين لأمور ذكروها منها اعتقادهم فى أيام شهورهم انها أسماء ملائكة وكراهيتهم أن يزيدوا فيها (٦) ما ليس منها ، وعندما جعل الكبس لأول مرة كان موقع الأيام المكبوسة من السنة فى آخرها ، وعلى هذا اصبح شهر فروردين من سنة ١٢١ المتنقلة بحكم الكبس الأول معادلا لشهر فروردين الثانى · وظل متخلفا خلال المائة والعشرين سنة التالية عن اسفندارفد من السنة الثابتة الموافق لشهر فروردين من السنة المتحركة التالية · وبعد مضى الدور الثانى المؤلف من ١٢٠ سنة وافق الشـهر المكبوس شهر أرديهشت الثانى ، وهكذا كان الشهر المكبوس ، والأيام المكبوسة تأتى دائما فى نهاية السـنة الثابتة ولا تتغير مواضعها الا فى السنة المتنقلة (٧) ·

وقد حدث فى عهد كسرى انوشروان كبس جعـل موضـع الأيام المكبوسة بعد شهر ابان ، فيكون قد انقضى حوالى ٥٣٠ سنة منذ الكبس الأول ، وعليه فيحتمل أن يكون الكبس الذى تلا الكبس الواقع فى عهد أنوشروان قد حل حوالى عام ٥٦٠ م ولما كانت بلاد فارس فى هذا العهد قد أصبحت بلدا اسلاميا · ولما لم يكن لهذه البلاد تاريخ ثابت ، وانما كان يتغير بتغيير كل ملك ، وان سلسلة تعاقب ملوك فارس قد انتهت بيزد جرد الثالث ، فقد استمر حساب السنين من عهد هذا الملك ٦٣٢

---

(٥) البيرونى : ص ٤٣ ·

(٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠٠ ·

(٧) دائرة المعارف البريطانية ص ١٢٠ ·

ونشأ عن هذا تاريخ يزد جرد الذى سمى باسم هـذا الملك الذى زالت فى عهده دولة فارس ، ويبدأ هذا التاريخ بيوم الثلاثاء (٨) ١٦ يونية ٦٣٢ م ٠

وقد ترتب على العدول عن الكبس أن اليوم الأول مـن السـنة الجديدة ليزد جرد ظـل على الدوام فى تأخر ٠ فدار نوروزهم فى مـدة مائتين وخمسين سنة الى أيام المعتضد نحو من شـهرين ، وتقدم لذلك استفتاح الخراج عن الوقت الذى يحصل فيه غلال الناس ، وقد أضر ذلك بالناس ، وكثرت شكواهم فرد المعتضد فى سنة ٢٨٢ هـ نحوا من شهرين وقدره على الشهور السريانية لئلا يعود دورانه ٠ اذ كانت بالكبس لا يتغير وقتها فجعله فى اليوم الحادى والعشرين من حزيران ونسب اليه فقيل النوروز المعتضدى ، وبقى النوروز الفارسى يدور فى سـائر الفصـول الأربعة فيتقدم فى كل مائة وعشرين سنة شهرا ٠ (٩)

واذا كنا لا نستطيع نفى رأى المستشرقين مارجليوث Maragaliouth وجولد تزهير (١١) Godziher وبركلمان (١٢) Brackimann وكذلك نولدكه (١٣) Noeldeke من وجود أثر فارسى واضح عـلى التقويم والتأريخ عند المسلمين ، الا أننا نتفق مع ما ذهب اليه ، جواد على (١٤) ، فهو يقول : والرأى عندى أن علمنا بأسلوب التأريخ عنـد الفرس ، وذلك من حيث كيفية عرضه وطرقه وتبويبه علم يسير ، ذلك أن ما وصلنا من كتبهم (أى الفرس) معدود محدود ، وما ورد فيه مـن سير ملوكهم وأيامهم ، وما نجده مترجما ومنشورا فى المؤلفات العربيـة، هو من نوع القصص الذى يغلب عليه الطابع الأدبى ٠ وحتى ذلك المتصل منه بالتأريخ قد وضع بأسلوب قصصى أدبى ، ومن ثم فقد ابتعد عـن أسلوب المؤرخـين اليونان واللاتين ، وكذا أولئك (المؤرخون) الذين ظهروا بعد الميلاد ٠

أما عن التقويم عند العرب قبل الاسلام فمن المعروف انهم اهتموا بأمر التوقيت ، أى تعيين الأوقات وضبط الأزمنة لعوامل ضرورية عديدة،

---

(٨) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ١٩٦ ٠

(٩) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٢٠١ ٠

(١٠) Margoliouth : Relations between Arabs and Israelites, Prior to the Rise of Islam, p. 73.

(١١) Goldziher : Abhandlungen zur Arab Philologie, p. 45.

(١٢) Brockmann : History of Arabic Litterature, p. 27.

(١٣) Noeldeke : Die Semitischen Sprachen, p. 74.

(١٤) جواد على : جـ ١ ص ٧٩ ٠

سنها أن الزراعة خاضعة لتقلبات الجو ، وتبدل المواسم بالاضافة الى أن أمور العبادة لها علاقة بالتوقيت . وتتألف السنة عند العرب من اثنى عشر شهرا . وأيام السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وربع اليوم . وبذلك فهى تنقص عن السريان (١١) يوم ، وهذه السنين هى السنين القمرية وتقويمها هو التقويم القمرى .

وهناك السنون الشمسية التى بنيت على أساس شمسى ، والتقويم القائم عليها تقويم شمسى شهوره ثابتة لا تتغير وأيامها ٣٦٥¼ يوم ، وعدة الشهور عند العرب اثنا عشر شهرا سواء كانت شمسية أو قمرية .

واليوم عند العرب بليلة من غروب الشمس الى غروبها من الغد التالى والذى دعاهم لذلك أن شهورهم مبنية على سير القمر برؤية الأهلة فصارت الليلة عندهم قبل النهار وعلى هذا جرت عاداتهم . (١٥)

هذا ونستطيع القـــول بأن أكثر ما دون عن عرب الشـــمال (الغساسنة) (١٦) فى المؤلفات الاسلامية مأخوذا من الروايات الواردة عن ملوك الحيرة وعرب الحيرة (١٧) أنداد الغساسنة ومن ثم فان معظم تلك الروايات لم تكن فى مصلحتهم (أى الغساسنة)

واذا تركنا أخبار عرب الشمال ورواياتهم واتجهنا الى تقويم نجد نجدهم اتخذوا تقويما خاصا بهم ، يختلف عن تقاويم باقى شبه الجزيرة العربية .

ورتب المسعودى (١٨) أسماء الشهور فى الجاهلية كما يلى : ناتق ـ ثقيل ـ طليق ـ ناجر ـ ســـماح ـ امنح ـ أجلك ـ كسع ـ زاهر ـ برط ـ حرف ـ نعسى .

ورتبها البيرونى (١٩) : المؤتمر ـ ناجر ـ خوان ـ صـــوان ـ خنتم ـ زباء ـ الأصم ـ عادل ـ نافق ـ واغل ـ هواع ـ رنه ـ برك . أما عن معانى تلك الشهور : المؤتمر ومعناها أن يؤتمر بكل شىء مما تأتى به السنة من أقضيتها ، ناجر لشدة الحر ، وخوان من الخيانة ، وصوان

(١٥) البيرونى : ص ٥ .

(١٦) نولدكه : امراء غسان (ترجمة قسطنطين رزق) ص ٢ .

(١٧) الغساسنة ، العرب القاطنين فى شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وأهل الحيرة وهم المناذرة يسكنون فى شمال شرق الجزيرة المجاورين للدولة الساسانية الفارسية .

(١٨) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٠٥ .

(١٩) البيرونى ص ٦٠ .

من الصيانة ، والزباء بمعنى الداهية العظيمة المتكاثفة وسـمى بذلك لكثرة القتـال فيـه وتكاثفه (٢٠) ، والأصم لأنهم كانوا يكفـون فيه عن القتال (٢١) فلا يسمع صوت السلاح ، وعادل من العدل لأنه من أشـهر الحج (٢٢) ، ونافق لكثرة المال عندهم من اغـارتهم على القبائل (٢٣) ، وواغل الداخل فى الشراب ، والهـواع الصـياح فى الحرب (٢٤) ، والرنة كانت الأنعام ترن فيه لقرب النحر ، وبرك لبروك الابل اذا حضرت للنحر (٢٥) .

على انه لم يرد الينا عن عرب الشـمال سواء من عرب العراق أو بادية الشام ، وبلاد الشام شيئا من نصوصهم المؤرخة الا عدد محدود ، منها نص النمارة الذى يرجع عهده الى عام (٣٢٨ للميلاد (٢٦) وهو مؤرخ بتقويم بصرى ، وبصرى مركز مهم كان يقصده عرب الحجاز للاتجار (٢٧).

وكان عرب هذه المنطقة يؤرخون به ، ويبـدأ هذا التقويم بدخول بصرى فى حوزة الرومان سنة (١٠٥) أو (١٠٦) للميلاد أى السنة التى تم فيها القضـاء على حكومة النبط والحاق بترا بالكورة العربية . واذا أردنا تحويل سنة من السنين التى أرخ بها وفقا لتقويمهم فعلينا اضافة (١٠٥ أو ١٠٦) على سنى تقويم بصرى فيـكون حاصل الجمع وفقا للتقويم الميلادى تقريبا (٢٨) .

فتأريخ نص النمارة هو (٢٢٣) من تقويم بصرى فاذا أضفنا اليه (١٠٥) فالحاصل (٣٢٨) وهو ما يقابلها من سنى الميلاد (٢٩) .

أما بالنسـبة لأهل الحيرة أو الغساسـنة فلا يعرف كيف كانوا يؤرخونه لعدم ورود نصوص مدونة عن ذلك سوى ما سبق أن ذكرناه عن تقويم بصرى . وان كان من المحتمل اسـتعمالهم للتقاويم القراقية

---

(٢٠) الفيروزبادى : المحيط مادة (ك) .
(٢١) البيرونى ص ٦٠ .
(٢٢) اصدر السابق ص ٥٩ .
(٢٣) جواد على جـ ٨ ص ٥١٠ .
(٢٤) النويرى جـ ١ ص ١٥٨ .
(٢٥) القاموس المحيط حرف (ب) .
(٢٦) جواد على جـ ٨ ص ٥١٢ .
(٢٧) ارلمجع السابق جـ ٨ ص ٥١٩ .
(٢٨) البيرونى ص ٦٣ .
(٢٩) القلقشندى جـ ٢ ص ٣٥٩ .

أو الفارسية التى كانت شـــائعة عنـدهم فى ذلك العهـد · أو التقويم النصرانى (٣٠)··

أما أهـل الجنوب العربى فكانوا يعمـــلون بالتقويم الشـــمسى وفقا للمواسم الزراعية ، لأننا نراهم فى النصوص يزرعون ويبـذرون ويحصدون فى شهور معينة ، ويدفعون الضرائب فى مواسم ثابتة (٣١)· كما أن أسماء الشهور عندهم ذات معان متصلة بالطبيعة مثل الجفـــاف والمطر والحر والبرد والربيع والخريف (٣٢) · الا أن تورىخهم بالسنة الشمسية لم يمنعهم من التوريخ بالتقويم القمرى ، فى الأمور الاعتيادية ، كوفاء الديون ، وأخذ الديات ، والبيع والشراء والأسفار لوضـــوح الشهر القمرى ، وامكان حساب الأهلة ، وضبط عددها بسهولة ، ويسر فيسهل على المتعاقد التعاقد بموجب عدد الأهلة (٣٣) · أما الزراعة وتربية الحيوان ودفع الضرائب فمرتبطة بالسنة الشمسية فاستخدموا كلا التقويمين · (٣٤)

أما شـــهور ثمود فهى : (٣٥) موجب ، موجز ، دابر ، حيقل ، مسبل ، مورد ، ملزم ، مصدر ، هوبل ، هوبر ، موها ، زيحر · وهى على الأشهر القمرية · وهناك اعتقاد بأن ســـنتهم ٣٦٠ يوما مقسمـــة الى اثنى عشر شهرا · ونصيب كل شهر منها ثلاثين يوما وحيث أن هـــذا المقدار وهو ٣٦٠ يوما هو دون الأيام التى تمضيها الأرض فى دورانهـــا الحقيقى حول الشمس (٣٦) · لذلك كانوا يعوضون عن الفرق باضافة الأيام اللازمة على أيام السنة فتكسبها وتجعلها مساوية لهـــا ، ويكون دلك باضافة شهر كبيسة مرة واحدة فى نهاية كل ست سنوات (٣٧)·

وقد استخدم عرب الجنوب عدة طرق فى تاريخهم للحوادث (٣٨) ، فارخوا بحكم الملوك أو بحكم موظف من كبار موظفى الحكومة ، وهـــذه الطريقة الاستفادة منها قليلة · ومنذ عام (١١٥ ق·م) تغير الحال فى

---

(٣٠) البيرونى ص ٦٤ ·
(٣١) جواد على : جـ ٨ ص ٥١٠ ·
(٣٢) المرجع السابق جـ ٨ ص ٤٥٧ ·
(٣٣) جواد على : جـ ٨ ص ٥١٢ ، ٥١٦
(٣٤) القلقشندى جـ ٧ ص ٣٥٩ ·
(٣٥) النويرى : جـ ١ ص ١٦١ ·
(٣٦) البيرونى : ص ٦٥ ·
(٣٧) جواد على : جـ ٨ ص ٣٦١ ·
(٣٨) النويرى : جـ ١ ص ١٦٢ ·

كتابات المسند ، أو عام (١٠٩ ق٠م) اذ أنهم أرخوا بتقويم ثابت مبدأه سنة سقوط حكومة سبأ وتكوين حكومة (سبأ وذو ريدان) (٣٩) ٠ وآخر النصوص المؤرخة هو المرســـوم بـ CIH 525 وتاريخه سنة (٦٦٩) من التاريخ الحميرى وهو يقابل سنة (٥٥٤ للميلاد وهو آخر نص عثر عليه وأقربها عهدا للاسلام) ٠

ويلاحظ أن النصوص السبئية المؤرخة أرخت بتقـــويمين تقـــويم عرف بـ (خريفتهم بن خريف نبط) ، ومعناه أن السنين المذكورة وفقا لتقويم نبط ، وتقـويم آخر قدرت فيه الســـنين وفقا لسنى (مبحض ابن أبحض) وهو اسم شخص معـلوم عنـــدهم ٠ولم تسر اليمن على التقويم العبرانى (٤٠) ، أو النصرانى (٤١) حتى فى أيام الاحتلال الحبشى الأخير لليمن ٠ أو فى أيام استيلاء الفرس عليها وذلك بدليـل توريخ أبرهة (٤٢) عامل الحبشة على اليمن بالتقويم اليمانى المستعمل فى اليمن على الرغم من كونه نصرانى (٤٣) ٠ كما أن عددا من كتابات المسند المتأخرة فى عهد لا يبعد كثيرا عن الاسلام أرخت بهذا التقويم ٠

ويحدثنا المسعودى عن تقويم العرب قبل الاسلام (فى الجاهلية) (٤٤) فيقول : كانت العرب قبل الاسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ، فأما حمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب بن يعرب بن قطحان بأرض اليمن فكانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم (٤٥) ٠

كما أرخوا أيضا بما يقع لديهم من أحداث جسيمة أو كبيرة فى نظرهم وتبعا لتقاليدهم فى تلك العصور الساحقة ، مثل (نارصوان) ، وهى نار كانت تظهر ببعض الحرار (٤٦) من أقاصى اليمن ، ومثل الحروب التى وقعت بين القبائل ، وهى المعروفة بأيام العرب ، (والتى أورد المسعودى جريدة بتواريخها الى ظهور الاسلام) ٠

أما عن الشهور التى استعملها العرب قبيل الاسلام وحين ظهوره (٤٧) فهى المحرم ٠

---

(٣٩) الهمدانى : ص ٧٥ ٠

(٤٠) Montgomery : Arabia and the Bible, p. 8.

(٤١) Rogers : Cuneiform parallels to the Old Testment, p. 359.

(٤٢) ابن سيده : المخصص جـ ٨ ص ٥٩ ٠

(٤٣) Lawrence : Revolt in the Desert, p. 93.

(٤٤) واذا كنا لا نعترف باطلاق هذه الصفة على العرب قبل الاسلام بل ولا نقرها الا أننا مضطرون فى بعض الأحيان الى استعمالها كاسم علم أو كلفة الأضداد ٠

(٤٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٧٢ ٠

(٤٦) الحرار : جمع حره وهى صخور بركانية قد تكون كبيرة أو صغيرة ٠

(٤٧) جواد على : جـ ٨ ص ٤٥٨ ٠

صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثاني ، جمادى الأولى ، جُمادَى الآخرة ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، وهي على الأشهر القمرية ، وأول من سماها بهذه الأسماء هو كلاب بن مرة (٤٨) ومن هذه الشهور أربعة حرم لا يجوزَ فيها غزو ولا قتال ٠ وقد سميت بهذه الأسماء لاتفاق حال وقعت فى كل منها (٤٩) ، سمى المحرم لكونه من جملة الحرم ، لانهم أغاروا فيه فلم ينجحوا فحرم القتال فيه ٠ وصفر لصغر بيوتهم منهم عند خروجهم للغارات ، وقيل لأنهم يغيرون على بلاد تسمى الصفرية ٠ (٥٠) وشهر ربيع للزهر وقيل لأنهم يخصبون فيه بما أصابوا فى صفر ولارتباعهم فيه ، والجمادان من جمد الماء لأن الوقت الذى سميا فيه بهذه التسمية كان الماء جامدا ٠

ورجب لتعظيمهم له بالترجيب والتعظيم ، وقيل لأنه فى وسط السنة فهو مشتق من الرواجب ، وهى الاصبع الوسطى ، وشعبان لتشعب القبائل فيه للغارات ، ورمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر ، وشوال لارتفاع الحر وادباره ، وقيل من شيل الابل لأذنابها ، وذى القعدة لقعودهم فيه عن القتال ، فهو من الأشهر الحرم ، وذو الحجة لأن الحج اتفق فيه فسمى به (٥١) ٠

ويظهر من تفسير أسماء بعض الأشهر وتعليلها أن لتسمياتها علاقة بالمواسم والعوارض الطبيعية الجوية مثل البرد والحر والاعتدال فى الجو ٠ أما بالنسبة لأسماء الأيام فالجاهليون كانوا يسمون الأيام بأسماء مختلفة حسب الأماكن والقبائل وهى (٥٢) : شيار ويراد به السبت وأول الأحد ، واهون أو أوهد الاثنين ، جبار الثلاثاء ، دبار الأربعاء مؤنس الخميس ، عروبة الجمعة ٠ أما الأسماء المعروفة الآن والمتداولة فهى أسماء عرفت وظهرت فى الاسلام ولكنهم لم يذكروا متى كان ظهورها ولا فى أية سنة (٥٣) ٠

كان العرب يؤرخون بما يقع من أحداث جسيمة فاذا أرخوا بحادث ومضى عليه عهد ، ووقع لهم حادث آخر أكثر أهمية أرخوا به فتوالت لهم عدة تواريخ نسخت بعضها بعضا ٠

---

(٤٨) النويرى : ج ١ ص ١٥٨ ٠
(٤٩) القلقشندى : ج ١ ص ٢٥٧ ٠
(٥٠) جواد علي : ص ٤٦٥
(٥١) البيرونى : ص ٦٣ ٠
(٥٢) Kramers : Handworterbuch des Islam, p. 13 (Leiden, 1941).
(٥٣) Goldziher : Abhandlungen zur arabischen Philologie, p. 35.

وكانوا يؤرخون بالسنين فأرخوا بموت قطى ، فسنة وفاته هي مبدأ تاريخهم الى أن كان عام الفيل فأرخوا به لاشتهار ذلك العام (٥٤) .

وجعلوه في الثانية والأربعين من ملك كسرى أنوشروان بنحو من سبعة عشر سنة وهي احدى وثمانين وثمانمائة من غلبة الاسكندر على دارا ، وهي سنة ألف وثلاثمائة وستة عشر لابتداء ملك بختنصر وهو العام الذى ولد فيه الرسول على أغلب الروايات (٥٥) .

أما بالنسبة للنسيء فهو المذكور في قوله تعالى : (انما النسيء زيادة في الكفر) وهو شهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية ، فنهى الله عن ذلك (٥٦) . ذلك أنهم كانوا يكرهون أن توالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ، ولا يغزون ومعاشهم على الغارات والغزو ففعلوا النسيء وكانوا يستحلون ترك الحج في الوقت الذى هو واجب فيه ، ويوجبونه في الوقت الذى لا يجب فيه ، حتى ضلوا باتباعهم ذلك التجويز والنسيء (٥٧) .

والنسيء بهذا المعنى تبديل شهر بشهر وليس بزيادة أيام أو شهر على شهور السنة ، وهو الأيام التى تخلفت فيها السنة القمرية عن السنة الشمسية ، لتتساوى بها ، وتثبت الأشهر في مواضعها من الفصول ، وهو ما يعبر عنه بالكبس ، فالنسيء ليس كبسا (٥٨) .

وكان حجهم يدور في الأزمنة الأربعة ثم أرادوا أن يحجوا في وقت أدرك سلعهم من الادم والجلود والثمار ، وأن يثبت ذلك على حالة واحدة وفي أطيب الأزمنة وأخصبها ، فتعلموا الكبس من اليهود المجاورين لهم ، وذلك قبل الهجرة بمائتي سنة . فأخذوا يعملون بها ما يشاكل فعل اليهود من الحاق فصل ما بين سنتهم وسنة الشمس شهرا بشهورها ، ويسمون هذا من فعلهم النسيء ، لأنهم كانوا ينسأون أول السنة في كل سنتين أو ثلاثة أشهر على حسب ما يستحقه التقدم (٦٠) .

وعلى هذا فالنسيء عند العرب على ضربين : أحدهما تأخير شهر محرم

---

(٥٤) أبو حاتم السجستاني : كتاب المعمرين ص ٢ (طبعة جولد تزهير) .
(٥٥) ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ٤٩ .
(٥٦) أبو حاتم السجستاني : المعمرون ص ٤ (طبعة عبد المنعم عامر) .
(٥٧) جواد على : جـ ٨ ص ٥٢٢ .
(٥٨) البيرونى : ص ٦٢ ، ٣٢٥ .
(٥٩) القلقشندى جـ ٣ ص ٣٩٧ .
(٦٠) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر جـ ١ ص ٢١ .

الى صفر ، والآخر تأخير الحج عن وقته تحريا للسنة الشمسية . والسنة القمرية أولها استلال القمر فى غرة محرم ، وآخرها سلخ ذى الحجة من تلك السنة وهى اثنى عشر شهرا هلاليا ، وعدد أيامها ٣٥٤ وسدس اليوم تقريبا ، ويجتمع من هذا السدس أو الخمس يوم فى كل ثلاث سنين ، فتصير السنة ٣٥٥ يوما ويبقى بعد ذلك من اليوم شىء فيجتمع منه ومن السدس الآخر يوم واحد .

وهكذا الى أن يبقى الكسر ١١ يوما عند تمام ثلاثين سنة ، وتسمى تلك كبائس العرب (٦١) وقد استخدمت أيام النسىء فى الاسلام فحج أبو بكر فى السنة التاسعة من الهجرة فى ذى القعدة ثم حج الرسول فى العام المقبل فوافق حجه عودة الحج ونزل الحكم بابطال النسىء . قال الرسول (ص) (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .

---

(٦١) الجاحظ : الحيوان جـ ١ ص ٢١

التقويم الاسلامى

وبعد أن استعرضنا تقاويم الأمم والشعوب قبل الاسلام ، فاننا نجد أن المسلمين كذلك قد اتخذوا لهم عدة تقاويم وان كانت فى معظمها تدور فى فلك هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد أرخ المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب بالتاريخ الهجرى ، وذكروا فى ذلك أنه قال ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم ، فقال بعض من حضر من مسلمى(1) (اليهود) : لنا حساب مثله نسنده الى الاسكندر فهما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول .

وقال قوم يكتبون عن تاريخ الفرس قيل أن تاريخهم غير مستند الى مبدأ معين لأنهم كلما قام فيهم ملك ابتدأوا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله . ثم اتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت مبعثه فانه مختلف فيه وكذا وقت ولادته ليلة (2) وسنة ، أما وقت وفاته فهو وان كان معينا فلا يحسن أن يجعل الأصل لمبدأ التاريخ (3) .

أما وقت الهجرة فهو وقت استقامة ملة الآلام وترادف الوفود واستيلاء المسلمين فهو مما يتبرك به ويعظم وقعه فى النفوس ، (4) ومنذ

(1) البيرونى ص 29 .
(2) مروج الذهب جـ 1 ص 57 .
(3) ابن كثير : البداية والنهاية جـ 2 ص 26 .
(4) Sprenger Das Leben und dielehre des Mohammad, p. 93.

أن وضع عمر بن الخطاب تقويما ثابتا يتمثل في التاريخ الهجري ، أصبح هذا التقويم عنصرا أساسيا في نشأة الفكر والتاريخ وكان ذلك سنة ١٧ للهجرة يوافق ١٤ تموز ٦٢٢ م (٥) .

وذكر آخرون أن السبب الذي دفع عمر بن الخطاب الى اتخاذ الهجرة النبوية أساسا للتاريخ الاسلامي ، ان أبا موسى الأشعري كتب الى الخليفة عمر بن الخطاب يقول انه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلا ندري على أيها نعمل . وكان عمر قد دون الدواوين ووضع الأخرجة وسن القوانين ، واحتاج الى تاريخ فجمع الناس وعرض عليهم ما سبق أن ذكرناه (٦) .

وهناك من ذكر أن أصل التاريخ الاسلامي مأخوذا عن الفرس اعتمادا على رواية صمويل بن مهران التي جاء فيها ، أن عمر بن الخطاب لما رفع اليه صك تاريخه في شعبان ، فقال عمر أي شعبان الذي نحن فيه أو الذي هو آت . ثم جمع أصحاب رسول الله وآله فاستشارهم فيما دهمه (٨) من الحيرة في أمر الأوقات ، فقالوا يجب أن نتعرف الحيلة في ذلك من رسوم الفرس . فاستحضروا الهرمزان واستعملوه فقال : ان لنا حسابا نسميه ماه روز أي حساب الشهور والأيام فعربوا (ماه روز) فقال مؤرخ ، وجعلوا مصدره التأريخ وشرح لهم الهرمزان كيفية استعمالهم ذلك وما عليه الروم من مثله ختم اتخاذ الهجرة بعد ذلك أساسا للتأريخ الاسلامي (٩) .

وكان الناس على عهد رسول الله يسمون كل سنة مما بين الهجرة والوفاة باسم مخصوص بها مشتق مما اتفق فيها له عليه السلام فالأولى بعد الهجرة سنة الاذن والثانية الأمر بالقتال ، والثالثة سنة التمحيص ، والرابعة سنة الترفئة ، والخامسة سنة الزلزال ، والسادسة سنة الاستئناس ، والسابعة سنة الاستغلاب ، والثامنة سنة الاستواء ، والتاسعة سنة البراءة ، والعاشرة سنة الوداع (١٠) .

فكانوا يستغنون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة وهي على السنين القمرية لرؤية الأهلة لا الحساب وعليه أن يعمل أهل الاسلام

---

(٥) المعمرون ص ٩ .
(٦) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ١٦١ .
(٧) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر جـ ١ ص ٣٧ .
(٨) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٤ ص ٥٩ .
(٩) الميداني : الأمثال جـ ١ ص ٣٧ .
(١٠) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ١ ص ١٦٣ .

بأمرهم (١١) ثم أحدثوا اليها أسماء هي الأحد والاثنان والثلثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ويبتدأون بالشهر عند رؤية الهلال (١٢) ٠

وكذلك شرع في الاسلام كما قال تعالى : (يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) ، وأما أسماء شهورهم فهي المحرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثـــاني ، جمادى الأولى ، جمادى الآخرة ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ٠ (١٣) ٠

وكانت تواريخ المسلمين غير مرعية فيما بينهم ، ثم شعر المسلمون أيام الأمويين والعباسيين بلزوم الأخذ بالسنة الشمسية لحاجة الخراج لتعيين مواعيد الجباية فاستعملوا السنة (١٤) الخراجية ٠ وللتوفيق بين التاريخين في السنة الخراجيةوالسنة الهجرية اتبعوا طريقة الازدلاف(١٥) ويسمى الازدلاف بارجاع ثلاث سنوات كل مائة سنة ففي الل ٣٣ سنة الأولى حذفوا سنة وفي الثانية أسـقطوا سنة أخـرى وفي التالية لهما تركوا سنة من ٣٤ سنة وهكذا فعلوا على هذه الطريقة كل مائة سنة (١٦)

---

(١٢) الطبري جـ ١ ص ١٩٧ ٠
(١٣) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ١٨٩ ٠
(١٤) دائرة المعارف الاسلامية حرف (ت) ٠
(١٥) البكري : معجم جـ ٣ ، ص ٧١٧ ٠
(١٦) الطبري : جـ ١ ص ٢٢١ ٠

التقويم الجلالى

قد يكون من المفيد قبل أن نذكر شيئا عن التقويم المعروف باسم (الجلالى) وهو التقويم الثانى بالنسبة للشعوب الاسلامية ، والذى أحدثه السلاجقة أن نذكر شيئا عن أصلهم وصلتهم بالدولة العباسية وعن الأسباب التى أدت الى اتخاذهم تقويما جديدا عرف بالتقويم الهجرى الشمسى ٠

ينتسب السلاجقة الى أحد رؤساء مجموعة من القبائل الأتراك الذين عرفوا باسم الغز (١) ، اسمه سلجوق بن دقاق (٢) ٠ وقد بدأت تلك القبائل التركية تهاجر من موطنها الأصلى فى أقصى التركستان منذ القرن الثانى والثالث والرابع للهجرة وحاولت الاستقرار فى اقليمى ما وراء النهر وخراسان ، بالقرب من منازل طائفة من الأتراك المسلمين تسمى « القرلق » ٠ على ان قبائل الغز هذه لم يكن يعرف لها اسم قبل تولى سلجوق بن دقاق رئاستها وجمع شملها وتوحيدها تحت زعامته ، ثم قيادتها الى تلك المنازل (سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) (٣) فنسبت اليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده ٠

---

(١) كانت هذه القبائل تسمى (الاوغوز) ثم خففت هذه التسمية فعرفت (بالغز) ٠ عبد المنعم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ١٦ ٠

(٢) دقاق أو تقاق ، كلمة تركية معناها (القوس الجديد) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٤٣٢ هـ ٠

(٣) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور (نشر محمد اقبال وترجمة ابراهيم الشواربى ، عبد المنعم حسنين ، وفؤاد الصياد ٠

وسار سلجوق على رأس جماعته الى دار الاسلام حيث تحول الى الدين الاسلامي الحنيف ، وأقام هو وعشيرته بنواحي جنكته (٤) . وقد استنجد السامانيون بسلجوق لمساعدتهم على رد ما أخذه الترك من بلادهم ، فأرسل اليهم ابنه أرسلان على رأس جيش استرد هذه البلاد (٥) . وتوفى سلجوق بمدينة جند بعد أن بلغ من العمر مائة وسبع سنين وخلفه أبناؤه الثلاثة أرسلان واسرائيل وميكائيل وموسى .

ثم قتل ابنه مكائيل بعد والده بفترة وجيزة وهو يغزو بلاد الأتراك الذين كانوا على دين الوثنية ، وترك من الأبناء بيغو وطغرلبك وشغرى بك داود (٦) الذين دانت لهم عشائرهم بالطاعة . وقد استفاد السلاجقة من مساعدة السامانيين ، اذ أذنوا لهم بالمرور فى بلادهم والاستقرار بالقرب من شاطىء نهر سيحون واتخاذ مدينة (جند) قاعدة لهم (٧) .

ولم يكد يبدأ القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حتى كان السلاجقة قد استقروا فى بلاد ما وراء النهر (٨) ، وكانت دولة السامانيين قد انهارت (سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م) فتوزعت أراضيها بين الخانيين والغزنويين ، وكانت قبائل السلاجقة تتركز فى الشتاء حول (نور) بالقرب من بخارى ، وتتجمع فى الصيف حول (سعد) بالقرب من سمرقند (٩) .

وكان لاستقرار السلاجقة فى مقرهم الأخير سببا فى قيام النزاع بينهم وبين الغزنويين ، فقد اشتكى الخانيون الى محمود الغزنوى (سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) من وجود السلاجقة ، وحذروه من خطرهم .

وقد لجأ محمود الغزنوى الى الحيلة فى القبض على قائد جيوش السلاجقة وهو اسرائيل بن سلحوق ومن معه من الزعماء والقواد وزج بهم فى سجون الهند حتى ماتوا (١٠) (٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م) .

وقد ترك هذا العمل من قبل محمود الغزنوى أسوأ الأثر فى نفوس السلاجقة وأخذوا يتحينون الفرصة للانتقام والأخذ بالثأر لاسرائيل

---

(٤) حمد الله المستوفى قزوينى : تاريخ كزيده جـ ١ ص ٤٣٤ (نشر براون طبع بمباى ١٢٧٣هـ/١٩١٠م) .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ١٧٦ .

(٦) الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ١٧٦ .

(٧) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ص (نشر هوتسر ليدن سنة ١٨٨٩) .

(٨) ناصر بن على الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية (نبر محمد اقبال لاهور سنة ١٩٣٣ .

(٩) الراوندى : راحة الصدور ص ٨٦ .

(١٠) المصدر السابق ص ٩٠ .

وقواده . فلجأوا الى الحيلة فى تنفيذ خطتهم وذلك خوفا من قوة محمود ومكانته فى العالم الاســـلامى . فطلبوا من الســلطان محمود الاذن لهم بالمرور فى أراضـــيه والرحيل الى اقليم خراسان والاقــامة فى المنطقة الواقعة بين مدينتى (نسا) و (باورد) .

ولما كان محمود الغزنوى يعتقد فى ضعف السلاجقة بعد اعتقــال اسرائيل ، فقد ســمح لهم بالرحيل الى خراســان ، فعبروا جيحون واستقروا فى هذا الاقليم (١١) . وعندما أحس محمود الغزنوى بخطر وجودهم فى تلك المنطقة طلب من والى طوس اجلاءهم ، ولكن السلاجقة هبوا للمقاومة ودارت بين الطرفين معارك حامية انتصر فيها الســلاجقة انتصارا باهرا ، ولكن حضور محمــود الغزنوى حول نصرهم الى هزيمة منكرة (١٢) .

وبعد أن استتب الأمر لطغرلبك بعض أن قضى على كل الفتن التى اجتاحت العراق ، أخذ يفكر فى توطيد علاقته بالخلافة ففكر فى مصاهرته بالزواج من ابنته (١٣) . وبرغم فزع الخليفة من هذه المصاهرة ، الا أنه اضطر الى قبول مصاهرته ، الا أن طغرلبك لم يهنأ بهــذا الزواج طويلا فقد وافتــه منيتــه (ســنة ٤٥٥ هـ / سنة ١٠٦٣ م) وكان اذ ذاك فى السبعين من عمره (١٤) .

ويعتبر طغرلبك المؤســس الحقيــقى لدولة الســلاجقة فى ايران والعراق ، وقد كان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا لسره ، وكان يحافظ على الصلاة ويصوم يومى الاثنين والخميس ، وكان يلبس الملابس البيض وكان كريما . وكان طغرلبك من أهل الســنة يحرص على التقرب من أئمة (١٥) الدين مما قوى صلته بالخلافة العباسية . وقد كان لهذه الصلة القوية التى ربطت بين الخلافة العباسية والسلاجقة أكبر الأثر فى اختلاط الايرانيين بالعراقيين وامتزاج حضـــارة كل من البلدين (١٦) مما أدى الى ظهور حضارة اســلامية واضحة المعالم ممتزجة العناصر (١٧) والمقومات الأساسية .

---

(١١) البندارى : مختصر تواريخ آل سلجوق ص ٦ .
(١٢) ابن الأثير فى حوادث (٤١٨هـ ، ٤١٩هـ) .
(١٣) البندارى ص ١٩ .
(١٤) ابن الأثير حوادث سنة ٤٥٥هـ .
(١٥) الراوندى ص ٩٨ .
(١٦) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٤٤ .
(١٧) ابن الأثير : حوادث سنة ٤٥٦هـ .

وقد كان للوزير أبو نصر محمد الكندرى الملقب بعميد الملك فضل ظاهر فى ارساء قواعد وتدعيم أركان دولة السلاجقة ، كما ساهم بنصيب كبير فى ازدهار الحضارة الاسلامية وارتفاع شأن هذه الدولة . هذا فضلا عن أنه كان من الكتاب المبرزين فى اللغتين العربية والفارسية فهفت اليه النفوس كما حقد عليه الحاقدون مما أدى الى تغير سير الحوادث فى دولة السلاجقة بعد وفاة طغرلبك .

نظام الملك : (١٨) ان الدارس للدولة السلجوقة لابد له أن يتعرف تعرفا تاما بشخصية نظام الملك الذى كان له الفضل أى الفضل فى ازدهار العصر السلجوقى الأول الذى سمى عصر نظام الملك (١٩) ، والذى قيل عنه بعد وفاته « وانحلت الدولة ووقع السيف » (٢٠) .

كان نظام الملك أبو الحسن علي بن اسحاق من أبناء الدهاقين بطوس ولد سنة ٤٠٨ هـ تعلم العربية عندما شب عن الطوق واشتغل بالعلم فتفوق فيه وسمع الحديث . وقد أسندت اليه بعض أعمال الدولة وأخذ يترقى فى سلكها حتى اتصل بخدمة أبى على بن شاذان الذى تولى أمره بلخ من قبل داود والد السلطان ألب ارسلان . وقد أظهر من الكفاءة وعلو الهمة عند أبى على بن شاذان حتى انه أوصى به ألب أرسلان ، الذى اتخذه مشيرا حتى تولى السلطنة بعد طغرلبك ؛ فأسند اليه الوزارة وعهد اليه بتنشئة ابنه ملكشاه . وكان نظام الملك عالما متدينا جوادا عادلا حليما كثير العفو طويل الصمت . وكان مجلسه حافلا بالعلماء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح . وقد اشتهر ببناء المدارس فى البلاد وخصص لها النفقات العظيمة وأهل الحديث ببغداذ ونيسابور وغيرهما من مدن خراسان (٢١) .

أما عن الأعمال التى أداها للدولة السلاجقة فى عهد السلطان ألب أرسلان وولده ملكشاه فكثيره لا يمكن حصرها . فقد كان فى يده زمام الأمور فى الداخل والخارج ، ففى الداخل استطاع بحسن سياسته أن يجعل الأمن والنظام مستتب وأن يخمد الفتن التى ثارت طوال عهده . وقد ضمن نظام الملك آراءه السياسية ونظم الحكم كتابه المشهور باسم (سياستنامه) (٢٢) ، الذى يعتبر بحق أساسا لفن الحكم لما احتواه من

---

(١٨) ابن خلكان : وفيات الإعيان جـ ٤ ص ٣٧١ ، ٣٧٣ .

(١٩) ابن الأثير حوادث سنة ٤٨٠هـ .

(٢٠) المصدر السابق حوادث سنة ٤٨٥ هـ .

(٢١) حسين إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام جـ ٤ ص ٣١ .

(٢٢) لقد ترجم السيد محمد الغزاوى كتاب (سياستنامه) من الفارسية الى العربية كما حضر رسالته فيه نوقشت فى جامعة القاهرة سنة ١٩٥٠م .

آراء ووصايا مما جعل الكتاب يحظى بشهرة واسعة ويترجم من الفارسية الى عدة لغـات (٢٣) ٠

أما من ناحية السياســـة الخارجية فقد عمل على أن يجعل دولة السلاجقة أقوى قوة فى العالم الاسلامى ، فلم يقتصر على احترام المسلمين وتقدير ورهبة المسلمين لهم ، بل خشيهم العالم المسيحى كذلك ، فقد دفع قياصرة الروم الجزية لهم ، كما استولوا على الولايات غير الاسلامية الواقعة فى شمال غرب ايـران وفى آسيا الصغرى وانتزاعها من أيدى الدولة البيزنطية ، مما مهد لسقوطها على يد الأتراك العثمانيين ٠

أما من الناحية الاجتماعية والثقافية ، فقد شجع على تعمير المـدن واصلاح البلاد مما أدى الى اتساع رقعة الأراضى المنزرعة ، كما وزع الاقطاع على رجال الجيش حتى يكونوا دائما على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الوطن ، هذا فضلا عن أنه أمر بجمع الخراج مرتين فى السنة مما خفف العبء من عن كاهل المزارعين ٠

أما من الناحية الثقافية ، فقد أكثر من انشـاء المدارس فى طول البلاد وعرضها والتى عرف معظمها باسم المدارس النظامية (٢٤) ، كما شجع على نشر العلم وشمل العلماء والشعراء بكثير من عطفه ورعايته ، فاجتمع حوله الكثيرون منهم وألفوا كتبا وقدموها له ونظموا كثيرا من القصائد فى مدحه ٠

ولعل من أهم الموضوعات العلمية الفلكية التى ما يزال التاريـخ يذكرها له ، هو التقويم المعروف باسم (تقويم جلالى) ، الذى تم وضعه فى مدينة أصفهان (سنة ٤٦٧ هـ ــ ١٠٧٤ م) ٠ فقد قام جماعة من أعيان المنجمين وعلماء الفلك نذكر منهم الشاعر المشهور أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام النيسابورى الذى قام بأمر السلطان ملكشاه ووزيره نظـام الملك بعمل تقويم يتفق ومواعيد الزراعة حتى يستطيع المزارعون دفع ما عليهم من خراج دون ارهاق ، فجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل ٠

وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس عند نصف الحوت ، وهكذا صارت بداية السنة فى (تقويم جلالى) فى ٢١ مارس من كل سنة تقريبا (وهو بداية الربيع فى التقويم الميلادى) ٠ لكنهم حرصوا فى نفس الوقت

---

(٢٣) عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ص ٧٩ ٠

(٢٤) عرف بالتقويم الجلالى نسبة الى السلطان ملكشاه الذى كان اسمه العربى : جلال الدين أبو الفتح ٠

على أن يكون بداية التقويم الجلالى (٢٥) هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، على أن التقويم الجلالى فى دورانه يتبع الشمس وليس القمر ، ومن ثم فهو يعرف الآن باسم التقويم الهجرى الشمسى وهو التقويم المعمول به فى ايران حتى الآن ٠

ومن الدوافع الأساسية التى دعت السلاجقة الى اتخاذ تقويم جديد للدولة الاسلامية هى الحروب الصليبية التى دعتهم الى تجنيد الجنود ، وارسالهم لبلاد الشام للحروب فاحتاجوا الى جنود متأهبين فنشأ النظام الاقطاعى فى العالم الاسلامى فيقطع كل قائد قطعة أرض يزرعها ٠ وعندما يطلب للحرب يأتى ومعه عدد من الجنود بنسبة الأرض التى أخذها ، بحيث يحضر القائد عددا من الجنود ويترك الآخرين لفلاحة الأرض ٠ ونظرا للمشاكل التى واجهتهم من ناحية الحصاد فقد وضعوا التاريخ الهجرى الشمسى وقد جعله عمر بن الخيام (٢٦) وعبد الرحمن الحارثى يبدأ بالعاشر من رمضان سنة ٤٧١ هـ وسمى (بالتقويم الجلالى) نسبة الى السلطان جلال الدين (٢٧) ملكشاه السلجوقى كما عرف باسم (التقويم الملكشاهى) ٠

وقد اتخذ أسماء الأشهر القديمة مع التمييز بينها والجديدة فقيل (٢٨) شهر فروردين القديم وفروردين الجلالى وشهر ارديهشت القديم وأرديهشت الجلالى ٠ وجعلوا رأس السنة يوم نوروز السلطان وهو عندما تحل الشمس فيه ببرج الحمل واعتبروا كل سنة من ثلاث سنين متوالية ٣٦٥ يوما والسنة الرابعة ٣٦٦ يوما ، وبالنظر لاعتبار وقوع رأس السنة يوم الاعتدال الربيعى (يوم حلول الشمس فى برج الحمل وهو فى الوقت نفسه يوم النيروز) وعلى هذا كان التأريخ الجلالى من أضبط تواريخ الأمم الماضية لأن سنواته حقيقية وأشهره اصطلاحية (٢٩) ٠

---

(٢٥) للاستوثاق من ذلك تطرح السنة الهجرية الشمسية من السنة الميلادية فيكون الفرق (٦٢٢سنةأو ٦٢١) وهى سنة بداية التقويم الهجرى ٠ كما ان الشهور الهجرية عددها (٣١) ، (٣١) يوما ٠

(٢٦) دائرة المعارف الاسلامية (حرف ت) ٠

(٢٧) محمد ابراهيم : العلوم عند العرب ٠

(٢٨) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٤٨٥ ٠

(٢٩) دائرة المعارف الاسلامية (حرف ت) ٠

التقويم الايلخانى

وكان طبيعيا أن يؤلف الكتاب والمؤرخون تلك المجموعة الكبيرة المتميزة من المؤلفات عن نشأة الامبراطورية المغولية التى احتلت جزءا كبيرا من غرب آسيا . ولعل من أبرز تلك المؤلفات ، المؤلف الذى كتبه علاء الدين عطاء ملك الجوينى (١) المتوفى (سنة ٦٨١ هـ ـ ١٢٨٣ م) .

على أن المدرسة المغولية الحقة تبدأ بمجموعة المؤلفات القيمة التى ألفها الوزير فضل الله رشيد الدين المتوفى (سنة ٧١٨ هـ ـ ١٣١٨ م) بعد دخول المغول فى الاسلام مباشرة ، وقد ألف رشيد الدين مؤلفاته تلك باللغتين العربية والفارسية (٢) .

ومن الأعمال الفلكية التى قام بها المغول التقويم الذى أدخله الايلخان غازان محمود (٣) . ويقول جنزل (٤) Ginzel أن الفضل فى معرفة بداية التقويم الايلخانى ، وهو يوم الخميس (١٣ رجب من عام ٧٠١ هـ ـ مارس ١٣٠٢ م) انما يرجع الى حمد الله مستوفى القزوينى .

وبرغم ما قرره (فسننفلد) (ومالر) فان التقويم الايلخانى يتفق وبداية التأريخ الهجرى وهو (١٥ يولية ٦٢٢ م) .

على أن أول رجب من عام (٧٠١ هـ) لم يكن يوم الخميس

---

(١) Brochelmann : Geschichte dez Arabischen Litterature, p. 69.

(٢) Margoliouth D. S. : Arabic Historians, p. 113.

(٣) Brown, E.G. : A Literary History of Persia, 130.

(٤) Levi-Provençal : Les Historiens des Chorfa, p. 179.

ولا يوم الجمعة ولكنه يكون يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء (٥) ٠ ومما زاد الأمر تعقيدا أن جعـــل يوم الاثنين اليوم الأول من ذلك التـــازيخ على اعتبـار أنه مســـتهل ســـنة ٢٢٤ من التقويم الجلالى ، وهذا يوافق (سنة ١٣٠٢ م) ، وهذا التأريخ ما برح محاطا بالغموض حتى الآن (٦) ٠

كذلك اتخذت الدولة المغولية الهندية تقويما خاصا بها ، والدولة الهندية هى التى كونها أحد أحفاد الامبراطور المغـــولى تيمورلنك وهو الامبراطور (بابر) عندما احتل مدينتى دهلى وأجرا (سنة ٩٣٢ هـ ــ ١٥٢٦ م) وظلت تحكم الهند وجزء من أفغانستان حتى (سنة ١٢٧٥ هـ ــ ١٨٥٨ م) (٧) ٠

وكان الموطن السابق لهذه الأسرة اقليم تركستان فلما وفدوا الى الهند وجدوا فيها حضارة عريقة فى القدم ، سرعان ما اقتبسوا الكثير منها خاصة تلك التى لا تتعارض والدين الاسلامى الحنيف ، ثم أضافوا اليه ما أخذوا من الفرس المسلمين ٠ فقد حرص الامبراطور بابر (٨) على أن يتكون بلاطه من أشهر رجال العلوم والفنون الهندية ، ومن كبار رجال الفكر الاسلامى وكذا أشهر فنانيه (٩) ٠ فقد أهتم أباطرة المغول بفنانى المسلمين فى ايران اهتماما خاصا (١٠) ٠ ولا أدل على ذلك مما كتبوه فى مذكراتهم الخاصة (١١) ولاسيما ثناؤهم على أعـــلام المصـــورين مثل بهزاد (١٢) ٠

وقد اضطر الامبراطور همـــايون الذى خلف الامبراطور بابـــر (سنة ٩٣٧ هـ ــ ١٥٣٠ م) الى ترك عرشه (سنة ٩٤٦ هـ ــ ١٥٤٩) وظل منفيا فى ايران حتى (ســـنة ٩٦٣ هـ ــ ١٥٥٥ م) وقد خلف الامبراطور همايون الامبراطور (أكبر) على عرش الهند سنة ٩٦٣ هـ الذى يعتبر بحق راعى الحضارة الاسلامية فقد عنى عناية خاصة بانشاء مكتبة جمع فيها كل ما ألف فى الاسلام وفنونه الزخرفية ، وذلك فى عاصمة ملكه الجديدة وهى (فتح بور سكرى) ٠

---

(٥) Elliot and Dowson : The history of India as told by its historians, p. 94.

(٦) Brown : op. cit., op. cit., p. 136.

(٧) محمد ابراهيم : العلوم عند العرب ص ٧٠ ٠

(٨) G. Moud : La Method dans les Sciences, p. 396.

(٩) Philip Bogby : Culture and History, p .319 (London, 1958).

(١٠) Marc Block : The Histo ian Craft p. 119 (Manchester, 1954.)

(١١) F.i'z Ster : The varieties of history, p. 217 (Cleveland,1956),

(١٢) Arnold : Islamic Painting, p. 329.

وجاء بعد الامبراطور أكبر ، الامبراطور جهانجير الذى تولى عرش الهند بين عامى (١٠١٤ الى ١٠٣٧ هـ) ـ (سنة ١٦٠٥ م ـ ١٦٢٧ م) ، الذى استطاع أن يمزج بين الحضارتين الاسلامية والهندية مزجا تاما ٠ أما عصر الامبراطور جهانجير فقد تأثرت الحضـار الاسلامية فى عهـده ببعض المؤثرات التبشـيرية عن طريق البرتغاليين المقيمين فى مدينـة (جوا) على الشاطىء الغربى لشبه الجزيرة الهندية ٠ وقد ظهر هـذا التأثير واضحا وخاصة فى تقليد الصور الدينية المسيحية (١٣) وغيرها من التأثيرات الأوروبية وخاصـة صـور الأشـخاص المستقلة (١٤) Portraits التى أقبل عليها المصورون اقبالا (١٥) شديدا وخاصة صور الأباطرة وكبار رجال الدولة (١٦) من الحاشكة ، على أن أمر الاقبال على تقليـد المبشرين (١٧) فى فنونهـم قل فى عهـد الامبراطـور شاه جهان (١٨) ٠

وفى عهد الامبراطور أورنجزيب (١٩) ، انقطعت صلة الامبراطورية المغولية بالهند بكل المؤثرات التبشيرية وخاصة الرسوم الشخصية ٠ وظل الحال على ذلك فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بعـد الهجـرة (١٨ ، ١٩ م) عنـدما اضمحلت الدولة وحلت نهايتها سنة (١٢٧٥هـ ـ ١٨٥٨ م) (٢٠) ٠

التقويم المغولى الهندى :

أما عن التقويم المغولى الهندى موضـوع بحثنا ، فقد وضع فى السـنة الثلاثين من حكم امبراطور الهنـد ، فهـو يبدأ من يوم (٥)

---

(١٣) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٢٢٣ ٠

(١٤) Islamic Painting, p. 395.

(١٥) جمال محرز : الرسوم الشخصية فى التصوير الاسلامى (مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٤٦) ٠

(١٦) Brown, p. : Indian Painting under the Mongles, p. 119.

(١٧) Clarke, C. : Indian Drawings of the School of Humaynn (16th century, London, 1921).

(١٨) الامبراطور شاه جهان ، هو الذى شيد لزوجته (ممتاز محل) الضريح المعروف باسم (تاج محل) فى مدينة (اجرا) وسط حديقة كبيرة تطل على نهر (جمنه) ويعتبر بناء (تاج محل) درة فى جبين العمارة الاسلامية ٠

(١٩) فنون الاسلام ص ٢٢٥ ٠

(٢٠) Brown, p. : Ibid, p. 191.

(١) دائرة المعارف البريطانية حرف (ت) ٠

ربيع الثانى سنة ٩٦٣ (تعادل ١٩ فبراير سنة ١٥٥٦ م) وهو تاريخ جلوس الامبراطور آكبر على العرش ، الذى يعد بحق مؤسس الدولة المغولية الهندية وأعظم أباطرتها .

التقويم العثمانى :

أما عن تقويم الدولة العثمانية التى اعتمدت على التاريخ القمرى الهجرى فقد تغير فى عهد السلطان محمد الرابع الذى أصدر فرمانا فى ٤ صفر (٤) سنة (١٦٧٧ م ـ ١٠٨٨ هـ) أمر فيه بأن تعدل ، السنة المالية من سنة (١٦٧٦ م ـ ١٠٨٧ هـ) وتمحى سنة كل ٣٣ سنة وأخرى مثلها سنة أخرى فى ٣٣ سنة ، وفى مدة ٣٤ سنة بعدهما تسقط سنة أيضا فيسقط كل مائة سنة ثلاث سنوات .

ويقال لهذا الازدلاف عندهم (سويش) ويحتفظ بمراعاة السنين الهجرية والمالية (٥) معا . ويقال لهذه السنين السنون المالية أو السنون الرومية . ثم اعتبروا سنة (١٧٩٠ م ـ ١٢٠٥ هـ) مالية وبدأوا فى آذار ، وخالفوا التاريخ الجريجورى ثم اعتبروا سنة (١٨٣٩م ـ ١٢٥٥هـ) سنة مالية وداوموا العمل بها كذلك .

وفى أيام السلطان عبد العزيز سنة (١٨٢١ م ـ ١٢٨٨ هـ) كان موعد الازدلاف فلم يفعلوا لغفلة فحدث اختلاف بين الهجرى والمالى ، وتزايد حتى احتلال بغداد سنة (١٩١٦م ـ ١٣٣٥هـ) ثم نسخ عندهم بالتاريخ الميلادى المتداول . وبهذا انفصل التاريخ الهجرى عن الشمسى الميلادى بسبب اهمال علم الميقات من مباحث الفلك (٦) .

ثم اضطرت الدولة العثمانيـــة الى اعتبار التفاوت بين (التاريخ الرومى والميلادى المستعمل) (٧) فابقت السنة على حالها وجعلت يوم ١٦ شباط (٨) من سنة (١٩١٣ م ـ ١٣٣٢ هـ) اليوم الأول من آذار سنة

---

(٢) الغزاوى ص ٤٧ .

(٣) Lancoine, E. Table de concordance des date de Calandriens Arabe, Ccpte, Grego.ien, Israélite, p. 278.

(٤) دائرة المعارف البريطانية حرف (ت) .

(٥) الغزاوى ص ٤٧ . .

(٦) حسن وفقى المعروف بالحيمى الدمشقى : تقويم المنهاج القويم ص ٢٥ .

(٧) Ginzel : Handbuch der Chronologie, p. 299.

(٨) Sarton : Introduction to the history of Science, p. 4-15.

(١٩١٤ م – ١٣٣٣ هـ) بموجب القانون المؤرخ (٩) (٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥ هـ) (و ٨ شباط ١٣٣٢) روميـة ثم وجدوا أن أسهل طريقة هى قبول التاريخ الميلادى (١٠) .

ولم يستندوا على رأى علمى وتوالى الغلط حتى تركوا الماضى وما أحدثوا فيه من أغلاط وأهملوا الاشتغال بالفلك ، وفى عام (١٩١٦ م – ١٣٣٥ هـ) بدأت باصلاح التاريخ المالى (١١) . ولم يراع فيه ضرورة مراقبة الحالة فى التجدد فوقعت الدولة فى الغلط حتى استقر أخيرا بأن صارت السنة الميلادية أو الشمسية تبدأ بأول كانون الثانى (١٢) .

---

(٩) Schram : Kalendario graphischen Tafeln, 319.

(١٠) تقويم المنهاج القويم .

(١١) Brokelman : Geschichte der Arabisch Literature, p. 117,

(١٢) D.S. Morgoliouth : Lectures on Arabic historians, p. 511.

أسماء شهور التقاويم المختلفة

بعد استعراضنا للتقاويم المعروفة فى تاريخ البشرية تقريبا فقد يكون من المفيد أن نذكر أسماء شهور كل تقويم من تلك التقاويم ٠

الشهور المصرية القديمة « القبطية »
وما يقابلها من الشهور الايليوسية « الميلادية »

١ ــ توت (بداية السنة القبطية)	يقابل سبتمبر
٢ ــ بابه	أكتوبر
٣ ــ هاتــور	نوفمبر
٤ ــ كيهك	ديسمبر
٥ ــ طوبه	ينــاير
٦ ــ أمشــير	فبراير
٧ ــ برمهات	مارس
٨ ــ برمودة	ابريــل
٩ ــ بشنس	مايــو
١٠ ــ بؤونه	يونيــه
١١ــ أبيب	يوليــه
١٢ــ مسرى	اغسطس

الشهور الفارسية ومعناها

الشهر		
١ ـ فروادين ماه	(معناه الشهر) ويساوى	= ١٩
٢ ـ اردبيهشت ماه		= ٣
٣ ـ خرداذ ماه		= ٦
٤ ـ تير ماه		= ١٣
٥ ـ مرداذ ماه		= ٧
٦ ـ شهر بور ماه		= ٤
٧ ـ مهر ماه		= ١٦
٨ ـ آبان ماه		= ١٠
٩ ـ آذر ماه		= ٩
١٠ـ دى ماه		= ١٥
١١ـ بهمن ماه		= ٢
١٢ـ اسفندار ماه		= ٥

الشهور السريانية وما يقابلها من الايليوسية « الميلادية »

الشهر	
١ ـ تشرين قديم (أول)	(يقابل) أكتوبر
٢ ـ تشرين جديد (ثانى)	نوفمبر
٣ ـ كانون قديم (أول)	ديسمبر
٤ ـ كانون جديد (ثانى)	ينـاير
٥ ـ شـــباط	فبراير
٦ ـ آذار	مارس
٧ ـ نيســـان	ابريـل
٨ ـ ايـر	مايـو
٩ ـ حزيران	يونيـه
١٠ـ تمـوز	يوليـه
١١ـ آب	أغسطس
١٢ـ أيلول	سبتمبر

شهور العرب قبل الاسلام ومعانيها

١ ـ المؤتمـر : (معناه) الاتمار بكل ما تقضى به السنة
٢ ـ ناجـر : وهو من النجر وهو شدة الحر
٣ ـ خوان : من الخيانة
٤ ـ صـوان : من الصيانة
٥ ـ حنتم
٦ ـ زبـاء : نسبه الى الملكة زباء وكناية عن كثرة القتال
٧ ـ الأصم : لأنهم يكفون عن القتال فلا يسمع صوت سلاح
٨ ـ عادل : لأنه من أشهر الحج
٩ ـ ناقف
١٠ـ الوغل : الداخل فى الشراب
١١ـ هواع
١٢ـبرك : لبروك الابل اذا احضرت للنحر

الشهور العربية بعد الاسلام ومعانيها وما يقابلها من شهور ثمود العربية

١ ـ المحـرم ٠ (معنـاه) لكونه من الأشهر الحرم	١ ـ موجب : وهى تمثـل ضوء القمر
٢ ـ صفر : نسبة الى صفر بيوتهم منهم عند خروجهم (١) ٠	٢ ـ موجز
٣ ـ ربيع الأول : لظهور الزهر والأنوار والأمطار ونسـبه الى طبيعة الفصل	٣ ـ مورد
٤ ـ ربيع الثانى :	٤ ـ ملزم
٥ ـ جمادى الأولى لجمود المياه فيه	٥ ـ مصدر
٦ ـ جمادى الثانى :	٦ ـ هوبر

(١) كان معنى شهر صفر قبل الاسلام هو : صفر بيوتهم منهم عند خروجهم للاغارات ، واستمر اسم هذا الشهر بعد الاسلام لذلك يكون الأقرب الى المنطق فراغ البيوت من الرجال من أجل الجهاد ٠

٧ ـ رجب : الرجبة العماد ومنه قبل عذق مرجب	٧ ـ هوبل
٨ ـ شعبان : لتشعب القبائل فيه	٨ ـ موهاء
٩ ـ رمضان : الحجارة ترمض فيه من شدة الحر	٩ ـ ديمر
١٠ـ شوال : لارتفاع الحر وادباره	١٠ ـ دابر
١١ـ ذو القعدة : للزومهم منازلهم	١١ـ حيفل
١٢ـ ذو الحجة : لحجهم فيه	١٢ـ مسبل

الشهور الهجرية الشمسية
وما يقابلها من الميلادية

١ ـ الحمل	١ ـ مارس
٢ ـ الثور	٢ ـ ابريل
٣ ـ الجوزاء	٣ ـ مايو
٤ ـ السرطان	٤ ـ يونية
٥ ـ الليث أو الأسد	٥ ـ يولية
٦ ـ السنبلة العذراء	٦ ـ أغسطس
٧ ـ الميزان	٧ ـ سبتمبر
٨ ـ العقرب	٨ ـ أكتوبر
٩ ـ القوس	٩ ـ نوفمبر
١٠ـ الجدى	١٠ـ ديسمبر
١١ ـ الدلو	١١ـ يناير
١٢ـ الحوت	١٢ـ فبراير

وقد جمع هذان البيتان جميع شهور السنة الهجرية الشمسية :

حمل الثور جوزة السرطان
ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى العقرب بقوس الجدى
نزع الدلو بركة الحيتان

الباب الثانى

تاريخ العرب قبل الاسلام

تاريخ العرب قبل الاسلام

اتفق جمهور المؤرخين على تسمية تاريخ ، العرب ، قبل الاسلام باسم التاريخ الجاهلي ، وعرب الجاهلية ٠

على أن الدارس لتاريخ العرب قبل الاسلام يستطيع أن يجزم بأن العرب كانوا منذ أقدم العصور أهل علم وثقافة ، كما تشهد بذلك آثارهم التي ماتزال باقية وماكتب عليها من اللغات واللهجات المتعددة ٠

أما القول بأن وصم العرب بالجهل قبل الاسلام لا يرجع لجهل بالعلوم والمعارف ، ولكنها جاهلية عقيدة ٠ واذا كنا لانستطيع انكار ذلك الا أننا لا نستطيع كذلك قصرهما على العرب دون غيرهم من الشعوب المعاصرة لهم من هنود وفرس وبربر وغيرهم ٠

ولما كان الأمر كذلك فقد رأينا أن نبحث معاني كلمة (الجاهلية) في شيء من التفصيل علنا نهتدي الى قول مقنع ، نستطيع بعده ، استبعاد وصم العرب بها دون غيرهم من الشعوب المعاصرة لهم ، أو على أقل تقدير اعتبارها اسم علم تواتر مؤرخو العرب بعد الاسلام اطلاقها على جنسهم قبل الاسلام استنكارا منهم لتلك العقائد الوثنية التي كانوا يدينون بها ٠

والجاهلية في قواعد اللغة ، على صيغة التسمية لاسم فاعل (جاهل) ، وأما (جاهلي) فانه مفرد منسوب اليها على قاعدة النسب المعروف بحذف تاء التأنيث والياء المشددة بعد أكثر من حرفين (١) ٠

---

(١) السيوطي : همع الهوامع جـ ٢ ص ١٩٢ ـ ١٩٤ ٠

وجهل ضد علم ، فقد وردت بهذا النوع كثيرا فى اللغة القديمة ووردت كذلك فى الأزمنة الحديثة ، من ذلك قول عنترة فى معلقته ٠

« ان كنت جاهلة بما لم تعلمى » (٢) ٠

ويرى البعض (٣) ، ان الجاهلية ليست من الجهل الذى هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذى هو السفه والغضب والأنفة فقد جاء فى حديث الافك « ولكن أجهلته الحمية ، أى حملته الأنفة والغضب على الجهل ٠ وقريب من هذا المعنى استعمالهم استجهله الشىء أى استخفه ومنه قوله :

« وقال الهوى واستجهلتك المنازل » ٠

ويرى Goldziher ان الجهل ضد الحلم ، فهى اذن قسا ، خشن ، غلظ ويستشهد بقول الشنفرى (٥) « ولا تزدهى الأجهال حلمى » ، واستخلص من ذلك ان الجاهلية هى الهمجية (٦) ٠

وقد وردت الجاهلية فى مواضع عدة فى القرآن الكريم منه « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » (٧) ٠ وجاء فى سورة البقرة (٨) (قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) وجاء فى سورة الأعراف (٩) (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) وفى سورة هود (١٠) (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) ٠ ويعقب جواد على (١١) على ما جاء فى الآيات السابقة فيقول وفى كل هذه المواضع ما يتم على أخلاق الجاهلية ٠

كذلك جاء فى الحديث الشريف (اذا كان أحدكم صائما فلا يرفث

---

(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة (جاهلية) ٠

(٣) أحمد أمين : فجر الاسلام ص ٦٩ ٠

(٤) دائرة المعارف الاسلامية مادة (جهل) ٠

(٥) لامية العرب ص ٥٣ ٠

(٦) Goldziher : Muhammdiensche Studien, II, p. 219.

(٧) سورة الفرقان آية (٦٣) الطبرى : تفسير (١٩ ـ ٢١) (بلوغ الارب جـ ١ ص ١٦) ٠

(٨) سورة البقرة آية (٦٧)

(٩) سورة الأعراف آية (١٩٨) (تفسير الطبرى جـ ٩ ص ١٠٤) ٠

(١٠) سورة هود آية (٤٦) ٠

(١١) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٣٩ ٠

ولا يجهل) (١٢) . وجاء أيضا (انك أمرؤ فيك جاهلية) (١٣) . وبمثل هذه المعنى وردت في قول عمرو بن كلثوم (١٤) .

ألا لا يجهلن أحـد علينـا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي لايسفه أحد علينا ، فنسفه عليهم فوق سفههم ، أي نجازيهم جزاء يربى عليه (١٥) .

وقد اختلف المفسرون في تحديد زمن الجاهلية في تاريخ العرب قبل الاسلام في قوله تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) (١٦) ، فقالوا ان الجاهليـة الأولى التي ولد فيهـا ابراهيم ، والجاهلية الأخرى هي التي ولد فيها محمد (١٧) (صلى الله عليه وسلم) . وقيل ان الجاهلية الأولى بين عيسى ومحمد (١٨) (صلى الله عليه وسلم) ، وجاهلية أخرى هي التي كانت عند ولادة الرسول (١٩) .

على أن كتب الحديث (٢٠) لها مفهوم آخر ، اذ جاء فيها أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانوا يعنون بالجاهليـة ، الزمان الذي عاشوا فيه قبل الاسلام وقبل نزول الوحي (٢١) . فكانوا يسـألون الرسول عن أحكامها ، وعن موقفهم منها بعد اسلامهم ، وعن العهود التي قطعوها على أنفسهم في ذلك العهد ، وقد أقر الرسول بعضها ونهى عن البعض الآخر (٢٢) .

مما تقدم يتضـح لنـا أن لفظ الجاهلية كانت له عدة مفاهيم ، إختلفت باختلاف الأحداث والزمان ، فهي في عصر ما قبل الاسـلام ،

---

(١٢) بلوغ الارب جـ ١ ص ١٦ .
(١٣) ذيل أقرب الموارد جـ ٣ ص ١١٥ .
(١٤) أساس البلاغة جـ ١ ص ١٤٥ ، بلوغ الارب جـ ١ ص ١٦ .
(١٥) بلوغ الارب جـ ١ ص ١٦ .
(١٦) سورة الأحزاب آية رقم (٣٣) .
(١٧) طبقات ابن سعد جـ ٨ ص ١٤٥ .
(١٨) بلوغ الارب جـ ١ ص ١٧ .
(١٩) المصدر السابق جـ ١ ص ١٨ .
(٢٠) الطبري : تاريخ جـ ١ ص ٨٣ .
(٢١) جاء في الصحاح وفي لسان العرب جـ ١٣ ص ١٣٧ : ما بين كل رسوليْن من رسل الله عز وجل الذي انقطعت فيه الرسالة ، وفي الحديث فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .
(٢٢) صحيح مسلم (٧٩/١) صحيح البخاري ، مسند ابن حنبل (١١/٢ ، ١٠٣ ، ١٨٧) .

صفة تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة ، وهى صفات كانت فى حياة العرب قبل الاسلام ، فسمى العصر الجاهلية ، فمعنى الآية كما قال الطبرى (٢٣) (أن عباد الله هم الذين يمشون على الأرض بالحلم لا يجهلون على من جهلم عليهم) ٠

وفى هذا المعنى الذى ذهب اليه الطبرى ينتهى أحمد أمين (٢٤) ، فى معنى الجاهلية فى الاسلام الى رأى معقول مقبول ، اذ يقول : ان كلمة الجاهلية انتقلت الى معنى آخر قريب من المعنى الذى ذهب اليه الطبرى ، وهو استعمال أسلم ، المشتق من السلام ، بمعنى الخضوع والانقياد ، لما كان الخضوع أدعى الى السلام ، وفى هذا المعنى جاءت الآية الكريمة (وانيبوا الى ربكم واسلموا له) ، (فقلت أسلمت وجهى لله) ٠

ويضيف أحمد أمين فيقول : وقد أطلقها القرآن بهذا المعنى أحيانا على المؤمنين والكافرين جميعا لأنهم خاضعون لله ، ومنقادون له بحكم خلقهم ، رضوا أو كرهوا ، تسرى عليهم قوانين العالم ولا يستطيعون الخروج عليها (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون).

مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام :

ان المتتبع لمصادر تاريخ العرب قبل الاسلام فى العصر الحديث ، من وجهة النظر الموضوعية ، لابد له أن يرجع أولا الى مصادر موثوق بصحتها ونعنى بها الآثار المكتوبة على المواد الصلبة (Epigraphy) والمكتوبة على المواد اللينة (Poliography) وغيرها من الآثار التى ماتزال باقية كالعمائر (Sculptures) والنقود والمسكوكات القديمة (علم النميات (Numismatics) وعلم البرديات (Paprology) والأوزان والمقاسات (Weights and Measurements) والخزف والفخار (Pottery and Earthware) وما الى ذلك ٠

وتأتى فى المرتبة الثانية بعد الآثار الباقية الكتب الدينية مثل التوراة والتلمود ، ويلى ذلك ما جاء فى المصادر اليونانية واللاتينية والسريانية وأخيرا المصادر العربية فى أوائل العصر الاسلامى ٠ ذلك ان ما كتب عن تلك الفترة من تاريخ العرب ، انما أخذ معظمه عن أهل الكتاب ولا سيما اليهود وأشياء وضعها الوضاعون فى الاسلام ، لمآرب اقتضتها العواطف والمؤثرات الخاصة ٠

---

(٢٣) الطبرى : تفسيره ٠

(٢٤) فجر الاسلام ص ٧٠ ٠

ولما كان الأمر كما ذكرنا ، فقد رأينا ان ندرس مصادر هذه الحقبة التى تسبق تاريخ العرب فى العصر الاسلامى ، دراسة موضوعية تقوم على أسس سليمة نستطيع أن نقيم عليها دراستنا لتطور الفكر التاريخى عند المسلمين ٠

العرب قبل الاسلام :

كانت جزيرة العرب مسكنا لأكثر العناصر العربية ، ويتألف غربها من اقليمين كبيرين من الحجاز شمالا واليمن جنوبا ، ويمتد الحجاز من أيلة على رأس خليج العقبة الى اليمن ، وفى جنوبه بلاد اليمن وهى تشمل الزاوية الغربية الجنوبية من جزيرة العرب ٠ أما الزاوية الجنوبية الشرقية منها فيقع فيها اقليم عمان وهو قطر جبلى على شاطىء البحر ، وهناك بجزيرة العرب جزء مرتفع يمتد من جبال الحجاز ويسير شرقا الى صحراء البحرين يسمى نجدا ، وبين نجد واليمن اقليم اليمان وهو يتصل بالبحرين شرقا والحجاز غربا ٠ ولما كانت جزيرة العرب تقع بين دولتين عظيمتين فارس شرقا والرومان غربا ، فقد حاول كل من الفرس والروم أن يخضعوا العرب لحكمهم اتقاء لغزوهم لكنهم عدلوا عن ذلك لما يستلزمه فتح جزيرة صحراوية من ضحايا فى الأنفس والأموال ، ولأن هناك قوات متعددة لابد من اخضاعها حتى يتيسر لهم الاستيلاء على بلاد العرب ، وليس ذلك بالشىء الهين ولهذا السبب رأى الفرس والروم أن خير وسيلة للوقوف فى وجه العرب أن يساعدوا بعض القبائل المجاورة لهم على الاستقرار بجوار حدود بلادهم ليعاونهم على صد غارات البدو الذين يحاولون غزو بلادهم ، ومن ثم تكونت امارة الحيرة على تخوم فارس وامارة الغساسنة على تخوم دولة الروم ٠

كما كان العرب قبل الاسلام ممالك أثرت من حاصلاتها وصناعاتها واتساع تجارتها ثراء عريضا أطمع فيها اليونان والرومان والاحباش والفرس فحالفتهم حينا ، وحمت حدودها منهم حينا ، واستقلت عنهم أحيانا ، ثم تحدتهم وساعدت على جلائهم عن الشرق الأدنى ٠

ومن أولئك العرب أهل حضارة وثقافة وفن ، فتكلموا الى جانب

العربية – الآرامية واليونانية واللاتينية ،وشادوا المدن والهياكل والقصور ورعوا العلماء والفلاسفة والأدباء وأصحاب الفنون ، ونعموا بأطايب العيش مآكل ومشارب وملاه ، ثم خلدوا تراثهم منها بنقشه على الرقم ومسكوكات ملوكهم ومراكز ثقافتهم ودواوين شعرائهم .

كانت اليمن قبل الاسلام تنقسم الى محافد (جمع محفد وهو يشمل عدة قصور وكان القصر كالحصن أو القلعة يحيط به سور ويقيم فيه شيخ أو أمير) ويعرف صاحب المحفد أو القصر بلفظ ذو أى صاحب ، وكان يضاف الى اسم المحفد فيقال ذو عمدان أى صاحب عمدان وذو معينة أى صاحب معينة . ومن أشهر المحافد والقصور التى وصلت الينا أسماؤها عمدان ناعط وسلحين وظفار وبراقش ، وقد ظل بعض هذه القصور الى ما بعد الاسلام . وكان يحدث فى بعض الأحيان أن يجتمع عدة محافد ويتولى شئونها أمير واحد يسمى قيل وجمعه أقيال ، ويسمى مجموع المحافد ما يلحقها من القرى والمزارع مخلاف يحكمه قيل أو ملك صغير وكان الأقيال يغزو بعضهم بعضا ويغير أحدهم على جاره ، وقد نجح بعضهم فى مد سلطانهم على جيرانهم وهؤلاء عرفوا بالملوك وأصبح محفده حاكم له وتوالى الحكم فى أعقابهم . وبهذه الوسيلة قام فى اليمن قبل الاسلام عدة دول أشهرها الدولة المعينية ، ولم يرد لها ذكر فى كتب العرب ولكن وقفنا على أخبارها من النقوش التى كشفت فى جزيرة العرب وأخبار التوراة ومما كتبه مؤرخو اليونان . وقد ظهرت هذه الدولة بعد سنة ١٢٠٠ ق.م وقضى عليها السبأيون بعد ذلك سنة (٦٥٠م) ونستطيع أن نستدل مما وقفنا عليه من أسماء المعينيين وآثارهم أن أصلهم من عمالقة العراق الذين كانوا فى أعالى جزيرة العرب .

وقد نزح المعينيون مع غيرهم من القبائل الى جزيرة العرب بعد أن زالت دولة العرب من العراق ، ولم يطب لهم التجول فى البادية لتحضرهم ولذلك نراهم يذهبون الى بلاد اليمن ويتخذونها مقرا لاقامتهم . وهناك شيدوا القصور على مثال ما عرفوه فى بابل ووقع اختيارهم على القرنا Korna فى منطقة الجوف لتكون عاصمة لهم وتقع بين نجران

وحضرموت . ولما نزل المعينيون بلاد اليمن تغلبوا على من كان فيها قبلهم بفضل عدتهم ، وما لبثوا أن امتدت سيادتهم على معظم جزيرة العرب قبل قيام دولة سبأ وقد اشتغل المعينيون بالتجارة عملا بما تقتضيه طبيعة الاقليم الذى استقروا به ، واقتبسوا الأبجدية الفينيقية لتدوين حساباتهم التجارية لسهولة استعمالها ودونوا بها لغتهم .

نستدل من النقوش القديمة التى عثروا عليها فى مأرب فى بلاد اليمن على وجود السبئيين فى بلاد العرب فى قم ، ويحتمل أن يكون السبئيون نزلوا اليمن قبل ذلك العهد وأقاموا بجوار المعينيين فترة من الزمن واختلطوا بهم ، واقتبسوا لغتهم وعاداتهم وديانتهم ولما قوى نفوذهم قضوا على المعينيين وأقاموا دولتهم .

خلف السبئيون المعينيين فى الاشتغال بنقل التجارة من الهند الى الحبشة ومصر والشام والعراق حتى أصبحوا فى القرون الأولى قبل الميلاد ، أكبر وسائل الاتصال بين تلك الدول مما ساعد على ازدياد ثروة سبأ . وكان السئيون يستوردون من الهند الذهب والقصدير والعاج وخشب السندل والقطن ، ومن شواطىء أفريقيا الشرقية العطور وخشب الأبنوس وريش النعام والذهب ، ثم يصدرون هذه الأصناف الى مصر والشام والعراق . على أن مركز سبأ الاقتصادى سرعان ما ضعف بعد ان عمل البطالسة فى مصر على احتكار التجارة الشرقية فى عهد بطليموس ، الذى عنى بانشاء مرافىء على البحر الأحمر وأحيى الطريق الصحراوى بين النيل والقصير . وقد اتفق المؤرخون من العرب ، على أن السبب فى زوال دولة سبأ يرجع الى انكسار سد مأرب ويعرف أيضا بسد العرم (جمع عرمة فانحجز به الماء) الذى كان لا غنى لهم عنه اذ كانوا يروون منه أرضهم ريا منتظما . ومن المرجح أنه لما تطاولت الأزمان على هذا السد وأهمله الملوك تصدعت جوانبه ولم يعد يتحمل هجمات السيول والمياه الكثيرة المحجوزة خلفه ، فانكسر وغاصت المياه على ما حوله من القرى والمزارع . وكان ذلك مما حمل السبئيون على تعمير بلدة ظفار وعدم التمسك بالبقاء فى مأرب ، ثم أخذوا بعد ذلك ينزحون منها الى الجهات الشمالية والشرقية من جزيرة العرب .

كان الحميريون يقيمون فى ريدان التى عرفت أيضا باسم ظفار ، ثم تغلبوا على السبئيين وصار لقب كبيرهم ملك سبأ وذو ريدان ، ولما ضموا الى حوزتهم حضرموت قيل لملكهم ملك سبأ وريدان وحضرموت . وكان شمر برعش (ملك) أول من تلقب بهذا اللقب ويقال أنه عرف بذى القرنين ، كما روى أنه غزا أرض العراق وفارس وخراسان وافتتح مدائنها

وخرب سور مدينة الصغد (وراء نهر جيحون) فسميت شمرقند (قند _ خرب _ أى شمرخرب) ، ثم بنى مدينة هناك عرفت بذلك كما عرفت فيما بعد باسم سمرقند ٠

وكان الحميريون يشتغلون بالتجارة وجنوا ثروة كبيرة من وراء فرضهم الضرائب على السفن المارة بالبحر الأحمر واحتكارهم التجارة الشرقية ٠ وقد حاولت الدولة الرومانية الشرقية أن تتخلص من هذا الاحتكار وتفرض على الحميريين شروطا فى مصلحة التجارة الرومانية ، كما ان دولة فارس عملت من ناحيتها على مقاومة التجارة الشرقية المارة ببلادها الى بلاد الدولة البيزنطية ٠ وتطور التنافس الاقتصادى بين فارس والدولة الرومانية الشرقية الى التسابق على استعمار بلاد اليمن ، ولكن الأحباش سرعان ما سبقوا كل من الدولتين الى هذا الميدان واحتل جماعة منهم شواطىء اليمن الجنوبية فى القرن (١) قبل الميلاد طمعا فى فى ثروة تلك البلاد وللاستئثار بتجارتها ٠ وأتيح لهم تحقيق غرضهم فى أوائل عهد النصرانية ، كما عملوا على نشر المسيحية فيها ، وبنى أبرهة القائد الحبشى فى صنعاء كنيسة كبيرة تغالى فى عمارتها وتزيينها فنقشها بالذهب والفضة والزجاج وأصناف الجواهر وجعل فيها خشبا له رؤوس كرؤوس البشر ٠ وقد حاول أبرهة أن يحول أهل الحجاز الى تلك الكنيسة فأرسل جيشا لهدم الكعبة ولكنه منى بالفشل فأصيب هو وجنده بعدة أمراض ثم توفى ٠

على أن نفوذ الحبشة فى بلاد اليمن لم يدم طويلا ، فقد قامت فى حمير بحركة وطنية بعد ذلك الفشل الذى أصاب حملة أبرهة قادها سيف بن ذى يزن الحميرى الذى استنجد بكسرى أنوشروان ملك الفرس لينقذ وطنه من الأحباش ، فأمده بحملة هزمت الأحباش وأخرجتهم من اليمن ٠ على أن هذه البلاد لم يعد اليها استقلالها بعد زوال نفوذ الأحباش بل سرعان ما طمع فيها الفرس ، وصار يدير شئونها ولاة منهم تعاقبوا عليها حتى كان آخرهم باذان الذى اعتنق الاسلام على أثر المخاطبات التى دارت بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

وكما سبق القول فقد كان عرب اليمن أول من أنشأ الممالك فتداولها منهم : المعينيون (١٢٠٠ _ ٦٥٠ ق٠م) والسبئيون (٦٥٠ _ ١١٥) والحميريون (١١٥ ق٠م _ ٥٢٥ م) ، وقد عبر بعضهم البحر الأحمر فى (القرن الثانى ق٠م) الى الحبشة ، فاستعمروها ونشروا ثقافتهم بين أهلها وتزوجوا منهم ٠

وفى عهد الحميريين غضب قيصر أغسطس من سـيطرة اليمن على التجارة بين مصر والهند وطمع فيها ، فجرد حملة عليها من مصر بقيادة واليها ايليوس جاليوس (٢٤ ق٠م) يؤيدها الأنباط حلفاء رومة (١) ، ولما فشلت فى فتحها ــ ويعزى فشلها الى خيانة دليلها سـيلاوس سفير الأنباط وأبى عبيدة ممثل ملكهم ــ أنفذ جيشا رومانيا آخر استولى على عدن ، فأخذت التجارة بين مصر والهند تنتقل الى يد رومة ٠ وفتح الأحباش اليمن (٣٤٠ ــ ٣٧٨ م) ، واستعادها الحميريون ليفقدها ذو نواس آخر ملوكهم ، وقد تهودوا بعد أن أوعز بمذبحة نصارى نجران (٤٥١ م) ، وكانت النصرانية على مذهبيها قد دخلت اليمن من سوريا ، ثم بسفارة الامبراطور قسطنطين (٣٥٦ م) ، فقامت فيها ست أسقفيات ذكر الكلبى بعضها باسم الكعبة (٢) وكشف فيلبى عن كعبة نجران عام ١٩٣٦ ٠ فأمد امبراطور القسطنطينية نجاشى الحبشة بالسفن والمؤن ، فسـير على اليمن حملة أدالت دولة الحميريين ، وخلفتهم عليها (٥٢٥ ــ ٥٧٠ م) ، وبنعت بيعة فى صنعاء ، وأحدث أحدهم فيها ، فقصد أبرهة قائد الأحباش مكة فرده عنها طير أبابيل (٣) ثم عظم ظلم الأحباش فاستعان اليمنيون عليهم بالفرس فدحروهم (٥٧٠ م) ، وحلوا محلهم حتى دخلت اليمن فى الاسلام (٦٣٠ م) ، وأجلى الخليفة عمر (٦٣٥ ــ ٦٣٦ م) ، من لم يسلم من نصاراها الى الشام والعراق (٤) ٠

وأثرت اليمن منذ الألف الأول قبل الميلاد ثراء طائلا من حاصلات بلادها ، كالأفاوية والبحور والمر ، وكان لهما شأنهما فى الشعائر الدينية الآسيوية والمصرية ٠ وبعد تحويل كبرى مدنها الى سوق دوليـة لمتاجر العجم والهند ، وقد عدد منتجات الهند أو الضلع السندى (أحد الشعراء من الموالى) (٥) والصين والحبشة وسواحل أفريقيا ، فزخرت باللؤلؤ والعاج والذهب والحرير والخمور ، وأمنت السـفن والقوافل والطرق لنقل تلك المتاجر الى أسواق الشرق الأدنى ، مما عرف اليونان الرومان باليمن قبل غيرها ، فأطلقوا عليها فى نصوصهم : العربية السعيدة ، وجعل المقدسى يضع ثبتا دقيقا لأنواع سلعها ، وحمل المؤرخين على وصف

---

(١) وقد أرخ لهذه الحملة سترابو اليونانى ، وهو أعظم الجغرافيين الأقدمين ، صاحب كتاب الجغرافيا ٠ فى ١٧ جزءا ، صدر فى عام ٧ ق٠م مقتبسا بعضه من بوسـيدونيوس لاقامى ٠ Strabo, Bk, XVI.

(٢) ابن الكلبى : الأصنام ص ٤٥ ، ٤٦ ٠

(٣) سورة الفيل آية (٣) ٠

(٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ص ١٠١ ، ١٠٢ ٠

(٥) القزوينى : كتاب الآثار ص ٨٥ ٠

عدن مرفئها بدهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة الغرب ومعدن التجارات ، وأجراها على أقلام أدباء الغرب ، فذكر كنوزها هوراس ، وعطورها شكسبير ، وسواحلها المليئة بالتوابل ملتن ٠

وسبقت اليمن الى انشاء حضارة وطنية راقية تتمثل في سد مأرب وصناعة البارود والسيوف ، وقد وصف سترابو دولة سبأ بقوله : « عندها مستحدثات الأدوات المصنوعة من الذهب والفضة ناهيك عن منازلها الفخمة التي ازدانت بالألوان ورصعت بالعاج والحجارة الكريمة ٠٠ وفيها مدن عامرة تزينها الهياكل الجميلة والقصور » ٠ ومن أشهر ملوكها ملكة سبأ (١) التي عاصرت سليمان الحكيم ، ومما حملت اليه مائة وعشرون وزنة ذهب ٠

كان على رأس الحكومة في بلاد اليمن ملوك مطلقوا السلطة لا يخرجون من قصورهم في مأرب أو غيرها من المدن الا نادرا وقلما كانوا يعنون بتنظيم الجند لقلة الجنود لكنهم حرصوا على جمع الرجال لاستخدامهم في بناء المدن والقصور ، أو في انشاء السدود وترميمها وكان الحكم عندهم وراثي فينتقل الملك الى الأبناء أو الأخوة وقد ضرب اليمنيون نقودا نقشوا عليها صور الملوك وأسماءهم وأسماء المدن التي ضربت فيها بالحرف المسند (الخط اليمنى القديم) ، وزينوها برموز كصورة الصقر أو رأس الثور رمز الزراعة والفداء وصورة الهلال وهو رمز ديني عندهم ، ويؤخذ من صور ملوك اليمن المنقوشة على النقود التي وصلت الينا أنهم يضفرون شعورهم جدائل يرسلونها على أقفيتهم أو على جانبي رؤوسهم ٠ ويظهر أنهم لم يعملوا الى ارسال لحاهم أو شواربهم اذ لم نجد لها صورة على النقود ولا غيرها من الصور التي اكتشفت من اليمن ٠ وقد أنشأ العرب باليمن كثيرا من المدن قبل مأرب ومعين وظفار وناعط وصنعاء وكان بكل منها قصور وهياكل فخمة ومن أشهرها مأرب وتسمى أيضا سبأ يظهر أن لفظها آرامي الأصل مركب من كلمتين ماء ، راب أي الماء الكثير أو السيل الكبير ٠ ويؤخذ مما وقف عليه بعض اليمنيين انها كانت مستديرة الشكل قطرها نحو كيلو متر يحيط بها سور له بابان أحدهما شرقي والآخر غربي وفي وسطها آثار هيكل يسميه أهل تلك الناحية في أيامنا هذه هكيل سليمان وقد شاهد الهمذاني أنقاض مأرب في القرن (٦) هـ فذكر لنا ان بين تلك الأنقاض أعمدة للعرش لاتزال قائمة ولعله عرش الملك بقصر سلحين الذي يعرف بقصر بلقيس (١) ٠

---

(١) « وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم » (سورة النمل آية ٢٣) ٠

أورد الهمذاني في كتابه الاكليل وصـــفا ضافيا لقصـــور اليمن ودفائنها ومن أشهر هذه القصور قصر غمدان بصنعاء وكان يتكون من ٢٠ طبقة بين كل طبقتين عشرة أذرع (أى ارتفاع الحجرة عشرة أذرع) ولكل غرفة من القصر أربع أبواب وعند كل باب منها تمثال من نحـاس يخرج منه صوت اذا هبت الريح · ويلى غمـــدان في الشهرة والعظمة ناعط وهو محفد مؤلف من عدة قصـــور من بينها قصر المملكة الكبير الذى يسمى يعوق (معبـود قديم ورد فى ســـورة نوح) وما من قصر فى ناعط الا وتحته صهريج مجوف في الصخر يبتلع الماء الذى ينزل من السطح · وبهذا القصر اسطوانا يبلغ طول كل منهـا ٢٠ ذراعا · وكان أهالى اليمن يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف النهب المرصعة بالجواهر · يؤيد ذلك ما قاله أحد الشعراء عن مأرب ·

ومأرب قد نطقت بالرخـــام وفى سقفها الذهب الأحمر

ومما لا شك فيه أن عمائر بلاد اليمن تدل على تقدم فى البنـــاء فقـــد نحتوا كتلا كبيرة من الرخام نحتـــا بديعـا وركبوها فوق بعض بمهـــارة ودقة ، بحيث يخيل للناظر أنها كتلة واحدة ، وينحتـــون فى الرخام تجاويف ثم يضمون بعضـــها الى بعض بدقة واحكام · وكانت الأعمدة مربعة الشكل ولكل منها فى أعلاه وأسفله وتد بارز بحيث يمكن ادخاله فى تجويف خاص به من كلا الطرفين ، ثم يصـــب عليه معدن الرصاص المصهور بدلا من الأسمنت · وكان من أثر اهتمام أهالى اليمن بزراعة وتهاطل المطر فى بعض أنحاء بلادهم صيفا وقلتها فى البعض الآخر أن وضعوا نظاما لرى أراضيهم فأنشأوا حياضا مائيا وسدودا فى أنحاء عديدة من البلاد ولم يتركوا واديا يمكن استثمار جانبيه بالماء الا حجزوا سيله بسد ومن أشهر سدود اليمن العرم ويعرف أيضا بسد مأرب وهو من السدود الصماء · وكان عبارة عن حائط ضخم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع ، ارتفاعه عشرة أذرع وهو يقف في طريق السيل كالجبل المستعرض وفى طريقه مصارف للماء مبنية بالحجارة الضخمة ، وقد ظل الناس فى شك من أمر سد مأرب حتى تمكن المستشرق الفرنسى آرنود من الوصول الى مأرب سنة ١٨٤٣ م ومشاهدة آثاره ورســم له خريطة نشرت فى المجلة الأثرية الفرنسية سنة ١٨٧٤ ، فضلا عما تقدم فقد أظهر أهل اليمن براعة فى انشاء الممرات بالجبال والحصون والقلاع ولا أدل على ذلك من باب عدن ، وهو عبـــارة عن ممر في عرض الجبـل المحيط بعدن ، وحصن غراب وهو منحوت فى الصخر عليه نقوش ترجع الى عهد أرياط الحبشى الذى غزا بلاد اليمن ·

وقد خلدت اليمن حضارتها تلك فى عادياتها وما سجلته على نقوشها (الرقم) بلغتها الجنوبية المحتوية على تسعة وعشرين حرفا والمشتهرة بالخط المسند المشـــتق من الخط الكوفى ذى الاثنين والعشرين حرفا . وأول من كشف عنها ووصفها وصفا علميا نيبهر الدنمراكى فى بضعة كتب (١٧٧٢ – ١٧٧٨ م) ، وتبعه من العلماء كثيرون أشهرهم أرنو الفرنسى الذى كشف عن الحروف العربية الجنوبية لأول مرة (١٨٤٥م) وجلازر النمســوى الذى نقــل فى رحلاته العلمية (١٨٨٢ – ١٨٩٤ م) ١٠٣٢ نقشا ، بينها نقوش تاريخية ودينية وجنائزية وقانونية وعسكرية ومعمارية أضحت بعد نشر جزء منها أصدق مصـــدر لتاريخ اليمن قبل الاســـلام .

الأبحاث الأثرية
فى شبه الجزيرة العربية

أولا – اليمن :

لقد كانت أقدم بعثة أثرية وفدت الى اليمن ، هى البعثة الفرنسية (١) برياسة (الميجر دى لاجرلودير) وذلك سنة ١١٢٤ هـ – ١٧١٢ م . ويحدثنا محمد يحيى الحداد (٢) عن تاريخ هذه البعثة فيقول :

وصــلت هذه البعثـة الى مدينة (مخا) تحت ستار التجارة ، فلما علم الامام محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المواهب (٣) ، بوصولها ، طلب اليها عن طريق عامله على (مخا) بأن يبعث اليه بطبيب لمعالجته ، فأرسلت اليه البعثة الى قصر بالمواهب بالقرب من مدينة (ذمار) عددا من أعضـــائها . ونجح الطبيب فى معالجته بعـــد اقامة شهر كامل فى قصره ، كانت خلال اقامتها موضع حفاوته وتكريمه ، ثم عادت البعثة الى مخا ومنها الى فرنسا .

وقد اهتمت البعثة بدراسة أحوال القصر الامامى وما يجرى فيه ، من عادات اليمنيين فى ولائمهم وأفراحهم ، ولم تهتم بتاريخ اليمن ونقوش الآثار فيه كغيرها من البعثات .

---

(١) دتلف نيلسن : فى الفصل الذى عقده فى كتاب (تاريخ العرب القديم) مطبعة (مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م) .

(٢) محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ص ٩ (مطبعة دار الهنا ســـنة ١٣٩٦/١٩٧٦) .

(٣) المواهب : قرية قرب مدينة (ذمار) اتخذها الامام محمد بن أحمد بن الحسن عاصمة لملكه ودارا لاقامته وعرف بها .

ومن البعثات الأثرية الهامة التى وفدت الى اليمن فى القرن الثامن عشر ، تلك البعثة التى أرسلها ملك الدانمرك (فردريك الخامس) والتى عرفت باسم بعثة (Carsten Neibuht) التى قامت بدراسة النقوش والكتابات اليمنية القديمة بين عامى (١٧٦١ ـ ١٧٦٧ م) ٠ وقد سجلت الدراسات التى توصلت اليها البعثة فى كتاب
Carsten Neibuhr : Description de l'Arabie : Travels through Arabia and other countries in the East.

وقد عثرت بعثة (Dr. Seetzen) التى وصلت الى اليمن سنة (١٨١٠ م ـ ١٢٢٦ هـ) بالقرب من مدينة (ذمار) على خمسة نقوش حميرية ، كان (Neibuhr) قد أشار اليها ٠ ولما كانت الأحوال السياسية فى ذلك الوقت مضطربة فى اليمن لم يتمكن (Seetzen) من التجول بحرية ، واكتفى بتلك النقوش ٠ وكانت زيارته لليمن فى عهـــد الامام المنصور (على بن المهدى العباسى) ٠

وقد استطاع القائد الانجليزى (James Welested) الذى زار اليمن لأول مرة سنة (١٨٣٠ م ـ ١٢٤٦ هـ) ، ثم عاد مرة ثانية سنة ١٨٣٤ م ومرة ثالثة سنة ١٨٣٥ م حيث تجـــول فى شرق (بالحاف) بحضرموت واكتشف فيه نقش (حصن الغراب) المحفور على صخور سوداء التى بنى عليها الحصن ٠ ويتكون النص من عشرة أسطر يرجع تاريخها الى (سنة ٦٤٠ م) ٠

كما تجول (Welested) فى منطقة (غرب ميفعة) من حضرموت حيث عثر على آثار (ميفعة) ، وهى المدينة التى عرفت فيما بعد باسم مدينة (ثقب الهجر) واكتشف فيها نقشا آخر عرف فيما بعد باسم نص (ثقب الهجر) ٠

واعتمادا على تلك النصوص وغيرها ، توصل علماء الآثار الى اثبات ان تلك المنطقة من حضرموت كانت موطنا لحضارة رفيعة ، وأن بقايا الجدران الموجودة بها ليس من المستبعد أن تكون بقايا حصن قديم أقيم لحماية الطريق التجارى القديم بين الهند وحضرموت ٠ وان المدينـــة التجارية القديمة والمعروفة باسم (كانى) من المرجح ان تكون بقاياها هى المعروفة اليوم باسم (حصن الغراب) القريبة منها (٤) ٠

ومن الرحالة الذين وفدوا على اليمن واستطاع العثور على كثير من النصـــوص والآثار الرحالة (J. G. Huttun) الذى زار سد مأرب ونجران وتمكن من الحصول على (٦٨٦) نقشا ونصا وألواحا ، ما بين

---

(٤) محمد يحيى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ص ١١ ٠

حميرية وسبأية وأمهرية ، استنسخ بعضها وحمل الباقى الى أوروبا (٥) .

كـذلك عثر الدكتور (Mackell) الانجليزى الذى زار اليمـن سنة (١٢٥٢ هـ – ١٨٢٠ م) على خمسة نصوص سبئية ، أرسلها الى لندن ، حيث قامت بنشرها الجمعية الجغرافيـة الملكية بلندن وفرعهـا (بمباى) مع كتابة (صنعاء عاصمة اليمن) الذى سجل فيه رحلته الثانية لليمن (سنة ١٢٧٠ هـ – ١٨٣٨ م) (٦) .
(Journey of an Excurion to San'a capital of Yamen)

ومن الرحالة الذين وفدوا الى اليمن فى القرن التاسع Hulton و (Cruttenden) وذلك فى سنة ١٨٣٨ ، الا ان الأول مات ودفن باليمن بينما استطاع الثانى العثور على خمسة نصوص سبئية وجدها فى صنعاء نشرها فى رحلته المسماة صنعاء A Journey from Makha (مخا) to San'ai

وفى (سنة ١٨٦٠ م – ١٢٧٧ هـ) استطاع الكولونيل (Coghlan) العثور على (٢٥) لوحة برنزية بمدينة (مخا) أرسلها الى لندن (٨) .

ومن أوائل الأثريين الألمان الذين وصلوا الى حضرموت فى القرن التاسع عشر الرحالة (Adolf Von Wrede) الذى نفذ الى حضرموت من ميناء (مكلاء) بعد اجتياز الصحراء المعروفة باسم (بحر الصافى) أو (الأحقاف عن طريق وادى دوعن) ووصل الى سهل (ميفعة الشرقى) . وفى الوادى المعروف باسم (وادى أوبنة) عثر على بقايا حائط قديم ، عليه نقش حضرمى مكون من خمسة سطور يعرف باسم (نص أوبنة) (٩) .

وفى سـنة ١٨٤٨ م وصـل الى اليمن الصـيدلى الفرنسى (١٠) Thomas Joseph Arnaud. الطبيب بالسـفارة التركيـة فى صـنعاء ، ومنها رافق قافلة كانت تتجر بالملح من (مأرب) حيث وضع نفسه تحت حمايتها نظير جعل مالى . وفى مدينة مأرب أحسن أميرها استقباله وساعده فى الوصول الى منطقة الآثار فيها عند سورها القديم ، والى معبد (ألمقة) المعروف باسم (حرم بلقيس) ، وهناك استنسخ عددا من نقوشها وكذلك

---

(٥) أحمد حسين شرف : اليمن عبر التاريخ ص ١٦٤ .
(٦) دائرة المعارف البريطانية (يمن) .
(٧) الجمعية الجغرافية الملكية بلندن .
(٨) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٤ .
(٩) دتلف نيلس (التاريخ العربى القديم) (مترجم) ص ٨ (مكتبة النهضة سنة ١٩٥٨) .
(١٠) Thomas Joseph Arnoud : Relation d'un Voyage à Mareb.

نقوش مأرب (٥٦) نصا سبئيا (١١) • وقد وصلت تلك النقوش الى القنصل الفرنسى بجدة ، الذى قام بدوره بارسالها الى المجلة الأسيوية التى نشرتها سنة ١٨٤٩ م مترجمة (١٢) •

وكان المستشرق (Joseph Halevy) اليهودى الفرنسى (١٣) من أعظم الأثريين الذين وفدوا الى اليمن ، فقد أوفدته أكاديمية الفنون الجميلة بباريس على رأس بعثة لجمع الكتابات والنقوش الأثرية (سنة ١٨٧٠ م — ١٢٨٦ هـ) • وقد تمكن (Halevy) اثر دخوله اليمن من الاندماج مع اليهود والتزيى بزى يهودى فقير واستطاع التجول داخل اليمن بحرية تامة برفقة يهودى يمنى اسمه (حبشوش) ، فزار (صنعاء) (ونجران) ثم (مأرب) و (صرواح) و (الجوف) وغيرها واطلع على كثير من المناطق الأثرية • وقد نشر اليهودى اليمنى (حبشوش) كتابا باللغة العبرية (١٤) عن المعلومات التى جمعها (Halévy) أما (Halévy) فقد قامت أكاديمية الفنون الجميلة بباريس بنشر المعلومات التى حصل عليها من اليمن مزودة بستمائة وثمانين نقشا ، جمعها من سبعة وثلاثين مكانا من اليمن • وتعد مجموعات (Halévy) التى أصدرتها الأكاديمية من أهم المصادر لدراسة آثار اليمن المعينية والسبئية ، وتوجد بعض مجموعاته فى متحف اللوفر بباريس (١٥) •

كذلك نشر Halèvy فى الأعوام التالية لرحلته بحثا حول النقوش التى عثر عليها ، كما راجع كثيرا من النقوش التى عثر عليها غيره من قبل ، ولقد علق (دتلف نيلسن (١٦) فى الفصل الذى كتبه فى كتاب (التاريخ العربى القديم) تحت عنوان (تاريخ العلم ونظرة حول المادة) ما نصه « والقيمة العلمية لهذه الرحلة يجب ان لا ينظر اليها من ناحية كمية النقوش التى أسفرت عنها ، بل من ناحية المعلومات الجديدة التى جاءت بها ، فقد علمنا بمقتضاها ان هناك حضارة رفيعة راقية لشعب ضرب فى المدينة بحظ وافر » (١٧) •

---

(١١) التاريخ العربى القديم ص ٩ •

(١٢) تاريخ اليمن السياسى ص ١٢ •

(١٣) التاريخ العربى القديم ص ١١ •

(١٤) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٥ •

(١٥) تاريخ اليمن السياسى ص ١٣ •

(١٦) التاريخ العربى القديم ص ١٤ •

(١٧) تاريخ اليمن السياسى ص ١٣ •

وفي سنة ١٨٨٢ م وصل الى اليمن المستشرق النمساوى (Edward Glazer) أستاذ اللغة العربية وعالم الفلك بالمرصد القيصرى بفينا ، موفدا من قبل الأكاديمية الفرنسية بباريس ثم أكاديمية براغ الى اليمن (١٨) . وقد تردد على اليمن أربع مرات ، كانت الرحلة الأولى (سنة ١٨٨٢ م – ١٣٠٠ هـ) حيث بقى فى اليمن أربع سنوات قام خلالها بثلاث رحلات الى المنطقة الشمالية من اليمن ، رافق فى الأولى منها كتيبة تركية تقدمت من صنعاء الى السودة لمحاربة الامام الهادى شرف الدين بن محمد . ثم قام بالثانية برفقة بعض اليمنيين الى (شبام) و (كوكبان) و (عمران) و (حجة) وعثر على عدة آثار فى همدان وزار بمساعدة القائد مصطفى باشا عاصم ، (حاشد وبكيل) . وكانت الرحلة الثالثة برفقة بعض قبائل (أرحب) حيث عثر على أماكن فيها الكثير من النقوش والألواح قام بنقلها واستنساخها ، ثم عاد الى صنعاء ومنها سافر الى باريس (سنة ١٨٨٤ م – ١٣٠٤ هـ) (١٩) .

ثم عاد (Glazer) (سنة ١٨٨٥ م – ١٣٠٥ هـ) الى اليمن فزار (ذمار) و (بريم) (ورادع) (وجهران) ، ثم رجع الى باريس ومعه ما يزيد على عشرين نصا من نقوش معينية وغيرها ، أصبح معظمها الآن من ممتلكات المتحف البريطانى بلندن (٢١) .

ورجع الى اليمن ما بين عامى (١٨٨٧ – ١٨٨٨ م) فزار مأرب ، بزى فقيه عربى وبرفقته أصدقاء له من بينهم أحد أشراف (مأرب) حيث أقام فيها ستة أسابيع استطاع خلالها أن يرسم تخطيطا (١٩) لآثار القنوات القديمة فى (سد مأرب) ، وتخطيطا آخر لموقع سدود المياه العظيمة التى كانت مصدر خصوبة (سبأ) وسببا قويا من أسباب حضارتها ورقيها (٢٠) .

وعاد (Glazer) الى أوروبا محملا بما يقرب من أربعين نقشا سبئيا ومجموعة من الحلى الأثرية من خواتم وأساور ومجموعة من النقود وغيرها ، وقد ضم هذه المجموعة جميعها متحف برلين ، ثم عكف بعد هذه الرحلة على دراسة النقوش والآثار التى جمعها من هذه الرحلة (٢١) .

---

(١٨) التاريخ العربى القديم ص ١٤ .
(١٩) تاريخ اليمن السياسى ص ١٣ .
(٢٠) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٦ .
(٢١) كتالوج المتحف البريطانى بلندن للنقوش اليمنية .
(١٩) دتلف نيلسن ص ١٦ .
(٢٠) تاريخ اليمن السياسى ص ١٤ .
(٢١) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٦ .

أما رحلته الأخيرة الى اليمن التى قام بها (سنة ١٨٩٢ م ـ ١٣١٠ هـ) فقد تزيا فيها بزى عالم عربى الأمر الذى مكنه من اجتياز البلاد • كما صحب معه كثيرا من الوسائل للحصول على النقوش والنصوص ، كما حمل معه أدوات الطبع والنقل والتصوير • الا أن الظروف السياسية فى اليمن آنذاك لم تكن لتتيح له حرية التجول فى اليمن بسبب ثورة اليمنيين ضد الأتراك (٢٢) ، ولكنه استعمل طريقة (الاستنباج) أى طبع الأوراق على النقوش عن طريق القبائل الذين كان يعلمهم ذلك ويزودهم بالمكافآت المالية للحصول على النقوش • ومن ثم فقد حصل على كثير من النقوش الخطية (المعينية) من مدن (الجوف) الأثرية ، كما حصل على نقش (صرواح) العظيم الذى عرف عند علماء الآثار بنقش النصر ، والذى يتكون من أكثر من ألف كلمة وعلى ما يقرب من مائة سطر (٢٣) •

هذا فضلا عما عثر عليه من الألواح الحجرية والبرونزية مختلفة الأشكال والأحجام ، كما عثر على مجموعة من النقود الأثرية يبلغ عددها (٧٥٢) قطعة ، يوجد الكثير منها الآن بمتحف فينا • ومن بين الألواح والنقوش التى عثر عليها ، نقوش عن مملكة قتبان ومدينة صرواح ، التى حفظ الكثير منها بمتحف برلين ، كما باع بعضها للمتحف البريطانى ، وقد نشرت جميع هذه الآثار وصارت فى متناول جميع الباحثين (٢٤) •

وتعتبر مجموعة (Glazer) الأثرية أكبر مجموعة فى أوروبا عن اليمن ، والتى قال عنها الأثرى (هومل) (٢٥) بأنها فتحت عهدا جديدا لمعلوماتنا عن بلاد اليمن السعيد ، كما أغنتنا فى دراسة تاريخ الشرق القديم ، ثم يعقب على ذلك بقوله : ويرجع نجاح هذا المستشرق (٢٦) (أى Glazen الى كفاءته العلمية وتصميمه الذى امتاز به عن سائر المستشرقين الذين سبقوه ، ذلك أنه درس العادات والتقاليد ، والديانة واللغة (٢٧) ، هذا فضلا عن امتزاجه بالقبائل اليمنية ، والا لما استطاع ان يحصل على ما حصل عليه (٢٨) •

---

(٢٢) تاريخ اليمن السياسى ص ١٤ •

(٢٣) نفسه ص ١٤ •

(٢٤) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٦ •

(٢٥) دتلف نيلسن ص ١٧ •

(٢٦) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٧ •

(٢٧) التاريخ العربى القديم ص ٢٢ •

(٢٨) قام الدكتور (H. Muller) والاستاذ (Rhoiodkankis) سنة ١٩٣٤ بتصنيف بعنوان (رحلات ادوارد جلازر الى مأرب) •

ويعقب على ذلك محمد يحيى (٢٩) الحداد فيقول : ولا ننسى مع ذلك النتائج الكبيرة التي حققها الرحالتان (Carsten Neihbur) الدانمركي ، و (Halévy) الفرنسي ورحالة آخرون بالدرجة الثانية بعد هؤلاء • وقد وهب الله المستشرق (Glazer) فسحة من الوقت بعد عودته من رحلته الأخيرة الى اليمن ، مكنته من دراسة النقوش الخطية الأثرية التي عثر عليها وشرحها شرحا وافيا ، ووضع تاريخا لبلاد العرب الجنوبية •

ومن المستشرقين النمساويين الشبان الذين وفدوا على اليمن لينهلوا من آثارها (Siejafred Langer) (٣٠) الذي وصل اليمن في أوائل (سنة ١٨٨٢ م ــ ١٣٠٠ هـ) وقد زار قرية (ضاف) بجهران وتردد على منطقتي (ذمار وبريم) واستطاع ان ينسخ نقشين عثر عليهما في صنعاء • ثم انتقل الى عدن عن طريق (الحديدة) وفيها نسخ عددا من النقوش بينها نقش هام من الناحية اللغوية ، فهو حميري باللهجة الحضرمية القديمة ، كما أرسل اثنين وعشرين نقشا أثريا الى (فينا) نشرت بعد وفاته (٣١) • وكان السبب في وفاته عدم استماعه لتحذيرات الأتراك وذلك لاشتعال نار الحرب بين اليمنيين والأتراك ، ولكنه خاطر بحياته في سبيل جمع النقوش والآثار فوقع آخر الأمر فيما حذره الأتراك وقتل غيلة في وادي (بناء) (٣٢) •

وفي سنة ١٨٩٨ م أوفدت أكاديمية (عينا) الى اليمن كلا من (H. Muller) (٣٣) و ك• لندبرج لمواصلة البحث عن آثار اليمن ، واستأجرت الأكاديمية حفاظا على حياة علمائها الباخرة السويدية (جرنفريد)التي أبحرت الى شواطيء اليمن الا أن الانجليز لم يسمحوا للباخرة بالدخول الى اليمن من عدن ، فاتجهت الباخرة شرقا وأنزلت أعضاء البعثة في احدى الموانى اليمنية الشرقية التي لم يكن الانجليز قد بسطوا أيديهم عليها ، ومنها نفذوا الى حضرموت ، فزارت البعثة الخرائب الواقعة بالقرب من شبوه (٣٤) •

وفي نفس العام وصلت البعثة الى جزيرة (سوقطرة) (٣٥) وقامت

---

(٢٩) تاريخ اليمن السياسي ص ١٥ •
(٣٠) التاريخ العربي القديم ص ٢٢ •
(٣١) تاريخ اليمن السياسي ص ١٥ •
(٣٢) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٧ •
(٣٣) قام بنشر بعض مجموعاته الدكتور (H. Muller) والدكتور (Rhodcdkauakis) •
(٣٤) التاريخ العربي القديم ص ٢٣ •
(٣٥) تاريخ اليمن عبر العصور ص ١٦ •

بدراستها ودراسة المناطق المجاورة مثل (مهرة) ومعرفة اللهجات (٣٦) الموجودة فيها ونشرت فيما بعد أبحاثا عنها • كما نشر الدكتور (Mualler) كثيرا من النقوش بعد ترتيبها ترتيبا زمنيا وعن عناية خاصة بقواعدها(٣٧).

وجاء الى اليمن (سنة ١٩٢٨ م) عالمان هما (ڑاتنيس وفون فيسمان) (٣٨) وقد أحسن الامام يحيى استقبالهما وكفلهما بالاشراف على الحفائر التى كانت تجرى فى المناطق الأثرية ، الأمر الذى كلل أعمالهما بالنجاح التام (٣٩) •

وفى عام ١٩٣٧ م وفد الى حضرموت ثلاثة من الرحالة هم Thomson, Gardener, Stark ، وقاموا بعمل حفريات اكتشفوا فيها معبد لاله القمر فى موضوع يعرف باسم (عمد) مقابل (الحريضة) فى حضرموت • كما عثروا على مجموعة من النقوش ، وعلى مشروع يبين وسيلة من وسائل الرى القديمة (٤٠) • ثم قام Stark (٤١) بمفرده بعدد من الرحلات فى بلاد اليمن وقد نشر الكثير من نتائج تلك الرحلات •

وفى عام ١٩٣٧ م ، قام (John Philby) (٤٢) برحلته الأولى الى اليمن ، وكانت من أخطر الرحلات التى قام بها ، وكان قد بدأها من جدة مارا بعسير ثم نجران ومنها الى شبوه (وترين) ثم الى حضرموت • وقد واصل سيره فى صحراء اليمن حتى وصل الى الشحر ، وقد نشر نتائج رحلته تلك فى كتاب أصدره فى لندن سنة ١٩٣٩ (٤٣) •

ثم قام برحلته الثانية سنة ١٩٥١ م على رأس بعثة علمية بدأت من جدة مارا بمدينة (أبها) ونجران ومنهــا عبروا الى الربع الخالى ثم الى الرياض (٤٤) • وقد عادوا ومعهم مجموعة كبيرة من الآثار ، منها نحو (اثنتى عشرة ألف كتابة أثرية استطاعوا نسخها) (٤٥) من بينها تسعة

---

(٣٦) المرجع السابق ص ١٧ •

(٣٧) تاريخ اليمن السياسى ص ١٧ •

(٣٨) وقد نشر الدكتور فؤاد حسنين أعمالهما فى الجزء المستكمل من كتاب (التاريخ العربى القديم) ص ٢٥٦ •

(٣٩) كما تحدث عنهما الدكتور أحمد فخرى فى كتابه (اليمن ماضيها وحراضرها) ص ٨٣ •

(٤٠) فؤاد حسنين : الاستكمال ص ٢٥٦ •

(٤١) المرجع السابق ص ٢٥٧ •

(٤٢) تاريخ اليمن السياسى ص ١٨ ، الاستكمال ص ٣٦١ •

(٤٣) الاستكمال ص ٢٥٧ •

(٤٤) المرجع السابق ص ٢٦١ •

(٤٥) تاريخ اليمن للسياسى ص ١٩ •

آلاف كتابة ثمودية ، وثلاثة آلاف نقش سبائى • كما عثرت البعثة بالقرب من عين ماء على نقش (لأبرهة) الحبشى يرجع الى سنة ٥٤٧ م ، وكذا على نقش (لذى نواس الحميرى) الذى اضطهد النصرانية فى اليمن سنة ٥١٧ م (٤٦) •

ومن الرحالة الذين كتبوا عن خطوط اليمن وكتاباتها الرحالة الألمانى راتجنز (Rathgeuz) وذلك (سنة ١٩٢٨ م – ١٣٤٧ هـ) الذى وصف وناقش المجموعات الأثرية التى عثر عليها فى مقدمة كتاب (لغة تعرف فى سطور) (٤٧) • كما زار الرحالة برترام توماس (Bretam Thomas) الانجليزى اليمن (سـنة ١٩٣٩ م – ١٣٥٩ هـ) ونشر ما عثر عليه فى كتاب (٤٨) (أسماه العربيـة السـعيدة عبر الربع الخالى) (٤٩) (Arabia Felix Across the Empty Quarter) كما ألف الرحالة الانجليزى هوف سكوت (Hygh Scott) الذى زار اليمن (سنة ١٩٣٧ م – ١٣٥٧ هـ) كتـابه المشهور (فى اليمن العليـا) (٥٠) • (In the High Yemen)

كذلك ارتحـل هارولد انجرامز الانجليزى (Harold Ingrams) الى حضرموت وعـدن وبقيـة المقاطعات الجنوبية الرازحة تحت الاحتـلال البريطانى بصفته موظف سياسى ، حتى وصل الى صنعاء (سنة ١٩٣٦ – ١٣٥٥ هـ) وقـد ضمن معـلوماته التى جمعهـا فى كتـابه : (Arabıa and the Isels)

وقام الأستاذ تشيزرى انسالدى الايطالى (Cesar Anasalde) بزيارة اليمن سـنة ١٩٣٢ وعند عودته الى ايطاليـا كتب كتابا أسماه (El-Yamen) نشرته وزارة المعارف الايطالية • كذلك نشر مركز البحوث الايطالية العربية ومكتبة الأكاديمية (Loncei) للعـلوم أبحاثا عن اليمن للدكتور كيتانى (Caetani) وجابريلى (G. Gabrieli) جزءا مما كتباه تاريخ شبه الجزيرة العربيـة القديم • كما نشرت مجموعة الأستاذ تشيزرى التى يبلغ عددها (٩٤) قطعة من البرونز والرخام والأحجار الجيرية التى أودعها فى المتحف الوطنى بروما (Muse Nationalé Romano)

ولعل من أهم البعثات الأثرية التى وفدت الى اليمن البعثة الأمريكية

---

(٤٦) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٨ •
(٤٧) تأليف الاستاذ أحمد حسين شرف الدين •
(٤٨) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٧ •
(٤٩) Albright : archaoalogical Dıscoveries ın South Arabia, p. 155.
(٥٠) W.B. Harris : A Journey through the Yamen.
(٥١) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٨ •

التي رأسها الأستاذ ويندل فيلبس (Widell Philips) (٥٢) وذلك تحت اشراف (مؤسسة دراسة الانسان) التابعة لجامعة (جون هوبكنز) الأمريكية • وقامت البعثة في رحلتها الأولى سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) • بالتركيز على التنقيب في (بيحان) وغيرها من مدن جنوب اليمن •

وقد ركزت الرحلة الثانية على التنقيب في (مأرب) بالشمال الشرقي من اليمن ، وقد كشفت البعثة عن خرائب ترجع الى القرن (٧) ق•م عن (معبد القمر) أو ما يسمونه (بمحرم بلقيس أو عرش بلقيس) ، كما عثرت على كثير من الآثار البرونزية والرخامية وبعض النقوش السبئية (٥٣) •

الرحالة العرب :

وهناك مجموعة من الرواد العرب قاموا برحلات الى اليمن أدت الى نتائج علمية على جانب كبير من الأهمية • ولعل من أوائل هؤلاء الرواد نزيه مؤيد العظم السوري الذي قام برحلته الى اليمن (سنة ١٩٣٦ م ـ ١٣٥٥ هـ)فزار (مأرب) (وصرواح) وبعض المناطق الشرقية • وقد سجل زيارته هذه في كتابه (رحلة في بلاد العرب السعيدة ، من صنعاء الى مأرب) نشره في القاهرة (سنة ١٩٣٨ م ـ ١٣٥٧ هـ) (٤٥) •

وفي سنة ١٩٣٦ م أوفدت جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) بعثة برئاسة الدكتور سليمان حزين ، وأقامت البعثة في اليمن قرابة ستة أشهر قضت معظمها في (ناعط حاشد) وهي منطقة غنية بالآثار • ثم زارت حضرموت زيارة عابرة . وكان بين أعضاء البعثة الدكتور خليل نامي ، الذي قام بنشر رسالة عن النقوش اليمنية التي عثرت عليها البعثة أسماها (نقوش سامية قديمة من جنوب اليمن) وذلك) ١٩٤٢ م (٥٥) •

وزار اليمن من أساتذة مصر الأستاذ محمد توفيق وذلك من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٤٩ جمع في أثنائها كثيرا من الآثار نشرها في كتابه (آثار مأرب في جوف اليمن) •

وقام الدكتور أحمد فخري (٥٦) ، أستاذ الآثار المصرية القديمة

---

(٥٢) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٩ •
(٥٣) تاريخ اليمن السياسي ص ٢٠ •
(٥٤) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٩ ، تاريخ اليمن السياسي ص ٢١ •
(٥٥) تاريخ اليمن السياسي ص ٢١ ، اليمن عبر التاريخ ص ١٦٩ •
(٥٦) تاريخ اليمن السياسي ص ٢٢ •

بجامعة القاهرة بزيارة مدينة مأرب وصرواح والجوف (سـنة ١٩٤٧ ـ ١٣٦٦ هـ) وتمكن من الحصول على عدة نقوش بلغ عددها (١٣٠) قطعة نشرها فى كتاب سماه (اليمن ماضيها وحاضرها) باللغة العربية • وكتاب آخر باللغة الانجليزية نشرته الحكومة المصرية باسم (٥٧)
(Archoeologic Journey at Yamen).

ثانيا : البتراء مملكة النبط

ونزل الأنباط ـ من شمالى شبه الجزيرة العربية بأرض الأدوميين المعروفة اليوم بادى موسى فى شرقى الأردن كقبـائل رحـل (حـوالى ٦٠٠ ق·م) ، ثـم تحـولوا الى مجتمع متحضر ، وجعـلوا عاصمتهم البتراء (٥٩) ، ومعناها باليونانية الصخرة ، وكانت المدينة (الوحيدة) ذات المياه العذبة الغزيرة بين الأردن وبين الحجاز (٦٠) وكانت سوق تجارة رائجـة ، تلتقى عندها قوافل الشرق ، وتنطلق سلعهـا منهـا الى ثغور البحر المتوسط طوال أربعمائة سنة •

وقد تمكن النبط من استغلال موقع بلادهم لمرور التجارة بين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام ، ففرضوا الضرائب على التجار وعلى التجارة التى عادت عليهم بفوائد كبيرة ، كما قاموا بالوسـاطة فى نقل التجارة بين بلاد الشام ومصر ومواضع كثيرة من شبه الجزيرة العربية • وقد كان لهذه الوساطة أكبر الأثر فيما وضلوا اليه من الثراء فاقوا فيه كل من جاورهم ممن يسكنون البوادى والمناطق المنعزلة (٦١) •

وكانت ميناء غزة (٦٢) ، ميناء النبط المفضل على البحر المتوسط وذلك لقربه منهم ، فصاروا يشترون منه ما يرد عليه من تجارات البحر المتوسط ثم يحملونها الى بلادهم فيبيعونها للتجار العرب الوافدين اليها من الحجاز ومن العربية الجنوبية (اليمن) وغيرها من البلاد العربية • وفى نفس الوقت كانوا يشترون تجارة العرب الوافدين عليها ثم يحملونها

---

(٥٧) اليمن عبر التاريخ ص ١٦٩ •

(٥٨) وهى التى أطلق عليها اليونان والرومان (Arabia Petraea) أى (العربيـة الحجرية) •

(٥٩) Forster : Historical Geography of Arabia, p. 195.

(٦٠) Cantineau : Le Nabatéen I, p. 19.

(٦١) Sir Alexander B.W. Kenery, Petra, its history and Mounments, p. 33 (London 1925).

(٦٢) Balgrave : Notes on a Journey from Gaza through the interior Arabia to Katifon the Persian Gulf and thence to Oman (1862) (Royol Geo. Society).

الى ميناء غزة ويبيعونها فى أسواقها ، ومن ثم فانهم كانوا يحصلون على كثير من الأرباح من هذه الوساطة (٦٣) ٠

أما عن تاريخها السياسى ، فقد ورد فى كثير من المصادر اليونانية والرومانية التى جاء فيها ٠

ان الحارث الأول (١٦٩ ق٠م) قام على رأس قائمة ملوك الأنباط (٦٤) ، ومكن لهم الحارث الثالث (٨٧ ــ ٦٢ ق٠م) فهزم اسرائيل ، وحاصر أورشليم وفتح دمشق وتوج عليها ملكا (٨٥ ق٠م) ، وسك أول نقد نبطى (٦٥) ، وصد هجوم بومبى ، ثم أصبح هو وخلفاؤه حلفاء رومة ، فاستعانت بهم على اجتياح الاسكندرية ، وأيد عبيدة الثانى (٢٨ ــ ٩ ق٠م) حملتها على اليمن ٠

وبلغت البتراء الذروة فى عهد الحارث الرابع (٩ ق٠م ــ ٤٠ م) ، فزوج ابنته ، الحاكم هيرودس بن هيرودس الكبير وحاربه لما طلقها ، ووسع رابيل الثانى (٧١ ــ ١٠٥) ــ وهو خاتمة ملوك الأنباط ــ رقعة دولته حتى قضى عليها تراجان سنة ١٠٦ م٠، وضمها الى الامبراطورية الرومانية باسم الولاية العربية جاعلا بصرى فى حوران عاصمتها ٠

ونقر الأنباط هياكلهم فى صخور البتراء (٦٦) وشادوا مبانيهم على واديها وشقوا بينها جادات فى رواء شوارع الاسكندرية ، واكتسوا بالخز والديباج ، وأطعموا لذيذ المآكل « لا يحتسى المرء منهم فى مآدبهم أكثر من احدى عشرة كأسا متناولا فى كل مرة كأسا ذهبية مختلفة » (٦٧) ٠

وكانت حضارة الأنباط مزيجا من العربية واليونانية والرومانية تأثرت بمذهب منيبوس الفيلسوف الكلبى (٦٨) الذى أقام فى قطره (القرن الثالث قبل الميلاد) واحتذاه : لوسليوس ، وفارو ، وهوراس ٠ ثم أنطيوخوس العسقلانى (٦٩) (المتوفى عام ٧٩ ق٠م) وقد حاول التوفيق

---

(٦٣) Sir Alexander, B.W. Kennedy Petra its history and Monu-Monuments : p. 33 (Lond. 1925).

(٦٤) Clermont Ganneau : Les Nabaieus en Egypte. (in Recueil d'Arch. Oriente, 1924), p. 229.

(٦٥) J. Cantineau : Le Nabatéen I, p. 127.

(٦٦) وقد جاء ذكر ذلك فى سورة الأعراف آية (٧٤) : وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا) ٠

(٦٧) Murry : The Rock City Petra, p. 80.

(٦٨) The Cambridge Ancient History, vol. 9, p. 400.

(٦٩) A. Krammer : Petra et la Nabtene, vol. I, 515.

بين الأفلاطونية والرواقية ، وأسس مجمعا فى فلسطين ، وعلم فى مجمع رومة ، ومن تلاميذه شيشرون (٧٠) .

كما كانت البتراء عربية اللغة ، آرامية الكتابة ، سامية الديانة . فلما قضى تراجان على الأنبـــاط ، وتحولت القوافل عن عاصمتهم الى تدمر ، اضمحلت البتراء ، وأمست مقابرها العظيمة مذاود تأوى اليها قطعان البدو حتى كشف عنها بوكهات (٧١) ســنة ١٨١٢ م . فأمها الأثريون ، ووصفوا أطلالها كالدير وخزنة فرعون ، وصنف ديسو كتابا فى نقود ملوكها (١٩٠٤ م) (٧٢) .

ثالثا : بصرى

وكانت بصرى التى تعرف باسم (٧٣) (Bostra) ، قصـــبة حوران ومن أشهر مدنها ، وكانت تعرف فى العصر الرومانى باسم (٧٤) (Nova Tragana Bostra) وقد ألحقت بالمقاطعة العربية فى بداية تأسيس هذه المقاطعة أى أيام تراجان (٧٥) . وصـــارت عاصـــمتها وقصبتها العظمى فى عهد ديوقليتان (Diocletian) (٢٨٦ ــ ٣٣٧)م، ومركزا من مراكز النصرانية الهامة (٧٦) .

وكانت حوران وهى على مشـــارف ســوريا خاضــعة للأنباط ، فوضعها أغسطس تحت حكم هيرودس ، وجعل تراجان (٨٧) مدينتهـــا بصرى ، ومعناها الوعر أو البطم (٧٨) ، عاصمة الولاية العربيـــة بعد قضائه على البتراء (١٠٦) ، وفى بصرى تلك ولد فيليب العربى من أم

(٧٠) Cooke : North Semitic Inscriptions, p. 244.

(٧١) Littlemann : In Princeton University (1924), Expedition Archaelogical to Syria in (1905).

(٧٢) J. De Morgan : Manuel de Numisme Orient, p. II, p. 237.

(٧٣) البلدان جـ ٢ ص ٢٠٨ ، ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ٢٣١ ؛ جرجى الدومنكى : بلدانية فلسطين العربية ص ٤٢ (بيروت ١٩٤٨) .

(٧٤) Hill Jpournal of Roman Studies vol. VI, 1961.

(٧٥) History of the World, vol. VI, p. I0.

(٧٦) Alosi Musil : Hegaz, p. 60.

(٧٧) أنشأ أسطولا فى البحر الأحمر للسيطرة على تجارة الهند ، حتى إذا دخلت سفن الرومان المحيط الهندى فيما بعد ــ طفقت دول التجارة . اليمن ، وتدمر ، وبصرى ، والحيرة ــ تسقط الواحدة تلو الأخرى ، ثم تلاها تدهور سياسى .

(٧٨) Dussaud : Note de Mythologie Syrienne, p. 1676.
De Saulley : Terre Sainte, p. 373.

نصرانية ، وكان ثريا مثقفا مخلصا لروما ،فقتل الامبراطور دسيوس الذى ضعف أمام هجمات الفرس ، ثم أبرم معهم عهدا ، وعاد الى روما ، فأقره مجلس الشيوخ امبراطورا (٢٤٩) م فوضع منهجا يعيد الى الامبراطورية دينها وأخلاقها وعاداتها ، وأمر بالقضاء على المسيحية ، ولما قتل القوط ابنه الى جانبه عند نهر الدانوب صاح في جيشه الهياب : لا قيمة لخسارة فرد ، وكبر على العدو وقتل فى أقسى هزيمة أصابت الرومان (٢٥١) م (٧٩) ٠

وفى ذلك القرن شق الغساسنة طريقهم من اليمن ، بعد خراب سد مأرب وتفرق أهله الى حوران ، وقد سبقهم اليها ولحق بهم بطون من العرب ، فاستوطنوها وتنقلوا بينها ، واستقروا فى جلق مدة ، وجعلوا تبوك مقرا لحمايتهم ، واتصلوا ببيزنطية ، وأسس جفنه بن عمرو مزيقيا دولتهم ، ثم تنصروا على مذهب الطبيعة الواحدة الغالب على سوريا ٠ وكان أعظم ملوكهم شأنا الحارث بن جبلة (٥٢٩ ــ ٥٦٩) م الذى انتصر على اللخميين ملوك الحيرة وحلفاء الروم ، فكافأه جوستنيان بلقبى بطريق ورئيس قبيلة (٨٠) ، وهما أعلى المراتب بعد الامبراطور ، وأطلق يده ، فى شمالى سوريا (٥٢٩) م ٠

ثم عاون بيزنطية على قمع الثورة السامرية وفى حرب الفرس (٥٤١) م الا أن أحد أبنائه وقع فى أسر المنذر الثالث اللخمى (٥٤٤) م فقدمه ضحية للعزى ، فلما فاز الحارث بخصمه انتقم لابنه منه بقتله فى وقعة قرب قنسرين (٥٥٤) م وزار بلاط جوستنيان (٥٦٣) م وخلف فيه أثرا طيبا ورجع منه بأمر تعيين يعقوب البرادعى مطران الرها أسقفا على الكنيسة السورية ، فعرف أتباعه من بعد باليعاقبة (٨١) ، ومد الحارث رقعة مملكته من قرب البتراء الى الرصافة شمالى تدمر ، وجعل بصرى التى بنيت كاتدرائيتها (عام ٥١٢) م عاصمتها الدينية ووريثة تدمر السوق التجارية ، وخلفه ابنه المنذر (٥٦٩ ــ ٥٨١) م فسار على خطاه ، ولكن غيرته على مذهب الطبيعة الواحدة غير المتفق مع دين الامبراطورية الرسمى أغضبت منه بيزنطية ، فشق الغساسنة عليها عصا الطاعة طيلة ثلاث سنوات ، ثم عقد الصلح بينهما عند قبر القديس سرجيوس بالرصافة (٥٧٥) م وقصد المنذر بولديه القسطنطينية

---

(٧٩) بلدانية فلسطين ص ٢٣ ٠

(٨٠) Schumacher : Across the Jordan, p. 92.

(٨١) The Quarterly of the Department of Antiquities in Palastine, vol. 3, p. 135.

(٥٨٠) م فاحتفى بهم امبراطورها الجديد طيباريوس الثانى ، وأنعم عليه بالتاج ، فلما رجع أغار على الحيرة ، وأحرقها ما خلا كنائسها ، ولأمر ما قبض عليه عامل بيزنطية فى سوريا ، وساقه مع زوجه وثلاثة من أبنائه الى القسطنطينية فنفته الى صقلية (٨٢) .

وأقسم ابنه الأكبر وخليفته النعمان ألا يرى وجه بيزنطى بعد ذلك ، وطفق يشن الغارات على حدود الامبراطورية ، ويعيث فسادا فيها حتى قبضت عليه (٥٨٤) م وسيرته أسيرا الى القسطنطينية ثم ألحقته بذوى قرابته فى صقلية . عندئذ عمت الفوضى الغساسنة فأمرت كل قبيلة شيخا منها عليها ، والحرب بين بيزنطية والفرس سجال حولها حتى اذا فتح كسرى أبرويز دمشق ، وأخذ عود الصليب من القدس (٦١٣ - ٦١٤) م واسترجعهما هرقل (٦٢٩) م كانت دولة الغساسنة قد دالت ، الا من جبلة بن الأيهم ، ويعتبر آخر ملوكهم ، وقد انضم الى البيزنطيين فى قتال العرب عند وقعة اليرموك (٦٣٦) م ثم انفض بجماعته من حولهم (٨٣) .

لقد غلب على حضارة الغساسنة الطابع العربى ، فكانت دون تدمر ، وفوق الحيرة لصلتها بالبيزنطيين . وانتفعت بالمدنيات اليمنية والسورية واليونانية لابداع حضارتها ، واتخذت الآرامية لغة لها دون أن تهجر لسانها العربى الذى جاءت به من اليمن ، وقد فصل ذلك ديسو فى كتابه « العرب فى بلاد الشام قبل الاسلام » ١٩٥٥ . ومازالت آثارها تدل عليها فى الدور المشيدة من الرخام الأسود ، وقصور بصرى ، واقواس النصر والمسارح ، والأسواق ، والقنوات ، والحمامات العامة (٨٤) .

أما بلاطها فقد غنت فيه القيان من مكة والحيرة والقسطنطينية ، ووفد عليه شعراء العرب من أمثال : لبيد ، وحسان بن ثابت ، والنابغة الذبيانى القائل فى ملوكه :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (٨٥)

وقد عثر على نقود ضربت فى مدينة بصرى ، يعود بعضها الى عهد

---

(٨٢) البلدان جـ ٢ ص ٢٠٨ .
(٨٣) اللسان جـ ٤ ص ٦٨ .
(٨٤) Hsitory of the World, vol. VI. p. 10.
(٨٥) Musil : H:gaz, p. 61.

(أنطونيونس بيوس (Antonius Pius) والبعض الآخر الى الامبراطور هدريان (Hadrianus) . وقد ضرب على أحد وجهيها النصف العلوي من انسان يبدو أنه يرمز الى العربية (٨٦) (Arabia) حاملا جسمين يشيران الى كورة (Auranitis) أي حوران (٨٧) .

كما دعيت (بصرى) في النقود التي ضربت باسم (سوبروس اسكندروس) (Severus Alexanderus) باسم مستعمرة بصرى (Colonia Bostra) (٨٨) .

رابعا : تدمر

لقد رأى بعض علماء اللغات القديمة ان تدمر المعروفة في اللغات الأوروبية باسم (Palmyra) مأخوذ من لفظ (Palma) اللاتينية ومعناه نخل ، وان الاسكندر المقدوني لما تغلب عليها أطلق عليها (٨٩) (Palmyra) أي مدينة النخل ، وذلك لما تكتنفها من غابات النخل العظيمة (٩٠) .

أما من الناحية السياسية والناحية الاقتصادية كذلك فانه ما آذنت شمس البتراء بالأفول حتى سطعت شمس تدمر ، وهي مدينة قديمة ورد ذكرها (١١٠٠ ق٠م) في النصوص الآشورية (٩١) ، تبعد ٢٣٠ كيلو متر من دمشق و ١٦٥ من حمص ، على القوافل بين العراق وبين بادية سوريا ، احتفظت باستقلالها برغم تبعيتها للسلوقيين والرومان (٩٢) .

وقد ازدهرت فيها التجارة ازدهارا بلغ رومة ، فأمر مارك أنطونيو الفرسان بغزوها (٤١ ق٠م) ، ففر أهلها بمتاعهم منها ، وألحقها طبريوس بروما (١٧ ـ ١٩ م) ، وضمها تراجان الى الولاية العربية

(٨٦) The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, vol. III, p. 135.

(٨٧) Alois Musil : Petraea, p. 45-62.

(٨٨) بلدانية فلسطين ص ٢٣ .

(٨٩) Dhorme : Palmyra dans les Textes Assyriens in (Revue Biblique (1924), p. 105.

(٩٠) لقد تكلم الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٣ ص ٧٨) عن أصل تسمية مدينة (تدمر) وناقش الآراء المتعددة بما ليس بعده زيادة لمستزيد .

(٩١) Cooke : Textbook of North Semitic Inscriptions p., 213.

(٩٢) contineau : Inscriptions Palmyrennes (Damas 1930), p. 115.

(١٠٦) م ، وخلع عليها هدريان اسمه عندما زارها (١٣٠) م ، ومنحها سبتيموس سفيروس لقب مستعمرة رومانية ، وجعلهـا حاضرة الاقليم (٢٠٠) م ، وأنعـم فالريان على أذينـة بن السميدع زعيمها رتبـة القنصلية (٢٥٨) م ، ولما أحرق الفرس أنطاكية وأسروا فالريان عند الرها (٢٦٠) م الذى توفى فى الأسر وحشى جلده وعلق على أبواب أحد المعابد ، عهد خليفته جاليانوس الى أذينة بقيادة الجيوش الرومانية فى سوريا (٩٣) .

فحارب بها الفرس وغلبهم فى طشقونة ، واسـتعاد بـلاد ما بين النهرين وتعقبهم حتى أسـوار المدائن (٢٦١ م) ، فكافأته روما بلقب المشيخة الرومانية (٢٦٢) م (٩٤) ثم بلقب امبراطور فخرى ، فحكم مع اعترافه بسلطة الامبراطور ـ الشرق الرومانى ما خـلا مصر وآسـيا الصغرى ، ولأمر ما سم هو وابنه فى حمص (٢٦٦ م) فارتقت أرملته زنوبيا ـ وهى الزباء فى المصادر العربيـة ، وأمها يونانيـة من ذرية كليوبطرة ـ العرش وصية على ابنها وهب اللات (٩٥) .

وعندما رفض جاليانوس الاعتراف لابنها بألقاب أبيه سيرت قواتها ففتح قائدها زبدة مصر (٢٧٠ م) واستولى على الاسكندرية وضرب نقودا عليها رأس وهب اللات بجانب رأس (٩٦) أورليـان ، وأرجع قوادها الآخرون الرومان الى أنقرة فاستولت على آسـيا الصغرى مما اضطر أورليان الى الاقرار لابنها بألقاب أبيه ، فطمعت ولقبت ابنها باغسطس ونفسها باغسطسة ، وضربت نقودا باسمها واسمه وقد حذفت رأس أورليان (٢١٧ م) فغضب أورليان واستعاد منها مصر ، وغلبها على أمرها فى أنطاكية وحمص ، وحاصر عاصمتها فاستسلمت له واسـتولى على كنوزها ، وساق ملكتها مكبلة بسلاسل من الذهب فزينت موكبه فى دخوله روما (٢٧٤) م (٩٧) حتى اذا ثارت تدمر بالحاميـة الرومانية كر الامبراطور عليهـا وأسلمهـا للنهب والخراب ، فقضى على عروس الصحراء ، ولم تقم لها من بعد قائمة الا فى بعض النشاط التجارى ،

---

(٩٣) Cocke : No-thsemtic Inscription, p. 141.

(٩٤) Noldéke : Uber Orthographie und Sprade des Palmyrener p. 8Ɛ.

(٩٥) Fr. Rosenthal : Das Sprache der Palmyren Inschritten

(٩٦) Littmann : Semtiic Inscriptions Part V.

(٩٧) Willi̇am Right : an Account of Palmyra and Zenibia with travels and adventures in Bashan and the Desert, p. 110.

والسور الذى بناه حولها ديوكليسيان وبضعة أبنية شيدها يوستنيان ، وجر المياه الى الحامية الرومانية فيها (٩٨) ، ثم فتحها خالد بن الوليد (٦٣٣) م وبنى فيها الأمويون ثلاثة قصور ، حتى اذا ثارت على مروان (٧٤٥) م دمرها تدميرا ، وما فتىء الأثريون يكشفون عن روائعها ، وآخرها البعثة البولونية التى تنقب اليوم بين أطلالها (٩٩) .

لقد التقت في تدمر متاجر العجم والصين والهند وشبه الجزيرة العربية ومتاجر رومة وآسيا وغاليا واسبانيا ، فأنشأت لها الرحاب وبنت على جوانبها الفنادق (١٠٠) ، وشيدت بفضلها مدارس للطب والبلاغة والفلسفة ، ورفعت دار الندوة والهياكل ومن أفخمها هيكل الشمس (٣٠ م) الذى حملت اليه حجارة الجرانيت من شلال النيل (١٠١) ، وجعل طول بهوه أربعة آلاف قدم ، فكان أكبر الأبهاء فى الامبراطورية الرومانية ـ والأبراج ، وزينت شوارعها المرصوفة المسقوفة المضاءة فى الليل بالعمد المزخرفة فبلغ طول شارعها الرئيسى أربعة أميال ونصف الميل ، وعدد عمده ٣٧٥ عمودا ارتفاع كل منها ٥٥ قدما مما يدل على علم وفن وبذخ أدهش بعض المؤرخين المسلمين ، فنسبوا بناء تدمر الى الجن بأمر سليمان (١٠٢) .

وكانت زنوبيا المتضلعة من الثقافة الهليستينية والمتكلمة باليونانية والآرامية والعربية وبعض اللاتينية ، تعيش فى بلاط أشبه بايوان كسرى ، وتحيط نفسها بالفلاسفة والعلماء والشعراء وأصحاب الفنون (١٠٣) .

فاشتهر منهم : لونجينوس أستاذها فى الأدب ثم مستشارها ، وقد لقب بالمكتبة الحية لغزارة علمه ، وأميليوس الفيلسوف الذى أنشأ برعايتها فى أفاميا مركزا للافلاطونية الحديثة ، ونيقولاس الدمشقى مؤلف التاريخ العام ، فمزجت تدمر بين الحضارات السورية والفارسية وبين الهليستينية التى انعكست عليها من مدارس رودس وأثينة

---

(٩٨) History of the Hellentic World Ch. VI, p. 842-852.

(٩٩) Cantineau : Syria vol. XIV, p. 82.

(١٠٠) Musil : Palmyrena, p. 234.

(١٠١) Chapot. J.B. : Notes d'Epigraphie d'Archéologie Oriental, p. 191.

(١٠٢) Fr. Rosenthal : Das Sprache der Palmyren Inschriffen, p. 80.

(١٠٣) Vogue : Syrie Centrale, p. 30.

والاسكندرية وبيروت وأنطاكية (١٠٤) ، وأضافت اليها ما عاد به أبناؤها الذين كان الرومان يصطنعونهم منذ القرن الأول للميلاد رماة فى شمالى أفريقيا وبريطانيا حضارة فريدة ظلت حتى القرن الثالث للميلاد تسجلها بالآرامية الى جانب اليونانية (١٠٥) ٠

خامسا : الصفويون

يقال ان الصفويين قبائل عربية هاجرت من جزيرة العرب وسكنوا منطقة (الصفاة) (١٠٦) فى الشمال ، مثلهم فى ذلك مثل معظم القبائل العربية الشمالية (١٠٧) ٠ غير أن الصفويين لم يندمجوا خلال تدوينهم كتاباتهم ، وأخبارهم باللغة السامية الشمالية ، ومن ثم فقد كانوا محافظين على صلاتهم بالجزيرة ولا سيما بجنوب شبه الجزيرة موطنهم القديم (١٠٨) ٠

وقد ظهر أثر موطنهم الجديد فى شمال شبه الجزيرة واختلاطهم بالساميين الشماليين (١٠٩) أو العرب الشماليين فى كثير من الألفاظ والأسماء والتعابير التى وجدت فى كثير من النصوص (١١٠) ٠

ويقول جواد على (١١١) عن تاريخ الصفويين ، ما يلى : ـ

ان كلمة (الصفويون) لا تعنى شعبا معينا أو قبيلة معينة ، انما

---

(١٠٤) Cooke : Northsemitic Inscriptions, p. 141.

(١٠٥) Noldeke : Uber Orthographie und Sprache des Palmyrener, p. 85

(١٠٦) الصفاة جمع الصفا بالفتح والقصر ، والصفا والصفوان والصفواء ، كله العريض من الحجارة الملس ٠ والجمع صفاة ٠ وقيل الصفا حصن بالبحرين وهجر ، وقال ابن الفقيه ، الصفا قصبة الهجر ، ويوم الصفا من أيامهم قال جرير :

تركتم بوادى رحرحان نساءكم ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا

وصفا بكد : هضبة ململمة فى بلاد تميم ، قال الشاعر :

خليلى للتسليم بين عنيزة وبين صفا بلد الأتقفان

ياقوت الحموى جـ ٣ ص ٤١٢ ٠

وبناء على ما تقدم نستطيع القول بان الصفويين سكنوا شمال شرق الجزيرة العربية ٠

(١٠٧) Ryekmans : Inscriptiosn Safâitique au Brittish Museum et Musée de Damas, Littmann : Safa, 53-55.

(١٠٨) Littmann : Safa. 53-55.

(١٠٩) Revé Dussaud : Les Arab en Syrie Avant L'Islam, p. 144.

(١١٠) Altheim : Aus Spaetantike und Christentum, p. 28 and Die Araber, vol. I, p. 382.

(١١١) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٣ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ٠

هى اصطلاح أوجده عالم الآثار والاستشراق (هاليفى) (١١٢) ليطلق على الكتابات التى عثروا عليها فى مواضع (١١٣) متعددة من (اللجاة) (١١٤) و (حوران) (١١٥) ومواضع أخرى (١١٦) .

ويعقب على ذلك (Kiernan, Reginald) (١١٧) على ما تقدم ، قد يكون لهؤلاء الأقوام الذين عرفوا بالصفويين لهم تجارات مع عرب الشمال ، ويقول جواد على قد يكونون قبيلة واحدة وقد يكون جملة قبائل .

على أن القريب من المنطق ، كما يقول (Palgrave) (١١٨) أن يكون لهم امارة ، وان كنا لا نعرف من أمرها شيئا أو ربما كانوا أتباعا للسلطة القائمة فى بلاد الشام تتحكم فيهم بنفسها أو بواسطة أمراء . وقد يكونون أسلاف غساسنة الشام .

سادسا : الحيرة

اتفق معظم (١١٩) المستشرقين على ان الحيرة لفظ من ألفاظ بنى (ارم) وانها مأخوذة من (حرتا أو حيرتا أو حيرتو) (Hatra, Hitra, Hetra) وأنها سريانية الأصل ، وان معناها المخيم والمعسكر وانها تقابل كلمة (حاصيرا) Haser فى اللغة العربية .

وجاء فى المصادر العربية (١٢٠) ان اللخميين نزحوا عن اليمن مثل

---

(١١٢) Joseph Ha v g : Rapport sur une Mission Archeologique dans le Yemen (Journal Asia VI, 1879), p. 190.

(١١٣) R.H. Sa ger : The Arabian Peninsula, p. 213.

(١١٤) Foster : Historical Geography of Arabai, p. 117.

(١١٥) Dough y : Travels in Arabia deserta, vol. 3 p .29.

(١١٦) Palgrave : Notes on a journey frcm Gaza throught the interior A ab'a to Katif on the Persian Gulf and thence to Oman (1862), p. 116.

(١١٧) Kierna , R gionald : The Unveiling of Arabia, p. 231

(١١٨) William Gifford Palgrave : A Narrative of Years Journey through Central and Eastern Arabia, vol. 2,, p. 324.

(١١٩) Rothstein : Die Dynastie der Lakmiden, p. 12.
Fraenkel : Aram Sremdwortez in Arabish XV. p. 25.
Musil : Palmyrene, p. 289 The Cambridge Ancient History
Vogu Syrie Central and Cook : Northsemtic Inscriptions, p. 141
Musil : Euphrates, p. 102.

(١٢٠) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٨٢ ، الطبرى جـ ١ ص ٨٥٠ ، اليعقوبى : البلدان ص ٣٠٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٧٥ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٩٩ .

الغساسنة فى القرن الثالث الميلادى وذهبوا الى تخوم العراق ، وقضوا أيامهم الأولى فى المضارب ، ثم نزلوا بالحيرة (سنة ٤٣١ م) بالقرب من بابل القديمة • وكان سكانها نصارى على مذهب الطبيعتين (١٢١) وعرفوا فيما بعد بالنساطرة • ومنها انتقلت الى البحرين (١٢٢) ، حيث أسس دولتهم عمرو بن عدى بن لخم (١٢٣)• ، واستتب لهم الملك على يدى أمرىء القيس الأولى (المتوفى عام ٣٢٨ م) (١٢٤) ، ثم ابتنى ابنه النعمان الأول (سنة ٤٠٠ ـ ٤١٨ م قصر الخورنق (١٢٥) ، وحمل على النصارى ، وخلفه ابنه المنذر الأول (سنة ٤١٨ م ـ ٦٤٢ م) فازدهرت الحيرة فى عهده (١٢٦) ، وبلغ من السلطان مبلغا حمل الفرس على تتويج بهرام ، وكان النعمان الأول قد رباه ، ملكا عليهم (١٢٧) .

وأيدهم فى قتال البيزنطيين (سنة ٤٢١ م) ، وزادت الحيرة تألقا أيام المنذر الثالث بن ماء السماء (٥٠٥ ـ ٥٥٤ م) (١٢٨) ، فأصلح بين قبليتى بكر وتغلب (سنة ٥٢٥ م) ، وقاتل البيزنطيين فى سوريا ، وبلغ بغاراته أنطاكية ، فنشط الغساسنة لملاقاته ، فأسر أحد أبناء ملكهم الحارث الثانى ، وقدمه ضحية للعزى (٥٥٤ م) تقديمه أربعمائة راهبة (١٢٩) •

ثم ظفر به الحارث وقتله فى وقعة قرب قنسرين (سنة ٥٥٤ م) . وخلفه ابنه عمرو ابن هند (سنة ٥٥٤ ـ ٥٦٩ م) ، وقد نسب الى أمه ، وكانت أميرة غسانية بنت فى الحيرة ديرا ظل معروفا بدير هند حتى القرن الثانى للهجرة ، وسقطت الأسرة اللخمية بنهاية النعمان الثالث (سنة ٥٨٠ ـ ٦٠٢ م) وهو ابن المنذر الرابع ، وقد تنصر فى قصة مشهورة على المذهب النسطورى ، وهو أقل المذاهب كراهية عند الفرس (١٣٠) ، الا أن كسرى استدرجه لخلاف عائلى بين العرب الى عاصمته ، وألقاه تحت

---

(١٢١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٨ •

(١٢٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٦ •

(١٢٣) الكلبى : الأنساب ص ١٧٨ •

(١٢٤) يوسف رزق الله غنيمة : الحيرة المدينة والمملكة العربية ص ١١ (بغداد سنة ١٩٣٦م) •

(١٢٥) D. Talbot Rice : The Oxford Excavation at Hira (Ars Islamica), p. 51

(١٢٦) الأصفهانى : الأغانى ج ١ ص ١٢٥ •

(١٢٧) الانبارى : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٢٤ •

(١٢٨) ابن حبيب : أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والاسلام (نوادر المخطوطات) ص ٢١٣ •

(١٢٩) الشريف الرضى : ديوانه ج ٢ ص ٨٨٥ •

(١٣٠) ابن القفطى : الحكماء ص ١٩٩ •

اقدام الفيلة ، وولى الملك بعده اياسا بن قبيعة من بنى طيىء (سنة ٦٠٢ — ٦١١ م) وجعل الى جانبه مقيما فارسيا ، فثار لمقتل مليكهم ، وطفقوا يغيرون على حدود فارس حتى ثلموها ، وهزموا فيالقها هزيمة ساحقة فى ذى قار (سنة ٦١٠ م) ، واستمروا فى الحيرة قوة قبلية ضاربة حتى الفتح الاسلامى ، فيسروه للفاتحين ، ومشوا فى ركابهم (١٣١) ·

لئن كانت حضارة الحيرة ، وقد كشف عنها رايس سنة (١٩٣٤)(١٣٢) دون حضارات العرب التى مرت بنا ، لقد تكلمت العربية مثل بعضها وكتبت بالآرامية الى جانب العربية مثلها · وأنشأ اللخميون فى الحيرة بلاطا شبه فارسى وعنوا كالفرس بالموسيقى والشعر ، فتمثلت حضارتهم فيما روى الشعراء عن قصورهم وبطولتهم وثرائهم ، ومن فحول الشعراء الذين أموا بلاطهم : طرفة بن العبد ، والحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم (١٣٣) ·

سابعا : الغساسنة

لقد ظهرت مملكة الغساسنة فى العصر البيزنطى (١٣٤) ، وهم عرب حكموا بلاد الشام وعرفوا بعدة أسماء منها (آل غسان) (١٣٥) و (آل جفنة) (١٣٦) و (الغساسنة) ، وقد استمر حكمهم حتى ظهور الاسلام (١٣٧) ·

وقد قال بعض المؤرخين القدامى ان كلمة (غسان) انما جاءت من اسم ماء يقال له (غسان) ببلاد (عك) بزبيد وربيع ، فلما نزل عليه آل غسان عرف باسمهم ، وان أصلهم من الأزد (١٣٨) · وفى ذلك يقول الشاعر (١٣٩) ·

أما سألت فأنا معشر نجب بن الأزد نسبتنا والماء غسان

ويكمل المسعودى (١٤٠) الحديث عن أهل الغساسنة فيقول : أن

---

(١٣١) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٤٩ ·

(١٣٢) Musil : Euphrates, p. 325.

(١٣٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٠ ·

(١٣٤) حمزة : كتاب تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٧٦ ·

(١٣٥) المسعودى مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠ ·

(١٣٦) جمهرة انساب العرب ص ٣٩٩ ·

(١٣٧) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٨٧ (تحقيق ثروت عكاشة) ·

(١٣٨) جمهرة انساب العرب ص ٣٩٩ ·

(١٣٩) القاموس ج ٤ ص ٢٥٣ ، أبو سعيد البكرى ص ٣٢ ، البرقوقى ص ٤١٣ ·

(١٤٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠ ·

خروجهم هذا من اليمن كان قبيل حادث (سيل العرم) أو بعده ، وأنهم لما أقاموا على (ماء غســان) وشربوا منــه وأخذوا اسمهم منه ، فسموا (غسان) (١٤١) ٠

كما أنهم سموا (آل جفنة) والسبب في هذه التسمية انما يرجع الى انتسابهم الى جد أعلى يدعونه (جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر) (١٤٢) ٠

ويقول المؤرخ حمزة (١٤٣) ، ان أول من ملك تولى ملك الغساسنة هو جفنه بن عمرو مزيقيــاء بن عامر ماء الســماء بن حارثة العطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث ٠ ويضيف حمزة فيقول ، انه تولى ملك الغساسنة في عهد نسطورس ، الذى ملكه حكم عرب الشام (١٤٤) ٠

ويناقض المسعودى (١٤٥) حمزة ، اذ يقول ان أول من ملك من بنى غسان بالشام هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن غسان بن الأزد بن الغوث ، وجاء بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنه ابن عمرو بن عامر بن حارثة ٠

وبرغم اتفاق مؤرخى (١٤٦) المسلمين وكذا المستشرقين (١٤٧) على أن الغساسنة ٠ تولوا الملك على عرب الشام الا أنهم اختلفوا فى تعيين اسم أول من ملك عليهم ٠ ومن ثم فقد اكتفينا بالرأيين السابقين ، ذلك أن ما يعنينا ، هو موقع امارة الغساسنة ، الذين تولوا ملك عرب شمال غرب شبه الجزيرة العربية ٠

ويحدثنا (١٤٨) نولدكه عن الألقاب التى تلقب بها أمراء الغساسنة ،

---

(١٤١) حمزة ص ٧٦ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠ ٠

(١٤٢) البرقوقى : شرح ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٩ ، شمس العلوم ج ٩ ص ٣٤٢ ، اللسان ج ١٣ ص ٩١ ٠

(١٤٣) حمزة : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٤٨ ــ ٥٢ ٠

(١٤٤) وقد أيد حمزة البطليموسى : شرح ديوان النابغة الذبيانى ص ٦ ٠

(١٤٥) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٨ ٠

(١٤٦) اليعقوبى : تاريخه ج ١ ص ١٦٧ ، ابن خلدون : المقدمة ج ٢ ص ٢٨١ ، ياقوت البلدان ج ٢ ص ٣٢٥ ، الاصــمعى : تاريخ ملوك العرب الأولية ص ١٠٣ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٨٠ ، الهمذانى : ص ١ ص ١٨٢ ، نولدكه : أمراء غســان (المترجم) ص ٩ ، البرقوقى ص ٣٠٩ ٠

(١٤٧) Musil : Kuseyr Amra, p. 130 and Olinder : The kings of kinda (1927), p. 137 and Provincia Arabia, III, p. 286 and Die Araber, p. 330, Hartmann : Die Arabisch Frage, p. 481.

(١٤٨) نولدكه أمراء غسان ص ١٢ (ترجمة قسطنطين زريق وبندلى جوزى) ٠

فيقول ، انه ثبت فى الوثائق الرسمية لقب (بطريق) (١٤٩) وهو لقب من ألقاب الشرف الفخمة عند الروم (١٥٠) ، ولذلك فلم يكن يمنح الا لعدد قليل من الخاصة ، حتى ان بعض الملوك كانوا يفضلون الحصول على هذا اللقب من القيصر (١٥١) • وقد منح القيصر جستنيان (Justiniaus) الحارث هذا اللقب وكذلك لقب (فيلارح Phylarch) (١٥٢) فكان بذلك أول رجل من الغساسنة يمنح هذين اللقبين ، اللذين انتقلا الى أبنـائه من بعده •

وقد تصدع ملك الغساسنة ، عندما انقسم الأمراء على أنفسهم وذلك منذ سنة ٥٨٣ أو سنة ٥٨٤ م (١٥٣) • وقد أعقب هذا التصدع حدوث اضطراب فى الأمن بسبب التنافس على الرئاسة والسيادة (١٥٤) • ومما زاد فى سوء الأوضاع فى امارة الغساسنة غزو الفرس لبلاد الشـام (سنة ٦١٣ – ٦١٤ م) واستيلاؤهم على كل بلاد الشـام ومن ثم فقد أصبحت امارة الغساسنة خاضعة للفرس • الا أن الغساسنة لم يمكثوا طويلا تحت حكم الفرس ، فقد استطاع البيزنطيون أن يطردوا الفرس من بلاد الشام سنة ٦٢٩ واجلائهم نهائيا عنها (١٥٥) • غير أن الأقدار أبت أن تبقى البزنطيين طويلا فى بلاد الشام هذه المرة ، فقد طردهم منها هذه المرة المسلمون ، وصارت دمشق من أهم حواضر الاسلام ، أما ملك الغساسنة فقد ولى ولم يبق للغساسنة حكم فى هذه البلاد (١٥٩) •

وجاء فى كتب السيرة (١٥٧) والأخبار ، أن الرسول صلى الله عليه وسـلم ، كتب لجبلة بن الأيهم ، آخر ملوك بنى غسان ، كتابا دعاه فيه الى الاسلام ، فلما جاءه الخطاب ، كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١٤٩) J.B. Bury.

(١٥٠) Olinder : The kings of Kinda, p. 110.

(١٥١) F.R. Rukert : Aramıkais der Dicher und konig (Hannover 1924).

(١٥٢) Réné Dussaud : Arabes en Syrie avant L'Islam, p. 55 (Paris 1927).

(١٥٣) Rostovtzeff : Social and Economic History of the Hellenistic World, Ch. VI, p. 842.

(١٥٤) H. Gelzer : In Byzantinschez Zeitschrift, I, 245, Musil : Pahnyrena, p. 185.

(١٥٥) حمزة : تاريخ سنى ملوك الأرض

(١٥٦) البطليوسى : شرح ديوان النابغة الذبيانى ص ٨ •

(١٥٧) ابن قتيبة: المعارف ص ٢٨١ •

يعلمه باسلامه (١٥٨) . وذكر ديار بكرى (١٥٩)، أن (شجاع بن وهب) هو الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى جبلة فأسلم ، وان جبله أرسل للرسول صلى الله عليه وسلم هدية ، وكان ينزل بالجولان (١٦٠) .

وتضيف بعض الروايات فتقول ، ان جبله زار المدينة فى عهد عمر ابن الخطاب وقد عدَّ مجيئه اليها من الأيام المشهورة ، اذ جاءها فى موكب حافل كبير فيه خيول كثيرة لم تر المدينة مثلها من قبل ، وفرح عمر بمجيئه (١٦١) ، وبعد مقابلة الخليفة عمر بن الخطاب ، استأذن منه بالذهاب الى الحج ، فوقع أن اعرابيا من فزارة وطأ ازار جبلة وهو يسحبه فى الأرض بمكة ، فلطمه جبلة فنابذه الأعرابى ، فحكم عمر له بالقصاص ، فعد جبلة القصاص اهانة له وهو ملك ، ففر الى بلاد الروم ، وارتد بها ، وبقى بها مرتدا حتى وافته منيته (١٦٢) .

ولكن جماعة أخرى من كتاب السير (١٦٣) ، تقول ، انه لما قدم (عمر) الشام (سنة ١٧ هـ) حدث أن لطم (جبلة) رجلا من مزينة على عينه ، فأمره بالاقتصاص منه ، فقال ، أو عينه مثل عينى ، والله لا أقيم ببلد على به سلطان ، فدخل بلاد الروم مرتدا (١٦٤) . ورواية ثالثة خلاصتها أن جبلة أتى عمر على نصرانية ، فعرض عليه الاسلام ، ولكنه لم يتفق مع عمر (١٦٥) ، فلما قال له عمر ، ما عندى لك الا واحدة من ثلاث ، اما الاسلام ، واما أداء الجزية ، واما الذهاب الى حيث شئت (١٦٦) . فذهب جبلة بن الأيهم الى بلاد الروم ومعه ثلاثون ألفا ، وعاش فى مدينة القسطنطينية حتى مات سنة ٢٠ هـ (١٦٧) .

وينتهى جواد على (١٦٨) ، ونحن معه بعد هذه الروايات الى قوله :

---

(١٥٨) ابن سعد : طبقاته جـ ١ ص ٢٦٥ .
(١٥٩) ديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٦١ .
الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٢١٤ .
(١٦٠) طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٢٦٥ ، ديار بكرى : تاريخ الخميس جـ ٢ ص ٦٥ .
(١٦١) تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٢١٥ ، حمزة : تاريخ سنى ملوك الأرض ص ٨١ .
(١٦٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ١ ص ١٨٧ : البطليموسى ص ٧٠ .
(١٦٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣١ ، ابن خلدون جـ ٢ ص ٥٨٦ .
(١٦٤) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٨١ ، أمراء غسان ص ١٦ .
(١٦٥) الأغانى جـ ١٤ ص ٢٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤١ .
(١٦٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٣ .
(١٦٧) ابن خلدون جـ ٢ ص ٢٨١ .
(١٦٨) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٣ ص ٤٣٠ .

والرأى عندى أن جبلة لم يدخل الاسلام أبدا ، وانما بقى مع الروم ، وغادر بلاد الشام معهم ، وانتقل بأتباعه ممن بقوا على دينهم الى بـلاد الروم فأقاموا بها • وقد مات جبلة ودفن فى بلاد الروم (١٦٩) •

وكما اختلف أهل الأخبار (١٧٠) وأصحاب السير (١٦١) فى اسلام جبلة بن الأيهم ، كذلك اختلفوا فى الأماكن التى سكنها أو استقر بها الغساسنة ، فهى بالاضافة الى الأماكن التى سبق أن أشرنا اليها أضافوا أماكن أخرى ، ومن هذه الأماكن ، مدينة (صفين) فقد زعموا أنها منزل (جبلة بن النعمان) ، وقد كان فى نفس الوقت صاحب عين أباغ •

ومن الأماكن المنسوبة الى الغساسنة موضع (حارب) (١٧٢) وهى مما جاءت فى شعر النابغة بالقرب من (صيداء) (١٧٣) •

كذلك ذكرت مدينة (السويداء) (١٧٤) فى جملة الأماكن التى كانت تابعة للغساسنة والتى تقع فى (حوران) (١٧٥) • ولعل من الأماكن التى كانت مركزا دينيا يذكر عند الغساسنة (الرصافة) (١٧٦) التى قيل انها تحتوى على قبر القديس (سرجيوس) ذى المركز الجليل عند الغساسنة والذى كانوا يتقربون اليه بالنذور والهدايا •

أما عن حدود مملكة الغساسنة ، فلم تكن ثابتة بل كانت دائمة التغيير تبعا لقوة وسلطة ملوكها ، فقد كانت تصل فى بعض الأحيان حدودها الى دمشق وفلسطين وفينيقية (لبنان) (١٧٧) ، وقد تصل الى ولايات

---

(١٦٩) الطبرى ج ٣ ص ٣٧٨ ، الأغانى ج ١٤ ص ١٢ ، ابن قتيبة : شعر الشعراء ص ٢٢٣ ، حمزة ص ٨١ ، المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢ وغيرهم كثير •

(١٧٠) الواقدى : غزوات الرسول ص ٣٠٩ ، نلدكه : أمراء غسان ص ٤٨ ، حمزة ، تاريخ سنى ملوك الأرض ، البرقوقى : ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٥ ، الهمدانى : صفة شبه جزيرة العرب ص ١٧٩ ، وغيرهم كثير •

(١٧١) ابن كثير : الاصابة ج ١ ص ١٠٢ ، البكرى : معجم ج ١ ص ٤١٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ١ ص ٢٧٦ ، القالى : النوادر ص ١٧٩ ، الأغانى ج ٣ ص ١٦ •

(١٧٢) ابن كثير : الاصابة ج ١ ص ١٠٢ •

(١٧٣) معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٣ ، البكرى : المعجم ج ١ ص ٤١٧ •

(١٧٤) حمزة : تاريخ سنى ملوك الأرض ص ٧٩ ، الهمدانى : صفة شبه الجزيرة ص ١٧٩ •

(١٧٥) ياقوت : المشترك ص ٣١١ ، عبد الحى البغدادى : مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٧٠ •

(١٧٦) البكرى : المعجم ، معجم البلدان (مادة الرصافة) •

(١٧٧) نولدكه : أمراء غسان ص ٥١ (ترجمة قسطنطين زريق وبندلى جوزى) •

سوريا الشمالية في بعض الأحيان (١٧٨) · كما كان يمتد الى مساحات شاسعة فى البادية كما جاء فى شعر حسان بن ثابت أن ملك الغساسنة كان يمتد من حوران الى (خليج العقبة) (١٧٩) ·

كذلك اشتهرت (الجابية) على انها كانت مقر ملوك الغساسنة ، ومن ثم فقد عرفت بجابية الملوك ، كما عرفت كذلك بجابية الجولان (١٨٠) ، والتى نسب اليها بعض علماء الآثار (قصر مشتى) الذى يوجد بها ·

على أن بادية (شرق الاردن) تعد متحفا كبيرا يضم كثيرا من العمائر التى ما تزال أطلالها قائمة حتى اليوم ، والتى ترجع الى حضارة الرومان والغساسنة (النبط) والأمويين · وتحتوى هذه الأماكن الأثرية على قلاع وكنائس وقصور وحمامات ومدرجات (أنفب تياترو) ، بل ان بينها مدينة نبطية كاملة هى مدينة بطرا (الرقيم أو سلع) ذات البيوت المنحوتة فى الصخر الوردى اللون (١٨١) ·

وينسب علماء الآثار قصر مشتى الذى يقع الآن على بعد عشرين ميلا جنوبى عمان ، الى الغساسنة ، وقد كشفت أطلال هذا القصر العظيم على يد المستشرق الأثرى ليار Layard سنة ١٨٤٠ م ، ثم جاء المستشرق ترسترام Trstam سنة ١٨٧٢ م · ولقد لفت المستشرق ستريجفسكى (Strzygouski) نظر حكومة القيصر غليوم الى جمال هذا الأثر ، واستطاع ان ينال هذه الواجهة هدية من السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٣ ونقلت الى متحف برلين (١٨٢) ·

ثامنا : مكة

كانت مكة على صلات تجارية قديمة بسوريا والعراق واليمن ومصر وتحولت بعدها الى طريق لقوافل الشرق الأدنى ثم الى سوق رائجة فى القرن السادس للميلاد وحلت محل ما بار من أسواق الدول العربية · وذلك بحكم موقعها فى وسط الطريق التجارى الجديد ، وبفضل سيادة قريش عليها ، وانشاء حلف الفضول فيهــا جعلها شبه جمهورية تجارية رتبت

---

(١٧٨) الاخبار الطوال ص ٦٨ ·

(١٧٩) البلاذرى : فتوح البلدان ·

(١٨٠) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٣ ص ٤٤١ · Ency. I, p. 1029.

(١٨١) زكى محمد حسن : فنون الاسلام ص ٤٨ ·

(١٨٢) Creswell : Early Muslim Architecture, I, p. 115.

دوائرها ، ونظمت تجارتها ، وفرضت ضرائبها ، وأمنت أهلها ، فحفلت سوقهـا بسلع الدول العربية والحبشـة وأفريقيـا وفارس والشرق الأقصى (١٨٣) ٠

وشاعت فيهـا الدنانـير البيزنطيـة والدراهم الفارسـية والعملة الحميرية (١٨٤) ، هذا خلا النوق وكانت الوحدة النقدية بين العرب ، وسيرت القوافل فى رحلتى الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام (١٨٥) ، وقد رجعت احداها من غزة ، ولم تكن بأكبرها ، وفيها ألف بعير ومعها خمسون ألف دينار (١٨٦) ٠

وكانت مكة عاصمة الحجاز مدينة دينية وسوقا تجارية ، غلبت عليها الوثنية على أقلية نصرانية ويهودية ، وكانت قريش تقطن منها شعابها ويجاورها فى أرباضها بعض الأحلاف الملتحقين بالأسر المكية وجماعات ممن يتعاطون التجارة من سوريا ولبنان وبيزنطية ، ويرتزقون بالموسيقى ، ويحترفون الطب ، وأشهرهم الحـارث ابن كلدة خريج جنـد يسـابور ، وثمة جالية حبشية أسلم بعضها كبلال مؤذن الرسول ٠ وعندما اضطهد وأوذى المسلمون نصحهم النبى بالذهاب الى الحبشة : فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق (١٨٧) ، وقد رحب بهم مليكهـا ، وأكرم وفادتهم ٠

وكان اليهود الذين لجأوا الى الحجـاز فى القرن الثامن قبل الميلاد ينزلون أخصـب الواحات حـول مكة فى تيماء وفـدك ووادى القرى ، ويسيطرون على الزراعة والمصارف والتجارة حتى ان قبيلة منهم احتكرت سوق يثرب فاستفزت الأوس والخزرج فيها وقريشا فى مكة ، فلما جاء الاسلام وضع حدا لسيطرتهم ، ثم استن عمر سنة : لابقاء فى الجزيرة لغير الاسلام دينا ، فأجلى النصارى واليهود عنها (١٨٨) ٠

وتميزت ثقافة الحجاز بطابعه المحلى الصرف التى عبرت عنها بلغة القرآن الكريم : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١٨٩) ٠ ولكن الحجاز كان محاطا فى العصر الجاهلى بمؤثرات دينية وفكرية ومادية انعكست

---

(١٨٣) Lussin De Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes avant L'Islamisme, I, p. 147.

(١٨٤) Gibbon : History of the decline and the fall of the Roman Empire.

(١٨٥) سورة قريش : آية (٢) ٠

(١٨٦) الواقدى : كتاب المغازى ، ص ١٩٨ ٠

(١٨٧) ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٣٦ ٠

(١٨٨) البلاذرى ، فتوح البلدان : ١٠١ و ١٠٢ ٠

(١٨٩) سورة الزخرف آية (٢) ٠

على ثقافته : فأهل نجران ينقلون النسيج الى مكة لستر الكعبة ، والأنباط يحملون اليها الحبوب والزيوت والخمور ، والغساسنة يفدون عليها ، فتنزلهم قلب المدينة ، واللخميون يضاربون فى أسواقها ومصارفهـا ، وجالية من الأحباش مستقرة بها (١٩٠) ·

ثم تنصر ملوك كندة عمال تبابعة اليمن ، ومنهم امرىء القيس الشاعر، وقبائل جذام ، وقد ولى أحدهم فروة بن عمر الجذامى قيادة جيش الرومان فى وقعة مؤتة ، وعذرة وتغلب وبكر ثم بعض القبائل المجاورة (١٩١) ·

ولكنهم تنصروا على مذهبين قسماهمـا الى عرب شرقيين وعرب غربيين ، فراح كل فريق ينافس الآخر فى استمالة الوثنيين الى شيعته بتشييد الكنائس والأديرة والمدارس لهم ، وغلبت الثقافة النسطورية الآرامية (١٩٢) ، ثم أصبح النساطرة فيما بعد همزة وصل بين الثقافتين الهلينستية والعربية (١٩٣) . ودخلت الكلمات اللاتينية واليونانية والآرامية اللغة العربية : كقنديل ، وبئر ، وفدن ، ولفظ قصر ، الذى أعادته الى اسبانيا الكازار ، وتأثرت بالمفردات العبرية : كجبريل ، وسورة ، وجبار ، خلا الاسرائيليات (١٩٤) ·

وأول من زار مكة ووصف مناسك الحج فيها ليبليش سنة ١٨٠٧م ، ثم تبعه كثير من المستشرقين ، فجابوا الحجاز ، وكشفوا عن آثاره وأسراره (١٩٦) ·

---

(١٩٠) Dozy : Die Israeliten zu Mekka, p. 15.

(١٩١) Cussin De Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes avant L'Islamisme, p. 174.

(١٩٢) Rostovtzeff : Social and Economic History of the Hellenstic World. Cd. VI. p. 842

(١٩٣) Bayly Winder : Saudi Arabia in the Nineteeth Century, p. 119.

(١٩٤) D. G. Hogarth : The Penetration of Arabia, p. 295.

(١٩٥) G. Kelley : The Persian Gulf in the Late eighteenth Century, p. 881.
Philby : Arabian Highlands, p. 211.
E. Littman : Handbuch der Orientalistik. 729.
Carsten Neibuhr : Description de l'Arabie, Travels through Arabia and other Countries in the East, p. 715.

(١٩٦) R.H. Sanger : The Arabian Peninsula, p. 516, S.M. Nadvi : geographical History of the Koran. p. 119, Forster : Historical geography of Arabia, philby : The Empty Quarter, p. 297.

تاسعا : حضرموت وكنده

لعل من أقدم الممالك العربية التى ماتزال تحتفظ باسمها منـــذ نشأتها حتى الآن ، فقد سجله اليونان والرومان فى كتاباتهم (١٩٧) ، وكذا فى الكتابات العربية (١٩٨) الجنوبية ، وكانت منذ أقدم العهــود مجاورة لمنازل (عاد) الذين كانوا يسكنون الأحقاف (١٩٩) ٠

ويقال انه نشأ بحضرموت قبيلتان ، احداهما (مهرة) وهى من قضـــاعة ومن انضم اليهـــا ٠ والثـانية قبيلة حضرموت وهى من (حمير) (٢٠٠) ٠ وقد سكنت (مهرة) ومن انضم اليهم من قضاعة سواحل حضرموت ، وهى ناحية الشحرة (٢٠١) ، وهى مجموعة من البلدان نمتد الى ظفار (٢٠٢) ، ولا تزال الناحية الشرقية من (الشحر) خاصة بهم أما الناحية العربية منها فقد محى اسمهم منها (٢٠٣) ٠

أما القبيلة الثانية وهى حضرموت التي سميت الناحية باسمها فقد سكنت فيما بين الساحل والربع الخالى وخاصة الجهة الشرقية والوسطى

---

(١٩٧) فقد جاء اسمه فى (Strcbo, vol, 3 p. 196) رواه (ايراتوستنيس) باسم (Chatramotitae) ورواه ثيوفراسنوس باسم (Hadramyta) كما جاء فى كتاب Theophrastus (ورواه بلينيوس) Enquiry into plants. vol. 2. p, 253. فى كتاب
Froster : Historical Geography of Arabia, vol. I, p. 113, O'Leary, p. 99, Pliny, p. 28, 32, (Cnalhramibe), (Adramitae)
كما رواه (بطليموس)

(١٩٨) Montgomery : Arabia and the Bible, p. 39.
A von weroe : Reise in Hadhramaut, p. 218.
Halevy : Rapport sur une Misson Archeologique dans le Yamen (Journal Asia VI 1872), p. 39.

(١٩٩) تقع الأحقاف الى الشمال الشرقى من حضرموت ، كانت مكسوة بكثبان الرمل فسميت بالأحقاف ، حيث أن الأحقاف جمع حقف وهو كثب الرمل المعوج ، وقد جاء ذكر الأحقاف وقوم عاد فى القرآن الكريم فى قوله (واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف)
H. Rackham, Pliny : Natural History vol. I, p. 27.

(٢٠٠) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ١٦٧ ،
Werd : Reise in Hadhramaut, p. 229.

(٢٠١) صالح العلوى : تاريخ حضرموت ص ١٤ ،
Chessman In Ukpown Arabia, p. 28.

(٢٠٢) نشوان بن سعيد الحميرى : شمس العلوم ، البشـــارى : أحسن التقاسيم ص ٦٧ ٠

(٢٠٣) Philby : The Empty Quarter, 119.

من وادى حضرموت (٢٠٤) • ويرجع نسب (بنو حضرموت) ، كما يقول نشوان بن سعيد الحميرى (٢٠٥) الى ابن سبأ الأصغر ابن كعب بن سهل ابن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث ـ الى أن ينتهى الى ابن سبأ الأكبر بن يشجب (٢٠٦) •

أما عن الآثار التى اكتشفت فى موضـع يقـال له (الحريضة) بحضرموت ، فهى آثار معبد الاله (سين) أى معبد القمر ، كما عثر على عدد من الكتابات تبين أن بعضها سبئية (٢٠٧) • وقد عثر فى حضرموت على مواضع كثيرة قديمة حضرمية وسبئية ينسبها الناس الى اليـوم الى (عاد) (وثمود) (٢٠٨) • ففى ملتقى (وادى منوة) بوادى ثقبه صخور كبيرة ، نقرت ومهدت لتكون مأوى ومواضع للسكنى (٢٠٩) • كما وجدت على المرتفعات بقايا بيوت ومساكن ، وكذ. كتابات دونت بلون أحمر قيل انها كتابات سبئية ، وانها أسمـاء أشخاص لعلها أسمـاء من اجتاز هذا المضيق سواء من المسافرين أو الجنود (٢١٠) •

وقد ذهب بعض علماء الآثار واللغات القديمة الى ان حضارة حضرموت وكذا باقى حضـارة العربيـة الجنـوبية ، انهـا كانت قد تأثرت بمؤثرات الحضـارة العراقيـة فى بادىء الأمـر وذلك فى عهـد (المكربين) (٢١١) ، ولكنها أخذت تبتعد عن مؤثرات الحضارة العراقية منذ القرن الأول قبل الميلاد (٢١٢) ، بينما أخذت تتقرب من مؤثرات حضارة البحر المتوسط وكذا المؤثرات الحضارة الفارسية (٢١٣) وذلك

---

(٢٠٤) وقد جاء فى شمس العلوم (ص ٣٧) ان مهره وبجيد وركب أبناء جيدان أو عمرو بن حيران بن عمرو بن الحاف بن قضاعة •

(٢٠٥) Van Der Mu-len and Von Wissmann : Hadramout, some of its Mysteries Unveiled : p. 57, (Leiden 1954).

(٢٠٦) شمس العلوم ص ٤٩ •

(٢٠٧) G. Canton Thomson : Reports of the Research Committee of the Society of Antiquaties of London. (Oxford uni. P.ress 1944). The Toms and Moon Temple of Hureialha (Hadhramout) p. 15.

(٢٠٨) ابفاهويك : سنوات فى اليمن وحضرموت ص ٢٧٠ (ترجمة خيرى حماد بيروت سنة ١٩٦٢) •

(٢٠٩)

(٢١٠) Van der Muelen uné Von Wissmann : Hadhramaut, p. 57.

(٢١١) تاريخ العرب قبل الاسلام حـ ٢ ص ١٦٣ •
D. G. Hogarth : The Penetration of Arabia, p. 117.

(٢١٢) Werde : Reise in Hadhramaut, p. 217.

(٢١٣) Hartmann : Sud-Arab Frage, I, p. 392.

نتيجـــة اتصـــال الرومان والفـــرس بالعربية الجنـــوبية (٢١٤) (انظر اللوحات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) ٠

كما اكتشـــف في حضرموت حصن أثرى عـــرف باسم (حصن عر) (٢١٥) لعله من حصون ملوك حضرموت ٠ وهو حصن عال يقع فى تل يرتفـــع قرابة خمسين قدما ، ولا تزال بقايا جـــدرانه وابراجه قائمة ٠

كذلك أعطانا بعض المستكشفين (٢١٦) الذين زاروا حضرموت وصف مواضع أثرية فى حضرموت مثل المكنون (El-Makenun) (وثوبه) (والعر) ٠ كما أكتشفوا منطقة أثرية بحضرموت يزعم المجاورون لهـــا أنها أرض عاد (٢١٧) ٠

ويحدثنا علماء الآثار عن ميناء هام من موانى حضرموت يعـــرف بأسم ميناء (Cane) (قنا) (٢١٨) كانت تنقل منه الصادرات والواردات اما بالبحـــر أو بالبر عن طريق القوافل (٢١٩) ٠ ويقع هذا الميـــاء الى الشرق من مينـــاء عدن ، كمـــا يوجد بالقرب منه جزيرتان هما جزيرة (Orneon) أو جزيرة الطيـــور والجزيرة الثانيـــة هى جـــزيرة (Trulla) (٢٢٠) ٠ على ان اكثر الباحثين والأثريين آن ميناء (Cane) هو المحل المعروف الآن باسم (حصن غراب) ٠ ويقع حصن غـــراب على مرتفع من الصخر الأسود (على حرة من حرات البراكين) ، وقد ورد اسمه فى الكتابات القديمة وقد سمى فيها باسم (عرمريت) (وعرماوية) وهو الاسم القديم للحصن الذى يعـــرف اليوم باسم (٢٢١) (حصن غراب) ٠

---

(٢١٤) Hadhramaut, p. 153.

(٢١٥) American Foundation for the Study of Man, p. 147.

(٢١٦) Van de Meulen und H. Von wissmann : Hadhramout, Some of its Mysteres Unveilled. p. 153.

(٢١٧) Richard, H. Sanger : The Arabian Peninsul, p. 315.

(٢١٨) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ ص ١٦٠ ٠

(٢١٩) Forster : Historical Geography of Arabia vol. II, p. 186.

(٢٢٠) Jacqueline Pirenne : La gréce et Sab. p. 319. (Paris 1955).

(٢٢١) Philby : Three New Inscriptions from Hadhramout, p. 327.

كنـــده

كنده كما سبق القول قبيلة قحطانية تنسب الى (ثور) الذى ينتهى الى (كهلان ابن ســبأ) ، وثور هوكنـــده (٢٢٢) • ويقول عنهـم الهمدانى (٢٢٣) ق يقال كان فيهم سبعون ملكا متوجا أو لهم (ثور) (ومرتع) ابنــا عمرو بن معاوية وآخرهم الأشعث ابن قيس الكندى بن معدى كرب (٢٢٤) •

وسكنت كنده بلاد معد ، وتوطنوا الغمر المعروف بغمر ذى كنده ، كما ملكوا ديار بكر بن وائل وكذا نواحى اليمامه ، كما ملكوا المشــقر بناحية البحرين (٢٢٥) • ثم فاءوا الى حضرموت وجاوروا بها الصدف والسكون ، وزاحموهم حتى أخرجوهم عن بعض مواقعهم • ويقال ان عدد من انتقــــل منهم الى تلك الاماكن الى حضرموت كانوا نيفـــا وثلاثين ألفا (٢٢٦) •

ويصف لنا المسعودى (٢٢٧) ، بلاد كنده فيقول : بلد كنده مرتفع كأنه سراة ، وتصب فى أوديته حضرموت ، وتصب حضرموت الى بلد (مهره) ، ثم القارة (٢٢٨) •

ومن مواطن كندة المشهورة العجلانية فى وادى دوعن ، وبلد كندة هى اذن عبارة عن واديين أعلاهمـــا الحصـــون وأســـفلهما الزرع والنخيل (٢٢٩) •

أما عن مسكن كندة الأصلى ، فيقول أصحاب الأخبار (٢٣٠) ، انه عندما افترق أهل اليمن بعد خراب سد مأرب وانتشروا فى البلاد صارت كنده الى أرض معد ، وكانوا يسكنون من الغمر الى (ذات عرق) (٢٣١) ،

---

(٢٢٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٩ ، الهمدانى : الاكليـــل جـ ١٠ ص ٥٠٤ ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٢ ص ٢٨٧ ، ابن خلدون المقدمة جـ ٢ ص ٢٧٦ -

(٢٢٣) الهمدانى : الاكليل : جـ ١٠ ص ٥٠٥ •

(٢٢٤) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٣٧ •

(٢٢٥) Ogunnar Olinder : The kings of Kinda, p. 33 (1927).

(٢٢٦) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٢٣٧ •

(٢٢٧) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٢٥ •

(٢٢٨) القارة هى الاكمه وجمعها قار مثل راحة وراح وساعة وساع (شمس العلوم ص ٢١٧) •

(٢٢٩) Glazer : Zei Inschriften ueber den Dammbruch von Marib, p. 55.

(٢٣٠) Olinder : The kings of Kinda, p. 34.

(٢٣١) وهو موضع وراء (وجرة) بينه وبين مكة يومان) عن تاج العروس والقاموس المحيط •

ولذا سمى هذا الموقع (غمر ذى كنده) . ومن مواطنهم بلاد بكر بن وائل وناحية اليمن (والمشقر) (٢٣٢) وغير ذلك .

وفى تلك الاماكن سالفة الذكر كان مقر رؤساء كندة وملوكهم حتى عهد امرىء القيس (٢٣٣) ، ثم أجلى من بقى منهم فى اليمامه وديار بكر بن وائل ونجد (وغمر ذى كنده) وغيرها ورحلوا الى ناحية حضرموت وجاوروا (السكون) (والسكاسك) (٢٣٤) والصدف الذين يمتون اليهم بصلة الانتساب الى كنده .

ولم تكن كندة عندما أقامت بناحية حضرموت على وفاق مع قبيلة حضرموت سكانها الأصليين بل كانت على عداء وخصام (٢٣٥) الأمر الذى سببه بينهم حروبا تمادت حتى أنها أفنت عامنهم (٢٣٦) . وقد طالت الحرب بين كندة وحضرموت حتى أتت على رجالهم ، واستمرت حتى جاء الاسلام ومن ثم فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجمع بينهم فى كتاب واحد ، بل اكثر من ذلك فانهم اعتنقوا الاسلام وانضووا تحت لوائه . جعل لكل قبيلة من القبائل الكبرى عاملا خاصا (٢٣٧) . كما أرسل كل منهما وفدا خاصا به (٢٣٨) ، فأرسلت حضرموت وفدا برئاسة وائل بن حجر بن ربيعة (٢٣٩) ، وارسلت كندة وفدا بزعامة الأشعث بن قيس فى ستين راكبا (٢٤٠) .

وقد وردت كندة فى نصوص المسند باسم (كدت) (٢٤١) مثل نص أبرهة ، كما وردت فى النصوص عندما فقدت استقلالها ، وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذى ريدن وحضرموت ويمنت) (٢٤٢) . كما وردت أسماء بعض رجال كنده بشىء من التفصيل والوضوح مثل (حجر) الملقب بـ (آكل المرار) (٢٤٣) الذى سار فيهم سيرة حسنة (٢٤٤) .

---

(٢٣٢) صالح بن حامد العلوى : تاريخ حضرموت ص ٤٦ .

(٢٣٣) الطبرى : جـ ٣ ص ١٣٩ (دار المعارف بمصر) .

(٢٣٤) الأصفهانى : الأغانى جـ ١٥ ص ٨٢ .

(٢٣٥) الجاحظ : البيان والتبين جـ ٣ ص ٣٢٨ ، الاشتقاق جـ ٢ ص ٢١٨ .

(٢٣٦) اليعقوبى : تاريخه ص ٣٢٧ ، الطبرى جـ ٣ ص ١٤١ .

(٢٣٧) الطبرى جـ ٣ ص ١٤٥ . ابن الأثير جـ ١ ص ١٣٩ .

(٢٣٨) الاصابة جـ ٣ ص ١٤٠ ، الاستيعاب ص ٥ ص ١١٧ .

(٢٣٩) الطبرى جـ ٣ ص ١٦٣ ، ابن النديم الفهرست جـ ١ ص ٩٨ .

(٢٤٠) حمزة : تاريخ سنى الارض ص ٩٢ . الأغانى جـ ١١ ص ١٦٠ .

(٢٤١) Glazer : Zei Inschriften uber den Dammbruch von Marib, p. 55.

(٢٤٢) Jamme : Sabaean Inscriptions. p. 305.

(٢٤٣) Philby : Three New Inscriptions from Hadhramout, p. 106.

(٢٤٤) Jamme : Sabaean Inscriptions, p. 309.

الكتابات العربية قبل الاسلام

ومن المصادر الهامة والجوهرية لمعرفة تاريخ العرب قبل الاسلام هى الكتابات ، على أن ما عثر عليه حتى الآن من هذه الكتابات يكاد يكون معظمه ، كما يقول جواد على (١) ، يتعلق بأمور شخصية ومن ثم فان فائدتها تكاد تنحصر فى نواح معينة ، مثل الدراسات اللغوية ومعرفة أسماء الملوك وأسماء المناطق التى حكموها . أما ما يتعلق بحالة العرب السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية أو النواحى الثقافية والحضارية فهى قليلة تكاد لا تذكر بالنسبة للكتابات الشخصية ، ولكن ليس معنى هذا اننا لم نستفد مما عثر عليه ، بل على العكس ، فاننا نخالف الدكتور جواد على فيما ذهب اليه ، ذلك اننا استطعنا اعتمادا على ما عثر عليه من تلك الكتابات المتعددة ، ان نعيد كتابة تاريخ العرب قبل الاسلام (٢) ، والدليل على ذلك ، الموسوعة القيمة التى ألفها (جواد على) والتى كان جل اعتماده على تلك الكتابات التى عثر عليها فى العصر الحديث ، بل انه صحح وقوم الكثير مما كتبه مؤرخو العرب قبل الاسلام وذلك برجوعه الى المصادر الأصيلة وهى ما عثر عليه من الكتابات العربية قبل الاسلام .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٤٤ .

(٢) Bhascor : The chronlogy of ancient South Arabia in the light of the first compaign of excavation in (Qataban) vol. II, p. 21.

أولا : الكتابات المعينية

تعتبر الكتابة المعينية من أقدم الكتابات العربية التى عثر عليها حتى الآن ، والتى قيل انها ترجع الى فترة زمنية تمتد من (٣٠٠ ـ ٦٤٠ ق٠م) ٠ ومن ثم فان دولة معين تعتبر من أقدم الممالك اليمنية (٤) ، وقد كان لعدم ورود ذكرها فى الكتب السماوية ، انها لم تحظ بعناية أو دراسة عند المؤرخين الاسلاميين (٥) ٠ كما أن المؤرخين اليونانيين لم يعرفوا عنها الا القليل (٦) ٠

وقد ظل أمر مملكة معين وكتاباتها مجهولا حتى قيض الله لها جماعة من المستشرقين الذين أخذوا يتعاقبون على اليمن سعيا وراء البحث والدراسة لآثارها ، وفى مقدمتهم (يوسف هاليفى (Joseph Halevy) الذى عثر على عدد كبير من الكتابات المعينية اكتشفها أثناء زيارته الأثرية الى الجوف ويبلغ عددها (٨٠) كتابه من خرائب (معين) ومجموعة أخرى يبلغ عددها (١٥٥) كتابة من خرائب (ثيل) ٠ كما حصل على عدد آخر من الكتابات المعينية من (كمنا) ومن (السوداء) ويبلغ الكتابات المعينية التى استنسخها قرابة (٧٠٠) كتابة (٧) ٠

كذلك حظيت مملكة معين بالجوف بزيارة عدد كبير من المستشرقين والعرب بحثا عن كتاباتها وآثارها التى مكنتهم من الكتابة عن تاريخها السياسى والحضارى والاقتصادى ٠ ونذكر من أولئك الرحالة الذين ذهبوا الى الجوف منذ سنة ١٧٦١ م (سنة ١١٧٤ هـ) ، كارستن نيبور (٨) (Carsten Niebuhr) والدكتور سيتزن (U. E. Seetzen) الذى

---

(٣) Phlıby : The baclcgnound of Islam, Alexandria, p. 141 (1946)

(٤) فؤاد حسنين : التاريخ العربى القديم ص ١٢ ٠

(٥) أحمد حسين شرف الدين : اللغة العربية فى عصور ما قبل الاسلام ص ١٨ ٠

(٦) وأقدم من ذكر المعنيين من الكتاب (الكلاسيكيين) دورس الصقلى (Diodorus S'culus) ص ٤٢ ، واسترابون (Strabo) (P. 788 XVI) الذى سماها (Minae = Meina'oi) وقال ان مدينتهم العظمى (Carna) (Karna) وذكر عن كاتب يونانى أقدم منه هو (Ecatosthenes) ، ان بلادهم تقع شمال بلاد سبأ وشمال بلاد (قتبان) ، وأما حضرموت فتقع شرقى بلاد معين كما يقول كذلك ذكرهم (Pliny) فقال ان بلادهم تقع على حدود حضرموت ٠ وآخر من ذكرهم هو (بطليموس) الجغرافى المشهور (Pdolmy) ٠
O'Leory p. 93, (glaser, Skizze, 2 p. 14).
Sprenger : Alte Geographical arabain p. 211.

(٧) Joseph Halevy : Rapport sur une Mission Archeologique dans le Yemen (in Journal Asia, VI 1872), p. (39-90).

(٨) Coreten Niebuhr : Reisebesch reibug nach Arabian und anderen umiliegeuphen Laenden (kopenhagen 1772-1837).

زار اليمن (سنة ١٨١٠ م) ، وادوارد جلاسر (Edward Glazer) والعالم أوينتك (Euting) الذى نشر مجموعة من الأبحاث عن الكتابات المعينية(٩)، كما تناولها الدكتور ميلر (١٠) (Muller) وكذا (١١) (O'Leary).

ومن العلماء العرب الذين زاروا مملكة معين فى الجوف وكتبوا عنها الأستاذ محمد توفيق (١٢) الذى زارها مرتين الأولى (سنة ١٩٤٤ م والثانية سنة ١٩٤٥ م) • كما زار اليمن الأستاذ الدكتور أحمد فخرى (١٣) الذى زار اليمن وسبأ والجوف (سنة ١٩٤٧ م) •

وبرغم قلة ما كتبته المراجع القديمة عن معين وتاريخها الا أن ما جاء فى الكتابات المعينية كانت له قيمة كبيرة فى دراسة حضارة المعينيين المتمثلة فى بناء قصورهم ومعابدهم وذلك من مصطلحات البناء التى وردت فى الكتابات المعينية (١٤) • وكذا نظام الضرائب التى تجبى من التجارة والزراعة (١٥) •

كذلك بينت الكتابات أنه كان لمعين صلة كبيرة ببلاد اليونان وبمصر وخاصة من الناحية التجارية التى بلغ فيها المعينيون شأنا عظيما فقد كانت معين قنطرة تجارية بين الشرق والغرب • ومن أهم موانيها ميناء غزة (١٦) كما كانت همزة الوصل بين تجارة الشرق الأقصى (الصين والهند)(١٧) وبين شبه الجزيرة العربية بواسطة القوافل البرية (١٨) •

كما بينت لنا الكتابات المعينية التى عثر عليها فى (الجوف) وفى (ديدان) (١٩) أنها كانت على صلة كبيرة بمصر وباليونان ، والدليل على صحة هذا القول ما عثر عليه من كتابات معينية (بالجيزة) (٢٠) ،

---

(٩) Euting : Epigraphische Denkmaeler aus Arabian (1889).
Beitraege zur Minaishen Epigraphk (1897).

(١٠) D.H. Mueler : Epigraphische Denkmaler aus Arbaia.

(١١) O'Leary : Arabia, p. 18.

(١٢) محمد توفيق : آثار معين فى جوف اليمن ص ٢ •

(١٣) أحمد فخرى : آثار اليمن ص ٣ •

(١٤) W. S. Albright : The Ckronology of Minea Kings of Arabia p. 20 (in Boasoor, N. 119, 1953).

(١٥) Sprenger Al'e Geographical Arabian, p. 211.

(١٦) Dussaud : La Pénétration des Arab en Syrie, p. 13-25.

(١٧) S. A. Huzayyin : Arabia and the Far East, p. 86.

(١٨) Jamme : Sabae an Inscriptions, p. 305.

(١٩) ناحية الحجاز وخربت ، وكانت مستوطنة معينية فى طريق البلقاء من ناحية الحجاز •

(٢٠) Philipy : The Background of Islam. (Alexandria 1947) p, 141.

كما عثر فى جزيرة ديلوس (٢١) (Delos) احـدى جزر اليونان التى يرجع تاريخها الى القرن الثانى قبل الميلاد ، على مجموعة كبيرة من الكتابات المعينية . كمـا وجدت نصوص معينية فى جزيرة كريت ، وكذا ختم من الأحجار الكريمة يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد ، عليه صورة رجل على رأسه تاج ويرتدى الملابس العربية ويتمنطق حزاما عريضا ، نقش حوله اسم (بنكرب بن دردا) (٢٢) ، وقد عثـر على هـذا الختم نيلسون جلوك (Nelson Glueck) رئيس اتحاد معاهد العلوم الاسرائيلية فى القدس ، وذلك فى مكان يسمى (تل الخليفة) بالعراق ، وهو من الأماكن الكلدانية التى كان يسيطر عليها المعينيون فى ذلك الوقت (٢٣).

ثانيا : الكتابات القتبانية ووسانية

لقد عاصرت مملكة قتبان وأوسان مملكة معين ، الا آن أحـدا من المؤرخين القـدامى لم يحفل بذكرها ، الا عدد قليل من بعض المؤرخـين (الكلاسيكين) الذين قصروا كلامهم عنها ، أنها كانت فى الجوف. وانهم كانوا يسكنون جنوب سبأ وجنوبها الغربى ، وان منازلهم قد امتدت حتى بلغت باب المندب وقد أخذ بهذا الرأى الأخير جماعة من كتاب البلدان فقد ذكر ياقوت (٢٥) الحموى : أن قتبان موضع فى نواحى عدن ، وان (وادى بيحـــان) من صميم أرض قتبـــان ، وانهـــا تقع شـــمال شرقى (عدن) (٢٦) .

أما المصادر العربية ، فان كل ما ذكروه عن تاريخهم ، انهم مـن

---

(٢١) (Bulletin of American Schools of Oriental Research) Pirrenne : Paléographie des Inscriptions Sud-Arabes, p. 112 (1956).

(٢٢) نشر صورة هذا الختم والكتابات المنقوشة عليه الاستاذ (W. Albraight) لسنة ١٩٥١ فى كتابه (مختارات أبحاث المستشرقين الأمريكيين) .

(٢٣) أحمد حسين شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ص ٦٤ .

(٢٤) ومن أقدم الكلاسيكيين الذين تكلموا عنها ثيوفراستيس Theobhyastus وذلك حوالى (٣١٢ ق.م) والذى ذكرهم بعد سبأ وحضرموت واطلق على أرضهم اسم (Kattabaina) = (Kttibaina) وذلك فى كتابه Theophrastus : Enquiry Into plants. vol. II p. 235. كما ذكرهم المؤرخ سترابو (strabo) 786 XVI. كما ذكرهم بلينى (Pleiny) 235 V

(٢٥) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٣ .

(٢٦) Phliby : The background of Islam, (Alexandria) 1947), p. 148.

قبائل حمير وان هناك موضعا فى عدن يقال له (قتبان) (٢٧) . وهكذا نرى الى أى مدى أفادت الكتابات القتبانية التى عثر عليهــا فى العصر الحــديث . فقد عثر على أول كتابات قتبانية (سـنة ١٨٩٢ م ـ سـنة ١٨٩٤ م) اثر الرحلة التى قام بها (Glazer) (٢٨) الى اليمن ، وهى الكتــابات التى أرجعهــا (Hommel) (٢٩) الى ألف سنة قبل الميلاد وانها انتهت فى القرن الثانى قبل الميلاد وهو الزمن الذى انقرضت فيــه مملكة قتبان فى رأيه .

كما كان للدراسات التى قام بها (نيوكولاوس ، رودوكناكس) (٣٠) (Nikolaus) (Rhodokanakis) وكذا (دتلف نيلسن) (٣١) (Ditlef Nieisen). للكتابات القتبانية فضل عظيم فى معرفة تاريخ مملكة قتبان (٣٢) كذلك قامت بعثة أمريكية (سنة ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ م) مؤلفة من جماعة (٣٣) من الأثريين المتخصصين فى قراءة وحل رموز الكتابات العربية القديمــة ، وذهبت الى (وادى بيحان) وزارت (تمنع) المدينة القتبانية القديمة ، وعاصمة المملكة وبعض المواقع القريبة (٣٤) منها .

وقد وجد فى الكتابات القتبانية ، بعد دراستها أن حكام قتبــان الأول كانوا يلقبون أنفسهم باللقب الذى تلقب به حكام (سبأ) الأول وهو لقب (كرب) (٣٧) ، وان معنى كرب هو المقرب من الآلهة والشفيع

---

(٢٧) القاموس المحيط (وقتبان بالكسر بعدن) جـ ١ ص ١١٤ ، الزبيدى : تاج العروس جـ ١ ص ٤٣١ وعبد الحى البغدادى : (قتبان بعدن) مراصد الاطــلاع جـ ١ ص ٤٣١ ، البكرى : ويقال ان الموضع بقتبان ، بطن من رعين حمير

(٢٨) E'cy. vol. 2, p. 813.

(٢٩) Hommel : Grundriss, vol. I, p. 139.

(٣٠) Katabaanische T.xte zur BodenW.itschaft in zwei Fefte (1922).

(٣١) D'tlef Ni sen : N ue Katabanische Inschriften (in M.V.B. 1966).

(٣٢) P're ne : Le Royaum Sud-Arabe de Qataban et Dattion p. 169 (1961).

(٣٣) W.ndell Philips : Qataban and Sheba, p. 5 (1956).

(٣٤) W.rdell Philips : Amerifan fountaticn for the Study of Man

(٣٥) Windell Philips : Qataban and Sheba. p. 5. (London 1955).

(٣٦) W. F. A'zei ht : The Chrcnology of Ancient South Arabian in the light of the fi st compain ex avaticn in Qataban, p. 50.

(٣٧) Maria Hofner : Altsudarabiscb grammatik. p. 34.

اليها ، وانه الوسيط بينها وبين الانسان (٣٨) ، وتترجم هذه الكلمة إلى (مقرب) باللغة العربية (٣٩) .

هذا وقد عثر على كتابات قتبانية ترجع الى عهد ملكهم (مكرب سمة على وتر) (٤٠) وقد كتبت بشكل حلزونى يبدأ السطر منها من جهة اليمين الى جهة اليسار ثم يبدأ السطر الذى يليه من اليسار الى اليمين وهكذا . ويعرف هذا النوع من الكتابات فى الانجليزية (٤١) (Boustrophedon Inscriptions) وهى أقدم نوع من الكتابات . وقد نسب (البريت) (٤٢) (W. F. Albright) الى هذا الملك (كرب) أنه قد تولى الحكم فى القرن السادس قبل الميلاد ، أما الأستاذ فيليبى (٤٣) (Philiby) فيرجع حكم هذا الملك الى (سنة ٨٤٥ ق.م) .

ومن الكتابات القتبانية التى عثر عليها فى مدينة (حرب) (٤٤) وهى (حريب) من مدن قتبان الهامه وان كتاباتها اشتهرت عند علماء الآثار باسم كتابات مدنية النقود لأنه جاء فيها اسم (حرب) مكان للضرب (٤٥) . وقد أشار الهمدانى (٤٦) الى مدينة (حريب) ويفهم من وصفه لها أنها تقع فى أرض قتبان (٤٧) .

أما (أوسان) فقد وردت فى كتب الأثريين أنها كانت ضمن مملكة قتبان ، وانه كان لشعبها أهمية كبرى فى انتاج وتصدير البخور . ومما يدل على شخصية (أوسان) المستقلة ، تلك التماثيل الرخامية التى عثروا عليها وهى لبعض ملوك (أوسان) .

---

(٣٨) Malker : Die Hierodulenlisten von Main nebst untersuchen-gen zur Attsudarabischen Rechtgeschichte und chronologie p. 3 (Leipzig 1943).

(٣٩) تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٢ ص ١٧٨ .

(٤٠) Grchmann : Uber Kafabanische Herrscherreihen. p. 113. (Leipzig, 1938).

(٤١) Ency : Brita, vol. 3, p. 972.

(٤٢) W. F. Albight : The Chronology of Ancient South Arabian

(٤٣) Philiby : South Arabian Chronology.

(٤٤) Muller und J.W. : Kutabistschek Sudarabische (Altertum 1899), p. 73-78.

(٤٥) G.F. Hill : Cataloge of the Greek coins of Arabia Mesopotamia and Persia, p. 12.

(٤٦) الهمدانى : صفة جزيرة العرب ص ٨٠ ـ ١٣٤ .

(٤٧) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٢٣٠ .

ويقـرر (Glazer) اعتمادا على الكتابات القتبانية ، ان (اوسان) ثارت على قتبان وانها انفصلت عنها وكونت مملكة (اوسان) حتى جاءت دولة ملوك سبأ فاستولوا على المملكتين (قتبان وآوسان) وأخضـعوهما لسلطانهم (٤٨) .

ثالثا : الكتابات السبئية

يرجع علماء الآثار تاريخ دولة سبأ ، اعتمادا على الكتابات السبئية التى قامت بهـا البعثة الامريكية سـنة ١٩٥٥ تحت اشراف (٤٩) (Windell Philips) الى (سنة ٩٥٠ ق.م) . وقد آيد هذا الراى العالم (Albright) الذى قال ان التقـويم السـبئى يبـدأ فى (سـنة ٩٥٠ ق.م) معتمدا فى ذلك على ما جاء فى الكتاب المقدس بان بلقيس ملكة سبأ كانت حوالى عام سنة ٩٥٠ ق.م .

واتخذ ملوك سبأ (مكارب) مدينة صرواح عاصـمة لهم ، وهى العاصمة الأولى لدولة سـبأ ، التى وصـفها الدكتـور أحمد فخرى (٥١) عند زيارته لهـا فقـال : ان المناطق الأثرية فى وادى (صرواح) (٥٢) المسـتدير الشـكل والمحاط بالجبـال ، هى فى ثلاث مناطق متقاربة ، منطقة البنـاء التى كان مكانهـا السـد القديم والمنطقة المسـماة بالقصر وهى قرية حديثة العهد اسـتخدموا فى عمـارة بعض منازلهـا أحجـار المعـابد وأحاطوها بسور والثالثة هى المنطقـة المسماة بالخربة ، وفيها أكبر مجموعة من الآثار . ويحدثنا عن المعابد الموجودة بالمنطقة الثالثة فيقول : وان بعض تلك المعابد مثل دار بلقيس مازال سـليما محتفظا بسقفه الحجرى (٥٣) .

والعاصمة الثانية لسبأ هى مدينة مأربة ، وتقع الآن فى سهل فسيح على مرتفع ليس من المستبعد أن يكون كوما من الخرائب وأنقاض مأرب القـديمة . وتبعد مدينة مأرب الحـديثة عن مدينة صنعاء ما يقرب من

---

(٤٨) Glazen : Zei Inschriften ueber den sammbuch von Marib, p. 76.

(٤٩) Windell Philips : Qataban and S. p. 57.

(٥٠) W. F. Albright . The Cnronology of Ancient South Arabia, p. 79.

(٥١) أحمد فخرى : اليمن ماضيها وحاضرها .

(٥٢) تقع صرواح فى سفح جبل عيلان من بلاد خولان على بعد (٤٠) كم غرب مأرب .

(٥٣) Pirrenne : Paleographie des Inscriptions Sud-Arabes, p. 212.

(١٩٢) كم شرقا ، وما تزال تحتفظ ببقايا سور من اللبن وعلى جانبيه آثار برجين من الحجر • ولقد كانت مأرب فى ماضــيها البعيــد مركزا لأرقى الحضارات ونقطة ارتكاز تجارية ومحطة استراحة لرحلات القوافل اليمنية وغيرها من الأمم القادمة لليمن (٥٤) •

ومن الآثار المعمارية التى مـــا تزال باقية فى مأرب (آثار الدار البيضــــاء) التى يعتمد (Glazer) (٥٥) أنها أقيمت مكان قصر سلحين العظيــم •

وتعتبر الكتابات السبئية التى عثر عليها رجال الآثار فى مواضع متعددة من جنوب شبه الجزيرة ، ولا سيما الجوف مقر السبئيين ، اكثر الكتابات العربية الجنوبية التى عثروا عليها ، ونعنى بهـــا (الكتابات المعينية والقتبانية والحضرمية (٥٦) وغيرها) •

وقد تبين من الكتابات السبئية أن لقب حكام سبأ ، لم يكن له لقب ثابت بل تبدل وتغير عدة مرات ، وذلك نظرا لتطور أدوار مملكة سبأ خلال العهد القديم (٥٧) • فقد كان يسمى فى دور المملكة الأولى (مكرب سبأ) ثم أصبح فى الدور الثانى (ملك سبأ) وأخيرا أصبح لقبه (ملك سبأ وذو ريدان) وكان ذلك حوالى (سنة ١١٥ أو سنة ١٠٩ ق‌م) • أما فى الدور الجــديد لسبأ ، أصبح الملك يلقب (ملك ســبا وذو ريدان وحضرموت واليمن واعرابها فى المرتفعات والتهائم) وهو آخـــر أدوار الحكم فى سبأ (٥٨) •

كذلك أمدتنا الكتابات السبائية بمعلومات على جانب لا يستهان به فى معرفة أصول الحكم فى سبأ وعن حياتهم الاقتصادية من زراعة وتجارة ولعلنا فى القريب نستطيع عن طريق الكشف عن آثار سبأ والكتابات المنقوشة عليها ان نحصـــل على تاريخ كامل لتلك الدولة العظيمة ذات الحضارة الكاملة (٥٩) •

ولعل من اخطر الوثائق التاريخية وأعظمها شأنا تلك الكتابات التى

---

(٥٤) Montgomery : Arabia and the Bible, p. 52.

(٥٥) Glezer : Zel Inschiriften uber den Dammbruch von Marib, p. 96.

(٥٦) Hommel : Geography und Geschichte des Atten Orient. p. 313.

(٥٧) Richard H. Sanger . The Arabian Peninsula, p. 49.

(٥٨) Jamme : Sabaean Inscription, p. 442.

(٥٩) D.H. Müller : Epigraphische Deukmaler aus Arabian, p 97. (1889).

عثر عليها فى (صراوح) (٦٠) والتى دون فيها أعمال الملك (كرب ايل وتر) الذى يرجعه فليبى (٦١) (Philiby) الى حوالى (سنة ٦٢٠ ـ ٦٠٠ق‌م) فقد جاء فى هذه الكتابات كل ما قام به الملك (كرب ايل وتر) من أعمال حربية (٦٢) وعمرانية فهى فى الواقع سجل كتب فيه بايجاز كل أعمال الملك الحربية والمدنية (٦٣) على حد سواء • ويعقب جواد على (٦٤) على هذه الكتابات فيقول : ان هذه الكتابات تعد بحق من الوثائق المهمة الخطيرة القليلة التى وصلت الينا فى تاريخ حكام العرب قبل الاسلام ، وفيما يلى فقرة من الكتابات : ـ

افتتح الكتابات بجملة(٦٥) « هذا ما أمر بتسطيره ، كرب ايل وتر بن ذمر على مكرب سبأ عندما صار ملكا ، وذلك لآلهة المعبة ولشعبه ، شعب سبأ » •

ثم انتقل بعد مقدمة طويلة شكر فيها كل الآلهة ، انتقل (كرب ايل وتر) الى التحدث عن حروبه وانتصاراته وما أخذه من الغنائم وما فرض على البلاد المهزومة من الجزية • ثم أخذ فى تسجيل اعماله العمرانية والمدنية وعلاقاته مع جيرانه ومع الدول التى تربطه بها علاقات تجارية أو سياسية (٦٦) •

---

(٦٠) Pirrenne : Paleographie des Inscriptions Sud-Arabes, p. 265.

(٦١) Philiby : South Arabian Chronology, p. 192.

(٦٢) Philiby : Arabian Highlands, p. 229.

(٦٣) Jamme : Sabaean Inscriptions, p. 374.

(٦٤) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٢ ص ٢٨٧ •

(٦٥) Halevy : Eudessabeenes (in Journal asiatique, vol. II, p. 179.

(٦٦) Glazer : Zei Inschriften, 193.

رابعا : الخط المسند الحميرى

تعتبر كتـــابات الخط المسنـــد من أقـــدم الخطوط التى وضعت للتدوين ذلك ان حضـــارة اليمن من أقدم الحضـــارات التى عرفهـــا التاريـــخ (١) ٠ وقد مر الخط المسند بأدوار عدة من التطور والتهذيب حتى انتهى الى الشكل الذى نعرفه الآن (٢) ٠ كذلك يمتاز الخط المسند بانتشاره فى جهات متعددة من البـــلاد العربيـــة ، فقد عثر عليه فى (الحجر) (٣) الذى نقلته اليها (ثمود) ، كمـــا وجد فى حوران وفى الصفاء (٤) ٠

ومما تجـــدر ملاحظته أن أشـــكال الحروف المعينية والســـبئية والحميرية لاتختلف الا فى أشياء هينة يسيرة (٥) ، ذلك ان دول اليمن قديمها وحديثها من أصل واحد وان اختلفت فى الزمان والمكان (٦) ٠

وتعتبر الدولة الحميرية آخر الممالك اليمنية التى حكمت جنوب شبه الجزيرة العربية وأوضحها تاريخـــا ٠ كما أنها تعتبر فرعـــا من مملكة ســـبأ (٧) ٠ وقد بدأت من ريدان (ظفار) ، ومن ثم فقد أصبح

---

(١) زيد بن على عنان ص ٧٤ ٠

(٢) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٩ ٠

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٨٠ ٠

(٤) Mordimann und Eugen Mittwoch :: Altsudarabische Inschriften p. 9.

(٥) Margoilouth : Two South Arabian Inscription, p, 9.

(٦) Rhodokanakls · Altesabaische Texten. Vol. I, p. 96.

(٧)

ملكهم يسمى (ملك سبأ وريدان) . على أنه ما كاد ملك الريدانيين يستتب حتى قامت وهدان بثورتها المشهورة ضد الريدانيين بزعامة (برم أيمن) الهمداني الحميري وذلك (سنة ١١٥ م) ، ومن ثم صار يدعى (ملك سبأ وذو ريدان وحمير) (٩) .

وتتألف أبجدية الخط المسند من تسعة وعشرين حرفا صامتا ، ويفصل بين كل كلمتين بخط عمودى مستقيم . وتكون الكتابة من اليمين الى اليسار وقلما يكون السطر الذى يليه من اليسار الى اليمين كما هو الحال في الخط اللاتينى المعروف باسم (Paustrophedon Inscriptions) (١٠) . كما لا يوجد بالخط المسند نقط ، وقد يكتب الحرف المشدد مرتين . وقد سمى هذا القلم باسم المسند لأن حروفه ترسم على شكل خطوط مستندة الى أعمدة (١١) .

---

(٩) وكان الحميريون الذين سكنوا ريدان قبل أن يستولوا على الحكم من مملكة سبأ يلقبون بلقب (اقيال) أو (أذواء) فكان كبيرهم يسمى (ذوريدان) وقد احتفظ بهذا اللقب بعد انتصارهم على سبأ فلقب كبيرهم (ملك سبأ وذوريدان وحمير) .

(١٠) Incy. Brita. vol. 3. p. 972.

(١١) كنوز مدينة بلقيس ص ١٢٠ (ويندل فيليبس مترجم فى بيروت) .

الأبجدية بالقلم العربي القديم (المسند)

ومثيلتها بالقلم العربي الحديث

القلم الحميري (العربي القديم)	القلم العربي	القلم الحميري (العربي القديم)	القلم العربي
𐩱	أ	𐩳	ض
𐩨	ب	𐩷	ط
𐩩	ت	𐩼	ظ
𐩻	ث	𐩲	ع
𐩴	ج	𐩶	غ
𐩢	ح	𐩰	ف
𐩭	خ	𐩤	ق
𐩵	د	𐩫	ك
𐩹	ذ	𐩡	ل
𐩧	ر	𐩣	م
𐩸	ز	𐩬	ن
𐩯	س	𐩥	و
𐩦	ش	𐩠	هـ
𐩮	ص	𐩺	ى

ومن فروع الخط المسـند الخط الحبشى أو الكتابات الأمهرية ، الذى نقلته الى هناك الأقوام التى هاجـرت عبر العصور من اليمن الى الحبشة عن طريق مضيق باب المندب • ويكاد يتطابق الخطان المسند والأمهرى اللهم الا فى أشياء طفيفة ليست من حيث النطق بل من حيث الشكل ، وما تزال الحروف الأمهرية (الحبشية) مستعملة حتى الآن •

ويقول زيد بن على عنان (١٢) ، أن بعض علماء الآثار ، قال ان للحروف الحميرية عدة أشكال ، ولكن لاصـحة لذلك ، فان الحروف التى وجدت فى آثار الجوف ومأرب وصنعاء وغيرها واحدة •• وأنه فى قليل من النقوش التى وجدت فى مأرب وجـد أنه بعـد ان ينتهى السطر من اليمين الى الشمال يعود فيبدأ من الشمال الى اليمين •

عربي	حميرى	حبشى	عربي	حميرى	حبشى
ا	[illegible]	[illegible]	خ	[illegible]	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	ض	[illegible]	[illegible]
ج	[illegible]	[illegible]	ط	[illegible]	
د	[illegible]	[illegible]	ف	[illegible]	[illegible]
ه	[illegible]	[illegible]	ص	[illegible]	[illegible]
و	[illegible]	[illegible]	ق	[illegible]	[illegible]
ز	[illegible]	[illegible]	ر	[illegible]	[illegible]
ح	[illegible]	[illegible]	ش	[illegible]	[illegible]
ط	[illegible]	[illegible]	ت	[illegible]	[illegible]
ع	[illegible]		ث	[illegible]	
غ	[illegible]	[illegible]	ذ	[illegible]	
م	[illegible]	[illegible]	ى	[illegible]	[illegible]
ب	[illegible]	[illegible]	ك	[illegible]	[illegible]
س	[illegible]	[illegible]	ل	[illegible]	[illegible]

(١٢) تاريخ حضارة اليمن القديم ص ٧٦ •

الاصطلاحات الخطية الحميرية (١٣)

وحركات الاعراب في بعض الكلمات

الاسم المنصرف يلحقه فى آخره حرف الميم بدل النون التى تثبت لفظا لا خطأ ، فمثلا : (محمد) يكتب (محمدم) كما تحذف الميم فى الاضافة على القاعدة المعروفة ، فمثلا : ملكم اذا أضيف الى سبأ أو غيره حذفت الميم من آخره (ملك سبأ) بدل ملكم · كما أن الميم علامة جمع التكسير الذى على وزن أفعل مثل أثمار وأقفال وقد تكون الميم علامة الجمع السالم و على القارىء أن يفرق بين الميم فى آخر الاسم التى للتنوين وبين الميم التى للجمع ·

وتحذف حروف العلة وهى الواو والياء والألف اذا جاءت فى وسط الكلمة مثل (زيد) (زدم) محذوف الياء · ومثل (رحمانم) (رحمن م) وقد جرت هذه القاعدة فى رسم المصحف الشريف مثل (الرحمن) و (السموات) الى آخره · وتبدأ الكتابة من اليمين الى اليسار وفى بعضها تعود من اليسار الى اليمين بشرط عكس الحروف ·

الراجعة الى اليسار · مثلا : [ ] م [ ] م [ ] ش [ ] ش [ ] ن [ ] ل

وقد يكون شكل الميم هكذا : [ ] [ ] ·

والحروف الحميرية غير متصلة ويفصل بين كل كلمة وأخرى خط عمودى هكذا [ ]

واسم الاشارة حرف (ذ) ( ) ويجوز أن يقرأ ذا أو ذو وتأتى الذال فى الجملة بمعنى الذى مثل : « وبئرى ذى حفرت وذى طويت » · وقد يأتى ذن بمعنى هذا ، وذت : هذه · وهذه الاصطلاحات فى الكتابة الحميرية وبعض كلمات سامية قديمة جعلت الكثير ممن يعرف الأبجدية الحميرية يلقى صعوبة عند قراءة النقوش حتى ان بعض العلماء وهم القليل جدا يعتقد أن هناك كلمات فى النقوش غير عربية ، وهذا خطأ ناتج مما

---

(١٣) عن زيد بن على عنان ، تاريخ حضارة اليمن القديم ص ٧٧ ·

أسلفنا . وأداة التعريف أم بدل أل ولكنها غير موجودة فى النقوش، ولكنها ما تزال مستعملة الى اليوم أم بدل أل وعلى ذلك الحديث الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام اجابة عن سـائل يمنى هل من أم برأم صيام فى أم سفر فقال . ليس من أم برأم صـيام فى أم سفر . وما تزال موجودة فى القبائل المصرية ولكن فى كلمة واحدة أم بارح . وهذه بقية من لهجات أهل اليمن الذين سكنوا مصر قبل الاسلام وبعده كما سبق عند الكلام على القبائل اليمنية داخل اليمن وخارجه .

أما آلة التعريف الموجودة فى النقوش فهى النـون فى آخـر الكلمة . مثلا الفرس (فرسن) . كذلك الفعل الذى على وزن أفعـل تبدل الهمزة فيه هاء مثل اسمع (هسمع) اقعد (هقعد) وهذه ما تزال مستعملة الى الآن (١٤) .

والضمير الغائب مشبع مثل بيته (بيتهو) والاشباع من القراءات السبع فى القرآن الكريم ، كذلك صاحبهم (صاحبهمو) . وضـمير المثنى المتصل همى بدل هما والتـاء المربوطة كالمفتوحة فقبيلة تكتب (قبيلت) . وجمع التكسير فى بعض الأسماء يأتى على وزن أفعل مثل ذكور (أذكرم) والميم الأخيرة علامة الجمع (١٥) .

وهذه قطعة من النقوش :

[illegible]

وهذا شرحهـا : وهب وأخوه (هقنو) أى عطو (ألمقه) الاله صاحب هران مسند (حجن) بسبب وفاة واجابة سؤالهم واسعادهم .

وهذه قطعة أخرى من نقش من النقوش التى نشرها الأسـتاذ جويدى المستشرق الايطالى :

[illegible]

---

(١٤) تاريخ حضارة اليمن القديم ص ٧٨ .

(١٥) المرجع السابق ص ٧٨ .

ويتحدث زين بن على عنان عن الكتابة الحميرية فى مأرب فيقول :
لقد كانت مراقبتى للبعثة الأمريكية فى مأرب فرصة عظيمة نقلت فى خلال بقائى فى مأرب نحو ١٥٠ نقشا معظمها من محرم بلقيس اخترت منها فى هذا المؤلف ثمانين نقشا مطولا وشرحتهـا على ضوء معلوماتى السابقة بالخط المسند واصطلاحاته ومع هذا فالمجال مفتوح أمام علماء الآثار من اخواننا العرب وغيرهم وختمت هذه النقوش بأسماء (٤١) ملكا وهؤلاء الملوك ثلاث طبقات : مكارب سبأ ، وملوك سبأ ، وملوك سبأ وذى ريدان ، وملوك سبأ وذى ريدان وحضرموت وغيرهـا من البلاد العربية ، وكلهم موجودون فى هذه النقوش ، وأسماء قبائل وأقيال وقواد الى آخره ·

وقبل ايراد هذه النقوش أقدم هذه الكلمات المصطلح عليها فى اللغة الحميرية لتكون معينا على فهم النقوش الحميرية :

وكب ، وهى بمعنى ثبت أو قاوم وهى مستعملة الى الآن ورفع أو طرد

داوم على

اعطاء هدايا ، حماية ، جباية

بناء أو تشييد

سيد أو صاحب

على ، فوق ، ضد

مع ، من

الماشية ، أو المواشى

نهب

صرع · قتل والبضع معرزف فى الجراحة

---

(١٦) تاريخ حضارة اليمن القديم ص ١٣٤ ·

أعطى · أكمل الخصب

اسم شعب مقترن بسبأ

لوح · بناء ، جزء

قضى ، أمر ، وكلمة جزم معروفة

شخص ، جسد ، جرم والجريب معروف

مرة واحدة

وقى ، كبر

هذا ، ذاك

اسم قبيلة ، وقد تأتى بمعنى الرضاء

قتل وفى المثل الهرج نصف القتال

اسم قبيلة ، سهل وهى مستعملة لدينا بمعنى أفنى أو بذر

سلام ، حظ ، وافر

خلص

جدل ، صرع

حماية ، مساعدة وهى مستعملة لدينا (المواشعة المعاونة)

أنعم على

هدايا

زلة ، الحجارة ملسها أى صقلها

اسم برج ، ملك معروفة لدينا

نعمة . وفى المثال (من حظى للصوف جز الكلب)

مرض

(١٧) تاريخ حضارة اليمن القديم ص ١٣٥ ·

اسم مكان والحرة معروفة فى بنى الحارث وهى قرية

خرب ، والأخبل المغفل أو المجنون ،

قـوة

منـح

شرح فى الحرب

بر - ضد البحر

اسم مكان وهذا دائما مقترن بعشتر من المعبودات

أرســـل

احســـان

قائد الجيش أو حامى البروج

احســـان

قائد الجيش - مساعد ، صاحب وظيفة

غزوة

تخليص

خلص

رسول ، أرسل سفراء

قبل الجزية أو أعطاها - والتنطع معروف يقال فلان متنطع أو شرع فى المحاربة

ظلم - أذاة وعندنا تستعمل هذه الكلمة بمعنى سقط

وقف - من الأوقاف

عدا ، أو اجتـاز

مســاعد

---

(١٨) تاريخ حضارة اليمن القديم ص ١٣٦ .

ما جاء فى الكتب السماوية وكتب الشعوب القديمة

ونعنى بالكتب السماوية التوراة والتلمود والانجيل · كما هو معروف فان التوراة مجموعة أسفار كتبها جماعة من الأنبياء فى عصور متعددة ، على أن أقدم أسفار التوراة هو سفر عاموس (Amos) الذى قيل ان تاريخه يرجع الى سنة ٧٥٠ ق٠م (١) ، أما آخر ما كتب منها فهو سفر (دانيال) (Daniel) الذى يرجع الى القرن الثانى قبل الميلاد (٢) ·

أما التلمود (٣) ، فهو كما جاء فى المراجع ، يتألف من قسمين ، الأول منها ويعرف باسم (المشنه (Mishnah) ، أى الموضوع والثانى (الجمارة) أو (كماره (gemara) أى التفسير (٤) · أما المشنه فهى عبارة عن مجموعة تقاليد اعطيت لموسى عليه السلام حين كان على الجبل ، ثم تداولها من بعده هارون واليعازر ويشوع ، وسلموها للأنبياء (٥) ثم انتقلت عن الأنبياء الى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثانى بعد المسيح ، عندما جمعها الحاخام (يهوذا) وكتبها ، ومن ثم فهى جامع للمشنه · أما (الحمارة) أو الكمارة (أى التعليم) ، فهى المناظرات والتفاسير التى جرت فى المدارس العالية (٦) ·

---

(١) Hastings : Dictionary of the Bible, p. 27.

(٢) Encyclopædia of the Bible, p. 147.

(٣) التلمود ومعناه تعليم (Learning) Hastings : p. 890.

(٤) J. Z. Leuterbach : Mishnah., W. Bacher : Talmud.

(٥) Rodkinson : History of The Talmud (New York 1903).

(٦) قاموس الكتاب المقدس جـ ١ ص ٢٩٠ ·

وهناك نوعان من التلمود ، الاول وهو الفلسطيني أو الأورشليمي Yeruschalmi والثاني البابلي نسبه الى بابل بالعراق (٧) ٠ ويرجع تاريخ أقدم صـــورة من صور التلمود الفلسطيني الى منتصف القـــرن الثالث للميلاد . ثم وضع الأحبار بعد ذلك شروحه وتفاسيره المتعددة التي تكون منها في النهاية هذا التلمود الذي أخذ هيئأته النهائية في القرن الرابع للميلاد ٠ أما التلمود البابلي فقد قيل ان الذي بدأ بكتابته هو الجد (آشي) (Rabbi Ashi) (٨) المتوفي سنة ٤٣٠ م ، وأكمله الأحبار من بعده ، حتى أخذ صورته النهائية في القرن السادس للميلاد (٩) ٠ وهكذا نرى ان التلمود أحكام التوراة ، وهو أيضا تفيدنا اشارته التي تصل الى القرن السادس الميلادي في معرفة تاريخ العرب قبل الاسلام (١٠) أما عن الفترة الواقعة بين كتابه التوراة (١١) وبداية كتابه التلمود ، ونعني بها من سنة ٧٥٠ ق٠م الى القرن الثالث الميلادي، فيمكن الاعتماد فيها على ماكتبه من الأخبار المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس (١٢) (Josephus Flavius) الذي عـــاش بين ســـــنة ٣٧ ، ١٠٠ م تقريبـــــا ٠ وقد ذكر في كتبه تلك معلومات وأخبـــار مفصـــلة عن العرب وخـــاصة الانبـــاط (١٤) . الذين كانوا يسكنون في عهده في منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات حتى تخوم بلاد الشام ثم تنزل حتى تتصـــل بالبحـــر الأحمر (١٥) ، والذي عاصرهم هذا المؤرخ (١١) ٠

كذلك كان للمصادر المسيحية أثر لاينكر في تدوين تاريـــخ بـــلاد العرب وكذا تاريخ القبائل العربية وانتشار المسيحية بينها ٠ ومن أشهر

---

(٧) Starck : Einleitung in den Talmud, p. 118., (1908)

(٨) Encyclopaedia Britanica vol. 21, p. 769.

(٩) Hastings, p. 891.

(١٠) Harvey : The Oxford Companion to Classical Literature, p. 228.

(١١) Simon Dubnow : Weltgeschichte des Judischen Volkes vol. 2, p. 105.

(١٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٥٥ ٠

(١٣) له كتاب باللغة اليونانية في تاريخ عاديات اليهود تنتهي أحداثه حتى ٦٦ م اسمه (Joudaike Archaioloigia) وكتاب آخر في تاريخ حروب اليهود من سنة ١٧٠ ق٠م حتى سنة ٧٠ م اسمه (Peri tou Joudaikou Polemou) .

(١٤) Harvey : The Oxford Companion to Classical Literature, p. 229.

(١٥) كانت بلاد العرب عند (يوسف) هي مملكة الانباط فقط . Hastings : p. 892.

(١٦) هو (Josephus Flavius)

تلك المصـــادر وأقدمهـــا كتابات المؤرخ (ابسبيوس القيصرى) (١٧)، (Eusebius of Coesarea) الذى عاش في القرن الثالث للميلاد من (سنة ٢٦٣ م الى ٣٤٠ م) والذى كان يطلق عليه (أبو التاريخ الكنسى) (Father of Ecclesiastical History) وكذا عرف باسم (هيرودتس المسيحية) . وكانت كتابات هذا المؤلف باللغة اليونانية ، وقد تعرض فى كتاباته عن تاريخ الدولة اليونانية والرومانية حتى سنة ٣٢٥ م ، وعلاقاتهم بالعرب (١٨) ، والبلاد العربية التى كانت خاضـــعة معهما أو تتجر معهم .

ولعل من أهم المصادر المسيحية التى أفردت كتاباتها تقريبـا على العرب ، المؤرخ شمعون الارشامينى (١٩) (Simon of Beit Arsham) صاحب (رســـائل الشهداء الحميريين) ، التى جـاء فيهـا كيف عذب (ذو نواس) نصارى نجـران ، الذى جمـع أخبارهم من بـلاط ملك الحيرة (٢٠) .

وقد ظل معظم مؤرخى المسيحية قبـــل الاســلام ، حتى العصر الأموى والعباسى من الروم والسريان ، وقد تنــاولوا تاريخ المسيحيــة بعامه وفى البلاد العربية بخاصة مما سد الكثير من الثغرات ، فى ذكر الكثير من الحوادث التى تعرض لها مسيحيو العرب قبل الاسلام . كما ذكروا فى شىء من التفصيل عن علاقات الروم والفرس بالعرب (٢١) .

أما المصـــادر اليونانيــة واللاتينية التى تناولت تاريخ العرب قبل الاسلام فهى كثيرة ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المصادر التى وردت فيها أخبار تاريخية وجغرافية على جانب من الخطورة ، وكذا تلك

(١٧) William Smith : A Dictionary of the Bible, vol. 3. p. 107.

(١٨) ايوسبيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة
وترجمه الى العربية القس مرقص داود (نشر دار الكرنك سنة ١٩٦٠ القاهرة) .

(١٩) Simon of Beit Archam, Letters on the Himiarite, Martyrs, by Ing. (524), and Guidi, entiteld : La Lettra di Simeone Vescovadi Beit Arsham. (524).

(٢٠) حمزه الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٤٧ (طبع برلين)
المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٢٧٧ (تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد) .

(٢١) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٦٥ .
ويعلق د. جواد على على هذه المراجع فيقول ، ان هذه المراجع على كثرتها فانه ليس من الميسور الرجوع اليها لأنها ماتزال مخطوطة باللغة اليونانية او اللاتينية أو السريانية . كما أن المطبوع منها نفدت ولم يبق منها الا عدد قليل فى مكتبات أوروبا ، لا يمكن الاطلاع عليها الا بصعوبة .

التي وردت فيها أسماء قبائل عربية كثيرة لولاها لأصبحت تلك القبائل مجهولة لنا (٢٢) ٠ ومن أقدم تلك المصـــادر المؤرخ اليوناني (أخيلس) (Aescylus) الذي يرجع (سنة ٥٢٥ م الى ٤٥٦ م) ٠

ولعل من أهم المصادر اليونانيـــة التي تناولت تاريخ العرب قبل الاسلام بأسلوب تاريخي لم يسبق اليه هو المؤرخ هيرودتس (Herodotus) الذي عاش (سنة ٤٨٠ ق٠م الى ٤٢٥ ق٠م) والذي لقبه خطيب اليونان العظيم شيشرون Cicero باسـم (أبو التاريـخ) (٢٣) ٠ وكذا المؤرخ ثيوافراستوس (Theophrastus) الذي عاش من (سنة ٣٧١ ق٠م – ٢٨٧ ق٠م) صاحب كتاب (Historia Plantarum) الذي ذكر فيه معظم أشجار جنوب البلاد العربية التي كانت تصدر التمر ، واللبان والبخور والأفاوية (٢٤)

هذا ولا يجب ان ننسى المؤرخ الصـــقلي (٢٥) (ديـودورس) (Diodarus Siculus) الذي عاش سنة ٤٠ ق٠م ، الذي تناول تاريخ العالم ، وبرغم حشده لكثير من الأساطير الا أنها لاتخلو من الفائدة ٠ والمؤرخ سترابون (٢٦) (Strabon) الذي عاش من (سنة ٦٤ ق٠م الى ١٩ م) ، وهو رحالة يوناني ، جمع معلوماته الجغرافية في سبعة عشر جزءا ، وقد خص بلاد العرب بجزء خاص ، هو الجزء السادس عشر منه ٠

ومن الكتاب اليونانيين الذين كتبوا جغرافية البلاد العربية وسواحل البحر الأحمر ، مؤرخ مجهول الاسم وضع كتابا على جانب كبير من الأهمية سماه الطواف حول بحر الأرتيريا (٢٧) (The Periplus of the Erthroean Sea) وهناك مجموعة كبيرة من المؤرخين من العصر

---

(٢٢) H. Fortser : The Historical Geography of Arabia (in two Volums, Pliny : Natural History vol. VI, p. 32.

(٢٣) The History of Herodotus, Translated by George Rawtinson in Two vols., (London, 1920).

(٢٤) Theopheophrastus : Historia Plantarum (ed. Hort 1916).

(٢٥) Friedrich Vogel, Diodorus Siculus Bibliotheca Historica, Vol. 1-3.

(٢٦) Hamilton Translated «The Geography of Strabo, in 3 vols. (London, 1912).

(٢٧) The Periplus of the Erythaean Sea, Translated by W. H. School, (New York, 1912).

اليـونانى والرومانى تنـاولوا فى كتاباتهم تاريخ وجغرافيـــة وتجـارة البلاد العربية قبل الاسلام ، مما كان له أكبر الأثر فى معرفة الكثير من المعلومات التى لم ترد فى المصادر العربية قبل أو بعد الاسلام (٢٨) ٠

(٢٨) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٧٣ (يقول : ذكر بطليموس فى كتابه المعروف باسم جغرافية الأرض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والأنهــــار والعيون ٠ ووصف المدن المسكونة والمواضع العامرة ، وعددها أربعة آلاف وخمس مائة وثلاثون مدينة فى عصره سماها مدينة مدينة فى كل اقليم من أقاليم المعمورة) ٠

الباب الثالث

مؤرخو التاريخ الاسلامى
حتى نهاية العصور الوسطى

مؤرخو التاريخ الاسلامى
حتى نهاية العصور الوسطى

لعل من أكثر العلوم التى تناولها الرواة والعلماء والكتـــاب بل والشعراء على اختلاف طبقاتهم وعلومهم ومذاهبهم ، منذ فجر الاسلام وحتى عصرنا هذا ، بالشرح والوصف والنقد والتجريح ، هو علم التاريخ عند المسلمين ٠

فقد سئل ثمامة بن أشرس (١) يوما وقد خرج من عنـــده عمرو ابن مسعدة (٢) ، فقيل له : يا أبا معن ما رأيت من معرفة هذا الرجل .

---

(١) هو ثمامة بن أشرس النميرى أبو معن توفى (٢١٣هـ/٨٢٨م) من كبار المعتزلة . وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين (لسان الميزان جـ ٢ ص ٨٣) ٠ كان له اتصال بالخليفة هارون الرشيد ثم المأمون وكان ذا نوادر وملح (ميزان الاعتدال جـ ١ ص ١٧٣) ٠ ومن تلاميذ ثمامة الجاحظ الذى قال عنه ، أن الخليفة المأمون أراد أن يستوزره فاســـتعفاه (البيان والتبين جـ ١ ص ٦١) كما قال عنه الجاحظ : ما علمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان مبلغه (البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٧ ص ١٤٥ ، طبقات المعتزلة ص ٦٢) ٠ وعدد المقريزى فى رؤساء الفرق الهالكة واتباعه يسمون الثمامة (خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٤٧) وقال ابن حزم (ان ثمامة كان يقـــول : ان العالم فعل الله بطبـــاعه) ٠

(٢) عمرو بن مسعده بن سعد بن صول توفى (٢١٧ هـ/٨٣٢م) وزير المأمون واحد الكتاب البلغاء ، كان يوقع بين يدى جعفر البرمكى فى أيام الخليفة هارون الرشيد ثم اتصل بالمأمون لرفع مكانته وأغناه (ارشاد الأريب فى معرفة الأديب جـ ١ ص ٨٨ ، امراء البيان ص ١٩١ ، تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ٢٠٣) وكان مذهبه فى الانشاء الايجاز واختيار الجزل =

وبلوت فهمه ، فقال : ما رأيت قوما نفرت طبائعهم عـن قبـول العلوم وصغرت هممهم عن احتمال لطائف التمييز ، فصار العلم سبب جهلهم ، والبيان علم ضلالتهم ، والفحص والنظر حـايل عنهم والحكمـة معـدن شبههم أكثر من الكتاب (أى كتاب التاريخ) .

ويتحدث أبو بكر الأصم عن ابن المقفع (٣) فيقول : ما رأيت شيئا الا وقليله أخف من كثيره الاالعلم بالأخبار ، فانه كلما كثر خف محمله . ولقد رأيت ابن المقفع فى غزارة علمه وكثرة روايته ، كما قال عز من قائل (كمثل الحمار يحمل أسفارا) . وقد أوهنه وأذله حلمه وأعمته حكمته وحيرته بصيرته .

ووصف شاعر فى مجلس بشر بن المعتمر (٤) ، الكاتب المؤرخ عمر ابن فرج فقال :

= من الألفاظ وكان جوادا فاضلا نبيلا (وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٩٠ ، المرزبانى ص ٢١٩ ، الزركلى ، الاعلام ج ٢ ص ٨٦) .

(٣) هو عبد الله بن المقفع ولد (سنة ١٠٦هـ وتوفى سـنة ١٤٢ هجرية/ سنة ٧٢٤ ـ ٧٥٩م) ذكره البغدادى فى خزانة الأدب ج ٣ ص ٤٥٩ ، قال الصنعانى فى العباب : كان اسمه روزبه قبل اسلامه ويكنى بأبى عمرو ، فلما أسلم تسمى عبد الله وتكنى بأبى محمد ، أما المقفع ـ أبوه ـ فاسمه المبارك ، ولقب بالمقفع لأن الحجاج بن يوسف الثقفى ضربه فتقطعت يده ، أى تشنجت . وقيل المقفع بكسر الفاء لعمله القفعة ، وهى شبيهة بالزنبيل بلا عروة وتعمل من الخوص) .

كان ابن المقفع من أئمة الكتاب ، وأول من عنى فى الاسلام بترجمة المنطق . أصله فارسى ولد فى العراق مجوسيا (مزدكيا) وأسلم على يد عيسى بن على عم السفاح (أمراء البيان ص ٩٩ ، آمال المرتضى ج ١ ص ٩٤) .

تولى كتابة الديوان للخليفة أبو جعفر المنصور ، كما ترجم له كتب أرسطو طاليس الثلاثة فى المنطق وكتاب (المدخل الى علم المنطق) المعروف بايساغوجى . وترجم عن الفارسية كتاب (كليلة ودمنة) وهو أشهر كتبه (دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٢٨٢) كما أنشأ رسائل غاية فى الابداع منها (الأدب الصغير) (والأدب الكبير) و (رسالة الصحابة) و (اليتيمة) . (أخبار الحكماء ص ١٤٨ ، لسان الميزان ج ٣ ص ٣٦٦) وقد اتهم بالزندقة فقتله فى البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلى (البداية والنهاية ج ١٠ ص ٦٩) .

(٤) هو بشر المعتمر الهلالى البغدادى توفى (٢١٠ هـ / ٨٧٥ م) أبو سهل فقيه معتزلى مناظر من أهل الكوفة . قال عنه الشريف المرتضى (آمال المرتضى ج ١ ص ١٣١) يقال : ان جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبه تنسب اليه الطائفة (البشرية) له مصنفات فى الاعتزال منها قصيدة فى اربعين ألف بيت رد فيها على جميع المخالفين ومات ببغداد (طبقات المعتزلة ص ٥٢) .

لا تطلبن الخير من بنى فــــرج	لا بــارك اللــه فى بنى فــــرج
والعن اذا ما لقيتــه عمــــــرا	لعنــا بقينــا بأعظــم الهـــرج
ليس على المفتــرى على عمـــــر	من ضرب حد يخشى ولا حرج (٥)

وتحدث الجاحظ (٦) عن الكتاب (كتاب التاريخ) فقال : خلق حلوة وشمائل معشوقة وتظرف أهل الفهم ، ووقار أهل العلم ، فان آلقيت عليهم الاخلاص وجدتهم كالزبد يذهب جفـاء ، وكتبته بحرقهـا الهيف من الرياح (٧) ، لا يستندون من العلم الى وثيقة ولا يدينون اليه حقيقة ٠ أخفر الخلق لأماناتهم ، وأشراهم بالثمن الخسيس لعهودهم ، الويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ٠

ويتحدث عنهم عباد بن ثابت بن يحيى (٨) كاتب الخليفة المأمون فيقول : لا أعلم أهل صناعة أملاء لقلوب العامة منكم ولا النعم على قوم أظهر منها عليكم ٠ ثم انكم فى غاية التقاطع عند الاحتياج وفى ذروة الزهد فى التعاطف عند الاختلال ، وانــكم لتتذكرون عند الاجتماع والتعـارف تناكر الضباب والسلاحف (٩) ٠

---

(٥) ابو عثمان عمرو بن محمد الجاحظ : البيان والتبين جـ ٢ ص ٤٤ ٠

(٦) هو أبو عثمان عمرو بن محمد الجاحظ المتـــوفى (٢٥٥هـ) وجاء فى كتاب الأنساب ص ١١٨) انما قيل له الجاحظ لجحوظ عينيه ٠ كان من أهل البصرة وأحـــد شيوخ المعتزلة ، وهو مولى أبى القلمسى عمرو بن قلع الكنانى ثم الفقيمى ٠ وكان محبوب ــ جد الجاحظ ــ أسود وكان جمالا لعمر بن قلع ٠

والجاحظية فرقة من المعتزلة ، ترى أن المعارف ضرورية طباع ، وليس شئ منها من افعال العباد ٠

وقال المبرد ، دخلت على الجاحظ فى آخر أيامه وهو عليل ، فقلت له : كيف انت ؟ فقال : كيف من نصفه مشلوج ولو نشر بالمناشير لما أحس به ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه ، والآفة فى جميع هذا أنى قد جزت التسعين ثم أنشد

اترجو أن تكون وأنت شــيخ	كما كنت أيــام الشــباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب	دريس كالجديد من الثياب

ويقول عنه ابن قتيبة (كتاب تأويل مختلف الحديث ص ٧١) هو آخر المتكلمين والمعاير على المتعمين وأمنهم للحجة استنارة ، واشدهم تلطفا لتعظيم الصغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغر ٠ ويبلغ به الاقتدار الى أن يعمل الشئ ونقيضه ويحتج بفضل السودان على البيضان ونجده مرة يحتج للعثمانية على الرافضة ومرة للزيدية عـلى العثمانية وأهل السنة ــ ٠٠ الخ » ٠

(٧) الهيف رياح حارة تأتى من جهة اليمن نكباء بين الجنوب والدبور ٠

(٨) البيان والتبيين جـ ٢ ص ٤٦ ٠

(٩) ابن عساكر : تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٣ ص ٣٧٢ ٠

أما عن الكتب التى ألفت فى علم التاريخ الاسلامى والتى ترجع الى نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الثالث للهجرة فهى أكثر من أن يأتى عليها حصر فى هذه المقدمة ، ومن ثم فقد رأينا أن نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر .

فقد ألف فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث للهجرة كتاب (التاريخ والسير) ألفه أبو يعقوب بن سليمان بن عبد الله الهاشمى . وكتاب (التاريخ على السنين) الذى ألفه أبو حسان الزيادى المولود فى مدينة بغداد (١٥٦ هـ وتوفى ٢٤٣ هـ / ٧٧٣ ـ ٨٥٧ م) . وكذلك ألف أبو بشر البزاز المتوفى (٢٤٩ هـ ـ ٨٦٣ م) كتاب التاريخ وكتاب القراءة . وألف بن سفيان المولود بفارس كتاب (المعرفة والتاريخ) وقد توفى (٢٧٧ هـ ـ ٨٩٠ م) .

أما أبو بكر بن أبى هيثمة ، فهو الذى ألف (التاريخ الكبير) . وكان أبو بكر من مواليد (١٨٥ هـ وتوفى ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م) .

وألف أبو عيسى بن المنجم تاريخه (تاريخ سنى العالم) وتوفى (٢٨٨ هـ ـ ٩٠٠ م) أما سعيد بن البطريق المتوفى (٣١١ هـ ـ ٩٢٩ م) فقد ألف كتابه المعروف باسم (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) كما ألف أبو زيد بن سهل البلخى المتوفى (٣٢٢ هـ ـ ٩٣٣ م) كتاب (البدء والتاريخ) الذى يقع فى ستة أجزاء كما ألف أبو نصر المطهر بن المطهر المقدس المتوفى (٣٥٥ هـ ـ ٩٦٦ م) كتابا مماثلا لكتاب البلخى فى الاسم وهو (البدء والتاريخ) .

على ان تعريفات المؤرخين الذين تناولوا (علم التاريخ الاسلامى) بالبحث والتأليف ، ظلت حتى العصور الوسطى فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة / الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، لا تكشف عن بصيرة فلسفية عميقة اللهم الا ابن خلدون (١٠) الذى كان أول من تكلم عن فلسفة (١١)

---

(١٠) ولد عبد الرحمن أبو زيد ولى الدين بن خلدون بتونس (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ويرجع أصله الى حضرموت ، وكان لأسرته قدم راسخة فى العلم والسياسة ؛ يقول عنه ابن حيان : بيت ابن خلدون فى أشبيلية نهاية فى النباهة ولم تزل اعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية . درس العلوم الدينية واللغوية والفلسفية والطبيعية والرياضية . تولى وظائف حكومية فترة ٢٥ سنة بدول شمال افريقية . ثم رحل الى الأندلس وبقى بها عشر سنوات . ورحل الى مصر سنة ٧٨٤هـ وتولى منصب قاضى القضاة المالكية . وكان لأسفاره الكثيرة واتصاله بكثير من الملوك النصارى بالأندلس والتتار بالشام فضل فى تكوين فلسفته التاريخية . توفى سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م .

(١١) Flint (Robert : History of the Philosophy of History, p. 315. =

التاريخ فقال « ان التاريخ أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول » (١٢) ٠

ويعرف الكافيجي (١٣) علم التاريخ فى كتابه (المختصر فى علم التاريخ) فيقول : وأما علم التاريخ فهو يبحث عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعين ذلك وتوقيته ٠ وان كان الكافيجي قد عنى عنـــاية خاصـــة بالاجابة عن المســائل المتعلقة بخصائص علم التاريخ وغرضه ، وهدفه وفوائده (١٤) ٠ كما أنه أعطى مجالا أوسع لمناقشة المعضلات الناجمة عن غموض كلمة (تأريخ) وعن مركز التأريخ فى العلوم الدينية الاسلامية (١٥) ٠

أما السخاوى (١٦) فيعرف التاريخ فى كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) فيقول : أما موضوعه فالانسان والزمان ومسائلة أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للانسان

= أحمد محمود صبحى : فى فلسفة التاريخ ص ١٣٣ ٠

(١٢) مقدمة ابن خلدون جـ ١ ص ٥٠ (طبعة باريس)

(١٣) هو محيى الدين محمد بن سليمان الكافيجي أصله من (كوك جاكى) فى الأناضول (ولد سنة ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م وتوفى سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م) يقول السخاوى انه كان معلما شعبيا ٠ اما مؤلفاته فكانت كثيرة غير أن معظمها قصير ولم ينشر منهـــا شىء ٠

ويعلق فرانز روزنتال فى كتابه (علم التاريخ عند المسلمين) على كتاب المختصر فى علم التاريخ فيقول (وبالرغم من حداثة تاريخه نسبيا ، فانه أقدم رسالة اسلامية معروفة عن نظرية علم التاريخ ٠ ثم يقول وقد يبدو لأول وهلة بانه لم ينجح بمعالجة نظرية التاريخ ، الا أنه جدير بالاعتبار لأصالة طريقته وجودة كتابته ، وهو يتبع النظام المألوف فى التعريف العلمى الذى يرجع الى الفلسفة الارسطو طاليسية (الصفدى : المقدمة ص ٤٨) ٠

(١٤) بروكلمان جـ ١ ص ١٣٤ ٠

(١٥) على بن على الآمدى : أحكام الحكام جـ ١ ص ٦ ٠

(١٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوى ، مؤرخ حجة ، وعالم بالحديث والتفسير والأدب ٠ أصله من مدينة سخا (شمال دلتـــا مصر) ومولده بالقاهرة (٨٣١هـ/١٤٢٧م) وتوفى بالمدينة (٩٠٢هـ/١٤٩٧م) ساح فى كثير من البلدان وصنف زهاء مائتين ، منها مؤلفه الفريد فى نوعه وعنوانه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ)، وكذا كتابه الشهير (الضوء اللامع) فى ١٢ جزءا ٠ (شذرات الذهب جـ ٨ ص ١٥ ، الكواكب السائرة جـ ١ ص ٥٣ ، وابن اياس الذى قال عنه الف كتابا فيه أشياء كثيرة عن المساوىء فى حق الناس) ٠

وفي الزمان · أما عن فائدة التأريخ فيقول (١٧) ـ وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها ، ومن أجل فوائده انه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما الا بالاضافة الى وقت متأخر « كرؤيته قبل أن يموت بعام أو نحوه أو عن صحابي متأخر » (١٨)·

ومن المؤلفات التي كتبت في نهاية العصور الوسطى . كتاب السيوطي. (١٩) المعروف باسم (الشماريخ في علم التاريخ) · وهذا المؤلف على ما به من معلومات لا بأس بها في نقد من تقدمه في الكتابة عن علم التاريخ (٢٠) ، الا أن أحدا ، على ما أعلم ، قد تناوله بالبحث والدراسة .

---

(١٧) وينقل فرانز روزنتال في كتابه (علم التاريخ عند المسلمين ص ٣٧١) كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) فيقول : وقد أقام المؤلف بهذا الكتاب نصبا فيما لعلم التاريخ العربي ، والكتاب كما يدل عليه عنوانه ، كان ذا صفة اعتذارية . وقد كتب للدفاع عن دراسة التاريخ كموضوع ثقافي مساعد في مناهج الدراسة الدينية · والتاريخ بهذا المعنى يفضل الاشارة الى بحث نواح معينة من سير علماء الدين · والكتاب كتب من وجهة نظر العلوم الدينية غيرأنه في الوقت نفسه كتبه رجل مفعم بالحماس لجمع التفاصيل التي تمثل نهاية حقبة زمنية من البحث في معضلات كتابة التاريخ · وقد كانت نتيجة هذه البحوث كتابا عرض فيه عرضا شاملا وأحيانا رائعا لعلم التاريخ الاسلامي ·

(١٨) A.J. Wensink : A Handbook of Early Mohammendan Traditions, p. 26.

ابن الصلاح : المقدمة ص ٢٣٩ ، فؤاد عبد الباقي : مفتاح كنوز السنة ، تاريخ بغداد جـ ٤ ص ١٤ ·

(١٩) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن سابق الدين الخضيري السيوطي ولد سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م) وتوفي (٩١١هـ/١٥٠٥م) امام حافظ مؤرخ أديب له نحو (٦٠٠) مصنف · نشأ بمدينة القاهرة يتيما ، اذ توفي والده وهو في الخامسة من عمره ، ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس . وخلا بنفسه في جزيرة الروضة على النيل منزويا عن أصحابه جميعا كأنه لا يعرف أحدا منهم ، فألف أكثر كتبه (الكواكب السائرة جـ ١ ص ٢٢٦ ، شذرات الذهب جـ ٨ ص ٥١) · وكان الأغنياء والامراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها ، وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر اليه ورد هداياه وبقي على ذلك حتى مات · وقد جاء في كتاب المنح البادية) أنه لقب بابن الكتب لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ، ففاجأها المخاض فولدته وهي بين الكتب ·

معجم المطبوعات ص ١٠٧٣ ، بروكلمان ، الزركلي · الاعلام جـ ٣ ص ٣٠١) ·

(٢٠) الشمراخ ، بالكسر العثكال عليه بسر أو عنب كالشروخ · والشمروخ رأس الجبل وأعالي السحاب وغرة الفرس اذا دقت وسالت وجللت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة ولا يقال للفرس نفسه شمراخ · وذو الشمراخ فرس مالك بن عوف النصري · والشمراخية من الخوارج أصحاب عبد الله بن شمراخ · وشمرخ العذق أي اخمط شماريخه بالمخلب قطعا (القاموس المحيط جـ ١ ص ٢٧٢) ·

وهناك كتاب باسم (شماريخ الورد) في التفسير تأليف علي بن عراق الخوارزمي · (كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون جـ ٤ ص ٥٣) ·

بل أشار اليه قلة لا تذكر (٢١) ٠

أما ما ألف وصنف فى علم التاريخ الاسلامى فى العصر الحديث .. عصر النهضة العلمية ، وعصر نشر تراث الأقدمين ، فأكبر من أن يأتى عليه حصر وخاصة فى مقدمة مختصرة عن (تطور علم التاريخ عند المسلمين) ومن ثم فسنختار أحدث وأهم ما كتب فى هذا العلم ٠

ولعل من أهم وأقدم ما ألف فى القرن العشرين ، كتاب (مصطلح التاريخ) للأستاذ أسد رستم سنة ١٩٣٩ م (٢٢) ٠

وكتاب المؤرخ الكبير حسن عثمان (٢٣) وعنوانه (منهج البحث التاريخى) طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٥ ٠

كما ألف الدكتور على سامى النشار كتاب (مناهج البحث عند مفكرى الاسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الاسلامى) دار المعارف سنة ١٩٦٥ ٠

وصنف الدكتور عبد العزيز الدورى كتاب (علم التاريخ عند العرب) ببيروت سنة ١٩٦٠ وكذا كتاب روزنتال القيم (علم التاريخ عند المسلمين) ترجمة الدكتور صالح العلى (بغداد سنة ١٩٦٣) ٠ وكتاب (منهج النقد التاريخى الاسلامى ، والمنهج الأوروبى) تأليف الدكتور عثمان موافى (طبعة الاسكندرية سنة ١٩٧٦) ٠ وكتاب فى (فلسفة التاريخ) تأليف الدكتور أحمد محمود صبحى (طبعة الثقافة الجامعية بالاسكندرية) ٠

كما كتبت أبحاث قيمة فى المجلات والدوريات العلمية (٢٤) نذكر منها (التاريخ والمؤرخون) كتبه الدكتور حسين مؤنس ، مدخلا عاما لعلم

---

(٢١) عثمان موافى : منهج النقد التاريخى ص ١٩٧ ٠

(٢٢) هو أسد بن جبريل رستم مجاعص ولد بالشوير بلبنان (١٣١٥هـ/١٨٩٧م) وكذا توفى بها (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) مؤرخ لبنانى من العلماء بالوثائق ، تعلم بالجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج بجامعة شيكاجو ، وعين أستاذا للتاريخ الشرقى بالجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٢٧م ٠ وجمع لمكتبتها مجموعة كبيره من الوثائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن الأقطار الشامية فى عهد الحكومة المصرية (الزركلى جـ ١ ص ٢٩٧) ٠

(٢٣) هو الاستاذ الدكتور حسن عثمان استاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة ، ومن أدباء مصر ٠ اشتهر بترجمته (للكوميديا الالهية) لدانتى من الايطالية الى العربية (١٩٦٦ م) ونال عليها جائزة الدولة التشجيعية كما أخذ على كتب أخرى قبلها مثل (سافونارولا : الراهب الثائر ، والجحيم المطهر) وغيرهما ٠

توفى بالقاهرة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ٠

(٢٤) مجلة عالم الفكر تصدر عن وزارة الاعلام فى الكويت ٠ المجلد الخامس ، العدد الأول ـ ابريل ـ مايو ـ يونيه سنة ١٩٧٤م ٠

التاريخ تناول فيه مباحث شتى • و (التاريخ بين العلوم) للدكتور شاكر مصطفى ، تناول فيه علم التاريخ تناولا جديدا لم يسبق اليه • كما تناول الأستاذ الدكتور والفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوى أحدث النظريات فى فلسفة التاريخ • كذلك تناول الدكتور محمد الطالبى المؤرخ التونسى موضوع (التاريخ ومشاكل اليوم والغد) بالبحث والدراسة المستفيضة •

مما تقدم تبين لنا فى جلاء ووضوح ان (علم التاريخ الاسلامى) قد عولج من جميع نواحيه المادية والفلسفية • أما عن تطوره والمراحل التى مر بها حتى بلغ غايته فى نهاية العصور الوسطى ، فان مرجعا لم يتناوله تناولا موضوعيا ، وذلك عن طريق تتبع المصنفات التى تبين هذا التطور وتثبته بما لا يدع مجالا للشك أو التخمين ، ومن ثم فقد وقع اختيارنا لموضوع (تطور علم التاريخ الاسلامى حتى نهـــاية العصور الوسطى) •

على ان الذى نعنيه بتطور علم التاريخ ، هو تتبع الخطوات التى مرت بها الكتابة التاريخية منذ فجر الاسلام دون التدخل أو التعرض للمنهج الذى أتبع فى الكتابة ، من نقل ونقد وجرح وتعديل ، الذى وضعت أصوله خلال القرون الثلاثة والتى اصطلح على تسميتها (بعصور المتقدمين) • وفى ذلك يقول الذهبى :

« فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو سنة ثلثمائة » (٢٥) •

كما ان المتصدى للبحث عن نشأة الكتابة التاريخية وتطورها عند المسلمين لا بد له أن يذكر شيئا عن التدوين التاريخى للعرب قبل الاسلام • ومهما يكن من قلة المصادر التاريخية التى ترجع الى العصر الجاهلى ، فهناك العديد من الاشـــارات فى المراجع (٢٦) التايخية التى دونت فى صـــدر الاسلام ، تقول بأن دواوين الشعراء كانت تروى قبل الاسلام رواية شفوية مع وجودها مكتوبة مدونة (٢٧) • على أن أقدم أسماء وصلت الينا لعلماء التاريخ العربى القديم لا يتجاوز عصرهم القرن السابق على الاسلام (٢٨) •

ومن أهم الموضوعات التاريخية التى كتبت ودونت قبل الاسلام تدور

---

(٢٥) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ص ٤ (تحقيق على البجاوى) : حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى ص ١٩ •

(٢٦) طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٥٩ ، الاصابة فى معرفة الصحابة جـ ٢ ص ٢٦٤ •

(٢٧) الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٣٣٠ ، الدانى : التيسير جـ ٤ ص ٨ •

(٢٨) الجزرى : غاية النهاية جـ ١ ص ٥٠٢ ، البخارى : التاريخ الكبير جـ ٤ ص ٨٧ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٣ ، الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٣٣٠ •

حول نقاط ثلاث هي : أنساب العرب وأيام العرب ومثالب العرب (٢٩) • على ان الكتاب ومؤرخي صدر الاسلام لم يهملوا الكتابة أو التدوين عن الموضوعات السالف الاشارة اليها ، فهناك كثير من الصحابة المرموقين وكذا قداءى التابعين الذين ألفوا في المغازى والفتوح كانوا نسابين ممتازين (٣٠) •

ومن المؤرخين المخضرمين الذين ألفوا كتبا قبل الاسلام وبعده في موضوعات أخرى غير الأنساب ، مثل الشعر والأخبار وأيام العرب ، والذين أطلق عليهم اسم (علماء العرب) مخرمه بن نوفل (٣١) ، وأبي الجهم (٣٢)

---

(٢٩) ابن هسام : التيجان ص ٢١٢ ، أبو عبيده : النقائص ج ١ ص ١٤١ ، الطبرى ج ١ ص ١١٨ . الجاحظ : البيان والتبيين ص ١٠٢ ، والحيوان ج ٣ ص ٢١٠ ، الزمخشرى : الفائق ص ٦٠٩ . أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٣ ص ٥٥ •

(٣٠) من أقدم الكتب التي وصلت الينا » عن تاريخ العرب في الجاهلية ، كتاب (أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها) وكذا كتاب (الأمثال) تاليف عبيد الله بن شريه الجرهمى الذى عاش فى الجاهلية والاسلام حتى أدرك نهاية حكم معاوية بن أبى سفيان فقد عده أبو حاتم السجستانى من المعمرين (أبو حاتم : كتاب المعمرين • ص ٤٠) • وعبيد بن شريه مؤلف أقدم كتاب فى الأمثال (ابن النديم ص ٩٠) وكان ابن شريه راوية الأعشى ، كما يروى عنه قصائد لطرفة بن العبد (ناصر الدين الأسد : مصـــادر الشعر الجاهلى ص ٢٤٠ ، ابن الانبارى : معلقة طرفة ، ابن هشام : التيجان ص ٢٠٩) •

وألف زياد بن أبيه كتاب المثالب ، وزياد هو أخو معاوية لأبيه ، وواليه على العراق • ولد زياد فى العام الأول للهجرة ، وهو أول من ألف فى موضوع المثالب ، ويقال أنه الفه ليكون أداة فى يد أبنائه للدفاع عما يوجه الى أصالته (ابن النديم : الفهرست ص ٨٩) وكان هذا الكتاب متداولا حتي القرن الثانى للهجرة (البكرى : سمط اللآلىء ص ٨٠٨ . بروكلمان ج ١ ص ١٠٣) •

وقد أمر الخليفة هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ/٧٤٣ م) النضر بن شميل الحميرى وكذا خالد بن سلمة المخزومى ، بتاليف كتاب يسمى (كتاب الواحدة) فى مثالب العرب ومناقبها ، يكون مخففا من تأثير كتاب زياد بن أبيه • وكان هذا الكتاب متداولا حتى القرن الخامس الهجرى • توفى زياد بن أبيه (سنة ٥٣هـ/٦٧٣م) الطبرى ج ١ ص ٢٦٥ ، مروج الذهب ج ٥ ص ١٥ ، الأغانى ج ١٢ ص ٥٧٥) •

(٣١) هو أبو صفوان مخرمة بن نوفل بن آهيب الزهرى القرشى ، ولد قبل الهجرة بستين عاما تقريبا ، أسلم بعد فتح مكة ، وكان يعد من كبار النابغين فى رواية الشعر من بين المخضرمين • كلفه عمر بن الخطاب أن يسهم مع عالمين آخرين فى اعداد ثبت بأنساب العرب • وكان مخرمة من بين من وضعوا أحجار حدود المنطقة الحرام فى مكة • وكف بصره فى عهد عثمان بن عفان وتوفى (٥٤هـ/٦٧٤م) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٧ ، طبقات ابن سعد ج ١ ص ٨٩ •

الصفدى : نكت الهميان ص ٢٨٧ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٦٣٠ ، ابن عبد البر • الاستيعاب ج ١ ص ٢٦٠ ، فؤاد سزكين ج ١ ص ٤١٨) •

(٣٢) هو أبو جهم عامر ، عبيد بن حذيفة ، دخل الاسلام مع فتح مكة ووصفه =

ابن حذيفة وحويطب (٣٣) بن عبد العزى ، وعقيل(٣٤) بن أبى طالب وجبير ابن مطعم (٣٥) ٠

كذلك كان الاشتغال بالأنساب والتاريخ القديم موضع اهتمام الخلفاء الراشدين ، فقد كان الخليفة أبو بكر الصديق(٣٦) متميزا بين الصحابة بمعارفه فى الأنساب ، حتى قيل أنه كان أستاذ جبير بن مطعم فى هذا المجال ٠ كذلك كان عمر بن الخطاب الذى قضى نصف عمره قبل الاسلام يقدر المعرفة بالمجتمع العربى قبل الاسلام وبعده ، فقد سأل يوما جبير ابن مطعم عن تاريخ الملك النعمان بن المنذر ، وأهداه سيف الملك الذى كان من بين ما أتوا به الى عمر من أسلحة الملك وملابسه (٣٧) ٠

وكان الاشتغال بالأنساب والتاريخ موضع اهتمام بعض خلفاء الدولة الأموية (٣٨) ٠ ولعل من أقدم مؤرخى تاريخ العرب قبل الاسلام بعد عبيد

= الجاحظ ، بأنه قرشي عارف بالشعر والأخبار والأنساب ٠ وتوفى (٧٠هـ/٣٩٠م) مصعب : نسب قريش ص ٣٦٩ ، الجاحظ : البيان والتبين جـ ٢ ص ٣٢٣ ، الاستيعاب حـ ٢ ص ٦٣١ ، البكرى : سمط اللآلىء ص ٥٣٩ ، الزركلى : الاعلام جـ ٤ ص ١٧ ٠

(٣٣) هو حويطب بن عبد العزى بن أبى قسيس ، هو احد أربعة قرشيين كانوا علماء بالشعر والأخبار والأنساب ٠ أسلم بعد فتح مكة واشترك فى غزوة حنين والطائف ، ثم انتقل الى مكة حيث توفى (٥٣هـ/٦٧٢م) عن مائة وعشرين عاما ٠ وكان أحد من وضعوا أحجار حدود المنطقة الحرام (مصعب : نسب قريش ص ٤٢٥ ، ابن حبيب : المحبى ص ٩١ ، البلاذرى : أنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٢٩ ٠

(٣٤) هو أبوزيد عقيل بن أبى طالب وهو الأخ الأكبر لعلى بن أبى طالب ، كان مشهورا فى الجاهلية أسلم قبيل صلح الحديبية ٠ كان نسابه يقص فى مسجد المدينة كما كان يحكى أيام العرب ومثالب قريش ٠ كان أحد ثلاثة علماء كلفهم عمر بن الخطاب باعداد سجل بأنساب العرب مات (٦٠هـ/٦٨٠م) مكفوف البصر (الصفدى : نكت الهميان ص ٢٠٠ ، ابن حبيب : المحبر ص ٤٥٧ ، أنساب الأشراف جـ ١ ص ٢٠١) ٠

(٣٥) هو أبو عدى جبير بن مطعم بن عدى القرشى ، أحد مشاهير علماء الأنساب عند العرب ٠ أسلم قبل فتح مكة ٠ كان يدين بمعارفه فى الأنساب الى الزبير بن بكار ثم الى أبى بكر ٠ وأخذها عنه تلميذه سعيد بن المسيب ، وابناه محمد ونافع من بعده ٠ توفى (٥٩هـ/٦٧٩م) ٠

(مصعب : نسب قريش ص ٢٠١ ، البلاذرى : أنساب الأشراف ص ٢٣ ، القيسرانى ص ٧٦ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ١ ص ١٢٥) ٠

(٣٦) فتوح البلدان ص ٣٤٦ ، ابن حجر : الاصابة جـ ٣ ص ٧٩٤ ، الطبرى جـ ١ ص ٢٧٥ ٠

(٣٧) الجاحظ البيان والتبيين ص ٣٠٢ . الزمخشرى : الفائق ص ٨١ ٠

(٣٨) ابن حجر : التهذيب جـ ٥ ص ١٦٦ ، الطبرى جـ ١ ص ١٢٢ ٠

ابن شريه الجرهمى ، وهب بن منبه (٣٩) المتوفى (١١٠هـ ــ ٧٢٨م) الذى يعتبر من طبقة الاخباريين الأول ، (صاحب كتاب التيجان فى ملوك حمير) ، الذى نقل عنه الهمدانى فى كتاب الاكليل (٤٠) ٠ وضمن من نقل عنهم وهب بن منبه الى جانب عبيد بن شريه محمد بن السائب الكلبى(٤١)، حجة المسلمين فى أحوال العرب قبل الاسلام ٠ ومن مؤلفى تاريخ العرب قبل الاسلام فى العصر العباسى كذلك ، هشام بن محمد بن سائب الكلبى (٤٢) المتوفى (سنة ٢٠٤هـ ــ ٨١٩م) صاحب كتاب الأصنام ،

---

(٣٩) هو وهب بن منبه ولد حوالى سنة ٣٤ هـ ، ويعد هو واخوته همام وغيلان ومعقل قابعين ٠ تولى القضاء فى عهد عمر بن عبد العزيز ٠ حبس فترة من الزمن ولم تذكر المصادر سببا لذلك ٠ وكان وهب من أكثر مؤلفى العصر الأموى تأليفا ، وقد تميز كمؤرخ عن مدرسة المدينة ٠ يصفه ياقوت : (أنه الاخبارى صاحب القصص) وكان على معرفة وثيقة بمأثور أهل الكتاب ، واليه يرجع الفضل فى معرفة حول خلق العالم وتاريخ الأنبياء وبنى اسرائيل ٠ (ابن سعد : الطبقات جـ ٧ ص ٩٧ ، الطبرى : جـ ٣ ص ١١٧ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٥ ص ٤٦٢ ، أبو نعيم : حلية الأولياء ، سزكين جـ ١ ص ٤٨٩) ٠

(٤٠) هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى المعروف باسم ابن الحائك ٠ ولد فى مدينة صنعاء فى عهد الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦ هـ / ٨٧٩ م) وشارك الهمدانى اهل عصره فى كثرة التصنيف فى العلوم والأدب والأنساب والجغرافية ٠ ومن اهم مؤلفاته كتاب (صفه الجزيرة العربية) وكتاب الاكليل الذى يعتبر من المصادر الأصيلة والهامة فى تاريخ اليمن ٠ (ابن القفطى : أنباء الرواه جـ ١ ص ٢٨٣ ، بروكلمان جـ ٤ ص ٢٥ ، عبد المجيد الذويب : الجغرافيون العرب الندوة العالمية فى الرياض سنة ١٩٧٧) ٠

(٤١) هو محمد بن السائب الكلبى ، أحد المفسرين للقرآن والذى ترجع شهرته الى كونه مؤرخا ونسابه وجغرافيا ٠ وكان ذا ميول شيعية ، وكانت رواياته كثيرا ما توصف بانها ضعيفة ٠ عاش قبل (٦٦ هـ / ٦٨٥ م) وتوفى (سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م) (ابن قتيبه : المعارف ص ٢٦٦ ، ابن النديم الفهرست ص ٩٥ ، الذهبى : ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٦١) ٠

(٤٢) هو أبو منذر هشام بن السائب الكلبى ولد بالكوفة وتوفى بها سنة ٢٠٤ أو سنة ٢٠٦ هـ / ٨١٩ م ٠ ورث عن والده الاهتمام بتاريخ العرب القديم كذلك شغل بموضوعات مختلفة الى جانب التاريخ العربى القديم ٠ كان يفيد فى تاريخ الفرس من الكتب المترجمة عن الفارسية ٠ كما انه أفاد من نقوش كنائس الحيرة للتعرف على تاريخ اللخميين ٠ وقد خلف لنا الكثير من مؤلفاته (النسب الكبير) (وكتاب نسب الخيل فى الجاهلية والاسلام) و (كتاب الأصنام) ٠ ويعد ابن الكلبى من مصادر الطبرى الأساسية ، فقد استخدمها الطبرى فى حديثه عن الفرس والحيرة ، وذكر مقتبسات منها مسبوقة بعبارة (حدثنى أو أخبرنى) ٠

(النجاشى : الرجال ص ٣٠٥ ، ياقوت الارشاد ص ١٩ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ ٢ ص ٢٩) ٠

الذى يعتبر من أعلام الطبقة الأولى فى رواية أخبار العرب قبل الاسلام . وهناك كتاب آخر لابن الكلبى على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للعرب عموما هو أنساب الخيل . ومن أقدم علماء الأنساب كذلك فى العصر العباسى خالد بن طليق بن محمد بن عمران الخزاعى ، الذى عينه الخليفة المهدى العباسى (سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م) قاضيا على البصرة (٤٣) . وقد ذكر له ابن النديم (٤٤) مجموعة من الكتب منها (كتاب المآثر) و (كتاب المتزوجات) و (كتاب المنافرات) و (كتاب البرهان) (٤٥) ، ولكن للأسف لم يصلنا شيء منها وان كان الطبرى (٤٦) قد أشار اليها مرتين .

ومن مؤرخى العصر العباسى الأول مصعب (٤٧) مؤلف كتاب (الجمهرة فى نسب قريش) . ومن نسابى ومؤرخى العصر العباسى الهيثم بن عدى (٤٨) الذى ترجع شهرته فى المقام الأول الى كتبه فى المثالب ، كما أنه سبق الطبرى فى تأريخه للعالم وفق السنين .

ومن مشاهير مؤرخى ونسابة العصر العباسى كذلك سهل (٤٩) بن

---

(٤٣) البكرى : سمط اللآلىء ص ٨٠٨ ، ابن سعد : الطبقات ج ٧ ، ص ٥ ابن حزم : الجمهرة ص ٢٦٦ ، ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٦٤٥ .

(٤٤) ابن النديم : الفهرست ص ٩٥ .

(٤٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥١ ، الأغانى ج ٧ ص ٢٤ ، ص ٢٧ ، طبقات ابن سعد ج ٧ ص ٥١ ، ابن حزم : الجمهرة ص ٢٢٦ ، ابن النديم الفهرست ص ١١٥ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٥٠ .

(٤٦) الطبرى : تاريخه ج ٣ ص ٤٠٦ .

(٤٧) هو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيرى . كان عم الزبير بن بكار وشيخه . ولد بالمدينة سنة (١٥٦ هـ / ٧٧٣ م) درس على الامام مالك وغيره . وذهب الى بغداد وكان يعد نفسه نسابة محدثا ، وكان لديه موهبة شعرية ، احتفظ كتاب الأغانى ببعض مراثيه ومدائحه فى معاصريه . توفى ببغداد (سنة ٢٣٦ هـ / ٨٤٨ م). (البخارى : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٥٣ ، السمعانى : الانساب ص ٢٧١ ، الذهبى : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧٣ ، ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٣٢٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ١٦٤) .

(٤٨) هو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الثعلى ، ولد بالكوفة قبل (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) وتوفى (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) . وقد ذكر له ابن النديم خمسين كتابا لم يصل الينا شيء منها اللهم الا بعض المقتبسات ، ولا سيما فى انساب الاشراف للبلاذرى والمعارف لابن قتيبه .

(الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٧ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ ، المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ١٠ ، ابن الحجر : لسان الميزان ج ٦ ، ص ٢٠٩ ، ياقوت : الارشاد ج ٧ ص ٢٦٦) .

(٤٩) مدح سهل بن هارون بأنه (بزر جمهر الاسلام) وهو فارسى الأصل ومن =

هارون . نشأ بالبصرة وذاع صيته هناك قبل أن يلتحق بخدمة الخليفة هارون الرشيد . ثم تولى الكتابة للخليفة المأمون والادارة لدار الحكمة . ومن مؤلفاته المشهورة كتاب (ثعلبة وعفرة) على غرار كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع .

وكان الحفيصى (٥٠) ، كما وصفه الهمدانى ، بأنه أكبر نسابة ، ومؤرخ للتاريخ الحميرى القديم ، أفاد من نقوش وكتب عربية قديمة ، كما مدحه شاعر معاصر له فقال : أنه فاق كل النسابين العرب وبزهم جميعا . ومن أهم مؤلفاته كتاب (نسب حمير) ، توفى (٢٩٥ هـ ـ ٩٠٧ م) ، حتى ٣٤٢ هـ ـ ٩٥٣ م . له كتاب النسب استخدمه ابن ماكولا فى كتابه الأكمال (٥١) .

ومن أشهر مؤرخى القرن الخامس الهجرى ونسابته العبيدلى ، المعروف بشيخ الشرف أصله من بغداد ، وعاش فى الموصل ، عد من كبار نسابة عصره عاش أكثر من مائة عام وتوفى فى دمشق (٤٣٧ هـ ـ ١٠٤٥ م) ومن أهم مؤلفاته (تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب) وكتاب (الكامل فى أنساب آل أبى طالب) (٥٢) .

واذا كانت موضوعات أيام العرب ومثالبهم وأنسابهم التى اهتم بها مؤرخو فجر الاسلام قد تناولها المؤرخ قبل الاسلام وبعده ، الا أن موضوع المغازى يكاد يكون قاصرا على غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه . وكذا حروب نشر الدعوة الاسلامية حتى أوائل العصر العباسى .

ومن أقدم المؤرخين الذين تناولوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى (٥٣) الذى يعده أكثر المؤلفين صحابيا

= مشاهير الشعوبية توفى (٢١٥هـ / ٨٣٠م) . ومن مؤلفاته التى وصلت الينا (النمر والثعلب) و (رسالة فى البخل) (ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٦ ص ٢٠٠ الجاحظ كتاب البخلاء : ص ١٠) .

(٥٠) الهمدانى : الاكليل جـ ٨ ص ٥٢ ، السمعانى : الانساب جـ ٤ ص ٢٧٩ ، ابن ماكولا : الاكمال ص ٣٧٠ .

(٥١) هو أبو الفتح شبل بن تكين النسابة المصرى وصفه ابن ماكولا بانه نسابة كبير (فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٤١) .

(٥٢) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ١ ص ١١٨ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ٥ ص ٣٦٦ ، الذريعة جـ ٤ ص ٥٠٨ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٤٢ الزركلى جـ ٧ ص ٢٤٥ ، كحاله : معجم المؤلفين جـ ١١ ص ٢٤٦ .

(٥٣) ابن سعد : الطبقات جـ ٥ ص ٨٠ ، ابن حبيب : المحبر ص ٤٢٣ ، ابن قتيبة : المعارف ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٣٥ ابن حجر : التهذيب جـ ٤ ص ٦٩ ، الاصابة جـ ٢ ص ١٢٣ ، ابن حنبل : المسند جـ ٥ ص ٢٢٢ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٤٣ .

كأبيه ، والذى عرف قبل الاسلام بثقافته وخلقه ، فلقب بالكامل . ويعد سعيد من أول المؤرخين الذين دونوا أشياء عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما ألف عن المغازى توفى (سنة ١٢٣ هـ ـ ٧٤٠ م) .

ومن صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الشبان الذين دونوا مغازية سهل بن أبى حثمة (٥٤) ، المولود (سنة ٣ هـ ـ ٦٢٤ م) . وقد تواتر فى المصادر القديمة أن حفيده محمد بن يحيى بن سهل ، وقد روى عنه الواقدى كثيرا .

ومن مؤرخى المغازى المرموقين عبيد الله بن كعب (٥٥) ، وصفه محمد ابن اسحاق بأنه أحد كبار علماء الأنصار ، توفى (٩٧ هـ ـ ٧١٥ م) ، ولعل من أشهر كتاب المغازى فى صدر الاسلام الشعبى (٥٦) ، ولد بالكوفة (١٩ هـ ـ ٦٤٠ م) كان محدثا عالما فى الفقة والمغازى عارفا للشعر وراوية له . توفى (١٠٣ هـ ـ ٧٢١ م) له مؤلفات عدة أهمها كتاب (المغازى) و (الفرائض والجراحات) .

ومن مؤرخى المغازى الأوائل شرحبيل ، فقد عده سفيان بن عيينة (المتوفى سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٤ م) أحسن من عرف المغازى ، وان لم يرو عنه ابن اسحاق ولا الواقدى . وشرحبيل من المهاجرين الذين اشتركوا فى وقعتى بدر وأحد توفى سنة ١٢٣ هـ وكانت سنة مائة عام (٥٧) .

---

(٥٤) ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٢٠١ ، ابن حجر الاصابة جـ ٢ ص ٢٧٦ ، ابن حنبل : المسند جـ ٣ ص ٤٤٨ ، الواقدى المغازى ص ٩٥ ، الطبرى : جـ ١ ص ١٦٤ ، ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ٢٦٤ ، التهذيب جـ ص ٤٧٢ .

(٥٥) الطبرى : جـ ١ ص ٣٦٤ ، ابن سعد / الطبقات جـ ٥ ص ٢٠١ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٣٣١ ، ابن حجر : التهذيب جـ ٧ ص ٤٤ ، أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٢ ص ١٦١ . الجاحظ : الحيوان جـ ٣ ص ٢١٠ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٤٥ .

(٥٦) هو أبو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبى ، أوفده الخليفة عبد الملك بن مروان سفيرا له لدى قيصر الدولة البيزنطية . كما عينه عمر بن عبد العزيز قاضيا .

(ابن سعد : طبقاته جـ ٦ ص ١٧١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٢٩ ، أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٤ ص ٣١٠ . البكرى : سمط اللآلىء ص ٧٥١ . الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٧٩ ، ابن حجر : تقريب التهذيب جـ ١ ص ٣٨٧ ، الزركلى : الاعلام جـ ٤ ص ١٨ .

(٥٧) ابن أبى حاتم جـ ٢ ص ٣٣٨ ، ياقوت معجم البلدان جـ ١ ص ٢٦٩ ، ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ١٢٠ . ابن حجر : التهذيب جـ ٤ ص ٣٢٢ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٤٨ .

وكان الزهرى (٥٨) من أعلام مؤلفى المغازى ، ولد (سنة ٥١ هـ - ٦٧١ م) وتوفى (سنة ١٢٤ هـ - ٧٤٢ م) · وهو أول من أسند (٥٩) الحديث ودونه ، ومن أهم مؤلفاته كتاب (المغازى) و (نسب قريش) وغيرها كثير · كذلك كان يزيد (٦٠) بن رومان محدثا ومؤلفا فى المغازى ويبدو أن كتابه فى المغازى قد وصل الى الواقدى فى معظمه برواية محمد ابن صالح بن دينار ، توفى (سنة ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م) ·

وقد تطورت حركة التأليف فى تاريخ المغازى فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة تطورا سريعا حتى ألفت فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى ، مؤلفات جامعة ، وكان أكبر مؤلف جامع فى المغازى فى العصر الأموى كتاب المغازى لموسى (٦١) بن عقبة · ومما يجدر الاشارة

---

(٥٨) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى (البخارى : التاريخ الكبير جـ ١ ص ٢٢١ ، ابن قتيبه : المعارف ص ٤٧٢ ، المرزبانى : معجم الشعراء ص ٤١٣ ، أبو نعيم : حلية الأولياء جـ ٣ ص ٣٦٠ ، ابن الجوزى : صفوة الصفوة جـ ٢ ص ٧٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٤٠ ، ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٢٦٢ ، المرزبانى : معجم الشعراء ص ٤١٣ ، ابن سعد : الطبقات جـ ٣ ص ١٢؛ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٥ ص ١٣٦ ، الزركلى الاعلام جـ ٧ ص ٣١٧ ·

(٥٩) السند : لما كثر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهد التابعين بسبب تكوين الفرق الاسلامية ، وبسبب ان دخل فى الاسلام من لا يرجو له وقارا ولا استقرارا عند حقائقه ، أخذ العلماء يسندون (أى يرجعون) الأحاديث الى الرواة الذين الذين اشتهروا بالصدق والعداله · وقد أخذ الاسناد دورين مختلفين أولا : لا يذكر السند متصلا وذلك فى عصر الأئمه المجتهدين الذين التقوا بالصحابة كأبى حنيفة ومالك · ولما ذهب عصر المجتهدين وكثر الكذب ، كانوا يشترطون لقبول الرواية اتصال السند فى الحديث (أبو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٢٧٠) ·

(٦٠) هو يزيد بن رومان الأسدى المدنى · كان مولى لآل زبير ، عاصر متأخرى التابعين ولكنه لم يرو عن الصحابه (ابن حجر : التهذيب جـ ٩ ص ٢٢٥ ، القيسرانى : الرجال ص ٥٧٣ ، ابن الجزرى : غاية النهاية جـ ٢ ص ٣٨١ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٥ ص ١٨ ، ابن سعد : الطبقات جـ ٧ ص ٦٨ ، الطبرى ص ٦٤١ ، الزركلى : الاعلام جـ ٩ ص ٢٣٤) ·

(٦١) هو موسى بن عقبه بن أبى عياش أبو محمد الأسدى · كان تلميذ الزهرى عاش بالمدينة ، وكانت له بمسجد الرسول (ص) حلقة علم يمنح فيها اجازاته العلمية · وكان جل اهتمامه هو التاريخ لمغازى الرسول والخلفاء الراشدين ·

(ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٤ ص ١٥٥ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ، الزركلى جـ ٨ ص ٢٧٦ ، كحاله : معجم المؤلفين جـ ١٣ ص ٤٣) ·

اليه بالنسبة للمؤرخ موسى بن عقبة ، أنه كان يسجل الأحداث التاريخية وفق السنين وان كان قد سبقه فى هـذا المنهج عبد الله بن أبى بكر ابن حزم (٦٢) ·

ومن مؤلفى المغازى الذين رووا عن الصحابة وعن التابعين أبو المعتمر (٦٣) الذي روى عن الصحابى أنس بن مالك وعدد من قدامى التابعين مثـل الحسن البصرى · ولد (سـنة ٤٦ هـ ــ ٦٦٦ م) وتوفى بالبصرة (سنة ١٤٣ هـ ــ ٧٦٠ م) · ومن أهم مؤلفاته (كتاب المغازى) ·

كذلك كان أبان بن عثمان (٦٤) بن عفان من أقدم من ألفوا كتبا فى المغازى ·

ومن تلاميذ الزهرى الذين ألفوا فى المغازى ، محمد (٦٥) بن اسحق ، ولد بالمدينة المنورة (٨٥ هـ ــ ٧٠٤ م) وانتقل الى مدينـة الاسكندرية (١١٥ هـ ــ ٧٣٣ م) حيث حضر دروس يزيد بن أبى حبيب فى علم الحديث · ومن أهم مؤلفاته كتاب المغازى ، وهو ينقسم الى ثلاثة أقسام هى المبتدأ والمبعث والمغازى وتوفى فى بغداد (سنة ١٥٠ هـ ــ ٧٦٧ م) ·

ومن مؤلفى كتب المغازى (٦٦) معمر بن راشد ، ولد (٩٧ هـ ــ ٧١٤ م) ، ألف كتابا فى المغازى ، لم يرتب مادته ترتيبا زمنيا كما فعل موسى بن عقبة بل رتبها ترتيبا موضـوعيا على غرار ما فعله فى علم الحديث ، توفى (١٥٤ هـ ــ ٧٧٠ م) ·

---

(٦٢) ابن سعد : الطبقات جـ ٣ ، ص ٢٤١ ·

(٦٣) البخارى : التاريخ الكبير جـ ٧ ص ٢٥٢ ، المعارف · ص ٢٤٠ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ١٢٤ ، التهذيب جـ ٤ ص ٢٠١ ·

(٦٤) ابن سعد : الطبقات جـ ٥ ص ١٢٥ ، الطبرى جـ ٢ ص ١٢٧ ، ابن حجر : التهذيب جـ ١ ص ٩٧ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٤٦ ·

(٦٥) هو أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار (ابن سعد : طبقاته جـ ٧ ص ٦٧ ، ابن النديم : الفهرست ص ٩٢ ، ابن قتيبه ص ٢٧٤ ، ياقوت : الارشاد جـ ٦ ص ٣٩٩ ، الخطيب : بغداد جـ ١ ص ٢١٤ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ١٨٨ ، الذهبى : ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٢١ ، الزركلى : الاعلام جـ ٦ ص ٣٥٢ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٦١) ·

(٦٦) هو مولى بنى حدان بطن من بطون الازد ، استمع فى شبابه الى قتاده بن دعامة والى الزهرى وهمام بن منبه ، ثم رحل الى صنعاء وزار البصرة عدة مرات وتوفى فى صنعاء (ابن حجر : التهذيب جـ ١٠ ص ٢٤٤ ، ابن سعد : الطبـقات جـ ٥ ص ٣٩٧ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٤ ص ٢٥٥ ، الجعدى : فقهاء اليمن ص ٦٦) ·

ومن مؤرخي اليمن الذين ألفوا في المغازي أبو معشر (٦٧) ، دعاه الخليفة المهدي الى بغداد ، كان مؤرخا ذا مكانة أرفع من ابن اسحاق . ألف كتابا في المغازي ٠

ويعتبر أبو اسماعيل (٦٨) الأزدي البصري أول من أفرد مؤلفا للفتوحات الاسلامية وهو (مختصر فتوح الشام) ٠ وقد استمرت جماعة كبيرة من مؤرخي العصر العباسي الأول تؤلف عن (المغازي) خاصة دون غيرها من الفتوحات الاسلامية المعاصرة لهم ، وهم أبو العباس (٦٩) الأموي ، المتوفي (١٩٥ هـ ـ ٨١٠ م) وصاحب كتاب المغازي . وأبو حذيفة (٧٠) مؤلف (كتاب الفتوح) والمتوفي (٢٠٦ هـ ـ ٨٢١ م) ٠

أما عمدة مؤرخي المغازي فهو الواقدي ، المولود بالمدينة (١٣٠ هـ ـ ٧٤٧ م) والمتوفي (٢٠٧ هـ ـ ٨٢٣ م) ٠ ارتحل الى بغداد (١٨٠ هـ ـ ٨٩٦ م) حيث استقبله الوزير يحيى بن خالد البرمكي استقبالا حسنا وقدمه للخليفة هارون الرشيد ٠ ويعد الواقدي من مؤرخي المدينة غير أنه قضى أعوامه الثلاثين الأخيرة في بغداد ، وكان الاهتمام التاريخي عند الواقدي مركزا على الفترة الاسلامية ، كما تدل على ذلك مؤلفاته (٧١) ، مثل (أمر الحبشة والفيل) و (حرب الأوس والخزرج)

---

(٦٧) هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي توفي (١٧٠هـ / ٨٧٦م) له مؤلفات غير المغازي أهمها (تاريخ الخلفاء) (ابن قتيبة : المعارف ص ٢٥٣ تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٢٣ ، السمعاني : الانساب ص ٣١٣ ، الخطيب : تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٤٥٧) ٠

(٦٨) هو أبو اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي البصري (ذكره السخاوي . في كتابه (الاعلان بالتوبيخ) ص ١٢٦ ، كرد علي : مجله المجمع العلمي العربي في دمشق ٢٠ / ٥٤٤ ، كحاله : معجم المؤلفين جـ ١٠ ص ١٩٩ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٦٨) ٠

(٦٩) هو أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي الدمشقي (ولد سنة ١١٩ هـ / وتوفي ١٩٥ هـ) روى عنه الاوزاعي وابن جريج وغيرهما ، كان مرموق المكانة . لقب (بعالم الشام) ألف حوالي ٧٠ كتابا (البخاري : التاريخ الكبير جـ ٤ ص ١٥٢ ، ابن النديم : الفرست ص ١٠٩ ، الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٢٧٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ١ ص ٣٤٤ ، الزركلي : الاعلام جـ ٩ ص ١٤٣ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٦٩ ٠

(٧٠) هو أبو حذيفه اسحاق بن بشر بن محمد البخاري ، ولد في بلخ وعاش في بخاري (ابن النديم : الفهرست ص ٩٤ ، ياقوت : ارشاد الأريب جـ ٢ ص ٢٣٠ الخطيب : تاريخ بغداد : جـ ٦ ص ٣٢٦ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ١ ص ٣٥٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٥ ، أعيان الشيعة جـ ٢ ص ٢٣١ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٧٠ ، الزركلي : الاعلام جـ ١ ص ٢٨٦ كحاله : معجم المؤلفين جـ ٢ ص ٢٣١) ٠

(٧١) هو أبو عبد الله بن عمر الواقدي ، ولد (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) في المدينة وتوفي سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٣م (في بغداد ٠ وروى أنه تقلد منصب القضاء في شرق =

و (أخبار مكة) كما أنه ألف فى التاريخ المبكر لمكة والمدينة • وتجمع المراجع (٧٢) التاريخية على أن الواقدى أفضل عارف بالتاريخ ، ولكنه لم يكن يعلم شيئا عن الجاهلية •

وجاء بعد الواقدى من مؤرخى المغازى ابن عائذ (٧٣) المولود (سنة ١٥٠ هـ ـ ٧٦٧ م) وصاحب كتاب المغازى وهو أحد المصادر الأساسية لكتاب عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، تأليف ابن سيد الناس • كما توجد منه قطعة فى كتاب (الاصابة) لابن حجر توفى (سنة ٢٣٣ هـ ـ ٨٤٧ م) • ومن مؤرخى (التاريخ) المشتمل على سيرة النبى وتاريخ الخلفاء الراشدين أبو زرعة (٧٤) المتوفى (سنة ٢٨٠ هـ ـ ٨٩٣ م) •

= بغداد) ياقوت : ارشاد الاريب : جـ ٧ ص ٥٦ (ومن المؤكد أن الخليفة المأمون عينه قاضيا على عسكر المهدى • (ابن سعد : طبقاته جـ ٥ ص ٣١٤ ، ابن قتيبه : المعارف ص ٢٥٨ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ٧ ص ٧٣ ، ابن النديم : الفهرست ص ٩٩ ، السهمى : تاريخ جرجان ص ١٩٥ ، الصفدى : الواقى بالوفيات جـ ٤ ص ٢٣٨ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ ٢ ص ٢٦ ، الاعلان جـ ٧ ص ٢٠٠ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٧١) •

(٧٢) ابن حجر : التهذيب جـ ٩ ص ٣٦٥ ، ابن النديم : الفهرست ص ٩٩ •

(٧٣) هو عبد الله محمد بن عائذ بن أحمد الدمشقى القرشى ولد سنة ١٥٠ هـ كان كاتبا ومؤرخا ومحدثا ثقة • وكان يذهب مذهب القدرية وتوفى سنة ٢٣٣ هـ فى دمشق (البخارى : التاريخ الكبير جـ ١ ص ٢٠٧ ، الذهبى : الدول جـ ١ ص ١٠٢ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ١٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١ ص ٣١٢ ابن حجر : التهذيب جـ ٩ ص ٢٤١ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ٧٨ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٨٣) •

(٧٤) هو أبو زرعه عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله الدمشقى (ابن أبى يعلى : طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٠٥ ، السمعانى : الانساب ص ٥٦٢ اليافعى : مرآة الجنان جـ ٢ ص ١٩٤ ، السخاوى : الاعلان بالتوبيخ ص ١١٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٧٧ •

التاريخ العام

لقد صاحب التاريخ للأنساب والمغازى والسير ، التأليف فى التاريخ العام للدولة الاسلامية • ولما كان التأليف فى الأنساب والمغازى والسير يعتمد اعتمادا كليا على تاريخ العرب والاسلام فقط لذلك فقد وجد منذ نشأة الدولة الاسلامية فى عهد الراشدين ، أما التاريخ العام الذى شمل تاريخ جميع الشعوب التى دخلت فى الاسـلام كما شمل تاريخ جميع العلوم والمعارف فلم يبدأ الا بعد حركة ترجمة العلوم التى تمت فى بداية القرن الثالث للهجرة •

ومن أوائل مؤلفى التاريخ العام عبد الله بن سلام (١) ، كان يهوديا من المدينة دخل الاسلام بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم • وسافر مع عمر بن الخطاب الى الجابية والقدس ، وكان بعد ذلك الى جانب عثمان ابن عفان عندما قامت الثورة عليه • وهو من أوائل من أسلم من اليهود . وكان واسع المعرفة بالمأثور اليهودى حول الخلق وتاريخ العالم والأنبياء . وتوفى سنة ٤٣ هـ •

---

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، كان اسمه الأول الحصين الواقدى • المغازى ص ١٦٣ ، مسند بن حنبل ج ٥ ص ٤٥٠ ، الطبرى ج ١ ص ١٧٥ ، ابن حجر : الاصابة ج ٢ ص ٧٨٠ ، والتهذيب ج ٥ س ٢٤٩ ، فؤاد سزكين : ج ١ ص ٤٨٧ ، الزركلى ج ٤ ص ٢٢٣ •

وتعتبر مؤلفات كعب (٢) الأحبار مكملة لفصــول القصص القرآني حول خلق العالم وحول تاريخ الأنبياء قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم فقد كان حجة ومصدرا للمسلمين الأوائل الراغبين في مزيد من المعرفة ومنهم عمر بن الخطاب (توفى سنة ٣٤ هـ ــ ٦٥٤ م) ٠

ومن مؤلفي التاريخ العام الأوائل جابر الجعفي (٣) ، أصــله من الكوفة ٠ كان مؤرخا شيعيا ومفسرا توفى (١٢٨ هـ ــ ٧٤٦ م) ٠ وكذا عوانه (٤) بن الحكم ، أصله من الكوفة ، مؤرخ أموي ونسابة وعالم بالشعر العربي القديم وأخبار العرب ٠ كما كان قصاصا ماهرا ، روى عن عوانه أبو عبيدة ، والأصمعي ، والهيثم وابن عدي والمدائني وهشام بن الكلبي وغيرهم ٠ كان كفيفا توفى (١٤٧ هـ ــ ٧٦٤ م) ٠

ومن مؤرخي أواخر العصر الأموي أبو مخنف (٥) ، كان اماميا من الكوفة ، وكان جل همه الكتابة في موضوعات تدور أحداثها حول هذه الفترة ٠ وذكرت له المراجع ما يقرب من (٢٠ كتابا) (٦) ، أفاد منهــا المؤرخون المتأخرون توفى (١٥٧ هـ ــ ٧٧٤ م) ٠

---

(٢) هو أبو اسحاق كعب بن مانع ، وكان يهوديا من اليمن ، دخل الاسلام في خلافة أبي بكر أو عمر وهو من أقدم مروجي المأثورات اليهودية عند المسلمين ٠ ومن الكتب المنسوبة اليه (سيرة الاسكندر وما فيها من العجائب والغرائب) و (وفاة موسى) و (السلك في الناظم علم الأول والآخر) و (حديث ذي الكفل) و (حديث حمامات الذهب) وغير ذلك ٠ (ابن سعد : طبقاته جـ ٧ ص ١٦٥ ، ابن حجر : الاصابة جـ ٣ ص ٦٣٥ ، الهمداني : الاكليل جـ ١ ص ٢٣ ، الزركلي جـ ٦ ص ٨٥ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٨٨)٠

(٣) هو جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبد الله أبو محمد ، اختلفت الآراء حول عدالته ٠ ومن رواته شعبه وسفيان الثوري ٠ (البخاري : التاريخ الكبير جـ ١ ص ٢١١ ، النجاشي : الرجال ص ٩٩ ، ابن قتيبه : المعارف ص ٢٤٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ١ ص ١٧٦ ، العاملي : أعيــان الشيعــة جـ ١٥ ص ١٥٦ ، الزركلي جـ ٢ ص ٩٣) ٠

(٤) هو أبو الحكم عوانه بن الحكم بن عوانه الكلبي ، كان أبوه الحكم عالما بتاريخ الجاهلية ، لا نعلم تاريخ مولده وأغلب الظن أنه ولد قبل سنة ٨٠ هـ فقد التقى بذي الرمة المتوفى سنة ١١٧ هـ (انباه الرواه للقفطي جـ ٢ ص ٣٦١ ، الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٤٦ ، المرزباني : المقتبس ص ٢٦٣ ، الصفدي : نكت الهميان ص ٢٢٢) ٠

(٥) هو أبو مخنف ، لوط بن يحيى الازدي ، كان يهتم بموضوعات الخوارج والثورات الشيعية وثورات العراق ، وكان يميل الى رأي أهل العراق لا الى رأي أهل الشام وكان الى جانب الامام علي ضد معاويه دون ان يظهر ذلك في كتاباته (النجاشي : الرجال ص ٢٢٤ ، الكتبي : فوات الوفيات جـ ٢ ص ١٤٠ ، الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٣٦٠ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ٤ ص ٢٩٢ ، الزركلي جـ ٦ ص ١١٠ ، سزكين جـ ١ ص ٤٩٣) ٠

(٦) من هذه المؤلفات (مقتل الحسين) ، (خبر المختار وابن زياد) و (سـيرة

أما مؤرخو العصر العباسي فنذكر منهم عمر بن (٧) شمر صاحب كتاب (صفين) توفي (سنة ١٦٠ هـ ـ ٧٧٦ م) . وأبو النضر (٨) مؤلف كتاب (الأزارقة) ، ولد سنة ٨٥ هـ ، وتوفي (سنة ١٧٠ هـ ـ ٧٨٦ م) . ومن مؤلفي الكتب الأولى عن تاريخ العصر العباسي سيف بن عمر (٩) ، الذي كان الى جانب ذلك مؤلفا جامعا لكتب الفتوح التي كانت مصدرا مهما للمؤرخين المتأخرين ، لأنها تناولت الفتوح تناولا شاملا ، وكانت كاملة الأسانيد (١٠) . توفي سيف بن عمر في عهد هارون الرشيد (سنة ١٧٠ هـ ـ أو سنة ١٩٣ هـ) .

وكان النوفلي (١١) من مؤرخي العصر العباسي ، وهو أحد المصادر التي اعتمد عليها الطبري والمسعودي وأبو الفرج الأصفهاني توفي (سنة ٢٠٤ هـ ـ ٨١٩ م) .

ويعتبر المدائني (١٢) من أكثر مؤرخي العصر العباسي الأول تأليفا .

الحسين) و (كتاب صفين) و (كتاب الغارات) و (رسالة) و (كتاب المعمرين) و (فتوح الشام) و (كتاب الاخبار) و (كتاب الجمل) و (ابن النديم : الفهرست ص ٩٣ ، النجاشي : الرجال ص ٢٤٥) .

(٧) هو أبو عبد الله عمر بن شمر الجعفي الكوفي . كان راوية شيعيا ، وكان يروى عن جابر الجعفي والسدى والأعمش وغيرهم (البخاري : التاريخ الكبير جـ ٣ ص ٣٤٤ ، ابن أبي حاتم الجرح والتعديل جـ ٣ ص ٣٣٩ النجاشي : الرجال ص ٢٢٠ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ٤ ص ٣٦٦ فؤاد سزكين جـ ١ ص ٤٩٧) .

(٨) هو أبو النضر جرير بن حازم بن عبد الله البصري الجهضمي ، كان محدثا ومؤرخا قد استفاد كثير من المؤرخين من كتابه عن (الازارقة) ، فقد افاد منه أبو الفرج الاصفهاني ونقل عنه مباشرة في كتابه الأغاني جـ ١ ص ٢١ ، وكذا الطبري (الاصابة جـ ١ ص ١٣٩ ، القسراني : الرجال ص ١ ص ٧٤ ، الذهبي تذكره الحفاظ جـ ١ ص ١٩٩) .

(٩) من اهم آثاره العلمية (كتاب الفتوح الكبير والرده) وهو أحد مصادر الطبري في تاريخه ، كما أخذ منه ابن حجر في كتابه الاصابة ، كما اقتبس منه ياقوت في معجم البلدان ، وافاد منه ابن عساكر في (فهارس تاريخ دمشق ص ٧٦) (ابن أبي حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٢٧٨ ، ابن النديم الفهرست ص ٩٤ ، ابن حجر : التهذيب جـ ٤ ص ٢٢٥ ، الزركلي جـ ٣ ص ٢٣٠ كحاله : جـ ٤ ص ٨٨)

(١٠) الاسناد أو السند هو اثبات صحة الخبر ، ويبدأ السند بآخر راو للحديث ويتدرج الى الشخص الذي صدر عنه الحديث .

(١١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، كان معاصرا لابن الكلبي . روى عن أبيه وعن أبي مخنف وغيرهما . مقاتل الطالبين ص ١٥٥ ، ٣٣٨ ، ٤٦٥ ، المسعودي مروج الذهب جـ ٥ ص ٤ ، ٤١ ـ ١٨٨ الفهارس ص ٤٠٠ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٠) .

(١٢) هو أبو الحسن أبو علي بن محمد بن عبد الله المدائني (ابن النديم : الفهرست ص ١٠٠ ، ياقوت : ارشاد الاريب جـ ١٤ ص ١٢٤ ، الطوسي : الفهرست ص ٩٥ ، مرآة الجنان : جـ ٢ ص ٨٣ ، ابن تغرى بردى النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٥٩ ، ابن العماد :

ولد بالبصرة (١٣٥ هـ ـ ٧٥٢ م) وشب فيها ثم انتقل الى المدائن ولقب لذلك بالمدائني ثم ذهب الى بغداد وعاش فيها حتى وفاته (سنة ٢٣٥ هـ ـ ٨٥٠ م) ، وألف أكثر من عشرين مصنفا (١٣) ٠

ومن مؤرخي المدينة المنورة في العصر العباسي الأول الزبير بن (١٤) بكار ، ولد بالمدينة (سنة ١٧٢ هـ ـ ٧٨٨ م) وبعد صدامة بالعلويين هاجر الى بغداد ، ثم تولى منصب القضاء في مكة (٢٤٢ هـ ـ ٨٥٦ م) وتوفي بها (سنة ٢٥٦ هـ ـ ٨٧٠ م) ٠

كذلك كان البلاذري (١٥) من مؤرخي العصر العباسي المعروفين ، صاحب كتـاب (فتوح البلدان) و (أنسـاب الأشراف) توفي (سنة ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م) ٠ كذا ابن قتيبة (١٦) الدينوري ومن مؤلفاته (كتاب المعارف) و (الامامة والسياسة) ويعرف بتاريخ الخلفاء و (أدب الكاتب) وكتابي (عيون الأخبار) و (الشعر والشعراء) و (فضل العرب على العجم) وغير ذلك كثير ، توفي (٢٧٦ هـ ـ ٨٨٩ م) ٠ والمؤرخ (١٧) أبو حنيفة الدينوري من معاصري ابن قتيبة ، وهو مثله من أقدم كتـاب

شذرات الذهب جـ ٢ ص ٥٤ ، الذهبي : ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٢٣٦ ، الزركلي جـ ٥ ص ١٤٠ ٠

(١٣) نذكر من هذه المؤلفات : كتاب التعازي ، كتاب المردفات من قريش ، كتاب السير، اخبار القلاع ، (وهو كتاب عن الحصون اعتمد عليه المسعودي في كتابه مرآة الزمان ، وابن ماكولا في كتابه الاكمال) وكتاب الفرج بعد الشده والضيق (وهو بذلك مسبق التنوخي) كتاب رسل النبي ، وكتاب أمهات الخلفـاء ، وكتاب الخلفاء ، كتاب المغربين ٠ كتـاب اخبار ثقيف ٠

(١٤) هو أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب القرشي (وكيع : أخبار القضاه ، ابن حاتم : الجرح والتعديل جـ ١ ص ٢٨٥ ، السراج ، مصارع العشاق ص ٢٥٥ ، ابن الأثير : اللباب جـ ١ ص ٤٩٦ ، ابن فرحون : الديباج ص ١١٩ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٢ ص ١٦٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٣٣ ، الزركلي جـ ٣ ص ٧٤ ،كحاله جـ ٤ ص ١٨٠ ، فؤاد سزكين ص جـ ١ ص ٥٠٩ ٠

(١٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، ولد ببغداد ، وزار دمشق وحمص وانطاكيه وكان نديما للخليفة المتوكل ٠ ويعد البلاذري مؤرخا جامعا (ابن النديم : الفهرست ص ١١٣) ٠

(١٦) كان ابن قتيبة كوفيا ولد بالكوفة ، وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبه الكوفي المروزي الدينوري ٠ تولى قضاء دينور مدة فنسب اليها (ابن النديم : الفهرست ص ١٢٧) ٠

(١٧) الفهرست ص ٨٣ ، ابن الجوزي جـ ٥ ص ١٣٩ ، ياقوت : ارشاد الاريب جـ ٦ ص ١٢٨ ، الذهبي تذكره الحفاظ ص ٥٩٦ ٠

التاريخ العام من أشهر مؤلفاته (الأخبار الطوال) توفى (سنة ٢٨٢ هـ ـ ٨٩٥ م) ٠

ومن أشهر كتاب ومؤرخي العصر العباسي الطبرى (١٨) ، الذى وهب نفسه للعلم ، اذا لم يترك علما أو فنا الا تناوله بالبحث والدراسة والتأليف ٠ وأهم مؤلفاته (التاريخ) و (تفسير القرآن) ٠ ولم يكن الطبرى أول من كتب فى كلا المجالين ، فمحاولة تأليف حوليات فى تاريخ العالم ، وتدوين تفسير القرآن كله فى شمول وتفصيل ظاهرتان ترجعان الى القرن الثانى للهجرة على أقل تقدير ٠ أما باقى مؤلفاته فلا يتسع لذكرها هذا المقام ٠ توفى فى بغداد (سنة ٣١٠ هـ ـ ٩٢٣ م) ٠

ويعد المسعودى من المؤرخين ذوى الثقافة المتنوعة ، اذ لم يهتم بالتاريخ والجغرافيا فحسب ، بل اهتم كذلك بعلم الكلام والأخلاق والسياسة ، وعلوم اللغة ، ولد ببغداد وتوفى بمصر (سنة ٣٤٥ هـ ـ ٩٥٦ م) ٠ ومن أهم مؤلفاته (كتاب أخبار الزمان ومن ابادة الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الحالية والممالیك الدائرة) و (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و (كتاب التنبه والاشراف) وغير ذلك (١٩) كثير ٠ ومن أشهر من كتب فى التاريخ العام المؤرخ حمزة الأصفهانى (٢٠) ، المولود بأصفهان (٢٨٠ هـ ـ ٨٨٣ م) كما توفى هناك (سنة ٣٦٠ هـ ـ ٩٧٠ م) ومن أشهر مؤلفاته (تواريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) كذلك ألف المؤرخ المقدسى (٣٥٥ هـ ـ ٩٦٦ م) فى مدينة بست بسجستان كتابه (البدء والتاريخ) ٠

ومن المؤرخين الذين ألفوا فى التاريخ العام حسب تاريخ الأعوام حتى

---

(١٨) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ولد (سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) (ابن النديم : الفهرست ص ٢٣٤ ، ياقوت : ارشاد الاريب جـ ٦ ص ٤٢٣ ، ابن الاثير : اللباب جـ ٢ ص ٨١ ، ابن الجوزى : غاية النهاية جـ ٢ ص ١٠٦ ، الذهبى : ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٣٥ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ١٧٠ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ٢٨٤ ، الزركلى جـ ٦ ص ٢٩٤ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٢١) ٠

(١٩) أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ولد فى بغداد من أسرة تنتسب الى الصحابى عبد الله بن مسعود (النجاشى : الرجال ص ١٧٨ ، ياقوت ارشاد الأريب جـ ١٣ ص ٩٠ ، الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٥ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ٧٠ ، الذهبى : دول الاسلام جـ ١ ص ١٥٦ ، العاملى : اعيان الشيعة جـ ٤١ ص ١٨٨ ، الزركلى جـ ٥ ص٨٧ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٣٥) ٠

(٢٠) هو عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهانى ٠ (ابن النديم : الفهرست ص ١٣٩) أبو نعيم : أخبار أصبهان جـ ١ ص ٣٠٠ ، الزركلى : الاعلام جـ ٢ ص ٣٠٩ ، كحاله ، جـ ٤ ص٧٨، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٤٠ ٠

(سنة ٤١٩ هـ ـ ١٠٢٨ م) أبو الفرج الانطاكى (٢١) وتناول فيه الى جانب الدولة الاسلامية الدولة البيزنطية ، وأضاف تفصيلات حول أحوال الكنيسة وأحداث بلاد الشرق • وقد سمى كتابه هذا (الذيل) •

على أن مؤلفات التاريخ العام للدولة لم يقتصر فى ذلك الوقت من تاريخها على الأحداث السياسية والاجتماعية فحسب بل شمل كذلك تاريخ المدن والأقاليم الذى ارتبط ارتباطا وثيقا بعلم الجغرافيا وتاريخ الرحلة عند المسلمين • ويحدثنا المسعودى (٢٢) عن مدى اهتمام الخلفاء الراشدين بالتاريخ والجغرافيا فيقول : ان عمر بن الخطاب كتب بعد ان من الله عليه بالفتوحات الى حكيم معاصر له قائلا : بأن الله قد مكن للعرب فى تلك البلاد فأقاموا فى الأرض وسكنوا المدن ، وطلب منه عمر بن الخطاب أن يصف له المدن وجوهها ومنازلها وأثر المناخ على سكانها • فأرسل له هذا الحكيم وصفا للشام ومصر والحجاز والعراق وخراسان وفارس •

واذا أضفنا الى ما تقدم أن ديوان البريد وديوان الخراج استدعيا التأريخ للمدن والأقاليم ، لعرفنا مدى أهمية تاريخ المدن أو بمعنى أدق تاريخ الرحلة لشئون الدولة السياسية والاقتصادية (٢٣) •

وأقدم مؤلف وصلنا من كتب البلدان ، هو كتاب (فضائل مكة) كتبه الحسن البصرى (٢٤) ، المتوفى (١١٠ هـ ـ ٧٢٨ م) •

ومن أقدم من أرخ للمدن فى العصر الأموى أبو قبيل (٢٥) ، وكان معاصرا للخليفة عثمان بن عفان (سنة ٣٥ هـ ـ ٦٥٦ م) ، وكان له علم بالملاحم والفقة ، توفى (سنة ١٢٨ هـ ـ ٧٤٥ م) • وهو أقدم مؤرخ أرخ لمصر وكتابه (فتوح مصر) •

---

(٢١) هو أبو الفرج يحيى بن سعيد يحيى الانطاكى يمت بصلة الى سعيد بن البطريق (ابن أبى أصيبعه : عيون الانباء جـ ٢ ص ٨٧ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٤٤) •

(٢٢) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ١٢٣ •

(٢٣) أحمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ص ٨

(٢٤) ابن النديم : الفهرست ص ١١٢ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٤٨ •

(٢٥) هو أبو قبيل حسن بن هانىء بن ناضر المعافرى المصرى ، اشترك فى الحملة الى رودس ، نقل عنه (ابن عبد الحكم) (البخارى / التاريخ الكبير جـ ٢ ص ١١٩ ، ابن حجر : تعريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٢٧ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٤٨ •

وأرخ لمصر كذلك في العصر الأموى كل من يزيد بن أبى حبيب(٢٦)٠ المولود (سنة ٥٣ هـ ـ ٦٧٣ م) وتوفي (سنة ١٢٨ هـ ـ ٧٤٥ م) الذى نقل مقتبسات كثيرة من كتابه (تاريخ مصر) ، ومحمد بن اسحق وكذا الطبرى ٠ والحارث (٢٧) بن يزيد الحضرى مؤلف كتاب (تاريخ مصر) المتوفى (سنة ١٣٠ هـ ـ ٧٤٧ م) ٠ وعبيد الله بن (٢٨) أبى جعفر ، من أشهر مؤرخى مصر الأوائل ، ولد (سنة ٦٠هـ ـ ٦٢٩ م) وتوفي (سنة ١٣٥ هـ ـ ٧٥٢ م) ٠

أما عن مؤرخى المدن في العصر العباسى فنذكر منهم عثمان (٢٩) بن ساج مؤلف (تاريخ مكة) توفي (سنة ١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م) ٠ وابن (٣٠) زبالة أحد المؤلفين الأوائل عن (تاريخ المدينة) توفي في أواخر القرن الثانى للهجرة ٠ وأبو الوليد (٣١) الأزرقى مؤلف كتاب (أخبار مكة

---

(٢٦) هو أبو رجاء يزيد بن أبى حبيب الأزدى ، اول من درس علوم الحديث والفقه في مصر ٠ (ابن سعد : الطبقات جـ ٧ ص ١٩٨ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ٥ ص ١٨٤ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ١٢٩ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ١١ ص ٣١٨ ، ابن تغرى البردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٩ ، كامل حسين : الأدب المصرى ص ٤٢ ، الزركلى جـ ٩ ص ٢٣٦) ٠

(٢٧) هو أبو عبد الكريم الحارث بن يزيد الحضرمى المصرى وصلت الينا كثير من كتبه في كتاب (فتوح مصر) لابن عبد الحكم وكتاب (الولاة والقضاة) لأبى عمر الكندى ٠ (البخارى : التاريخ الكبير جـ ١ ص ٢٨٦ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ١ ص ٩٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ١٦٣) ٠

(٢٨) هو أبو بكر عبيد الله بن أبى جعفر المصرى ، يعد مثل معاصره يزيد بن أبى حبيب أحد الفقهاء المرموقين الأوائل وأحد مؤرخى مصر (ابن سعد : الطبقات جـ ٧ ص ٥١٤ ، ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٣١٠ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ١٣٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٥٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ١٩ ، الاصابة جـ ٣ ص ١٩٤) ٠

(٢٩) هو أبو ساج عثمان بن ساج القرشى الجزرى ، كان قاضيا (ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٣ ص ١٦٣ ، ابن حجر : التهذيب جـ ٧ ص ١٤٤ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٠٨) ٠

(٣٠) هو محمد بن الحسن بن زباله المخزومى ، روى عن مالك بن أنس وغيره وأخذ عنه الزبير بن بكار وغيره (الذهبى : المشتبه ص ٢١٣ ، ابن حجر لسان الميزان جـ ٥ ص ١٣٦ ، ابن حجر : التعريب جـ ٢ ص ١٥٤ ، هداية العارفين جـ ٢ ص ٩ ، كحاله جـ ٩ ص ١٩١) ٠

(٣١) هو أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق ، وهو من سلالة بيزنطية حارب الساسانيين فوقع أسيرا ٠ ومن أهم مصادره عثمان بن ساج القرشى (طبقات الشافعية للسبكى جـ ١ ص ٢٢٢ ، ابن سعد : الطبقات جـ١ ص ٣٦٧ ، ابن النديم ص ١١٢ ، السمعانى : الانساب ص ٢٨ ، السخاوى الاعلان بالتوبيخ ص ١٣٢ ، الزركلى جـ ٧ ص ٩٣ ، كحاله جـ ١٠ ص ١٩٨) ٠

المشرفة أو كتاب فضائل الكعبة) توفي (سنة ٢٥٠ هـ - ٨٦٥ م) وعمر ابن شبه(٣٢) مؤلف كتاب (أخبار المدينة) وكتاب (أخبار أهل البصرة) و (أخبار مكة) توفي بمدينة سامراء (سنة ٢٦٤ هـ - ٨٧٧ م) ٠ وكذلك ألف (٣٣) الفاكهي كتاب (تاريخ مكة) ولا يعرف تاريخ وفاته ، ولكنه كان يؤلف كتابه حتى (٢٧٢ هـ - ٨٨٥ م) ٠

ومن أقدم مؤرخي مدن الشام ، موسى بن سهل بن قادم الرملي المتوفى (سنة ٢٦١ هـ - ٨٧٤ م) في مدينة الرملة ، ومن مؤلفاته (من نزل فلسطين من الصحابة) (٣٤) ٠

وعبد الصمد بن سعيد (٣٥) الحمصي ، كتب عن حمص والصحابة الذين استقروا في حمص ، وتوفي (سنة ٣٢٤ هـ - ٩٣٦ م) ومن مؤلفاته (تاريخ حمص) منه قطع في معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٦) ٠ وابن سعيد القشيري (٣٧) ، الذي استقر بالرقة ، وصاحب كتاب (تاريخ الرقة ، ومن نزلها من أصحاب الرسول (ص) والتابعين والفقهاء توفي بالرقة (٣٣٤ هـ - ٩٤٦ م) ٠ وأرخ عبد الجبار الخولاني (٣٨) عن

---

(٣٢) هو أبو زيد عمر بن شبه زيد بن عبيده بن ربطه النميري ، أصله من البصره ولد سنة ١٧٣ هـ ، كان مؤرخا ومحدثا وقيل انه له بعض الأشعار (ابن النديم : الفهرست ١١٣ ، ارشاد الاريب : جـ ٦ ص ٤٨ ، بغية الوعاة للسيوطي ص ٣٦١ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٨٧) ٠

(٣٣) هو محمد بن اسحاق بن العباس الفاكهي ٠ (السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٦٣ ، ابن حجر في الاصابة ، الزركلي جـ ٦ ص ٢٥٣ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٥٧ ٠

(٣٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٣٤٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٧٠٩ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٥٩ ٠

(٣٥) هو القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد بن عبد الله الحمصي (ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن حجر : الاصابة جـ ٢ ص ٥٢٠ ، الزركلي : الاعلام جـ ٤ ص ١٣٣ ، كحاله : معجم المؤلفين جـ ٥ ص ٢٣٥) ٠

(٣٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ٧٨٧ ، جـ ٢ ص ٣٣٧ ، جـ ٣ ص ٤١٠ ، جـ ٥ ص ٥١٦ ٠

(٣٧) هو أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري ، كان محدثا ٠ (السمعاني) الانساب ص ٢٥٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ص ٨٤٦ ، الكتبي : فوات الوفيات : جـ ٣ ص ١٠٤ ، ابن حجر : الاصابة جـ ٣ ص ٢٨٩ ابن ماكولا : الاكمال جـ ٣ ص ٧) ٠

(٣٨) هو عبد الجبار بن عبد الله بن محمد الخولاني الداري أبو علي بن مهنا ٠ (ابن عساكر : تاريخ دمشق ص ٣١٦ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٣٧ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٦١) ٠

(داريا) (٣٩) توفى ما بين (سنة ٣٦٥ هـ ـ ٩٧٥ م) و (سنة ٣٧٠ هـ ٩٨١ م) .

أما مؤرخو العراق القدامى ، نذكر منهم المعافى (٤٠) ، ألف كتابا بعنوان (تاريخ الموصل) ويبدو ان هذا الكتاب كان من مصادر أبى زكريا يزيد بن محمد الموصلى ، توفى (سنة ١٨٤ هـ ـ ١٨٠٠ م) . ومن مؤرخى مدينة بغداد ، ابن أبى طاهر طيغور ، المولود فى بغداد (سنة ٢٠٤ هـ ـ ٨١٩ م) .

وألف الساجى المولود فى البصرة (٢٢٠ هـ ـ ٨٣٥ م) كتابا عن تاريخ البصرة . وكان محدثا وفقيها توفى فى البصرة (٤١) (٣٠٧ هـ ـ ٩٢٠ م) . وكتب العلوى (٤٢) عن (فضل الكوفة) وتوفى (٤٤٢ هـ ـ ١٠٥٣ م) . أما مدينة واسط فقد أرخ لها بخشل (٤٣) الواسطى ، المحدث المؤرخ المتوفى (سنة ٢٩٢ هـ ـ ٩٠٥ م) .

ومن أشهر مؤرخى المدن الفارسية أبو الحسن أحمد بن سيار (٤٤) مؤلف (تاريخ مرو) . ولد بمرو (سنة ١٩٨ هـ ـ ٨١٤) وتوفى (سنة

---

(٣٩) تقع مدينة داريا على بعد (٨) كيلو مترات الى الجنوب من دمشق .

(٤٠) هو المعافى بن عمران بن نفيل الموصلى ، وهو أحد المؤرخين العباسيين الأوائل الذين اهتموا بتاريخ المدن (ابن حجر : الاصابة جـ ٤ ص ٩١٣ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٦٢) .

(٤١) هو أبو زكريا بن يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن المصرى الساجى . ويروى ان أبا الحسن الأشعرى أخذ عنه مناهج المحدثين . (ابن النديم : الفهرست ص ٢١٣ ، الشيرازى : طبقات الشافعية ص ١٣ ، السبكى : طبقات الشافعية ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٧٠٩ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ٢ ص ٤٨٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ٢٥٠) .

(٤٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الرحمن الكوفى العلوى الحسينى توفى سنة ٤٤ هـ ، (ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٣ ص ٢٧٤ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٦٦) .

(٤٣) هو أسلم بن سهل بن أسلم بخشل الواسطى أبو الحسن ، صاحب كتاب (تاريخ واسط) (ياقوت ارشاد الاريب جـ ٢ ص ٢٥٦ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٦٦٤ ، كشف الظنون ص ٣٠٩) .

(٤٤) هو أبو الحسن أحمد بن سيار بن أيوب المروزى ، هاجر الى الشام ثم الى مصر ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ١٣٤ ، اليافعى : مرآة الجنان جـ ٢ ص ١٨١ ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٥٤ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٤ ص ١٨٩ .

٢٦٨ هـ ـ ٨٨١ م) ، وابن ياسين (٤٥) (الحداد مؤلف تاريخ هرات) ، والمتوفى (سنة ٣٣٤ هـ ـ ٩٤٦ م) ، ومؤرخ (تاريخ بخارى) الزرشخى (٤٦) المتوفى (سنة ٣٤٨ هـ ـ ٩٥٩ م) ومؤرخ (تاريخ خراسان) أبو على السلامى (٤٧) ، وكان يعيش حوالى (سنة ٣٥٠ هـ ـ ٩٦١ م) ٠

وأرخ الفضل الهمدانى (طبقات الهمدانيين) (٤٨) وتوفى (سنة ٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م) ٠ وكتب الادريسى (٤٩) عن تاريخ سمرقند وتوفى في سمرقند (سنة ٤٠٥ هـ ـ ١٠١٥ م) ٠ وكتب القمى (٥٠) تاريخ قم ، وتوفى (سنة ٤٠٦ هـ ـ ١٠١٥ م) أما تاريخ بخارى ، فقد أرخ لها غنجار (٥١) ، المتوفى (سنة ٤١٢ هـ ـ ١٠٢١ م) ٠

ومن مؤرخى المدن فى مصر والمغرب القدامى ، ابن عبد الحكم (٥٢) .

---

(٤٥) هو أبو اسحاق محمد بن محمد بن ياسين الهروى الحداد (الذهبى تذكرة الحفاظ ص ٨٧٧ ، ابن حجر : لسان الميزان جـ ١ ص ٢٩١ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٣٥) ٠

(٤٦) هو أبو بكر محمد بن جعفر الزرشخى ، أهدى كتاب (تاريخ بخارى) الى نوح بن نصر السامانى (أبو الحسن النيسابورى : خزائن العلوم ص ٣٦٩ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٦٨ ٠

(٤٧) هو أبو على الحسين بن أحمد السلامى ٠ (ياقوت : الارشاد جـ ٦ ص ٢٩٣ اليافعى : مرآة الجنان جـ ٢ ص ٥٦ ، البيرونى : الآثار الباقية ص ٣٣٢ ، الثعالبى : ثمار القلوب ص ٤٨٧) ٠

(٤٨) أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن أحمد الهمدانى السمسار (الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٣٣١ ، السمعانى : الأنساب ص ٥٩٢ ، الزركلى جـ ٣ ص ٢٧٤) ٠

(٤٩) هو أبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن مثويه الادريسى الاسترابادى ٠

السهمى : تاريخ جرجان ص ٢١٩ ، ابن الجوزى : المنتظم جـ ٧ ص ٢٧٣ ابن الاثير : اللباب جـ ١ ص ٢٩ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ٢٤٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣٥٤ ٠

(٥٠) هو حسن بن محمد بن حسن القمى ، كان يكتب للصاحب بن عباد (الذريعة جـ ٣ ص ٢٧٨ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٥٧٠) ٠

(٥١) هو أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان غنجار ولد فى بخارى (٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) وكان تلميذا لعيسى بن موسى غنجار (الأنساب للسمعانى ص ٤١١ ، ياقوت ارشاد الاريب جـ ٤ ص ٣٢٩ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ٦٠ ، الزركلى : جـ ٦ ص ٢٠٥) ٠

(٥٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحكم ، كان والده كبير فقهاء =

المتوفى (سنة ٢٥٧ هـ ــ ٨٧١ م) مؤلف كتاب (فتوح مصر والمغرب) .
ومن أقدم مؤرخى القيروان أبو العرب (٥٣) ، توفى فى القيروان بلدة ومسقط رأسه (سنة ٣٣٣ هـ ــ ٩٤٥ م) .

ومن مؤرخى بلاد المغرب القدامى أبو عبد الله الوراق (٥٤) ، ولد فى وادى الحجارة بالأندلس (سنة ٢٩٢ هـ ــ ٩٠٤ م) عاش فترة من حياته فى القيروان ثم عاد الى قرطبة وكان مقربا من الحكم المستنصر ، ألف كتابا هو (كتاب مسالك أفريقية وممالكها) ، وتوفى فى قرطبة (سنة ٣٦٣ هـ ــ ٩٧٣ م) .

وأرخ للأندلس سعيد بن عفير (٥٥) ، وهو من أوائل المؤرخين الذين ألفوا كتبا مستقلة فى تاريخ الأندلس ، ولد (سنة ١٤٦ هـ ــ ٧٦٣ م) وتوفى (سنة ٢٢٦ هـ ــ ٨٤٠ م) . أما مؤلفه عن الأندلس فهو (تاريخ أخبار الأندلس) . كذلك أرخ الرازى(٥٦) القرطبى للأندلس ، ولد (سنة

= المالكية فى مصر ، روى عنه ابنه عبد الحكم ، ومن تلاميذ عبد الحكم أبو حاتم الرازى والنسائى وغيرهما . (ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٢٠٨ ، الزركلى جـ ٤ ص ٨٥ ، كحاله جـ ٥ ص ١٥٠) .

(٥٣) هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمى الافريقى ، مؤرخ كتاب (طبقات علماء أفريقية) وكتاب (طبقات أهل القيروان) (الخشنى : قضاة قرطبه ص ٢٢٦ ، ابن فرحون : الديباج ص ٢٥٠ ، الذهبى : تذكرة الحفاظ ص ٨٨٩ ، الصفدى : الوافى بالوافيات جـ ٢ ص ٣٩) .

(٥٤) هو محمد بن يوسف أبو عبد الله الوراق القيروانى (الحميدى : جذوة المقتبس ص ٩٠ ، الضبى : بغيه الملتمس ص ١٣١ ، الزركلى جـ ٨ ص ٢١ كحالـه جـ ١٢ ص ١٤١ .

(٥٥) هو أبو عثمان سعيد بن كثير بن عفير المصرى ، تتلمذ على عبد الله بن لهيعة والليث . وامتاز كمتحدث وفقيه ونسابة ومؤرخ ، كما كان ذا مواهب شعرية عالية (ابن أبى حاتم : الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٥٦ ، البكرى : معجم ما استعجم : ص ٤٧٩ القيسرانى : الرجال جـ ١ ص ١٦٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب : جـ ٢ ص ٥٨) .

(٥٦) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى بن بشير الرازى الكنانى القرطبى ، كان مؤرخا ولغويا ، وترجم كتابه (أخبار ملوك الأندلس) الى اللغة القشتالية والبرتغالية .

(ابن حزم : رسالة فى فضل الأندلس ص ٨٥ ، الفرضى : تاريخ علماء الاندلس جـ ١ ص ٥٤ ، الحميدى : جذوة المقتبس ص ٩٧ ، الضبى : الملتمس ص ١٤٠ ، القفطى : أنباه الرواة جـ ١ ص ١٣٦) .

٢٤٧ هـ ـ ٨٨٧ م) وتوفى فى الأندلس سنة (سنة ٣٤٤ ـ ٩٥٥ م) ٠
ألف كتابه (أخبار ملوك الأندلس (سنة ٣٠٠ هـ ـ ٩١١ م) ويعتبر ابن القوطية (٥٧) من المؤرخين واللغـــويين المرموقين الذين أرخوا للأندلس « تاريخ افتتاح الأندلس) ، وتوفى (سنة ٣٦٧ هـ ـ ٩٧٧) ٠

---

(٥٧) هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية ولد بقرطبة (الثعالبى : تيمة الدهر جـ ٢ ص ٧٤ ، الضبى : بغية الملتمس ص ١٠٢ ، اليافعى جـ ٢ ص ٣٨٩ ، الفيروز ابادى : التحفه الابيه جـ ٢ ص ٣٨٩ ، الزركلى جـ ٧ ص ٢٠١) ٠

التصنيف

بعد تطور علم التاريخ الاسلامي في فجر الاسلام وحتى نهاية القرن الثالث للهجرة ، من كتب السيرة والأنساب والمغازي ، الى كتابة التاريخ العام ، دخل علم التأريخ الاسلامي في دور جديد ، هو دور تأريخ العلوم . اذ لم يكد ينقضي القرن الثالث الهجري ، حتى نقل المسلمون علوم الأقدمين الى اللغة العربية ، وهي العلوم العقلية (١) . وتنقسم العلوم العقلية الى أربعة أقسام ، وهي المنطق ، والعلم الطبيعي ، والعلم الالهي ، وعلوم التعاليم (وهي الرياضيات والطبيعيات) (٢) . وليس هذا بغريب بالنسبة للمسلمين ، فقد بشر الاسلام منذ أول عهده بالعلم أن يعنى بالعلوم عناية خاصة ، فقد جاء في القرآن الكريم « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال عز من قائل « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال « قل ربي زدني علما » (٣) .

وقد ظهرت بوادر هذه النهضة العلمية منذ العصر الأموي ، فقد عني خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، باخراج كتب القدماء في الصنعة (أي الكيمياء) (٤) . أما الحركة التي قدر لها أن تستمر لتكون النواة الحقيقية للحضارة الاسلامية ، تلك الحركة التي بدأها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ثم أخذ الاهتمام بالعلم يزداد ، كما استمرت حركة

---

(١) محمد فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ١٣٢ .

(٢) قدري طوقان : تراث العرب العلمي ص ١٧ .

(٣) الفخر الرازي : مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج ٧ ص ٥٨٣ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٨٧ .

الترجمة والنقل حتى وصلت الى درجة كبيرة فى عهد هارون الرشيد وخاصة ترجمة كتب الفلك والرياضيات (٥) · وفى عصر الخليفة المأمون وصلت حركة الترجمة غايتها ، فقد جمع حوله علماء وأدباء وأفاضل عصره · وزود بيت الحكمة بعدد من أعيان المترجمين والعلماء وأغدق على الحركة العلمية والأدبية ، التى رعاها أحسن رعاية ، ما لم يغدقه أحد مثله من قبل · ثم انه اهتم اهتماما كبيرا بالعلم لذاته ، حتى انه كلف عددا من علمائه بمهام علمية معينة ، فتحقق على أيديهم انتصارات علمية ضخمة فى هذا العصر المبكر من ممارسة المسلمين للعلم البحت (٦) ·

وهكذا افتتح مؤرخو العلوم (العقلية) (٧) عند المسلمين عصرا فى الحضارة الاسلامية ، اذ انتقلوا بها من درجة الترجمة ودراسة مخلفات القدماء الى درجة جديدة فى سلم الحضارة ، وهى درجة التجديد والابتكار (٨) والابداع ·

ويقول Carro de voux ان فترة نشوء الحضارة العربية قد تميزت بالأصالة العميقة التى صحبت بدايتها ، فالشعوب المختلفة التى تناوبت على مسرح العلم ، كانت تتبع على وجه التقريب قانونا واحدا فى تنشئة العلوم وتطويرها ، ولكن العرب كانوا على عكس ذلك تماما ، ذلك أن طريقة اكتسابهم للعلوم واستيعابهم لها مثل فريد فى التاريخ العالمى (٩) ·

واذا أضفنا الى ما تقدم أن تدوين العلوم والتاريخ فى تلك العصور لم يكن أمرا ميسورا ، ذلك أن القراطيس المصرية (١٠) ، وهى من أوراق البردى وكذارق الغزال والجلود المدبوغة (١١) ، وهما المادتان الصالحتان لتسجيل الانتاج الفكرى المتدفق عليهما ، وكان كلاهما شحيحا غالى الثمن (١٢) ، ومن ثم فلم يكن فى مقدور العلماء والأدباء اقتناء ما يحتاجون

---

(٥) جلال مظهر : حضارة الاسلام ص ٢٤٦ ·

(٦) ابن القفطى : تاريخ الحكماء ص ٤٢٧ ·

(٧) G. Le Bon : La Civilisation des Arabes, p. 416.

(٨) A. Meili . La Sience Arab et Son Rok dans L'evolution Scientific Mondiale, p. 68.

(٩) Carra de Vaux : Les Penseuzs de l'Islam Vol. II, p. 232.

(١٠) Far is N.A . The Arab Heritage, p. 122.

(١١) Sedillot, L. Histoire generale des Arabes. p. 113.

(١٢) جرمان : أوراق البردى جـ ١ ص ١٧ (ترجمة حسن ابراهيم حسن) ·

اليه منهما ، ولذلك فقد كان لا يستطيع اقتناء الكتب الا الحكام من الخلفاء والأمراء والولاة والأغنياء (١٣) .

على أن العرب استطاعوا فى فترة وجيزة أن يقدموا أجل الخدمات للحضارة العالمية (١٤) اذا لم يكد ينقضى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى ، (١٧٣ هـ ــ ٧٥٢) ، حتى استطاعوا معرفة سر صناعة الورق من الصينيين . وكان أهم مركز لصناعة الورق هو سمرقند (١٥) ، ومن ثم أضحى الكتان والقطن هما عماد صناعة الورق الأبيض الناعم الذى انتشر بسرعة فى جميع الأقطار الاسلامية ، فقد أنشأت له بغداد مصانع وكذا دمشق وغيرهما من الأمصار (١٦) . وهكذا أصبح فى استطاعة العلماء والمفكرين ، أن يدونوا على هذه المادة الرخيصة الثمن ، وبدأت تظهر الكتب والمؤلفات ، كما بدأت حركة الاستنساخ تنشط فى جميع العواصم الاسلامية وهكذا تضخم انتاج الكتب فى شتى العلوم والفنون والمعارف عند المسلمين (١٧) .

---

(١٣) Aldo Mieli : La Science Arabe et Son Rôle dans l'evolution Scientific Mondiale.

(١٤) Arnold, Th, and Guillaume, A. : The Legacy of Islam.

المترجم ص ٣٥ .

(١٥) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ١١٧ .

(١٧) بندلى جوزى : من تاريخ الحركات الفكرية فى الاسلام ص ٤٧ .

(١٧) جلال مظهر : حضارة الاسلام وأثرها فى رقى العالم ص ٣٧ .

تصنيف العلوم

Classified Abridged Encyclopedic

Works (1)

لقد كانت النتيجة الحتمية للتطور السريع للعلوم ، وتدوين الآلاف من الكتب في مختلف مجالات التأليف وترجمة الكثير من كتب الأقدمين على اختلافهـا ، ان دفعت علمـاء المسلمين في وقت مبكر الى تصنيف العلوم (٢) .

واذا كنا لا نستطيع اعطاء فكرة واضحة عن بداية تصنيف العلوم المختلفة لكننا على أقل تقدير يمكننا القول بأن أول بداية لتصنيف العلوم كانت في نهاية العصر الأموي ، عندما ألف واصل بن عطاء (المتوفى سنة ١٣١ هـ ـ ٧٤٨ م) كتابه (كتاب طبقات أهل العلم والجهل) (٣) . كما وصلتنا أسماء أقدم كتب نعرفها في تصنيف العلوم المختلفة في مرحلة تالية . مثل (كتاب في أقسام العلم الانسي) و (كتاب في ماهية العلم وأصنافه) تأليف يعقوب بن اسحاق الكندي (٤) . الا أن هذين الكتابين مفقودان (٥) . كما لم يصلنا كتاب جابر بن حيان المتوفى (١٦٠ هـ ـ

---

(١) Margoliouth D. S : Lecture on Arabic Historians p. 137.

(٢) Lichtenstadter, I : Arabic and Islamic historiography in the Moslem World, xxxv, p. 126

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٦ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٦ .

(٥) ابراهيم الخاندار : قائمة رؤوس الموضوعات العربية ص ١٤٣ ، أحمد أنور عمر : رؤوس الموضوعات في الفهارس الهجائية ص (٥ ـ ٤٠) .

٧٧٦ م) أول من وضع تصنيفا عربيا (٦) • ووضع البلخى المتوفى (سنة ٣٢٢ هـ ـ ٩٣٤) كتابا عن تقاسيم العلوم ، لكنه لم يصلنا كذلك (٦ مكرر) •

وقد تحدث المؤرخون ، الذين اطلعوا على كتب الكندى المفقودة وقالوا أنه قسم المعرفة الى ثلاثة أقسام هى (٧) :

(أ) العلوم النظرية
(ب) العلوم العلمية
(جـ) العلوم المنتجة

كما جاء فى تلك المراجع ان الكندى كان متأثرا بآراء أرسطو الى حد ما •

الفارابى

ويعتبر كتاب (احصاء العلوم) والذى أطلق عليه اسم آخر هو (مراتب العلوم) ، للفارابى أول تصنيف حقيقى فى علم التاريخ الاسلامى (٨) • ويوضح هذان العنوانان ، أن الفارابى كان يرمى الى احصاء العلوم المعروفة فى عصره احصاء علميا وبيان مراتبها وهو الذى يطلق عليه الآن (علم تصنيف العلوم والمعارف) (٩) • والفارابى هو أبو نصر محمد بن طرحان الفارابى أحد فلاسفة المسلمين الذين بلغوا الذروة فى الاحاطة بأكثر علوم عصره ومعارفه ، حتى أطلق عليه المسلمون لقب المعلم الثانى ، لأنه فى نظرهم يلى فى المرتبة الفيلسوف الاغريقى أرسطو ، وكان الى جانب اتساع أفقه الثقافى أحد كبار المتصوفين (١٠) •

---

(٦) محمد احمد اثيم : أسس التصنيف العلمى ص ١٩ •

(٦ مكرر) محمد فتحى عبد الهادى : الفهرسة الموضوعية ص ٢١ •
Pette, Julia : Subject Headings p. 27.
Foskett, A.C. The Subject approach to information, p. 17.

(٧) Muhammed Aman : Analysis of terminology, form and Structure of Subjects in Arabic literature, p. 39.
Zinaddin, Sardar : Islam outline of a classification Scheme, ation Scheme, p. 25.

(٨) بروكلمان : الملحق جـ ١ ص ٤٠٨ ، روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين (المترجم) ص ٤٨ ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٦٢٠ •

(٩) Margolioth D. S . Lectures on Arabic Historian, p. 48.

(١٠) الاكفانى : ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص ٣٠ ، القفطى : أنباء الرواة جـ ٢ ص ٣٠٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٧٩ ، السيوطى بغية الوعاء ص ٣٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٨١ ، ياقوت : ارشاد الاريب جـ ٥ ص ٣٢٦) •

وقد أوضح الفارابى المتوفى (سنة ٣٧٩ هـ ــ ٩٥٠ م) عن غرضه من تأليف كتاب (احصاء العلوم) بقوله (١١) : قصدنا من هذا المؤلف أن نحصى العلوم المشهورة ، علما ، علما ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها وأجزاء كل ما له منها أجزاء وجمل ، وما فى كل واحد من أجزائه ٠

وبعد افتتاح الكتاب بهذه المقدمة المقتضبة ، يصف لنا الفارابى المنهج الذى سار عليه فى مؤلفه هذا فيقول : ونجعله فى خمسة فصول ، الأول فى علم اللسان وأجزائه ، والثانى فى علم المنطق وأجزائه ، والثالث فى علوم التعاليم وهى العدد والهندسة وعلم المناظر ، وعلم النجوم التعليمى ، وعلم الموسيقى ، وعلم الأثقال ، وعلم الحيل (أى علم الميكانيكا) ٠ والرابع فى العلم الطبيعى وأجزائه (أى علم الفيزيقى والميتافيزيقى) ٠ وتناول فى الفصل الخامس العلم المدنى وأجزاءه ، والأخلاق والسياسة (بالمعنى المتعارف عليه قديما) ، وعلم الفقة وعلم الكلام (١٢) ٠ ومما يجدر ملاحظته أن الفارابى قد أجهد نفسه فى الباب الخامس فى نصرة عقائد الدين الاسلامى معتمدا على الأدلة العلمية والعقلية (١٣) ٠

ويجب أن نذكر هنا أن مصنفى كتب العلوم مثل الفارابى فى كتابه (احصاء العلوم) وابن سينا فى كتابه (رسالة فى أقسام العلوم العقلية) لم يدخلا علم التاريخ فى بحثهما الشامل للعلوم (١٤) ٠ كما أن علم التاريخ لم يحض على الالتفات الى المصنفات المتأخرة التى وجدت بتأثير ابن سينا ، كالتى وجدت فى (جامع بيان العلم) لابن عبد البر (١٥) ، وكذا

---

(١١) حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون جـ ١ ص ٤٦٣ ٠

(١٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٤٦٣ ، عثمان أمين : احصاء العلوم (المحقق) ص ٤٣٠

(١٣) عثمان أمين محقق كتاب (احصاء العلوم) ص ٥ (يقول فى تصديره كتاب احصاء العلوم : كذلك يوجز الفارابى فى المقدمة ذكر فائدة تأليف كتاب الاحصاء وقد اختصرها محقق الكتاب (عثمان أمين) بقوله : الكتاب يعينهم على معرفة موضوع العلم الذى يريدون ان يتعلموه ، ويبصرهم بمنفعته والغاية منه ويمكنهم من أن يوازنوا ويميزوا بين العالم الحقيقى والعالم المتغيب الذى يدعى البصر من تلك العلوم دون أن يضطلع به أو يكون على بينه منه ٠

(١٤) لقد كان موقف أبى زيد البلخى فى كتابه عن تقسيم العلوم غير حاسم ٠ بروكلمان : الملحق جـ ١ ص ٤٠٨ ، ابن خلدون : المقدمة جـ ١ ص ٦٣ روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص ٤٨ ٠

(١٥) ابن عبد البر : (جامع بيان العلم جـ ٢ ص ٣٦) كما لم يشر البلوى (المتوفى سنة ١٩٦٤ م) فى كتابه الى علم تاريخ ، بروكلمان : الملحق جـ ١ ص ٩١٤ ٠

الكتاب التاريخي (الكمامة) لابن بدرون (١٦) أما الأكفاني (١٧) ، وهو من رجال القرن الثامن الهجري ، فقد سجل في كتابه (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد) ، قائمة مقتضبة عن الكتب التاريخية وكلمة مديح مألوفة عن فوائد علم التاريخ ٠

ويجب الاشارة هنا الى أن الفارابي قد تأثر في تقاسيمه للعلوم بآراء ارسطو وخطته لحصر المعارف الانسانية ، ولكنه في نفس الوقت لم يبتعد في هذه التقاسيم عن المنهج الذي رسمه لحياته العلمية ، ألا وهو التوفيق بقدر المستطاع بالجمع بين التفكير الاغريقي (١٨) والتفكير الاسلامي ، ولذلك نراه يدخل العلوم الاسلامية ضمن تقاسيمه للانتاج الفكري ، بوصفها جزءا منه ، وضمن له مركزا علميا مرموقا بين المؤلفات العلمية (١٩) وفي ذلك يقول القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي المتوفى (سنة ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧٠ م) (لقد تم للفارابي بعد هذا الكتاب شرف احصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، لم يسبق اليه ، ولا ذهب أحد مذهبه فيه) ويضيف القاضي صاعد فيقول : ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه (٢٠) ٠

وقد كان كتاب (احصاء العلوم) فاتحة للتأليف في الكتب العربية الموسوعية المختصرة وهي التي أطلق عليها حديثا في القرن التاسع عشر للميلاد (Classified Abridged Encyclopedic Works) ذلك انه كان تلخيص الفيلسوف الدارس لعلومها ، والملم بأهم موضوعات كل منها باختصار العالم المتمكن ، ذاكرا علوم العرب وعلوم العجم ٠ وقد نسج على منواله الكثيرون ممن أخذ عنه من معاصريه ، ومن أتى بعده من المعجبين به ، وان كان كل واحد منهم عني بالناحية التي ينقلها ويميل الى فنونها ٠

وهناك ملاحظة هامة يجب الاشارة اليها ، فانه برغم ، احتواء موسوعة الفارابي المختصرة على أكثر العلوم الهامة التي كانت معروفة في عصره

---

(١٦) النويري : نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٢٥ ٠

(١٧) الاكفاني : ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد ص ١٥ ، السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ص ٣٠ ٠

(١٨) عثمان أمين : تحقيق احصاء العلوم ص ٥ ٠

(١٩) المرجع السابق ص ٣ ٠

(٢٠) وقد نقل هذا الثناء على الاحصاء كثير من مؤرخي الاسلام مثل القفطي في طبقات الحكماء جـ ١ ص ٣٥ ، وابن أبي اصيبعة : طبقات الاطباء جـ ١ ص ٢٧ ، كما نقل طاش كبرى زاده (المتوفى سنة ١٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م) عبارات هذا الثناء دون الاشارة الى المصدر الذي نقل عنه (مفتاح السعادة جـ ١ ص ٣١٨) ٠

فيما عدا علم الطب وعلم الكيمياء ، فان الفارابى لأمر ما ، لم يتعرض لهما ، رغم ان الفارابى كان من أكبر وأعلم ، علماء عصره فى علم الطب (٢١) ٠

ومن أشهر وأقدم مصنفى العلوم فى التاريخ الاسلامى بعد الفارابى

الخوارزمى

ولد الخوارزمى سنة وفاة الفارابى (سنة ٣٣٩هـ ـ ٩٥٠م) وتوفى (سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) عاش فى مدينة نيسابور بخراسان وأهدى كتابه (مفاتيح العلوم) الى أبى حسن عبيد الله بن أبى العتبى وزير نوح الثانى السامانى ، الذى حكم من (سنة ٣٦٦ هـ ـ ٩٧٦ م) الى (سنة ٣٨٧ هـ ـ ٩٩٧ م) (٢٢) ٠

ويقدم الخوارزمى لكتابه (مفاتيح العلوم) فيقول : ان نفسه تتوق الى تأليف كتاب يكون جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات ، متضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواصفات والاصطلاحات التى منها أو من أجلها ألفت الكتب المعاصرة لعلم اللغة (٢٣) ، حتى ان اللغوى (٢٤) المبرز فى الأدب اذا تأمل كتابا من الكتب فى أبواب العلوم والحكمة ، ولم يكن يدرى شيئا من تلك الصناعة ، لم يفهم شيئا منه كأنه الأمى والأغتم عند نظره اليه (٢٥) ٠

مما تقدم يتبين لنا أن الغرض من هذا المؤلف ، أن الخوارزمى أراد وضع كتاب فى علم اللغة العربية يعنى بتوضيح المعانى المختلفة التى يستعمل فيها اللفظ الواحد فى مختلف العلوم والمعارف (٢٦) ٠ ويستشهد الخوارزمى بلفظ ، (تذكرة على سبيل الاستشهاد) مثل لفظه (الرجعة) . فانها عند أصحاب اللغة ، المرة المرة الواحدة من الرجوع ، لا يكادون يعرفون غيرها ٠ وهى عند الفقهاء الرجوع فى الطلاق الذى ليس ببائن ، وعند المتكلمين ، ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الامام بعد موته أو غيبته ، وعند الكتاب حساب يرفعه المعطى العسكر لطمع واحد ، وعند المنجمين ، سير الكواكب الخمسة المتحيرة على خلاف نضد البروج (٢٧) ٠

---

(٢١) روزنتال : علم التاريخ ص ٤٨ ٠

(٢٢) Le Bon. C. : La Civilisation des arabes, p. 121.

(٢٣) Aldo Mieli : La Science Arabe et son dans L'evolution Scientific Mondiale, p. 129.

(٢٤) Carra de Vaux : Les Penseurs de l'Islam, p. 93.

(٢٥) F. Rosenthal : The technique and approach of Muslim scholarship, p. 57.

(٢٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ٨ ص ٨٥ ٠

(٢٧) حاجى خليفه : كشف الظنون جـ ٢ ص ٥٦ ، يحيى الخشاب والعرينى : ضبط الألفاظ الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم ص ١٧١ ٠

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية عن الخوارزمي ما يلي : هو أقدم كاتب مسلم ألف كتابا موسوعيا هو (مفاتيح العلوم) (٢٨) . ويستدل من كتابه أنه كان يلي وظيفة ادارية ، وكان بحكم مقامه في خراسان خبيرا بالأحوال السائدة في المشرق خاصة . ويعد كتابه الذى كان العرب ينزلونه منزلة كبيرة عظيم النفع في اظهارنا على معارف في مواضيع جد متباينة ، وقد تناولها الخوارزمي في دقة واتقان .

كذلك أضاف الخوارزمي الى العلوم التى ذكرها الفارابى علمين هامين هما علم الطب (٢٩) وعلم الكيمياء ، وما تفرع عنهما ، وبذلك جاء أكثر شمولا للعلوم من كتاب الفارابى (احصاء العلوم) . كما ذكر الخوارزمي في مقدمة كتابه أنه لم يحط بجميع العلوم والمعارف الانسانية التى كانت موجودة في عصره بقوله : وسميت هذا الكتاب (مفاتيح العلوم) اذ كان مدخلا لها ومفتاحا لأكثرها (٣٠) .

أما عن المنهج الذى سلكه الخوارزمي في تصنيف (٣١) مؤلفه

---

(٢٨) دائرة المعارف الاسلامية ج ٩ ص ١٩ ، بركلمان : الملحق ج ١ ص ٥٩٨ .

(٢٩) L. Leclere : Histoire de la Medicine Arab, I, p. 139.
T.J. De Boer : De Medicina Mentis von den arts Razi, p. 53.

ولقد نقل عن الخوارزمي كثير من أطباء المسلمين الذين جاءوا من بعده ، أسلوبه وطريقته فى الكتابة الطبية مثل ، ابن الجزار المتوفى (سنة ٤٠١ هـ / ١٠٠٩ م) فى كتابه (زاد المسافر) لمعالجة الأمراض الباطنية ، وابن زهر الاشبيلي الاندلسى ، ولد (سنة ٤٨٦ هـ و ١٠٩٣) وتوفى (سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م) فى كتابه (التيسير فى المداواة والتدبير وهى فى معالجة الاستسقاء واتباع اغذية الحمية ، وعمار الموصلي هو من العصر الفاطمى توفى (سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) فى كتابه (ساده العين) ، وابن النفيس المعروف باسم (ابن سيناء الثانى) توفى (سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) وكتابه فى الدورة الدموية ، وعلى بن عيسى وكتابه (التذكرة فى طب العيون) الذى ذكر فيه (١٣٠) مرضا واستعمل (١٤٣) دواء ، وابن الخاتمه المتوفى (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) وكتابه مبحث فى الطاعون ، وابو القاسم من أبناء القرن العاشر الهجرى وكتابه التعريف فى الجراحة استعمل فيه (٢٠٠) آلة للجراحة ، اشتهر عند الغرب أكثر من شهرته فى المشرق .

(٣٠) وينقد طاشى كبرى زاده المتوفى (سنة ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م) كتاب الخوارزمي (مفاتيح العلوم) فيقول : يمكن أن نجد الخوارزمي ، وهو أول الموسوعيين ، نظاما يمكن أن يكون ذا فائدة بوصفه أساسا لتصنيف الكتب ذلك ان موسوعته تعتبر كتاب جيب للرسميين فى مجال الادارة .

وذلك فقد كان هدفه علميا لا أكاديميا خالصا .

(٣١) يشتمل كتاب (مفاتيح العلوم) بعد الفاتحة مقدمة موجزة ذكر فيها الأهداف التى رمى اليها من تاليف الكتاب والمنهج الذى سار عليه فى كتابه .

ثم يقسم الكتاب الى قسمين ، أطلق على كل قسم منها لفظ مقالة ، ولعله فى ذلك كان متأثرا بمعاصره ابن النديم .

(مفاتيح العلوم) فهو يختلف اختلافا جوهريا عن منهج الفارابى ، ذلك ان استعانته بالتصنيف لتحقيق أغراضه ، جعله ينحو نحوا عمليا فى تقسيمه بعيدا عن المنهج الفلسفى لتصنيف العلوم ، فجاء هدفه وأسلوبه علميا لا أكاديميا (٣٢) ٠

واذا كنا قد تناولنا مصنفى العلوم ، الأوائل عند المسلمين ودرسنا منهجهم العلمي فيما تناولوه من أصناف العلوم والمعارف ، على اعتبارهم الرواد الأوائل فى تطور علم التاريخ الاسلامى ، فقد يكون من المفيد أن نذكر شيئا عن أهم من أتى بعدهم من مؤلفى المصنفات العلمية ، وان اختلفوا عنهم فيما صنفوه من العلوم ٠

ومن أهم مصنفى العلوم الذين أتوا بعد الفارابى والخوارزمى سراج الدين السكاكى (٣٣) مؤلف كتاب (مفتاح العلوم) ٠ ويقدم

= المقالة الأولى :

(وهى القسم الأول من الكتاب) ، وتحتوى على ستة أبواب خصصها لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية فهى فى أبواب الفقه ، والكلام ، وفى النحو والكتابة وفى الشعر والعروض وفى الأخبار ٠

المقالة الثانية :

وهى القسم الثانى من الكتاب تسعة أبواب وتحتوى على علم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم وهى فى أبواب الفلسفة والمنطق والطب ، وعلم العدد والهندسة وعلم النحو ، وفى الموسيقى والحيل ، وفى الكيمياء ٠

عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٩٣ الصابىء : (كتاب الزيج) ، قدرى طوقان : تراث العرب العلمى ص ٣٦٣ ، الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٣ ص ٢٨٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٥٠٧ ، منصور حنا : مآثر العرب فى الرياضيات والفلك ص ٢٢ ٠

(٣٢) Carl Brockelmann : geschichte der arabischen Litterature (zwei Bande und drei Supplment bande). p. 49.
H.J.J. Winter : Easter Science, p. 52.
Georges Sarton : Introduction to the History of Science. p. 112.

ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ،

ظهير الدين البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ١٢ ٠

(٣٣) هو يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى الخوارزمى الحنفى أبو يعقوب سراج الدين ٠ عالم بالعربية والأدب ٠

ولد السكاكى بخوارزم (سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وتوفى بخوارزم كذلك (سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ومن كتبه (مفتاح العلوم) ورسالة فى علم المناظرة) ٠ =

سراج الدين السكاكى ، كتابه بقوله « وقد ضمنت كتابى هذا من أنواع الأدب ، دون نوع اللغة ، ما رأيته لابد منه ، وهى عدة أنواع متآخذة ، فأودعته : علم الصرف بتمامه ، وأنه لايتم الا بعلم الاشتقاق المتنوع الى أنواعه الثلاثة ، وقد كشفت عنها القاع ، وأوردت علم النحو بتمامه ، وتمامه العلمى والمعانى والبيان .

ثم يضيف فيقول : وقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر ، ولما كان تمام علم المعانى ، بعلمى الحد والاستدلال لم أر بدا من التمسك بهما ، وحين التدريب فى علمى المعانى والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم والنثر ورأيت صاحب النظم يفتقر الى علمى العروض والقوافى ، ثبت عنان القلم الى ايرادهما . ثم يعود فيقول ، وما ضمنت جميع ذلك كتابى هذا الا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام ، ومهدت لكل من ذلك أصولا لائقة (٣٤) .

= ارشاد الأريب ، ج ٣ ص ٣٠٦ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٣ ، الجواهر المضيئة ج ٢ ص ٢٢٥ ، وبغية الوعاة ص ٤٢٥ ، يوسف بن محمد : الفوائد البهية ص ٢٢٣١ الزركلى : ج ٨ ص ٢٢٢ .

ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٢٩ .

سكاكة : بضم أوله ، قال أبو منصور ، السكاك والسكاكة الهواء بين السماء والأرض . والسكاكة ، احدى القريات التى منها دومة الجندل ، وهى شمال الحجاز ويحيط بسكاكة سور لكن دومة الجندل أحصن وأهلها أجلد .

(٣٤) تكلمت دائرة المعارف الاسلامية (ج ٤ ص ٥٠١ ـ ٥٠٣) عن السكاكى فقالت : انه توخى فيها التلخيص على حسب مقتضى المقام وان كان قد يميز بعض العلوم عن البعض الآخر التميز المناسب ، فهذه ليست موسوعة عامة تعالج فى دراستها العلوم والمعارف التى كانت متداولة فى زمانها ، ولكنها موسوعة خاصة قصرت موادها على بعض علوم الأدب مع اختصار ، ولكنها وجدت تقديرا كبيرا .

ويضيف بطرس البستانى فيقول : وبعد الرازى بنحو قرن من الزمان ظهرت (الانسيكلوبيديا) المعروفة باسم (مفتاح العلوم) لسراج الدين السكاكى فحصل لهذا الكتاب شهرة واسعة ، لم يناظره فيها كتاب آخر مدة قرن ونصف القرن . وقد اعتنى به العلماء بالتشريح والتلخيص ، فشرح أكثر من مائة شرح وكان عدد الذين عنوا بتلخيصه أكثر من عدد الذين شرحوه .

وتحدث عنه حاجى خليفة فقال : وقد اعتنى به الفضلاء والعلماء بالتشريح والتلخيص (كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٦٢ ـ ١٧٦٨) ، ياقوت : ارشاد الأريب ج ١٨ ص ١٧ ، القفطى : أبناء الرواة ج ٢ ص ٣٠٦ ، السيوطى : بغية الوعاة ص ٣٥ ، ابن العماد ج ٢ ص ٣٧٩ ، ابن المدبر : الرسالة العذراء فى رسائل البلغاء ص ١٨٣ ، بروكلمان : الملحق ج ١٠ ص ٩١٤ .

G. E. von Gru ebaum : Medieavl Islam, p. 98.
F. Rosenthal : The techn:que and app oach of Muslim Scholarship, p. 43.

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر تصنيف ابن خلدون (ولد سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٣٢ م) وتوفى سنة ٨٠٩ هـ ـ ١٤٠٦ م) الذى خصص له البـاب الســادس من مقدمتــه ، لتصنيف العلوم (٣٥) . لقـد قسم ابن خلدون بثاقب فكره عامة العلوم والمعـارف الى العلوم الحكيمة والفلسفة ، وعلوم نقلية وضعية تعتمد على الوضـــع الشرعى (٣٦) . وفيما يلى بيان هذا التصنيف .

أولا ـ العلوم الفلسفية وتشمل :

١ ـ المنطق
٢ ـ العلوم الطبيعية
٣ ـ علوم الكميات
٤ ـ علوم الخرافات والسحر

ثانيا ـ العلوم النقلية أو الشرعية (٣٧) :

١ ـ القرآن الكريم وتفسيره وتلاوته
٢ ـ الحديث
٣ ـ الفقـــه
٤ ـ العبـادات
٥ ـ الصوفيـة
٦ ـ علوم اللغـــة

واتماما للفائدة فقد رأينا أن نتتبع فى ايجاز أول خطوة رئيسية فى تطور علم التاريخ الاسلامى الا وهى المصنفات الموسوعية حتى نهـــاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر للميلاد .

ويعتبر كتاب (الدراية لقراء النقاية) للسيوطى (٣٨) آخر مرحلة

---

(٣٥) محمود أحمد أتم : أسس التصنيف والتصنيف العلمى ص ٣٠ ،
Z.andd'n Sa:dar : Islam o.tline of a classification scheme, p. 117.
(٣٦) أوديت بدران : التصنيف فى المكتبات ص ٢٣ .
خالد الحديدى : فلسفة علم تصنيف المكتبات كمدخل لفلسفة العلوم ص ٢٩ .
(٣٧) عبد الوهاب أبو النور : التصنيف الببليوغرافى لعلوم الدين الاسلامى ص ٧٣
محمود الأخرس : التصنيف ص ٦٥ .
(٣٨) هو جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبى بكر بن محمد السيوطى ، ولد سنة (٨٠٩هـ/١٤٠٦) وتوفى (سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م) (هداية العارفين) جـ ٦ ص ٥٢٤ ، الزركلى جـ ٣ ص ٢٢٢ .

في تصنيف العلوم في التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى . فقد ألف السيوطي كتابا أطلق عليه اسم (النقاية في موضوعات العلوم (٣٩)) ، وهو كتاب مختصر في أربعة عشر علما . ثم رأى السيوطي أن يتوسع فيه ، فشرحه وأسماه « اتمام الدراية لقراء النقاية » .

وقد حاز هذا الكتاب شهرة واسعة واقبالا كبيرا ، حتى أن بعض العلماء نظم بعض أجزاء منه شعرا ، ومن بينهم شهاب الدين أحمد السنباطي المصري الذي زاد عليه أربعة علوم هي : الحساب والعروض والقوافي والمنطق في ألف وخمسمائة بيت تقريبا .

أما عن السبب في تأليفه مصنفه هذا فيقول السيوطي في مقدمته (٤٠) وبعد فلما ظهر لي تصويب الملحين علي في وضع شرح على الكراسة التي سميتها بالنقاية ، وضمنتها خلاصة أربعة عشر علما ، وراعيت فيها عناية بالايجاز والاختصار ، ووضعت في طي ألفاظها ما نشره الناس في الكتب الكبار بحيث لايحتاج الطالب معها الى غيرها ، ولا يحرم الفطن المتأمل في دقائقها ، بادرت الى ذلك ، قصد الفائدة وتمام الفائدة ، وابرازا لما انا باستخراجه أحرى ، اذ صاحب البيت بما فيه أدرى ، وسميته « اتمام الدراية لقراء النقاية » (٤١) .

وقد وصف السيوطي منهجه في التصنيف بقوله (٤٢) : بدأت باصول الدين لأنه أشرف العلوم مطلقا ، لأنه يتوقف صحة الايمان عليه ، ثم ثنيت بالتفسير ، لأنه أشرف العلوم الثلاثة الشرعية المتعلقة بكلام الله تعالى . ثم بعلم الحديث لأنه يليه في الفضيلة ، ثم بأصول الفقه لأنه أشرف من الفقه اذ الأصل أشرف من الفرع . ثم بالفرائض الذي هو من أبواب الفقه وهو بعد الأصول في الرتبة . قال بعضهم اذ اجتمع عنده الشيخ دروس قدم الأشرف فالأشرف .

ويستطرد السيوطي في وصف منهجه في التصنيف فيقول : ثم بدأت من الآلات بالنحو والتصريف لتوقف علم البلاغة عليهما ، وقدمت النحو وان كان اللائق بالوضع العكس ، اذ معرفة الذوات أقدم من معرفة الطوارىء والعوارض لأن الحاجة اليه آهم (٤٣) .

---

(٣٩) حاجي خليفة : كشف الظنون جـ ٣ ص ١٣٣ .

(٤٠) Margolioth, D.S. : Lectures on Arabic Historians, p. 295.

(٤١) Lichtenstaedor, I : Arabic and Islamic Historiography in the Muslim World, 193.

(٤٢) Carra de Vaux : Les Penseurs de L'Islam, p. 116.

(٤٣) دائرة المعارف جـ ٤ ص ٥٠٣ .

ثم انتقل بعد ذلك الى علم الطب الذي يعالج البدن كله ، واختتم كلامه بعلم التصوف الذي يعالج الأمراض الباطنية الاخروية (٤٤) .

أبو محمد بن حزم

ولد (سنة ٣٨٤ هـ ـ ٩٩٤ م ـ ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤ م)

لقد ظهرت فى المغرب العربى حاجة نابعة من ظروف البيئة ، وبخاصة فى الأندلس تدعو الى العناية بتسجيل جهود العلماء والمؤلفين وذكر ما أسهموا به فى مختلف نواحى الانتاج الفكرى ، ولذلك فقد ظهرت هناك مؤلفات موسوعية مصنفة كرسائل ابى حزم .

وابن حزم ، هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الحافظ الفقيه الورع المؤرخ الشاعر الأندلسى (٤٥) . عاش فترة كبيرة من عمره عيشة الزهاد ، رغم وفرة أمواله . وكان محيطا بأكثر علوم عصره مع ذكاء وسرعة بديهة (٤٦) . كما كان جلدا صارع كثيرا من الخطوب ، كما كان وافر الانتاج الفكرى (٤٧) . قال عنه الذهبى (٤٨) : كان اليه المنتهى فى الذكاء والحفظ وسعة الدائرة فى العلوم .

ولقد عاش ابن حزم فى عصر ازدهرت فيه العلوم والمعارف فى بلاد الأندلس بفضل رعاية الدولة الأموية فى المغرب ، حتى صارت تنافس دمشق فى جمالها وبغداد فى ثرائها والقاهرة المعزية فى

---

(٤٤) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٦٨ .

(٤٥) قال عنه مروان بن حيان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ص ١١٩ : كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب ، مع مشاركة فى كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة . وله فى بعض تلك الفنون كتب كثيرة .

(٤٦) وقال عنه عبد الواحد المراكشى ، له مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة القصد فى أصول الفقه وفروعه . بلغنى عن غير واحد من علماء الأندلس أن مبلغ تصانيفه فى الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب ، والرد على المخالفين نحو أربعمائة مجلد ، وليس له مثيل من قبله الا الطبرى (المعجب فى تلخيص أخبار المغرب) ص ٤٧ .

(٤٧) وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد المالقى القرطبى الاندلسى عنه : كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة فى علوم اللسان موفور الحظ فى البلاغة والشعر ومعرفته بالسنين والآثار والأخبار .

(٤٨) الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ١٤٦ .

مكتباتها (٤٩) . وهكذا تأثر ابن حزم بالانتاج الفكرى الاسلامى ، ونهل من علوم قرطبة ومكتباتها ، ومن ثم فقد كان حريا به أن يكون من أوائل المسلمين الذين عنوا بتصنيف العلوم وبيان مراتبها فى المغرب الاسلامى ، متأثرا فى ذلك بالفارابى والخوارزمى ومن نهج نهجهما (٥٠) .

ويعتبر ابن حزم من أوائل علماء الأندلس الذين اتخذوا من تصنيف العلوم وسيلة لشرح فلسفتهم (٥١) الدينيـــة وآرائهم الاجتماعية ، ومنهجهم الروحى فى تفهم الاسلام والدفاع عنه ، وذكر العلوم التى يجدر بالعلماء ان يشتغلوا بها . وقد نهج هذا المنهج فى ثلاث رســـائل ، فيما يلى بيانها :

الرسالة الأولى : التوقف على شارع النحاة باختصار الطريق .

الرسالة الثانية : مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض -

الرسالة الثالثة : رسالة فى فضائل أهل الأندلس .

أما عن تصنيف العلوم وبيان مراتبها عند أبى محمد بن حزم فقد صنفها بصفة عامة الى صنفين ، الأول منها علوم درست ولم يبق منها الا اسمها ، ولا حاجة للاشتغال بها . والثانية بقيت وبقيت الحاجة اليها وتنقسم الى سبعة أقسام .

وقد بنى ابن حزم مذهبه فى تصنيف هذه العلوم وبيـــان مراتبها وترتيبها على أساس أنها تنقسم أقساما سبعة عند كل أمة وفى كل زمان ومكان (٥٢) ثم عاد ابن حزم فصنف الأقسام السبعة الرئيسية السابق ذكرها الى صنفين :

---

(٤٩) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ص ٩٢ .

(٥٠) لقد قسم فخر الدين الرازى المتوفى (٣١٣ هـ) وصنف نحو ستين فرعا من العلوم . لقد تأثر ابن سينا (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) بالفارابى وأضاف الى مصنفاته ثلاثة اقسام ، هى العلوم الرياضية ، والعلوم الشرعية الوضعية ، والعلوم الفلسفية الحقيقية ، وكذا أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥هـ .

(٥١) ابن حزم : كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ص ٩٧ (هامش الشهرستانى) لقد اعتنق ابن حزم المذهب الظاهرى الذى نشأ بالمشرق على يد داود بن على الأصبهانى . ويرى المذهب الظاهرى ضرورة التمسك بظاهر القرآن أى بمعناه اللفظى . وطاف ابن حزم بدول الطوائف مدافعا عن مذهبه ، فاصطدم بفقهاء المالكية الذين تعاونوا مع الحكام وكونوا دكتاتورية مالكية بالأندلس ، فاعلنوا الحرب على ابن حزم فاعلن المعتضد بن عباد ملك أشبيلية بحرق كتبه وتحريم قراءتها .

(٥٢) ابن حزم : الرسالة ص ٧٨ .

الصنف الأول : علوم ثلاثة تتميز فيهـــا الأمم ، علم أخبارها ولغتها ومعتقداتها ·

الصنف الثاني : علوم أربعـــة تتفق فيهـا كل الأمم ، وهى علم النجوم ، وعلم العدد والطب والفلسفة (٥٣) ·

ثم ينتقل بعد ذلك الى بيان مراتب هذه العلوم السبعة ، وما يحتويه كل صنف منها · ثم يستكمل بعد ذلك خطته فى التصنيف فى مرحلة ثالثة حيث يقسم كل علم الى فروعه مبينا مدى تعلق بعضـها ببعض · وبذلك يحقق ابن حزم منهجه العلمى فى تصنيف العلوم وبيأن مراتبها وتعلق بعضـــها ببعض معتمدا فى ذلك على تصــوره الفلسفى لعلوم عصره (٥٤) ·

---

(٥٣) الرسالة ص ٧٩ ·

(٥٤) عبد الواحد المراكشى (توفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٢٤م) : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب (ص ٢٢٣) ·

الفهرسة

واذا كانت حركة الترجمة التى أتت أكلها فى بداية القرن الثالث للهجـرة ، فى عهد الخليفـة المأمون والتى كانت أكبر الدوافـع لتطور الكتابة التاريخية التى نقلتهـا من التأريخ للعلوم النقلية فحسب الى التأريخ للعلوم العقلية كذلك مما أثرى الحضارة الاسلامية ، فقد كانت الخطوة الثانية التى تلت الكتابة التاريخية هى تصنيف (١) العلوم ٠

وكان طبيعيا ان يعقب حركة التأليف والتصنيف التاريخى الواسعة التى انتشرت فى مشرق العالم الاســـلامى ومغربه ، من يؤرخ لتلك المؤلفات ولمؤلفيها حتى ينتفع بها ، ومن ثم فقد كانت حركة الفهرسة (٢)٠

ومفهوم الفهرسة فى العصر الجديث ، هى عملية انشاء الفهارس ، أو هى عملية الوصف الفنى لمواد المعلومات ، بهدف أن تكون تلك المواد فى متناول المستفيد بأيسر الطرق وفى أقل وقت ممكن ، وذلك عن طريق السيطرة على العلوم والمعارف المسجلة والمكتوبة ، وتقديمهـا موصوفة ومنظمة للباحثين والدارسين ٠

على أن هناك نوعين من الفهرسة ، وهما الفهرسة الوصفية وهى التى تختص بالكيان والملامح المادية للمواد ، أما النـــوع الثانى فهى

---

(١) Dampier : W. C. : A History of Science and its Relationship to philosophy and Religicn p. 97.

Derry, T. K. and William / T. A Short History of Technology, p. 195.

(٢) Wynar. Bohdan : Introduction to Cataloging and Classification
M.hammad Aman : Analysis of terminology and Structure Classification. cf S.bj.ct headings in Arabic Literature.

الفهرســة الموضــوعية وهى التى تختص بوصف المحتــوى الموضــوعى للمــواد (٣) ٠

ومن ثم فاننا نستطيع القول بأن ابن النديم قد استخدم فى فهرسة كتابه (الفهرست) وكذا طاشكبرى (٤) زاده فى موســـوعته (مفتاح السعادة) النظــام الموضـــوعى المصنف فى ترتيب الكتب بهما (٥) ٠ أما حاجى خليفة فقد اســتخدم فى كتابه (كشف الظنون) وكذا ذيله هداية العارفين لاسماعيل باشــا البغدادى ، فقــد استخدما الترتيب الهجائى بعناوين الكتب (٦) ، وان كانا ، يذكران العلوم ويعرفان بها فى مواضعها من الترتيب الهجائى (٧) ٠ وهكذا نستطيع القول بأن كلا النوعين من الفهرسة الموضـــوعية والوصفية قد وجدا فى تطور علم التاريخ الاسلامى وان كانت الفهرسة الموضــوعية قد سبقت الفهرسة الوصفية بخمسة قرون على أقل تقدير (٨) ٠

ولا يخفى على أحد أن أول مرحلة من مراحل البحث والتأليف ، هو علم أحوال الكتب ٠ وقد ظهر هذا العلم متكاملا فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى (القرن ١٠ م) تقريبـــا ٠ وهذا العلم هو الذى يعرف بالمؤلفات والمؤلفين فى شتى نواحى الانتاج الفكرى الانسانى ، وهو العلم الذى أطلق عليه فى القرن العشرين اسم (البيليوجرافيا) ٠
(٩) Bibliographical References)

وقد كان أول كتاب فى التاريخ الاسلامى قد فتح الباب فى مضمار

---

(٣) Richardson : Classification of Knowledge and System of the the Science, p. 143.

(٤) محمود أحمد أتيم :أسس التصنيف والتصنيف العلمى ص ٧ ٠

(٥) Zianddin, Sardar : Islam, outline of Classification Scheme. p. 197.

(٦) Pette, Julia : Subject Headings, p. 191.

(٧)محمد فتحى عبد الهادى : الفهرسة الموضوعية ص ٢٣ ٠

(٨)محمد فتحى عبد الهادى : المدخل الى علم الفهرسة ص ٩ ٠

(٩) البيليوجرافية كلمة اغريقية قديمة معناها (كتابة الكتب) (book writting) وأول من ترك لنا قائمة ببليوجرافية هو الطبيب الاغريقى جالينوس الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد ٠ وكانت البيليوجرافيا فى أوروبا فى القرون الوسطى تعتبر جزءا متمما للتراجم وأول ثبت ببليوجرافى كان للقس (Bede) ، سنة ٧٣١م) بكتابه (التاريخ الكنسى فى انجلترا) ٠

التأليف فى هذا العلم هو كتاب (الفهرست) لابن النديم (١٠) ٠

وابن النديم هو أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب بن اسحاق النديم الوراق البغدادى ٠ اختلف المؤرخون فى تاريخ ميلاده وكذا وفاته ، غير أنه يشير فى كتابه (الفهرست (١١)) الى انه قد ولد قبل(سنة ٣٢٠هـ ــ ٩٣٢ م) ٠ وذكر ابن النجار (١٢) أنه توفى (سنة ٣٨٥ هـ ــ ٩٩٥ م)،

وذكــر الصــفدى (١٣) ، أنه توفــى (٣٨٠ هـ ــ ٩٩٠ م) ، أما الذهبى (١٤) فلا يعرف تاريخا دقيقا لوفاته ، وجعل وفاته فى أوائل القرن الخامس للهجرة ٠ وعلى كل حال فمن المؤكد ان ابن النديم كان يؤلف الفهرست (١٥) سنة ٣٧٧ هـ ٠

كان أبوه وراقا فى سوق الكتب عند بوابة البصرة فى بغداد (١٦) وكان يتجر فى الكتب المخطوطة (١٧) ، وما يتبعها من أنــواع الورق والأقلام وبخاصة استنساخ المخطوطات ٠ وهكذا نرى اتصـــال الأب الوثيق بالمشتغلين بمختلف العلوم (١٨) التى كانت معروفة فى عهده ٠

دائرة المعارف البريطانية مادة (Biblio) ، آدم متز : الحضارة الاسلامية ــ المترجم شمس العرب تسطع على الغرب (المترجم) ص ٣٨٣ ــ ٣٨٦ ٠

(١٠) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى (مترجم) جـ ٣ ص ٧٢ ٠

حاجى خليفة : كشف الظنون ص ٧ ٠

هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٠ ٠

فؤاد سزكين جـ ٢ ص ٢٦ ، محمود أحمد اتيم : أسس التصنيف العلمية والتصنيف العلمى ص ٢٩ ، ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٨ ص ٣٧ عمر رضـــا كحالة : معجم المؤلفين جـ ٩ ص ٤١ ٠

(١١) ياقوت الحموى : ارشاد الأريب جـ ١٨ ص ١٧ ، حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٣ ص ١٣٠ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣ ص ٨٧٣ ، جواد على : علم ابن النــديم باليهودية والنصرانية (مجلة المجمع العلمى العراقى ١٩٦١/٨) ٠

الزركلى : الاعلام جـ ٦ص ٢٥٣ ، كحالــة : معجم المؤلفين جـ٩.ص٤١ ، فؤاد سزكين جـ ٢ ص ٦٢٣ ٠

Gray : Iranian Material in the Fihrist, vol. V, p. 124.

(١٢) ابن النجار المتوفى (سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٣٥ م) ٠

(١٣) الصفدى : الوافى بالوفيات جـ ٢ ص ١٩٧ ٠

(١٤) ابن حجر : لسان الميزان جـ ٥ ص ٧٢ ٠

(١٥) الفهرست : ص ١٦٩ ، ياقوت : ارشاد الأريب جـ ٦ ص ٤٠٨ ٠

(١٦) ياقوت : معجم الأدباء جـ ١٨ ، ص ٣٧ ٠

(١٧) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى جـ ٣ ص ٧٢ ٠

(١٨) Fuck : Neue Materielien Zum fihrist, p. 30.

وهكذا نشأ الابن ، أبو الفرج وترعرع في ذلك الوسط الثقافي ، واشتغل عندما بلغ مبلغ الرجولة في معاونة والده الذى كان يوفده فى رحلات من أجل هذه المهنة (١٩) ٠

وكان ابن النديم مقربا لعلى بن عيسى ، أشهر أطبــاء العيون فى العصور الوسطى ولغيره من أئمة العلماء الذين كان يقضى معهم السهرات الطوال فى المناقشة العلمية المثمرة ٠ ويبدو واضحا من كتابات وتعليقات ابن النديم على الكتاب والمؤلفين انه كان معتزلا شيعيا فهو يسمى أهل السنة « الحشوية » ويســمى الأشاعرة « المجبرة » ، ويسمى كل من لم يكن شيعيا « عاميا » ، كما كان له من المؤلفات كتـــاب اســـمه « التشبيهات » (٢٠) ٠

ولما كانت مهنة ابن النـديم قد يسرت له ســبيل التعرف على المؤلفـــات التى كانت متداولة (٢١) فى عصره وعلى كثير من المؤلفين ، لذلك اجتهد في أن يخرج للناس كتابا يصف فيه جميع الكتب التى رآها بعينه ، أو سمع بها من العلماء الثقات ، وأن يكتب نبذة مختصرة عن العلماء الذين ألفوها ، وعن مشاهير الأدباء والعلماء الذين كانوا أول من اخترع للعرب علومهم المختلفة ، ويسجل عند ذكر كل منهم قائمـــة بمؤلفاته (٢٢) ٠

ويقول ليبيرت (٢٣) (Lippert) : أن ابن النديم اقتـــدى فى

---

(١٩) بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج ٣ ص ٧٢ ،
الزركلى : الاعلام ج ٤ ص ٩٥ ٠

(٢٠) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٠ ،
كحالة : معجم المؤلفين ج ٩ ص ٤١ ٠

(٢١) ان العرب قد اهتموا فى وقت مبكر بتسجيل كتبهم المؤلفة وتصنيفها تصنيفا موضوعيا بل وبترتيب موفق معاير التاريخ للتراث ٠ فبواكير تاليف كتب الأغانى انما يرجع مثلا الى العصر الأموى ٠ وكان اليعقوبى قد ارخ فى تاريخه لحركة الترجمة من اليونانية الى العربية ، قبل أن يؤلف ابن النديم كتابه بقرن كامل من الزمان ٠ وقد أشار ابن النديم نفسه الى هذه الجهود التى اعتمد عليها ، ورغم ذلك يبقى جهده عقيما ، فهو صاحب أهم كتاب فى تاريخ التراث العربى وأكثر شمولا ٠

Lippert, J : Ibn al-kufl, ein Vorganger Nadims. II, p. 147.
R. Blachére : Histoire de la litterature arabe, p. 134.
Guidi ; Tables alphabetiques, p. 188.

فؤاد سزكين ج ٢ ص ٦٢٣ ٠

(٢٢) بروكلمان ج ٣ ص ٧٤ ٠
Lippert. J. Ibn al-Kufi, ein vorganger Nadimis, p. 155.

كتابه الرائد (الفهرست) بابن الكوفي (٢٤) . كذلك كان ابن النديم يعود بين الفينة والفينة الى مصادر لم يصل الينا أكثرها ، فهو يعتمد في التراجم كثيرا على أبي سعيد (٢٥) السيرافي ، وابي الفرج الأصفهاني (٢٦) وعلى كتاب لأبي العباس ثعلب بخط أبي عبد الله الحسن ابن علي بن مقله (٢٧) . كذلك اعتمد على كاتب معاصر هو أبو الفتح النحوي (٢٨) وعلى نسخة بخط مؤلفها أبي الحسن عبد الله بن محمد ابن نعيان (٢٩) الخزاز وعلى كتاب أخبار علماء الكوفة بخط مؤلفه أبي الطيب الشافعي (٣٠) . كما اعتمد على كتب تاريخية وأخرى في الفرق والأديان (٣١) ، وعلى كتب ترجمت لباحثين عرب في الطبيعيات (٣٢) ، وعلى بعض الكتب حول علماء التراث الأوروبي القديم (٣٣) .

---

(٢٤) هو أبو الحسن علي بن محمد عبيد بن الزبير الأسدي المعروف بابن الكوفي . ولد (سنة ٢٥٤هـ / سنة ٨٦٨م) وتوفي (٣٤٨هـ / ٩٦٠م) في الكوفة وتتلمذ على ثعلب . كان مغرما بالكتب فجمع منها مكتبة حافلة ، تفرقت بعض مجلداتها في العالم ، وكانت موجودة في عصر ياقوت وعصر القفطي . ويقال ان ولعه بالكتب لم يدع له وقتا للتاليف الا قليلا ، غير أن ابن النديم ذكر له (ص ٧٩) كتابا في (معاني الشعر واختلاف العلماء) وكتاب (القلائد والفرائد في اللغة والشعر) كما اطلع ياقوت الحموي على نسخه بخط ابن الكوفي من كتاب (الهمز) من تاليفه . ويقول ابن النديم استخدم فهرسا لمكتبة ابن الكوفي (بخطه) أي (ابن الكوفي) كما أخذ مجموعة من العلماء ، وفي ذلك يقول ابن النديم : طائفة أصبنا ذكرهم بخط الكوفي (الفهرست ص ١٠٨ . فؤاد سزكين جـ ٢ ص ٦٢١) .

(٢٥) هو يوسف بن الحسن بن عبد الله أبو محمد السيرافي ولد ٣٣٠هـ/٩٤١م وتوفي ٣٨٥هـ/٩٩٥م ، أديب لغوي من أهل بغداد صاحب (شرح أبيات سيبويه) (تذكرة النوادر) أكمل كتاب أبيه (الاقناع) الزركلي جـ ٨ ص ٢٢٤ .

(٢٦) أبو الفرج سليل الأسرة الأموية ولد في أصفهان سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م وتوفي في بغداد ٣٥٦هـ/٩٦٧م ، فؤاد سزكين جـ ١ ص ٦١٢ .

(٢٧) هو عبد الله الحسن بن علي بن مقله أخو الوزير المشهور أبو علي محمد بن الحسين بن مقله ، ولد (سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م) وتوفي (سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م) كاتبا أديبا بارعا : نقل الخط العربي من الكوفي الى النسخ الحالي (الزركلي جـ ٧ ص ١١٨) .

(٢٨) ياقوت : ارشاد الأريب جـ ١٨ ص ١٧ .

(٢٩) كشف الظنون جـ ٤ ص ١٣٠ ، دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣ ص ٨٧٤ .

(٣٠) فؤاد سزكين جـ ١ ص ٦٣٤ .

(٣١) J. Fuck : Some hitherto unpublished texts on the Mutazilite Movement from Ibn al Nadim II, p. 51.

(٣٢) J. fuck : Neue Materialien zum Fihrist P. 298-321.

(٣٣) (=) J. Fuck : the Arabic Literature on Alchemy according to Ibn al Nadim, p. 19-45.

واطلاق ابن النديم على كتابه اسم (الفهرست) هى تسمية من وضعه لم يسبق اليها فى اللغـــة العربيـــة ، وقد اشتهر الكتاب كذلك بالعنوانين الآتيين (فهرست العلوم ، أو فوز العلوم) غير أن الفهرست أكثرها تداولا (٣٤) ٠

ويعتبر كتاب الفهرست لابن النديم موسوعة علمية تضم مختصرا دقيقا للعلوم والفنون والمعارف بعد تصنيف أجزائها الى مراتب ٠ ولا شك أن ابن النديم قد استفاد من آراء الذين عاصروه والذين سبقوه من علماء المسلمين الذين اشتغلوا بتصنيف العلوم وبيـــان مراتبهـــا ، الا أنه من الانصاف أن نذكر أنه استعمل طرقا فى تقاسيم العلوم وبيان مراتبها لم يسبق اليها ، نجملها فيما يلى :

ان تقاسيم العلوم وذكر أصنافها كما وردت فى كتاب (الفهرست) تختلف اختلافا جوهريا عن مراتب العلوم وتصنيفها كما جاءت فى تصنيف العلوم السابقة عليه ٠ فبينما كان تصنيف السابقين عليه للعلوم وبيان مراتبها انعكاسا للحياة العقلية والفلسفية السـائدة فى عصرهم ، وهو تصور للمعرفة المجردة البعيدة عن أغراض التطبيق العملى للعلوم فى أية ناحية من نواحى الحياة ، ومن ثم فهو تفكير اكاديمى (٣٥) خالص ٠

أما ابن النديم فقد كان تصنيفه للمعارف تصنيفا عمليا واقعيا مبنيا على أساس منهجى ، يذكر بعد كل علم ما صدر فيه من مصنفات ، كما كان كثير الاعتزاز بالعلوم التى اشتغل بها المسلمون ، كما عنى عناية خاصة بالانتاج الفكرى الاسلامى ، سواء فى ذلك ما كان من انتاجهم أو ما نقلوه من العلوم القديمة الى اللغة العربية (٣٦) ٠

ولذلك فقد جاءت المعلومات التى جمعها ابن النديم فى (فهرسته) أكثر شمولا ٠ وقد عنى بصفة خاصة بذكر ابتداء كل علم وفن عند المسلمين وتتبع تطورها وأحاط بذكر رجالها وأخبارهم وبيان انتاجهم بأمانة الباحث المدقق ٠

ابن النديم

ويعتبر ابن النديم أول من وضع أساس علم الفهرسة والتصنيف

---

(٣٤) فؤاد سزكين جـ ١ ص ٦٢٣ ٠
فؤاد سزكين جـ ١ ص ٦٢٤ ٠

(٣٥) Coats E. J. : Subject catalogues headings and Sturucture p. 191.

(٣٦) Cutter, Charles A. : Rules for a directionary catalogue, p. 83.
Mann, Margaret : Introduction to cataloging ond the classification of kooks, p. 76.

الذى ترتب بمقتضاه الكتب ويصلح أساسا لتنظيمها فى المكتبات ، كما أنه أول من وفق الى التصنيف العشرى (٣٧) • وذلك أنه اختار أساس تصنيفه للكتب وما تحويه من معرفة ، فجعله من عشر مجموعات ، تحوى كل مجموعة منها موضوعا عاما يندرج تحته كثير من العلوم • وأطلق على كل مجموعة من المجموعات العشر اسم (مقالة) ثم قسم كل مقالة منها الى فروعها ، وسمى كل فرع منها « فنا » وذلك على النحو التالى :

المقالة الأولى : وينقسم الى ثلاثة فنون :

الفن الأول : لغات الأمم ونعوت أقلامها وأنواع كتاباتها •

الفن الثانى : الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين •

الفن الثالث : فى لغة القرآن ، وأسماء الكتب المصنفة فى علومه وأخبار القراء وأسماء رواتهم •

المقالة الثانية : وينقسم الى ثلاثة فنون :

الفن الأول : النحو وأخبار النحويين البصريين وفصحاء العرب وأسماء كتبهم •

الفن الثانى : فى أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين وأسماء كتبهم •

المقالة الثالثة : وتنقسم الى ثلاثة فنون (٣٨) فى الأخبار والآداب والأنساب والسير :

الفن الأول : فى أخبار الأخبار بين الرواة والنسابين وأصحاب السير•

---

(٣٧) لقد قام بتصنيف الكتب فى المكتبات فى العصر الحديث عالم من علم المكتبات يعرف باسم (ملفيل ديوى) (Melvil Dewey) المولود بأمريكا (١٨٥١م وتوفى سنة ١٩٣١) بالولايات المتحدة الأمريكية وقد استعمل (ديوى) فى تصنيف موضوعات الكتب نظام ابن النديم العشرى ، ولكن للأسف فان ديوى لم يشر الى (فهرست) ابن النديم على الاطلاق واحقاقا للحق ، فان ديوى لم يدع لنفسه انه أول من استخدم الأرقام العشرية فى التصنيف وهكذا نرى أن ابن النديم سبق نظام ديوى العشرى بتسعة قرون على أقل تقدير •

ولقد أصدر (ديوى) الطبعة الاولى من نظامه العشرى ١٨٧٦ تحت عنوان
Melvil Dewey : A Classification and Subject Index for cataloquing and Arranging the books and Pamphlets of Library.

(٣٨) C. Sarton : The History of Science and The New humanism. p. 87.

الفن الثاني : أخبار الملوك والكتاب وعمال الخراج وأصحاب الدواوين.
الفن الثالث : في أخبار الندماء والجلساء والمغنين وأسماء كتبهم .
المقالة الرابعة : وهي في فنين شعراء الجاهلية والاسلام :
الفن الأول : طبقات شعراء الجاهلية والمخضرمين .
الفن الثاني : طبقات شعراء الاسلام .
المقالة الخامسة : وينقسم الى خمسة فنون في الكلام والمتكلمين (٣٩) :
الفن الأول : أمراء الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمراجعة وكتبهم .
الفن الثاني : متكلمي الشيعة الامامية والزيدية والاسماعيلية وكتبهم.
الفن الثالث : متكلمي المجبرة والحشوية وكتبهم .
الفن الرابع : متكلمي الخوارج وأصنافهم وأسماء كتبهم
الفن الخامس : في أخبار الزهاد والمتصوفة وأسماء كتبهم .
المقالة السادسة : وهي ثمانية فنون في الفقه والفقهاء والمحدثين :
الفن الأول : في أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم .
الفن الثاني : في أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم
الفن الثالث : في أخبار الامام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم .
الفن الرابع : في أخبار داود وأصحابه وأسماء كتبهم .
الفن الخامس : في أسماء الفقهاء الشيعة وأسماء كتبهم .
الفن السادس : فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وكتبهم (مثل أحمد ابن حنبل) .
الفن السابع : في أخبار فقهاء الشراة (٤٠) وأسماء كتبهم .
المقالة السابعة : وهي ثلاثة فنون في الفلسفة والعلوم القديمة .
الفن الأول : أخبار الفلاسفة الطبيعيين وأسماء كتبهم .
الفن الثاني : أخبـار أصـحاب التعاليم والمهندسين والموسيقيين والمنجمين (٤١) وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات .

---

(٣٩) C. de Vaux : astronomy and Malthematics (in the Legacy of Islam.

(٤٠) فسر ابن النديم لفظ (الشراة) بقوله « هؤلاء قوم كتبهم مستورة لأن الناس تتبعهم بالمكاره .. » (الفهرست ص ٣٢٩) .

(٤١) C. de Vaux : astronomy and Mathematics, p. 392.

الفن الثالث : فى ابتداء الطب وأخبار المتطببين وأسماء كتبهم (٤٢) .

المقالة الثامنة : وهى ثلاثة فنون فى الأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة :

الفن الأول : أخبار السامرين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب .

الفن الثاني : أخبار المعزمين والسحرة وكتبهم .

الفن الثالث : الكتب المصنفة فى معانى شتى لا يعرف مصنفوها .

المقالة التاسعة : وهى فنان في المذاهب والاعتقادات (غير أصحاب الشرائع المنزلة) .

الفن الأول : وصف مذاهب وديانات غير الاسلامية التى دخلت فى الاسلام .

الفن الثاني : وصف المذاهب الغريبة ، كمذاهب الصين ، والهند وغيرهم من الأمم .

المقالة العاشرة : تحتوى على أخبار الكمائيين والصنعويين من الفلاسفة وأسماء كتبهم .

وقد قدر العلماء فى الشرق والغرب كتاب الفهرست حق قدره . فقد جاء فى وصف المستشرق (ونتر) (٤٣) قوله : هذا الكتاب من أنفس النفائس ولا نظير له فيما يتعلق بمعرفة مصنفى العرب وتأليفهم فى كل فن الى أواخر القرن الرابع الهجرى ، ومعرفة ما ترجم الى العربية من كتب الهند والفرس واليونان والسريان . وهو منبع غزير ومصنف لا يفرغ لكل من يشتغل بتاريخ أدبيات العرب » .. ويضيف (أوليرى) (٤٤) فيقول : ولا تقتصر أهمية الفهرست على ايضاح حال الحضارة الاسلامية ، لأن ذلك الكتاب يحتوى على فوائد لا تقدر قيمتها فى أخبار أمم وملل شرقية غير اسلامية » .

ويقول (ول ديورانت) (Durant) ٤٥ « أرخ فيه ابن النديم لكل كتاب ظهر فى اللغة العربية مؤلفا أو مترجما فى كل فروع العلم ،

---

(٤٢) Sarton : The history of Science and the New humanism, p. 92.

(٤٣) Winter, H. J. J. : Eastern Science, p. 119.

(٤٤) O'Leary de cacy : Arabic thought and its place in History, p. 215.

(٤٥) Durant, W. : The Story of civilization, p. 227.

وأضاف الى أسماء الكتب ترجمة نقدية لمؤلفيها ، ذكر فيها فضائل كل مؤلف وعيوبه » .

ويحدثنا (دنبير) (Dampier) (٤٦) عن فهرست ابن النديم فيقول : ومن الآثار النفيسة التى لا تستطيع أن تعطينا غير فكرة بسيطة عن ازدهار الحياة العلمية فى تلك الأيام كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق البغدادى الشهير بصاحب الفهرست . انه واحد من أغنى مناجم المعرفة ، فهو بوصفه فهرسا للكتب العربية مسهبا اسهابا هائلا قدم الينا ثبتا بجميع الكتب المؤلفة فى اللغة العربية على اختلاف الموضوعات وتعدد الجنسيات ، وليس فحسب ، بل عنى كذلك باثبات أنساب المؤلفين وتاريخ ميلادهم وأوقاتهم . كما حرص على ايراد كل ما يراه مناسبا من المعلومات المتصلة بحياتهم » . ويضيف (دنبير) فيقول : ومن أسف أن هذا السجل (الببليوجرافى) النادر ، هو كل ما بقى لنا من معظم الكتب التى يصفها ويتحدث عنها .

وينقد فؤاد أفرام البستانى (٤٧) كتاب الفهرست فيقول : أما الكتاب فنفيس جدا بما جمع من مواد أساسية فى وصف الحالة الثقافية عند العرب حتى عصر المؤلف (القرن ٤ هـ ــ ١٠ م) وذلك بأسلوب موجز دقيق ينم عن روح العالم ، ورغبة التحرى وعين الناقد البصير ، ولا يزال الفهرست مرجعا أساسيا لكل باحث حتى اليوم فى موضوعات الثقافة العربية القديمة .

الفهرسة فى الأندلس

لقد مضى على (فهرست ابن النديم) قرابة ثلاثة قرون لم يحاول فيها أحد علماء المسلمين ممن عاصروا ابن النديم أو الذين جاءوا من بعده فى المشرق العربى أن يقتفوا أثره ، ولم يحاول أحد من العلماء منهم أن ينهج على منواله فى تأليف كتاب أو رسالة مصنفة تجمع بين دفتيها بيانات ببلوجرافية ، تعرف بأحوال الكتب ومصنفيها بجانب ماتذكره من علوم عصرها . حدث هذا بالنسبة للفهرسة (الببلوجرافية) بينما كثرت المؤلفات الأخرى التى حذت حذو الفارابى وفى العناية بتلخيص العلوم وذكر تقاسيمها وبيان مراتبها .

أما فى مغرب العالم الاسلامى فقد كانت ظروف البيئة وخاصة فى

---

(٤٦) Dompier, W. C. : A History of Science and its Relationship to philosophy and Religion, p. 115.

(٤٧) دائرة معارف البستانى جـ ٤ ص ١٠٢ ــ ١٠٤ .

الأندلس تدعو الى العناية بتسجيل جهود العلماء والمؤلفين وذكر ما أسهموا به فى مختلف نواحى الانتاج الفكرى ، ولذلك فقد ظهرت هناك مؤلفات على نهج كتاب (تصنيف العلوم) وعلى غرار تصنيف الفارابى والخوارزمى ومن أهم من قام بهذا العمل فى الأندلس ابن حزم ٠

ابن الخير أبو بكر

أما الفهرسة (الببلوجرافية) فلعل أول من قام بها فى غرب العالم الاسلامى هو ابن خير (٤٨) ، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموى الاشبيلى (٤٩) ، ولد (٥٠٢ هـ ـ ١١٠٨ م) والمتوفى (٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) ٠ وقد وصفه معاصروه فقالوا : فقيه محدث من أهل الاتقان وجودة الضبط مقرىء مجود » (٥٠) ٠

ووصفه ابن العماد (٥١) ، فقال : المقرىء الحافظ ، فاق الأقران فى ضبط القراءات ٠ سمع الكثير من أبى مروان الباجى (٥٢) وابن العربى (٥٣) ، وحلق وبرع فى الحديث ، واشتهر بالاتقان ، وسعة المعرفة بالعربية ٠

وقد جاء فى ترجمة حياته أنه قضى حياته كلها فى طلب العلم ، فتتلمذ للعديد من العلماء والأساتذة ، وروى عنهم عددا من الكتب يفوق

---

(٤٨) الزركلى : الاعلام جـ ٢ ص ٣٥٤ ٠

(٤٩) يقال له الأموى بفتح الهمزة والميم نسبة الى (أمة) ، وهى جبال بالمغرب ٠

(أحمد بن يحيى بن أحمد بن الضبى بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٦٥) ٠

(٥٠) الضبى : بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ص ٦٥ يتضمن تراجم الملوك وعلماء الأندلس والوافدين عليها حتى أواخر القرن السادس الهجرى) ٠

(٥١) ابو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٢ ص ٢٥٢ ٠

(٥٢) هو عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجى توفى (٥٧٨ / ١١٨٢ م) المشهور باسم (صاحب الصلاة) الزركلى جـ ٣ ص ١١٧ ٠

(٥٣) هو محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ ٠ فخر الدين الأندلسى المعروف باسم ابن العربى الصوفى ولد (سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٤م) بمدينة مرسية ٠ برع فى علم التصوف وتوفى فى ربيع الثانى (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) بمرسية بالأندلس ٠ له العديد من المؤلفات ، وهو الظاهرى المذهب (الزركلى ، جـ ٤ ص ١٦٥) ٠

التصديق فقد جاء فى كتابه (الفهرسة) أنه قرأ وسمع واجيز له ماينوف على (١٠٤٥) كتابا ٠ ومن ثم فليس بعجيب أن يقول عنه ابن الأبار (٥٤) « آنه فاق الجميع فى قراءة الشعر وشرح السير » ٠

« والعنوان الكامل لكتاب ابن خير هو ، » فهرسة ما رواه عن شيوخه ومن الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف » ، كما يعرف بعنوان آخر مختصر هو (فهرست الدواوين) ويصف ابن الضبى (٥٥) وابن العماد (٥٦) الكتاب بقولهما لقد ألقى هذا المؤلف الضوء لا على تاريخ العرب والأسبان فحسب بل على تاريخ المشرق أيضا ، ذلك انه يحتوى على وصف سبعين خزانة كتب كانت مفتوحة للفقهاء والعلماء فى عصره ٠

أما أهمية كتاب (الفهرسة) فى تاريخ التراث الاسلامى العربى سواء فى ذلك ما صنفه المسلمون المشارقة آو ماكان من الانتاج الفكرى لاخوانهم المغاربة ، فتتركز فى عدة مميزات هامة كان ابن خير سباقا الى جمعها ، فقد ذكر لنا أكثر من مرة (١٠٤٥) مصنفا من أمهات المؤلفات العربية التى تناولت بالبحث أكثر العلوم والفنون التى كانت معروفة فى زمانه ، اختارها من بين ما صنفه كبار علماء المسلمين فى مختلف الأقطار الاسلامية ، التى رواها له أساتذته أو قرأها عليهم ثم أجازوا له روايتها (٥٧) ٠

وقد حرص ابن خير فى اثبات سلسلة أسماء العلماء الذين حدثوا عن المصنفات بالتواتر ، وهكذا يظهر لنا التواتر العلمى ، فيعرف متى ومن نقل الى الأندلس المؤلفات المكتوبة والمؤلفة فى المشرق (٥٨) ٠

---

(٥٤) هو محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى توفى (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ولد ابن الابار فى مدينة بلنسيه بشرق الأندلس (سنة ٥٩٥هـ/١١٨٩م) درس على والده وعلى غيره من علماء المدينة ، ولما حاصر ملك أراجون مدينة بلنسية فر الى تونس فى عهد الحفصيين من أهم مؤلفاته كتاب (التكملة لكتاب الصلة) أى تكملة لصلة ابن بشكوال ، وهو عبارة عن تراجم لأسماء الملوك والعلماء الأندلسيين مرتبة حسب حروف المعجم (الزركلى : جـ ١ ص ٢٢٣) ٠

(٥٥) الضبى : بغية الملتمس فى تاريخ علماء الأندلس ص ٦٩ ٠

(٥٦) ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٢ ص ٢٥٩ ٠

(٥٧) المصدر السابق : جـ ٢ ص ٢٩٧ ٠

(٥٨) ابن الابار : كتاب التكملة لكتاب الصلة ص ١٨٧ ٠

وبعلمه هذا أعطى ابن خير دليـلا لا يقبل الشك ، كيف كانت الأمة الاسلامية حتى زمانه أمة واحدة ، ينتقل علماؤها بين أرجائها ، رسل حضارة وهداية وأساتذة وعلماء ينشرون نور العلم والمعرفة أينما حلوا ، فبعضهم شرق حيث نشر ضياء علوم وفنون المغرب ثم عاد الى بلاده يحمل نور المعرفة والثقافة الشرقية (٥٩) ٠

أما عن محتويات (فهرسة) ابن خير ، أو ما يطلق عليها كذلك (فهرست) الدواوين فيمكن تقسيمها الى الأقسام الرئيسية الآتية :

أولا : كتب الشريعة الاسلامية بأقسامها الرئيسية ٠

ثانيا : مؤلفات كبار الفقهاء والعلماء ، مثل أبى بكر بن أبى الدنيا ، وأبى السعيد بن الأعرابى ، وأبى بكر محمـــد بن الحسين ، وأبى ذر بن أحمد الهروى ٠

ثالثا : كتب اللغات والآداب وأشعار العرب والمحدثين وما يتصل بذلك ٠

رابعا : تسمية الشعراء وأسـماء الشعراء التى وصل بها أبو على اسماعيل بن القاسم البغدادى فى الأندلس ٠

خامسا : ماروى عن أبى سهل الحرانى من عدة طرق ٠

سادسا : ماجلبه أبو على ألبغدادى من الأخبار ٠

سابعا : ما روايته من الفهارس الجامعة لروايات الشيوخ وتواليفهم ٠

ثامنا : باب تسمية الشيوخ الذين رويت وأجازوا لى لفظا وخطا ممن لقيت ومن لم ألقه ٠

تاسعا : ملاحق الحقها محقق الكتاب حتى تسـهل الاستفادة من هذا المرجع وهى : (١) فهرست الكتب (٢) فهرس المؤلفين (٣) فهرس الأماكن ٠

---

(٥٩) محمد بن عبد الملك المراكشى : كتاب الذيل والتكملة الموصول والصلة ص ٣٠٤ ٠

ابن الاكفاني : شمس الدين محمد السنجاري

(ت : ٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨ م)

لقد مضى أكثر من ثلاثة قرون في مشرق العالم الاسلامي لم يحاول فيها العلماء والفلاسفة ان ينهجوا نهج ابن النديم في موسوعته (الفهرست) ، وان كانوا قد عنوا باقتفاء أثر الفارابي في تأليف الكتب الموسوعية المصنفة . كما نشط الكثير منهم في تأليف كتب التراجم والعناية بذكر الانتاج الفكري للمترجم لهم ، في حين أن علماء المسلمين في الأندلس بذلوا جهدا مشكورا في الرسائل والمراجع المفهرسة .

وفي منتصف القرن الثامن للهجرة ظهر كتيب صغير في حجمه ، كبير في قيمته العلمية ، هو كتاب (ارشاد القاصد لأسنى المقاصد) (٦٠) كان هو المرجع المكمل لفهرست ابن النديم ، وعليهما كان اعتماد العلماء والباحثين للوقوف على العلوم والمعارف في المشرق الاسلامي ، وعلى المؤلفات التي ظهرت هناك حتى منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر للميلاد) .

ومؤلف كتاب (ارشاد القاصد) هو محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري شمس الدين أبو الجود السنجاري ثم المصري ، الطبيب المعروف بابن الأكفاني المتوفى (٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨ م) (٦١) أحاط بكثير من علوم عصره ، وله عدة مصنفات أكثرها في الطب (٦٢) . وكتاب (ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد في أنواع العلوم) هو رسالة صغيرة صنفت أكثر العلوم التي كانت معروفة في القرن الثامن للهجرة ، بعد أن لخصها الأكفاني تلخيصا دقيقا (٦٣) ، فهي بذلك تعطي في وقت قصير فكرة عملية دقيقة عن أكثر العلوم التي كان يدرسها المسلمون أيام عظمتهم المدنية (٦٤) .

---

(٦٠) اسماعيل البغدادي : هداية العارفين جـ ١ ص ١٥٥ .

(٦١) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون خطا أنه توفي سنة ٧٩٤هـ ، جـ ٦ ص ٦٦ .

(٦٢) هداية العارفين جـ ١ ص ١٥٥ .

(٦٣) كشف الظنون جـ ١ ص ٦٧ .

(٦٤) فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين مادة (علم) .

ويعلق طاش كبرى زادة (٦٥) على (ارشاد القاصد) ، فيقول : أما صاحب ارشاد القاصد فلا شك أنه قد تأثر فى تأليفه ، وفى طريقة عرضه بالفارابى ، الا أن الأكفانى قد زاد فى عدد العلوم كثيرا . ويضيف حاجى (٦٦) خليفة فيقول : وقد بلغ مجموع ما ذكره من هذه المصنفات حوالى (٤٠٠) كتاب الكثير منها ألف بعد عصر النديم ، وبذلك أصبحت هذه الرسالة مرجعا مكملا لكتاب الفهرست فى المشرق العربى .

فهرسة أسماء البلدان واعجامها

لقد كانت الخطوة التالية لفهرسة أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم ، فى تطور الفكر فى التاريخ الاسلامى ، هى فهرسة أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والايداد والأوثان (٦٧) .

وأول من فهرس وأعجم أسماء البلدان ومسالكها ، هو شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى (٦٨) ، المولود فى بلاد الروم (سنة ٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩ م) ، وأوتى به أسيرا من بلاد الروم وهو حدث ، ونقل الى أسواق الرقيق فى بغداد ، حيث اشتراه تاجر بغدادى أصله من حماة اسمه عسكر بن ابراهيم ، فنسب اليه ياقوت وغلب عليه لقب الحموى . وكان مولاه عسكر لايعرف الكتابة ، فارسله الى المدرسة ليتعلم فينتفع به فى ادارة تجارته ، فتلقى العلوم المعروفة فى عصره ، ثم أخذ مولاه التاجر يرسله من بلد الى آخر فى أعماله التجارية . فلما توفى مولاه ، اشتغل بنسخ الكتب وبيعها ، وقد أفاد ياقوت من حرفة الوراقة فائدة كبرى ، كانت ثمرتها ما تركه لنا من مؤلفات نفيسة .

ولم يكن ياقوت أول من كتب عن البلدان بل سبقه كثيرون ، وفى ذلك يقول ياقوت . على أنه قد صنف المتقدمون فى أسماء الأماكن

---

(٦٥) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ص ٥٩ .

(٦٦) كشف الظنون جـ ١ ص ٦٧ .

(٦٧) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ٧ .

(٦٨) القفطى : تاريخ الحكماء ص ١٩٣ .
Carra de Vaux : Les Penseurs de L'Islam, vol, p. 19.

كتبا وبهم اقتدينا وبهم اهتدينا ، وهى صنفان ، منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونة والمشهورة ، ومنها ما قصد به ذكر البوادى والقفار واقتصر على منازل العرب الواردة فى أخبارهم وأشعارهم (٦٩) ٠

ويضيف ياقوت فيقول : وأما الذين قصدوا ذكر الأماكن العربية والمنازل البدوية فطبقة أهل الأدب ، وهم أبو سعيد الأصمعى ظفرت به راوية لابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه ، وأبو عبيد السكونى ، والحسن بن أحمد الهمدانى صاحب كتاب (صفة جزيرة العرب) ٠ وأبو الأشعث الكندى فى جبال تهامة ، وأبو سعيد السيرافى ، الذى بلغنى ان له كتابا فى جزيرة العرب ، وأبو محمد الأسود الغندجانى له كتاب فى مياه العرب ، وأبو زياد الكلابى ، ذكر فى نوادره من ذلك صدرا صالحا وقفت على أكثره (٧٠) ٠

ويحدثنا عن كتاب البلدان فى المغرب الاسلامى فيقول : « ومحمد ابن ادريس بن أبى حفصة وقفت على كتاب سماه (مناهل العرب) (٧١) ٠ وأبو عبيد البكرى الأندلسى ، له كتاب سماه (معجم ما استعجم من أسماء البقاع) لم أره بعد البحث عنه والتطلب له » ٠

ويستطرد فى ذكر كتب البلدان فى المشرق السابقة عليه فيقول : وهشام بن الكلبى وقفت له على كتاب سماه (اشتقاق البلدان) وأبو القاسم الزمخشرى ، له كتاب لطيف فى ذلك ، وأبو الحسن العمرانى تلميذ الزمخشرى ، الذى وقف على كتاب شيخه وزاد عليه وقد رأيته ٠ وأبو بكر محمد بن موسى الحازمى ، له كتاب (ما ائتلف واختلف من أسمائها) ، ثم وقفنى صديقنا الحافظ الامام أبو عبد الله بن محمود بن النجار جزاه الله خيرا ، على مختصره الذى اختصره الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصفهانى ، من كتاب ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندرى النحوى فوجدته تأليف رجل ضابط قد أنفذ فى تحصيله عمرا وأحسن فيه عينا وأثرا » (٧٢) ٠

أما عن السبب الذى دفع ياقوت الحموى الى تأليف معجمه

---

(٦٩) معجم البلدان جـ ١ ص ١١ ٠

(٧٠) المرجع السابق جـ ص ١٢ ٠

(٧١) Gateau : Canquete de l'afrique du nord et de l'Espagn. 125.

(٧٢) معجم البلدان جـ ١ ص ١١ ٠

فيقول (٧٣) : انني سئلت بمرو الشاهجان ، (سنة ٦١٥ هـ/١٢١٨ م) في مجلس شيخنا الامام السعيد الشهيد ، فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم بن الامام الحافظ تاج الاسلام أبي سعد عبد الكريم السمعاني عن (حباشة) اسم موضع جاء في الحديث النبوي ، وهو سوق من أسواق العرب في الجاهلية ، فقلت : أرى أنه (حباشة) بضم الحاء ، قياسا على أصل هذه اللفظة في اللغة ، لأن الحباشة : الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئا ، فانبرى لي رجل من المحدثين وقال : انما هو حباشة بالفتح وصمم على ذلك وكابر وجاهر بالعناد من غير حجه وناظر ، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، اذ لامعول في مثل هذا على اشتقاق ولا عمل ، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التى كانت بمرو يومئذ ، وكثرة وجودها في الوقوف وسهولة تناولها . فلم أظفر به الا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراء ، ويأس من وجوده واقتراء ، فكان موافقا والحمد لله ، لما قلته . فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم الى كتاب في هذا الشأن مضبوطا وبالاتقان وتصحيح الألفاظ بالتعبير مخطوطا ، ليكون في مثل هذه الظلمة هاديا والى ضوء الصواب داعيا » .

أما عن طريقة فهرسته لكتابه واعجامه ، فيقول ياقوت : لقد قسمت الكتاب خمسة أبواب ، الباب الأول في ذكر صورة الأرض ، والثاني في وصف اختلافهم في الاصطلاح على معنى الاقليم وكيفية اشتقاقه ، والثالث في ذكر الألفاظ التى يكثر تكرار ذكرها فيه ويحتاج معرفتها كالبريد والفرسخ والميل والكورة وغير ذلك . والرابع في بيان حكم الأرضين والبلاد المفتتحة في الاسلام وحكم قسمة الفيء والخراج فيما افتتح صلحا أو عنوة . والباب الخامس في جمل من أخبار البلدان التى لا يختص ذكرها بموضع دون موضع لتكمل فوائد هذا الكتاب ويستغنى به عن غيره في هذا الباب . ثم يضيف فيقول : ثم أعود الى الغرض ، فأقسمه ثمانية وعشرين كتابا على عدد حروف المعجم ، ثم أقسم كل كتاب الى ثمانية وعشرين بابا للحرف الثاني للأول ، والتزم ترتيب كل كلمة منه على أول الحرف وثانيه وثالثه ررابعه ، والى أية غاية بلغ ، فأقدم ما يجب تقديمه بحكم ترتيب أ . ب . ت . ث على صورته الموضوعة له من غير نظر الى أصول الكلمة وزوائدها ، لا جميع مايرد انما هي أعلام لمسميات مفردة ، وأكثرها نجمية ومرتجلة لامساغ ولا اشتقاق فيها .

---

(٧٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٣ .

ويقول ان الغرض من هذا الترتيب ، هو تسهيل طريق الفائدة من غير مشقة ، وقد سميته (معجم البلدان) اسم مطابق لمعناه •

ولقد أعفانا ياقوت الحموى مؤنة اثبات أولويته فى فهرسة واعجام أسماء البلدان بقوله : وعلى ذلك فاننى أقول ولا أحتشم ، وأدعو الى النزال كم علم فى العلم ولا أنهزم ، وان كتابى هذا أوحد فى بابه ، مؤمر على أحزابه ، لا يقوم بابراز مثله الا من أيد بالتوفيق وركب فى طلب فوائده كل طريق » (٧٤) •

فهرس التراجم والطبقات

ليس من شك فى أن الأمة العربية أغنى الأمم فى كتب السير وليس من شك كذلك أن مؤرخى أية أمة من الأمم عنوا هذه العناية الفائقة فى تدوين سير مشاهيرهم كما عنى مؤرخو الاسلام • فمنذ أن بدأ ابن أسحق بوضع السيرة النبوية ، والواقدى وابن سعد فى تأليف الطبقات الى يومنا هذا والصفة الغالبة فى كتب التاريخ الاسلامى هى سير الاعلام من المسلمين •

واذا كان ابن النديم قد فهرس المؤلفات والكتب وكذا المؤلفين ، فان كتب التراجم فهرست الشخصيات الاسلامية التى تركت بصمات واضحة فى تاريخ المسلمين من حكام ووزراء وكتاب وحجاب ومؤلفين وما اليهم • كان هم معظم مؤلفى التراجم الأول ، هو ترتيب شخصياتهم حسب حروف المعجم دون مراعاة للتسلسل الزمنى •

ويعتبر ابن خلكان (٧٥) أقدم من ترجم لأهم الشخصيات الاسلامية ، أى أعيانها بعد ترتيبها حسب حروف المعجم دون مراعاة للزمن • وكتاب

---

(٧٤) معجم البلدان جـ ١ ص ١٣ •

(٧٥) هو أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى الأربلى المؤرخ الحجة والأديب الماهر ولد سنة ٦٠٨هـ/١٢١١ فى اربل بالقرب من الموصل ، وانتقل الى مصر واقام فيها مدة وتولى نيابة قضائها وسافر الى دمشق وتولى قضاء الشام ، وعزل بعد عشر سنين • فعاد الى مصر واقام بها سبع سنين ثم رد الى قضاء الشام ثم عزل بعد مدة • وولى التدريس فى كثير من مدارس دمشق ، وتوفى فيها ودفن فى جبل قايسون سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) •

(فوات الوفيات جـ ١ ص ٥٥ ، التعيمى جـ ١ ص ١٩١ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٥٣ ، بروكلمان جـ ١ ص ١٥٧ ، الزركلى جـ ١ ص ٢٢٠ •

(وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان) من أهم المراجع التي لا غنى عنها للدراسات الاسلامية ، فهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وأحكاما (٧٦) وقد بدأ ابن خلكان في تصنيفه في القاهرة (٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م) وانتهى منه (٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م) .

وقد عني كثير من كتاب التراجم بتزيل معجم ابن خلكان (وفيات الأعيان) فوصله فضل الله القضاعي الى (سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م) ، كما صنف محمد بن شاكر الكتابي كتابه (فوات الوفيات) .(٧٧) تتمة كذلك لكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان . وقد جاء في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني المتوفى (سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) ما يلي وقد استمددت في هذا الكتاب من أعيان النصر لأبي الصفاء الصفدي ومجاني العصر لشيخ شيوخنا أبي الحيان ، وذهبية القصر لشهاب الدين بن فضل الله ، والوفيات للعلامة تقي الدين ابن رافع ومعاجم كثيرة من شيوخنا ، والوفيات للحافظ شمس الدين أبي الحسين بن أيبك الدمياطي والذيل عليه للحافظ أبي الفضل بن الحسين العراقي .

ومن مؤلفي التراجم السخاوي (٧٨) مؤلف كتاب (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) . وكتاب (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)

---

(٧٦) لقد انتقده ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) (ج ١١ ص ١١٣) عند كلامه عن ابن الراوندي ، بقوله « ذكر ابن خلكان في الوفيات وقسى عليه ولم يخرجه بشيء ولا كان الكلب أكل له عجينا ، على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يطيل في تراجمهم والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة والزنادقة يترك ذكر زندقتهم » .

(٧٧) وقد جاء في مقدمة ابن شاكر الكتبي نقدا لكتاب (وفيات الأعيان) ما يلي : وجدته من أحسنها وضعا لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحد من الخلفاء ، ورأيته قد أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم ذلك الذهول عنهم أو لم يقع له ترجمة أحد منهم » وفي هذا النقد مغالطة لأن ابن خلكان صرح بأنه لا ينوي أن يترجم للخلفاء وأنه لن يدرج في كتابه الا من عرف سنة وفاته .

(٧٨) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل القاهري المولد ، ولد (٨٣١هـ/١٤٢٧م) أخذ العلم عن جماعة من العلماء يزيد عددهم على (٤٠٠) أستاذا وأذن له غير واحد بالافتاء والتدريس والاملاء . ورحل الى الآفاق وجاب البلاد فذهب الى حلب ودمشق وبيت المقدس وغيرها . واجتمع له من المرويات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف . حج بعد وفاة شيخه ابن حجر مع والديه ثم عاد القاهرة ولازم الاشتغال بالعلم والتاليف لم يفتر أبدا . وحج عدة مرات كان آخرها سنة ٨٩٦ هـ ، وجاور في مكة حتى (٨٩٨ هـ) ثم توجه الى المدينة وجاور بها حتى مات فيها .

للغزى (٧٩) ، وكتاب (شذرات الذهب (٨٠) فى أخبار من ذهب) لعبد الحى ابن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ــ ١٦٧٨ م و (خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر) للمجى (٨١) ، وكتاب (سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر) للمرادى (٨٢) ، وكتاب حلية البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر) للبيطار (٨٣) ٠

وكانت الخطوة التالية لكتب التراجم عند مؤرخى الاسلام ، هى كتب الطبقات ، التى بدأت بطبقة الصحابة وأخرى للتابعين ، وطبقة القراء وأخرى للمحدثين ، وطبقة للشعراء ، وطبقة للأدباء ، وطبقة للنحاة وطبقة للأطباء ٠ بل اننا نستطيع القول بأنه لانجد أهل فن أو علم أو فرقة من الفرق أو اتباع مذهب من المذاهب لم توضع فى طبقات فى تراجمهم (٨٤) ٠

ومن أقدم من كتب فى كتب الطبقات جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى ، ولد بمدينة قفط من أعمال صعيد مصر (سنة ٥٦٨ هـ ــ ١١٧٢ م) التى رحل اليها آباؤه من مدينة الكوفة ٠

---

(٧٩) هو محمد بن محمد بدر الدين نجم الدين الغزى يرجع نسبه الى قريش ويتصل نسبه الى عامر بن لؤى ٠ وهو من بيت علم ووجاهة فقد ألف والد جده (رضى الدين الغزى) كتابا فى تراجم أهل القرن التاسع رتبه على حروف المعجم ٠ ولد الغزى سنة ٩٧٧ هـ بدمشق ٠ وقد جلس للتدريس تحت قبة النسر (بالمسجد الأموى) سبعة وعشرين عاما وتهافت عليه الطلاب وأخذوا عنه طبقة بعد طبقة ٠ وكان للغزى صيت ذائع فى الحجاز ، فقد حدث عندما حج حجته الأخيرة (١٠٩٥هـ) أن توافد عليه الناس وازدحموا حوله ٠ ثم رجع الى دمشق، حيث توفى سنة ١٠٦١هـ ٠

(٨٠) هو ابو الفلاح عبد الحى المعروف باسم ابن العماد العسكرى الدمشقى الحنبلى ، أخذ العلم عن شيوخ دمشق ثم رحل الى القاهرة فأقام بها مدة وأخذ عن علمائها ثم رجع الى دمشق ولازم التدريس ٠ وقد حج سنة ١٠٨٩هـ ، ومات بمكة ودفن بالمعلاة ٠

(٨١) هو ابن فضل الله بن محب الله بن محمد المحبى من أهل دمشق ، صنف كتبا فى (شرح الاحرومية ، وفى أوقات بغداد باسم (مختارات) وذيل تاريخ البورينى وله ديوان شعر (خلاصة الأثر جـ ٣ ص ٣٧٧ ، الكشاف ص ١٦٧) ٠

(٨٢) هو محمد خليل بن على بن محمد مراد الحسينى ، أبو الفضل مؤرخ ٠

(٨٣) مفتى الشام ، بخارى الأصل ، ولد بدمشق ، وتولى الافتاء بها ، ونقابة الاشراف ٠ ثم وقع (١٢٠٥ هـ) ما أوجب رحلته الى حلب فتوفى بها (لزركلى جـ ٦ ص ١١٨) ٠

(٨٤) هو عبد الرازق بن حسن بن ابراهيم البيطار الميدانى الدمشقى ولد (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) وتوفى (١٣٣٥هـ/١٩١٦م) ضليع فى الأدب والتاريخ ، كان من دعاة الاصلاح فى الاسلام ، سلفى العقيدة ، توفى بدمشق (الزركلى جـ ٣ ص ٣٥١) ٠

وقد أخذ العلم بمدينتى قوص والقاهرة حتى بلغ الخامســـة عشرة من عمره ، ثم ذهب مع والده الى حران ، التى كانت من أهم مراكز الدراسات الفلسفية ، ثم انتقل القفطى الى حلب حيث تقلد الخراج ولقب القاضى الأكرم واشتهر بالأمانة والكفـــاية والعدل وولع بالاستزادة من العلم وتشجيع المشتغلين به .

ومن أهم ما ألف القفطى كتاب (تاريخ الحكماء (٨٥)) الذى يشمل على (٤١٤) سيرة من سير الفلاسفة والأطباء والرياضيين والمنجمين الذين ظهروا فى مختلف العصـــور حتى أيامه (٨٦) ، وقد رتبـــه على حروف المعجم (٨٧) .

وممن اعتمد على كتاب (طبقات الحكماء) للقفطى ابن أبى أصيبعة المتوفى (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) فقد ألف كتاب (طبقات الأطباء) (٨٨) . ولد ابن أبى أصيبعة فى مدينة دمشق (٦٠٠ هـ ــ ١٢٠٣ م) حيث درس الطب ، وفى مدينة القاهرة زاول مهنة الطب كأبيه ، واختص بطب العيـــون واشتغل فترة من حيـــاته باحـــدى المستشفيات التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى فى مدينة القاهرة (٨٩) .

وقد يكون من المفيد هنا ان نذكر بعضا من مؤرخى كتب الطبقات على سبيل المثال لا الحصر ، مثل القطب الشيرازى (٩٠) صاحب كتاب (طبقات الفقهاء) : وألف ، أبو البركات كمال الدين الانبـــارى (٩١)

---

(٨٥) براون : تاريخ الأدب فى ايران (المترجم) جـ ٢ ص ٥٩ .

(٨٦ ، ٨٧) وكتاب تاريخ الحكماء المتداول الآن هو مختصر من الكتاب الأصلى وضعه القفطى . وقد أفراد منه كثيرا عن أهل عصره والمتأخرين ومن أخذ من (تاريخ الحكماء) ، ابن أبى أصيبعة وابن العبرى ، وأبا الفداء ، وقد نشره مارجليوث ، كمـــا طبـــع فى لايبســـك (١٣٣٠هـ/١٩٠٢م) .

(٨٨) براون : تاريخ الأدب جـ ٢ ص ٥٩٣ .

(٨٩) المرجع السابق جـ ٢ ص ٦٠٥ .

(٩٠) هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسى ، قطب الدين الشيرازى ولد (سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) بشيراز ، كان أبوه طبيبا فيها فقرأ عليه ثم قصد نصير الدين الطوسى وقرأ عليه . ودخل الروم فولى قضاء سيواس وملطية . وزار الشام ثم سكن تبريز وتوفى بها (٧١٠هـ/١٣١١م) ، ألف وكتب ولخص كثيرا من الكتب والمؤلفات (الزركلى جـ ٧ ص ١٧٧ بغية الوعاه ص ٣٨٩ ، الدرر الكامنـــة جـ ٤ ص ٣٣٩ ، ابن الوردى جـ ٢ ص ٢٥٩ ، مفتاح السعادة جـ ١ ص ١٦٤ ، تاريخ علماء بغداد ص ٢١٩ بروكلمان جـ ٢ ص ٢٧٤) .

(٩١) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى ، كمال الدين الانبارى ، ولد (سنة ٥١٣هـ / ١١١٩م) وتوفى (٥٧٧هـ / ١١٨١م) كان من علماء اللغة والأدب =

(طبقات النحاة) ، وكذا (الانصاف فى مسائل الخلاف فى نحو الكوفيين والبصريين) فى جزئين وغير ذلك كثير من تاريخ الرجال (أى الطبقات)٠

كما ألف تاج الدين (٩٢) السبكى كتـاب (طبقات الشافعية الكبرى) الذى يقع فى ستة أجزاء وكذا كتـاب (الطبقات الوسطى) و (الطبقـات الصغرى) فى الفقـه ٠ كذلك ألف ياقوت الحموى فى الطبقات فكتب (طبقات الأدباء) ٠

وألف المؤرخ الموسوعى جلال الدين السيوطى (٩٣) فى الطبقات كتـابا عن (طبقات المفسرين) وكذا (بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة) وكذا (الشماريخ فى علم التاريخ) ٠

وقد يكون من المفيد أن نذكر هنا مؤرخا كتب فى العصر الحديث عن الطبقات هو محمد مخلوف (٩٤) العالم بتراجم المالكية ، ألف (شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية) ٠ ولد بالمنستير بتونس (١٢٨٠ هـ ــ ١٨٦٣ م) وتوفى كذلك بها سنة (١٣٦٠ هـ ــ ١٩٤١ م) ٠

= وتاريخ الرجال (أى الطبقات) سكن بغداد وتوفى بها ، ومن مؤلفاته (نزهة الألباء فى طبقات الأدباء) و (أسرار العربية) و (عمدة الأدباء فى معرفة ما يكتب فيه بالألف والباء) ٠

الزركلى ج ٣ ص ٣٢٧ ، بغية الوعاة ص ٣٠١ ، الوفيات ج ١ ص ٢٧٩ ، هداية العارفين ج ١ ص ٥١٩ ٠

(٩٢) هو عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى السبكى ، قاضى القضاة المؤرخ ولد بالقاهرة (٧٢٧هـ/١٣٢٧م) وانتقل الى دمشـق مع والده فسـكنها وتوفى بهـا (٧٧١هـ/١٣٧٠م) ، كان طلق اللسان وقوى الحجة انتهى اليه قضاء القضاة فى الشام وعزل ، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر ، وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام الى مصر ثم افرج عنه ، وعاد الى دمشق ٠

قال عنه ابن كثير : جرى عليه من المحن والشدائد مالم يجر على قاض مثله توفى بدمشق بمرض الطاعون (الزركلى ج ٤ ص ١٨٤ ، الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٢٥ ، حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٢ ، جلاء العينين ص ١٦ ، التيمورية ج ٣ ص ١٣٠ ، بروكلمان ج ٢ ص ١٣٠) ٠

(٩٣) هو عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضرى السيوطى ، امام حافظ مؤرخ أديب له نحـو (٦٠٠) مؤلـف ولد (٨٤٩هـ/١٤٤٥م) وتـوفى (٩١١هـ/١٥٠٥م) (سبق ترجمته) الزركلى ج ٦ ص ٣٠١ ، الكواكب السائرة ، شذرات الذهب ج ٨ ، ص ٥١ ٠

(٩٤) هو محمد بن محمد بن عمر بن على بن سالم مخلوف تعلم بجامع الزيتونة ودرس بالمنستير وولى الافتاء بقابس (١٣١٣هـ) ثم ولى وظيفة باشى مفتى بالمنستير (أى المفتى الأكبر) ٠

(الزركلى جـ ٧ ص ٨٢) ٠

فلسفة التاريخ

قبل أن نتكلم عن تطور الفكر التاريخى ، الى فلسفة التاريخ نود أن نذكر فى عجالة متى بدأ الفكر التاريخى الفلسفى عند مؤرخى المسلمين ، وكيف تطور الفكر التاريخى الفلسفى حتى أتى أكله فى نهاية القرون الوسطى .

ان فلسفة التاريخ تشير عادة الى ناحيتين مختلفتين من نواحى الدراسة التاريخية ، فبينما نجد الجانب الأول يتعلق بدراسة مناهج (١) البحث لهذا العلم من وجهة النظر الفلسفية ، وهذه الدراسة تتضمن فى مجملها نقد منهج المؤرخ ، وهذا النقد المنهجى بدوره يدخل فى مجال النشاط التحليلى للفلسفة (٢) ، فاننا نجد الناحية الثانية من فلسفة التاريخ تدخل فيما يسمى بالنشاط التركيبى (٣) فى الفلسفة ، وفى هذا النشاط التركيبى يستطيع المؤرخ الفليسوف أن يبحث عن أشمل رأى (٤) ممكن ان يفسر معنى الحياة وهدفها (٥) ، بحيث تكتمل لديه نظرة شاملة الى الوجود ، أو صورة كاملة عن الكون والحياة (٦) .

---

(١) W. H. Dray : Philosophy of History ; p. 247 (The Encyclopedia of Philosophy Macmillan, New York, (V, VI)

(٢) أحمد محمود صبحى : فلسفة التاريخ ص ٤٣ .

(٣) عبد الرحمن بدوى : أحدث النظريات فى فلسفة التاريخ ص ٢٢٣ .

(٤) W. H. Walsh : Introduction to Philosophy of History, p. 100.

(٥) عفت الشرقاوى : فى فلسفة الحضارة الاسلامية ص ١٤٨ .

(٦) Merrhoff H. : The Philosophy of History in ourtime, p. 190.

ولتوضيح ذلك نقول من المعروف أن القرآن الكريم المرجع الشامل للحضارة الاسلامية ، قد جاء بنظرة عالميـة الى التاريخ تتمثل فى توالى النبوات التى هى فى أساسها رسالة واحدة بشر بها أنبياء عديدون ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين (٧) . وهكذا صارت أخبار الأولين التى وردت فى القرآن الكريم ، وكذا أخبار النبى والصحابة والتابعين مصدرا أساسيا من مصادر التاريخ بالرواية (٨) .

ثم تحولت فكرة التاريخ عنـــد المسلمين من الاعتماد على الرواية الى محاولة الرجوع الى المصـــادر الأولى ، وهو ما عرف باســم التأريخ بالدراية (٩) ونستطيع القول بأن مرحلة التأريخ بالرواية قد وقفت عند الطبرى (المتوفى ســـنة ٣١٠ هـ ــ ٩٢٢ م) ، فان التأريخ بالدراية ، قد استكمل مقوماته عند المسعودى (١٠) (المتوفى ســنة ٣٤٥ هـ ــ ٩٥٦ م) ، رغم قصر الفترة الزمنية بين المؤرخين (١١) . ومن معاصرى المسعودى ، المقدسى (١٢) ، مؤلف كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم والمتوفى (سنة ٣٧٥ هـ ــ ٩٨٥ م) وقد ظهر واضحا من منهجهما التاريخى انهما قد انتقلا من منهج التأريخ بالرواية الى منهج التأريخ بالدراية (١٣) ، بل وذهبا فيه الى شوط بعيد .

ثم جاء البيرونى بعد المسعودى والمقدسى وابن مسكويه (١٤) وخطا

---

(٧) عبد العزيز الدورى : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٨ .

(٨) أسد رستم : مصطلح التاريخ ص ٨٦ .

(٩) فى فلسفة الحضارة الاسلامية ص ٣٤٢ .

(١٠) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٠٧ .

(١١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، التنبيه والاشراف .

(١٢) الذى يتحدث عن نفسه : « لم أترك شيئا مما يلحق المسافرين الا وقد أخذت منه نصيبى ، فتفقهت وتأدبت ، وتزهدت وتعبدت ، وفقهت وأدبت وخطبت على المنـابر ، وأذنت على المنائر ، واقمت فى المساجد واختلفت الى المدارس ، وأكلت مع الصـــوفية الهرائس ومع النواتى العصائد ، وطردت فى الليالى من المساجد ، وتهت فى الصحارى ، وصدقت فى الورع زمانا ، وأكلت الحرام معيانا ، وصحبت عباد جبال لبنان . وخالطت حينا السلطان ، وملكت العبيد ، وحملت على رأسى الزنبيل وصاحبت فى الطرق الفساق ، وبعت البضائع فى الأسواق وسجنت فى الحبوس ، وأخذت على أنى جاسوس . وكم نلت العز والرفعة ، ودبر فى قتلى غير مرة . وينتهى الى قوله : « فكم بين من قاسى من الأسباب وبين من صنف كتابه فى الرفاهية ووضعه على السماع » .

(١٣) لقد أشار ابن خلدون الى ذلك فى مقدمته ص ٥٧ .

(١٤) صاحب كتاب (تجارب الأمم) .

بفكره فى فلسفة التاريخ خطوة جديدة ٠ فاذا كان الأول والثانى قد اهتم بالمشاهدة والخبرة ، وابن مسكويه بالاعتبـــار العقلى فى درس التاريخ فقد أضاف البيرونى (١٥) (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ــ ١٠٥٦ م) عناية بالغة بقضية المنهج العلمى فى التاريخ ٠

ثم تطورت فلسفة التاريخ بظهــور ابن خلدون (المولود سـنة ٧٣٢ هـ ــ ١٣٣٢ م) (والمتوفى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ، فانتقلت من التفسير البطولى الى التفسير الحضارى للتاريخ ٠ وقد أدرك ابن خلدون منذ البداية انه يدعو الى علم مبتكر لم يصنف أحد فيه من قبل ، على الرغم من التفاته الى جهد المسعودى وتقريره له ، الا أنه يتحدث عنه فى مقدمته بما يدل على أن منهجه فى هذا المجال (الفلسفى) ، مستحدث الصنعة ٠

ابن خلدون

وهكذا حاول ابن خلدون ان يؤسس علما وضعيا من علوم الفلسفة التاريخية والاجتماعية لم يعرفه علم التاريخ أو الفلسفة من قبل (١٦) ٠ وقد قرر ابن خلدون فى تواضع ما يرجو لفلسفة التاريخ من بعده على أيدى المؤرخين والفلاسفة من نماء وازدهار فقال : فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحـــاءه ، فتوفيق من الله وهداية ، وان فاتنى شىء فى احصائه ، واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل لأننى نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق ، والله يهدى بنوره من يشاء ٠

---

(١٥) وفى سبيل تحقيق هذه الغاية يقول البيرونى : انما صدق فى قول القائل : ليس الخبر كالعيان ، لأن العيان ادراك عين الناظر عين المنظور اليه فى زمان وجوده ، وفى مكان حصوله ولولا لواحق آفات بالخبر لكانت فضيلته تبين على العيان والنظر لقصورهما على الوجود الذى لا تتعداه آفات الزمان » ٠

(البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة : المقدمة ص ٥) ٠

(١٦)فى فلسفة الحضارة الاسلامية ٠

ومما يدعو للأسف حقا ، أن هذا الدور الرائد فى فلسفة التاريخ بجانبيها النقدى والتأملى ، لم يجد من يقوم عليه بعد ابن خلدون فلا مؤرخو المسلمين عنوا بالأخذ بمنهجه فى دراسة التاريخ عناية كافية ولا فلاسفة المسلمين بموضوعه الفلسفى الجديد (١٧) .

---

(١٧) لقد أطنب فى مدح ابن خلدون المستشرقون الذين اعتبروه الملهم العملاق الذى لا مثيل له لا فى التاريخ القديم أو الوسيط بل ولا الحديث حتى القرن الثامن عشر وهم :

Nickolson : A literary history of the Arabs, p. 435.
Toynbee : A Study of History Vol .III, p. 79.
Flint : History of the philosophy of History, p. 315.

وساطع الحصرى : دراسات فى مقدمة ابن خلدون ، وطه حسين : فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، ومحمد عبد الله عنان : ابن خلدون ، على عبد الواحد وافى : مقدمته ، وعمر فروخ : فلسفة ابن خلدون .

ومحسن مهدى : فلسفة التاريخ لدى ابن خلدون ، أطروحة باللغة الانجليزية .

الموسوعات التاريخية

واذا كانت الموسوعات التاريخية بالمعنى الصحيح لم تظهر الا فى العصر المملوكى ، الا أن تلك الموسوعات قد سبقتها حركة شبيهة بحركة التأليف الموسوعى فى العصر العباسى . فقد امتزجت فى ذلك العصر ثقافات كثيرة بعضها ببعض ، كانت كل واحدة منها تمثل عنصرا هاما من عناصر الثقافة الاسلامية ، وهى الثقافة الفارسية التى انتشرت فى الدولة العباسية ، وذلك بسبب انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد واعتماد العباسيين على الوزراء من الفرس . ثم الثقافة اليونانية التى انتشرت بسبب الترجمة وكان أهم مدارسها حران ، والاسكندرية ، وجند يسابور ، والثقافة الهندية والثقافة العربية وقوامها الشعر والقرآن الكريم والحديث الشريف والخطب ونحو ذلك ، وأخيرا الثقافة الدينية بوجه عام ونعنى بها اليهودية والنصرانية .

وقد امتزجت هذه الثقافات بعضها ببعض ، ولا شك ان ثقافة المسلمين قد تأثرت بها تأثرا قويا ، مما ظهر أثره واضحا فى انتاج كثير من كتاب ومؤرخى القرن الثالث والرابع للهجرة ، مثل الجاحظ فى كتبه البيان والتبيين والحيوان وغيرها . وكابن قتيبة فى عيون الأخبار والمعارف وأدب الكاتب وغيرها ، وأبى الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى ، وابن سعيد فى المغرب فى حلى المغرب والمشرق فى حلى المشرق .

وقد جمع أحد وزراء العصر العباسى ، وهو الحسن بن سهل العلوم جميعها فى قوله العلوم عشرة : ثلاثة شهر (٢) جانية وثلاثة أنوشروانية

---

(١)عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول ص ٣١٥ : يقول ربما كان المقصود بكلمة شهر جانيه (بمدنية) نسبة الى مدينة .

وثلاثة عربية وواحد أربت عليهن فأما الشهر جانية ضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج ، أما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية ، والعربية فالشعر والنسب وأيام الناس • أما الواحدة التى أربت عليهن ، فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس فى المجالس (٢) •

ومن الأسباب الهامة التى دعت الى ظهور الكتابات الموسوعية ، هو سقوط بغداد ، (سنة ٦٥٦ هـ ـ ١٢٥٨ م) فى أيدى التتار ، ثم مجىء تيمور لنك فى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر للميلاد) مما قضى عليها قضاء مبرما سياسيا وأدبيا وعلميا وفرار الكثيرين من علمائها وأدبائها الى مصر • وفى مصر أحدث أولئك العلماء حركة علمية كبيرة أثرت فى العلماء المصريين تأثيرا كبيرا • ودعتهم الى التفكير فى انقاذ الثقافة الاسلامية الا وهى جمع المواد التى تتألف منها هذه الثقافة فى كتب كبيرة على شكل (موسوعات) أو دوائر معارف لا تدع صغيرة ولا كبيرة من تلك المواد الا أحصتها (٣) •

وفضلا عن الأسباب السالف ذكرها التى كانت باعثا على تأليف الموسوعات العلمية باعث آخر لا يقل عن الباعث الأول خطورة ذلك هو ديوان (٤) الانشاء ، الذى كان له فضل كبير فى تشجيع العلماء والأدباء وكتاب الموسوعات على هذا الاتجاه •

ومن أشهر الموسوعات التاريخية نذكر منها على سبيل المثال (نهاية الأرب) التى ألفها أحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدايم

---

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام الجزء الأول ص ١٦٩ •

(٣) الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول ص ٣١٦ •

(٤) كان ديوان الانشاء يعبر عنه فى أول الأمر ، بديوان الرسائل ، ثم أصبح يعرف باسم ديوان المكاتبات • ثم غلب عليه آخر الأمر اسم (ديوان الانشاء) وبقى على ذلك • ومن الثابت أن من رتب (ديوان الجيش) هو عمر بن الخطاب ، وفى عصر الدولة الأموية كان أمر (ديوان الانشاء) فى عهد كل خليفة من الخلفاء الى واحد من الأفاضل يعينه الخليفة • وفى عهد الدولة العباسية استوزر عبد الله السفاح أبا سلمة الخلال فكان أول من لقب بالوزارة فى الاسلام •

أما فى مصر فقد مر (ديوان الانشاء) بخمس مراحل ، الاولى ، منذ الفتح الاسلامى الى بداية الدولة الطولونية ، والثانية من بداية الدولة الطولونية الى نهاية الدولة الأخشيدية ، والثالثة من بداية الدولة الفاطمية الى نهايتها •• ، والرابعة من قيام الدولة الأيوبية حتى نهاينها •• ، والخامسة من قيام دولة المماليك حتى نهايتها فى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) •

المعروف بشهاب الدين النويرى (٥) ، المولود بقرية (نويره) ببنى سويف (٦٧٧ هـ ــ ١٢٧٨ م) وتوفى (سنة ٧٣٣ هـ ــ ١٣٣٢ م) وقد جمع فى موسوعته خمسة فنون ، الفن الأول : فى السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السلفية ، والفن الثانى فى الانســـان وما يتعلق به ، والفن الثالث فى الحيوان الصامت ، والفن الرابع فى النبات والخامس فى التاريخ٠

ومن مؤرخى الموسوعات التاريخية فى العصر المملوكى كذلك ابن فضل الله العمرى (٦) مؤلف (مسالك الأبصـــار فى ممالك الأمصار) الذى يقع فى أربعة عشر جزءا ٠

وموضوع الموسوعة ، جغرافى فى أكثرها ، وهو قسمان ، أولها فى الأرض وثانيهما فى سكان الأرض ٠ والقسم الأول منهما على نوعين ، أولهما المسالك وثانيهما الممالك ، أما المسالك ففيها وصف لمقدار الأرض وهيئتها ووصف لأقاليمها السبعة ، والبحار وما يتعلق بها ، وذكر للطرق وذكر للقبلة وكيف يستدل عليها وما الى ذلك من معلومات جغرافية وفلكية ٠ أما الممالك ففيها وصف ممالك الاسلام وحـدها وما يجاوز حدودها ، وهى التى سماها بالممالك الشرقية ٠ وقال انه اذا مد الله فى عمره فسيؤلف كتابا آخر فى موضوع (الممالك الغربية) ، غـير أنه مات فى التاسعة والأربعين من عمره قبل أن يخرج هذا الكتاب (٧) ٠

---

(٥) جاء فى ترجمته ، انه جمع تاريخا حافلا بخطه وباعه بألفى درهم وهو فى ثلاثين مجلدا ، وحصل له عند الملك الناصر محمد بن قلاوون حظوه ووكله فى بعض أموره وباشر نظر الجيش بطرابلس ٠ وذكر النويرى فى مقدمته أنه اشتغل بصناعة الكتابة ثم اشتغل بأعمال الحكومة ثم انصرف بعد ذلك للأدب ، وتبرأ من الأعمال التى كان يمارسها قائلا : نبذتها وراء ظهرى وعزمت على تركها فى سرى دون جهرى ــ الخ » (ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ١ ص ١١٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ص ١٢٧ ، الزركلى : جـ ١ ص ٣٢٦ ٠

(٦) ولد ابن فضل الله العمرى (٧٠٠هـ/١٣٠١م) وترعرع وتلقى علومه الدينيـة والعربية على شيوخها وفى ذلك يقول ابن حجر « وقرأ العربية على كمال الدين ابن القاضى شهبة والفقه على شهاب الدين بن المجد والشيخ برهان الدين بن فركاح ــ الخ ٠ وسمع الحديث على جماعة الوزراء بالحجاز ، ويقال ان نسبه ينتهى الى عمر بن الخطاب وكان يكنى بابى العباس (الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة جـ ١ ص ٣٣١) ٠

(٧) وكان ابن فضل الله العمرى ، عالم من علماء ذلك العصر قال عن نفسه : لم أذكر عجيبه حتى فحصت عنها ولا غريبة حتى ذكر الناقل عنه لتكون عهدتها عليه ، ولم أنقل الا عن الأعيان الثقات من ذوى التدقيق فى النظر والتحقيق فى الرواية » مقدمة مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » ٠

القلقشندى

ولعل من أشهر الموسوعات التاريخية فى العصور الوسطى ، هى موسوعة أبى العباس القلقشندى (٩) الذى اشتهر بها وهى (صبح الأعشى) التى تقع فى أربعة عشر مجلدا فى فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك • وقد تحدث القلقشندى فى المقالة الأولى عما يحتاج اليه الكاتب من الأمور العلمية ، والثانى ما يحتاج اليه الكاتب من الأمور العملية ، ثم يعود فيقسم الباب الأول الى ثلاثة فصول :

فيقول فى الفصل الأول عما يحتاجه الكاتب من المعرفة على وجه الاجمال •

ويتكلم فى الفصل الثانى عما يحتاج اليه الكاتب من الأدوات(١٠) •

وفى الفصل الثالث يتناول ما يحتاج اليه الكاتب من معرفة الأزمنة والأيام والشهور والسنوات والمواسم والأعياد •

أما الباب الثانى الذى يتناول فيه الأمور العلمية مقسمة الى أربعة فصول :

تناول فى الفصل الأول ، ذكر آلات الخط ومبادئه وصوره وأشكاله ، وفى الفصل الثانى تكلم عن الخط نفسه ، وفى الفصل الثالث تحدث فيما

---

(٩) هو أبو العباس القلقشندى المولود فى مدينة (قلقشنده) بمركز طوخ محافظة القليوبية ، ولد أبو العباس القلقشندى (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) واشتغل بالفقه وغيره وسمع من أبيه فى وقته ، وكان أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وكتب فى الانشاء ، وناب فى الحكم • عمل صبح الأعشى فى قوانين الانشاء فى أربعة مجلدات جمع فيه فأوعى وتوفى (٨٢١هـ/١٤١٨) (ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المئــة الثامنة ج ١ ص ١٢٣ ، م السلوك ج ٢ ص ٢٢٣ ، العينى ج ١ ص ٢٢٥ ، الزركلى ج ١ ص ١٧٧) •

وقد فصلها القلقشندى فذكر منها تسعة عشر نوعا ، وهى جماع الثقافة العربيــة وعناصرها المختلفة كالشعر والقرآن والحديث والحكم والأمثال وكلام الخطباء ورسائل البلغاء • (صبح الأعشى : المقدمة) •

(١٠) ويعقب عبد اللطيف حمزة فى كتابه الحركة الفــكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى فيقول : أليست هذه الطريقة هى نفس الطريقة المتبعة فى معاجم اللغة العربية (كالمحيط) للفيروزابادى و (اللسان) لابن منظور ، ان كلا منهما قسم المادة التى تشتمل عليها اللغة العربية الى أبواب حسب أواخر الكلمات •• ثم قسم كل باب الى فصول بحسب أوائلها •

يتصل بالخط من النقط والضبط والشكل ، أما الفصل الرابع فخصصه لمصطلح الخط (٣) ٠

وبعـد ،

فقد ضم هذا الكتاب فى « تطور علم التاريخ الاسلامى » الذى بدأ بالتاريخ النقلى ثم تطور بعد حركة الترجمة الى كتابة التاريخ العام منذ النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة ٠ وقد دلت الخطوة التى تلت كتابة التاريخ العام ، الا وهى تاريخ تصنيف العلوم والمعارف فى ذلك الوقت المبكر من القرن الرابع الهجرى على المدى الحضارى الذى بلغه كتاب التاريخ الاسلامى ٠

وكان طبيعيا أن يعقب حركة تصنيف العلوم ، حركة فهرسة لأسماء المؤلفين وأسماء كتبهم حسب حروف المعجم ٠ ثم جاءت بعد ذلك كتب التراجم والطبقات وهى خطوة طبيعية تلت الفهرست ومعجم البلدان ٠

أما عن فلسفة التاريخ والموسوعات التاريخية ومؤرخى الفلسفة فهى آخر حلقات فى تطور علم التاريخ عند المسلمين الذى وصلت به الحضارة الاسلامية ذروتها فى القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر للميلاد ٠

ملحق رقم (١)

ترجمة ابن قتيبة

صاحب كتاب « ادب الكاتب »

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الدينورى ــ ويقال المروزى ــ النحوى ، اللغوى ، صاحب التصانيف الحسان فى فنون العلوم ٠

وله أبوه بمرو فلذلك يقال له المروزى ، وولد هو بالكوفة فلذلك يقال له الكوفى ، وتولى قضاء الدينور ردحا من الزمن فلذلك يقال له الدينورى ، ويقال له أيضا : القتيبى ، أبو القتبى ، نسبة الى جده قتيبة.

ولد فى مستهل رجب بالكوفة فى سنة ثلاث عشرة ومائتين من الهجرة (= ٨٢٨ الميلادية) وسكن بغداد مدة ، وحدث بها عن اسحاق ابن راهوية ، ومحمد بن زياد بن عبيد الله ، المعروف بالزيادى ، وأبى حاتم السجستانى ، وولى قضاء الدينور ــ وهى بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين ــ ثم اشتغل بالتدريس فى بغداد ، فتخرج عليه ابنه أحمد ، وروى عنه محمد بن عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسى وجماعة ٠ ويعتبره العلماء امام مدرسة بغداد النحوية التى خلطت بين مذهبى البصريين والكوفيين ٠

له تصانيف كلها ممتع مفيد ، وقد تناولت هذه المؤلفات جميع معارف عصره ، حذا حذو المبرزين من أهل هذا العصر أمثال أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وأبى حنيفة الدينورى ، وكان من أهم بواعث هؤلاء أن يجعلوا اللغة والشعر والأخبار فى متناول طبقة الكتاب الذين بدأ شأنهم يعلو بما كان لهم من المنزلة المرموقة فى تصريف أمور الدولة يومذاك ٠

لم يقتصر ابن قتيبة على المعارف الأدبية واللغوية ، ولكنه اشترك فى المناقشات الكلامية التى استعر لهيبها فى عصره ، وكان له من حسن الدفاع عن الحديث والقرآن ضد النزعات الفلسفية ما جعل فريقا من الناس يعتبرونه لسان أهل السنة وحامل لواء الحوار والجدل والمنافحة عنهم ، ولكن ذلك كله لم يعصمه من اتهام قوم له بالزندقة ، وذلك شأن خفافيش كل عصر حيال الأفذاذ النابهين ، فصنف كتابا فى الرد على المشبهة يدرأ

به فى صدور المتقولين الخراصين ، ويدفع عن نفسه تهمة الزندقة التى رموه بها .

أهم تصانيفه الكتب التى نحدثك عنها ، ونذكر لك مكان وجودها ان كان ، أو نسند لك الحديث عنها ـ ان لم نكن نعلم بوجودها ـ الى من ذكرها من قدامى أهل العلم :

١ ـ أدب الكاتب ، طبع فى ليدن وليبسك ، وطبع بمصر مرارا ، وهو هذا الذى نقدمه اليك مع هذه الترجمة ، وشرحه الجواليقى والبلطيوسى ، وشرح خطبته أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى .

٢ ـ الأشربة ، طبع بدمشق بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد كرد على .

٣ ـ اصلاح الغلط ، ذكره القفطى بهذا الاسم ، وذكره حاجى خليفة صاحب كشوف الظنون باسم « اصلاح غلط أبى عبيد فى غريب الحديث » .

٤ ـ اعراب القرآن ، ذكره ابن خلكان ، ولكن باسم « اعراب القراءات » وربما كان الاسم عنده ابن خلكان محرفا .

٥ ـ الأنواء ، توجد منه نسخة خطية فى المكتبة الزكية بالقاهرة .

٦ ـ تأويل مختلف الحديث ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٦ من الهجرة .

٧ ـ التسوية بين العرب والعجم ، ذكره القفطى فى كتابه « أنباه الرواة » .

٨ ـ التفقيه ، ذكره ابن خلكان ، وذكر ابن النديم أنه رأى منه ثلاثة أجزاء فى نحو ستمائة ورقة .

٩ ـ جامع النحو ، ذكره ابن النديم بهذا الاسم ، وذكر القفطى كتابين : أحدهما باسم « النحو » والآخر باسم « النحو الصغير » .

١٠ ـ الحيل ، ذكره ابن خلكان ، وذكره القفطى ، وربما كان هو الذى ذكره فى كشف الظنون باسم « الحيل » .

١١ ـ الرد على المشبهة ، ذكره القفطى .

١٢ ـ طبقات الشعراء ، أو الشعر والشعراء ، طبع فى ليدن ، وطبع فى مصر مرارا .

١٣ ـ العلم ، ذكره القفطى .

١٤ ـ عيون الأخبار ، طبع منه أربعة أقسام فى غوتنجن ، ثم طبع كاملا فى دار الكتب المصرية ، وهذا الكتاب هو أهم المصادر التى صدر عنها ابن عبد ربه فى كتاب « العقد الفريد » .

١٥ ـ غريب الحديث ، يوجد فى المكتبة الظاهرية بدمشق الثلث الأول والثلث الأخير من هذا الكتاب .

١٦ ـ غريب القرآن ، يوجد منه نسخة خطية فى المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم ٣٣ لغة .

١٧ ـ الفرس ، ذكره القفطى ، وابن النديم يعده فى ثنايا كتاب « معانى الشعر » الذى نذكره بعد .

١٨ ـ الفقه ، ذكره القفطى بهذا الاسم ، وذكره ابن النديم باسم « جامع الفقه » .

١٩ ـ المسائل والجوابات ، ذكره بهذا الاسم القفطى ، ويذكره السيوطى باسم « المسائل والأجوبة » ويوجد فى دار الكتب المصرية باسم « المسائل » نسخة خطية محفوظة تحت رقم (٦ لغة ش) ، كما توجد منه نسخة خطية فى مكتبة جوته .

٢٠ ـ المعارف ، طبع فى غوتنجن سنة ١٨٥٠ الميلادية ، وطبع فى مصر مرارا ، وتوجد منه نسختان خطيتان فى دار الكتب المصرية .

٢١ ـ معانى الشعر ، طبع منه قطعة بالهند في سنة ١٨٥٠ الهجرية ، ويذكر أصحاب دائرة المعارف الاسلامية أنه توجد منه نسخة خطية فى مكتبة أيا صوفيا بالآستانة محفوظة تحت رقم ٤٠٥٠ .

٢٢ ـ مشكل الحديث ، ذكره ابن خلكان ، وذكره القفطى .

٢٣ ـ مشكل القرآن ، ذكره ابن خلكان والقفطى أيضا ، وقد جمع بينه وبين كتاب غريب القرآن ابن مطرف الكنانى فى كتاب سماه « القرطين » ، وقد طبع كتاب القرطين بمصر .

٢٤ ـ الميسر والقداح ، طبع هذا الكتاب فى مصر بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب .

وله كتب كثيرة غير هذه ، وينسب اليه كتاب « الامامة والسياسة » الذى طبع مرارا فى مصر وفى غير مصر ، ولكن الاثبات من ذوى الدراية والبحث يشكون كثيرا ـ وحق لهم ـ فى أن يكون ابن قتيبة ناسج بردته .

توفى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى ذى القعدة من سنة سبعين ومائتين (= مايو ٨٨٤ الميلادية) ويقال : فى سنة احدى وسبعين ومائتين ، ويقال : فى منتصف شهر رجب من سنة ست وسبعين ومائتين (= نوفمبر ٨٨٩ الميلادية) قال ابن خلكان بعد حكاية هذه الأقوال على هذا الترتيب : « والأخير أصح الأقوال ، وكانت وفاته فجأة . صاح صيحة سمعت من بعد ، ثم أغمى عليه ومات » رحمه الله رحمة واسعة .

وكان ولده أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة فقيها ، وروى عن أبيه كتبه المصنفة كلها ، وتولى القضاء بمصر ، وقدم مصر فى الثامن عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة احدى وعشرين وثلثمائة ، وتوفى بها فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

كتاب أدب الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى .

أما بعد حمد الله بجميع محامده ، والثناء عليه بما هو أهله . والصلاة على رسوله المصطفى وآله ، فاني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ، ولأهله كارهين (١) : أما الناشىء منهم فراغب عن التعليم ، والشادى تارك للازدياد ، والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس (٢) ، ليدخل فى جملة المجدودين ، ويخرج عن جملة المحدودين (٣) فالعلماء مغمورون ، وبكرة الجهل مقموعون (٤) حين خوى نجم الخير (٥) ، وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه ، والفضل نقصا ، [٢] وأموال الملوك وقفا على

---

(١) « ناكبين » عادلين عنه ، جمع ناكب ، وهو العادل عن الشيء ، وقيل الذى يعدل عن الشيء ناكب لأنه يوليه منكبه ، « ولأهله كارهين » وقع فى نسخة الجواليقى « ولأهله هاجرين » والهاجر : القاطع .

(٢) « الناشىء » الحدث الشاب حين نشأ ، أى : ابتدأ فى الارتفاع عن حد الصبى الى الادراك ، و « الشادى » : الذى قد شدا من العلم شيئا ، أى : أخذ منه طرفا تعلمه ، و « عنفوان الشباب » ريعانه وميعته ، أى : أوله .

(٣) « المجدودين » ـ بالجيم ـ المحظوظين ، من الجد ـ بفتح الجيم ـ وهو هنا الحظ والبخت ، و « المحدودين » ـ بالحاء المهملة ـ المحرومين ، وأصل الحد المنع ، ومنه قول النابغة :

الا سليمان اذ قال الاله له : قم فى البرية فاحددها عن الفند

وكأنهم لما منعوا الرزق والبسطة فيه قيل لهم : محدودون .

(٤) « مغمورون » خاملون لا نباهة لذكرهم ، وأصل الغمر التغطية ، و « كرة الجهل » دولته ، وفى نسخة « وبكثرة الجهم ـ الخ » و « مقموعون » مقهورون مغلوبون ، وأصل القمع الضرب بالمقمعة .

(٥) « خوى نجم الخير » أصل معنى « خوى النجم » خلا من المطر ، أى : أخلف مطره الذى كان يرجى منه ، ثم استعمل « خوى النجم » بمعنى سقط وأفل ، ثم استعمل فى معنى قلة الخير وسقوط الدولة ، و « كسدت سوق البر » أى : فسدت وبارت ، ولم ترج سلعها .

[شهوات] (٦) النفوس ، والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق (٧) وآضت المروءات فى زخارف النجد وتشييد البنيان (٨) ، ولذات النفوس فى اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان (٩) . ونبذت الصنائع (١٠) ، وجهل قدر المعروف ، وماتت الخواطر ، وسقطت همم النفوس ، وزهد فى لسان الصدق وعقد الملكوت (١١) . فأبعد غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف ، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة (١٢) أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر فى شيء من القضاء وحد المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله ، قد رضى عوضا من الله ومما عنده بأن يقال « فلان لطيف » [٣] و « فلان دقيق النظر » يذهب الى أن لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه ، فهو يدعوهم الرعاع والغثاء والغثر (١٣) ، وهو لعمر الله بهذه الصفات

---

(٦) سقطت هذه الكلمة من نسخة الجواليقى .

(٧) الخلق — بفتحتين — البالى ، سمى خلقا لملاسته . ، ومن ذلك قولهم للصخرة الملساء خلقا .

(٨) « آضت » : صارت ورجعت ، والزخارف : جمع زخرف ، وأصله الذهب ثم قيل للحسن والزينة ، والنجد : ما تضدمن متاع البيت ، وجمعه نجود ، وتشييد البنيان : رفعه واطالته .

(٩) المزاهر : جمع مزهر ، وهو العود ، وسمي مزهر الحسن صوته ، فان الزهرة الحسن والنضارة — وهى النعمة وسعة العيش — واصطفاق المزاهر : والضرب بها واجتلاب أصواتها ، والندمان — بفتح النون — هو النديم ، مثل رحمن ورحيم وسلمان وسليم ، وأصله الذى يصاحبك على الشراب ، ثم أطلق على كل مصاحب .

(١٠) الصنائع : جمع صنيعة ، وهى الاحسان ، ونبذها : تركها والاعراض عنها .

(١١) لسان الصدق : الثناء الحسن ، قال تعالى (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين — ٨٤ من سورة الشعراء) وقوله « عقد الملكوت » العقد : مصدر عقدت الحبل عقدا ، أى : شددته ، والملكوت : أصله الملك ، والمعنى ان الرغبة قد قلت فى طلب الثناء الحسن ، وفى بلوغ مراتب الكمال ، لضعف همم الناس .

(١٢) أبيات — بضم الهمزة وفتح الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة — تصغير أبيات التى هى جمع بيت ، والقينة — بفتح فسكون — الأمة ، مغنية كانت أو غير مغنية .

(١٣) الرعاع : أراذل الناس وضعفاؤهم ، وهم الذين اذا فزعوا طاروا ، ويقال للنعامة رعاعة — بفتح الراء — لأنها دائما منخوبة فزعة ، والغثاء — بضم الغين — ما يحمله السيل من يابس النبات ، وأراد به السفلة ، والغثر — بضم فسكون — جمع اغثر ، وهو الأحمق ، وقالوا للضبع غثراء لأنها أحمق الدواب .

أولى ، وهي به أليق ، لأنه جهل وظن أن قد علم ، فهاتان جهالتان ، ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون · ولو أن هذا المعجب بنفسه ، الزارى على الاسلام برأيه ، نظر من جهة النظر لأحيـاه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب ، وفى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وفى علوم العرب ولغاتهـا وآدابها ، فنصـب لذلك وعاداه (١٤) وانحرف عنه الى علـم سـلمه له ولأمثاله المسلمون ، وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم ، فاذا سمع الغمر (١٥) والحدث الغر قوله : الكون والفساد [٤] ، وسمع الكيان (١٦)، والأسماء المفردة ، والكيفية والكمية والزمان والدليل، والأخبار المؤلفة ، راعه ما سمع ، وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة ، فاذا طالعها لم يحل منها بطائل (١٧) ، انما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والعرض لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط النقطة ، والنقطة لا تنقسم ، والكلام أربعة : أمر ، وخبر ، واستخبار ، ورغبة ، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب ، وهي : الأمر ، والاستخبار ، والرغبة ، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر ، والآن حد الزمانين ، مع هذيان كثير ، والخبر ينقسم الى تسعة آلاف وكذا [و] كذا مائة من الوجوه ، فاذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه فى كلامه كانت وبالا على لفظه ، وقيدا للسانه ، وعيا فى المحافل ، وعقلة (١٨) عند المتناظرين · ولقد بلغنى أن قوما من

---

(١٤) « نصب لذلك » أى : قصد له ، وتجرد من كل ما يشغله عنه ، ليكيد له ويزيفه ·

(١٥) الغمر – بالضم – الرجل الذى لم يجرب الأمور ·

(١٦) « سمع الكيان » كتاب لأرسطو ، والكيان : الطبيعة ، وهى كلمة فارسية الأصل ومعنى « سمع الكيان » قبل أن تكون علما اسمع ما يكون ، هكذا قال شراح الكتاب ، والذى يبدو لى أن « سمع » فعل ماض معطوف على الذى قبـله فى قوله « سمع ··· الكون والفساد – الخ » وقد اظهر الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد مدير الجامعة المصرية الآن (مايو ١٩٣٥) كتاب ارسطو باسم « كما اظهر له كتاب « الكون والفساد » فاسم الكتاب اذن « الكيان » أى الطبيعة ، كما علمت ·

(١٧) « لم يحل » أى : لم يظفر ولم ينل ولم يدرك ، و « طائل » هو الشىء النفيس الذى له فضل ، واصل مأخذه من الطول – بفتح فسكون – وهو الفضل ، وستجد بعد قليل فى كلام المؤلف تحريضا على تعلم العلوم الكونية التى لابد من معرفتها لمن يريد أن يكون انسانا تام الانسانية أديبا ، وستظن أن بين الكلامين تدافعا ، وأنه يضرب هناك صفحا عما أثبته ههنا ، ولكنك لو تأملت لعلمت انما ينهى عن التمشدق بالألفاظ والتعمق فى الاغراب على الناس (انظر ص ٩ التى تأتى بعد) ·

(١٨) عقلة – بالعين المهملة والقاف – أى : حبسة ، وفى نسخة « غفلة » بموحدتين ·

أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم [البرمكى] (١٩) أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنة لطيفة ، فقال لهم : ما معنى قول الحكيم : « أول [٥] الفكرة آخر العمل ، وأول العمل آخر الفكرة » ؟ فسألوه التأويل ، فقال لهم : مثل هذا [كمثل] رجال قال : « انى صانع لنفسى كذا » فوقعت فكرته على السقف ، ثم انحدر فعلم أن السقف لا يكون الا على حائط ، وأن الحائط لا يقوم الا على أس ، وأن الأس لا يقوم الا على أصل ، ثم ابتدأ فى العمل بالأصل ، ثم بالأس ، ثم بالحائط ، ثم بالسقف ، فكان ابتداء تفكره آخر عمله وآخر عمله بدء فكرته ، فأية منفعة فى هذه المسألة ؟ وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج الى اخراجه بهذه الألفاظ الهائلة ؟ وهكذا جميع ما فى هذا الكتاب ، ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض [٦] والنحو لعد نفسه من البكم ، أو يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب ٠

فالحمد لله الذى أعاد الوزير أبا الحسن (٢٠) — أيده الله — من هذه الرذيلة ، وأبانه بالفضيلة ، وحباه بخيم السلف الصالح (٢١) ، ورواه رداء الايمان ، وغشاه بنوره ، وجعله هدى من الضلالات ، ومصباحا فى الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة ، فقلوب الخيار له معتلقة ، ونفوسهم اليه مائلة (٢٢) ، وأيديهم الى الله فيه مظان القبول ممتدة ، وألسنتهم بالدعاء له شافعة : يهجع ويستيقظون ، ويغفل ولا يغفلون ، وحق لمن قام لله مقامه وصبر على الجهاد صبره ، ونوى فيه نيته ، أن يلبسه الله لباس الضمير ، ويرديه رداء العمل الصالح ، ويصور اليه مختلفات القلوب (٢٣) [٧] ، ويسعده بلسان الصدق فى الآخرين ٠

---

(١٩) محمد بن الجهم : رجل من البرامكة ، ومن أصحاب المنطق ، وللكندى اليه رسالة ، وكلمة « البرمكى » ساقطة مما عدا أمن نسخ الكتاب ٠

(٢٠) « الوزير أبا الحسن » هو أبو الحسن عبد الله بن يحيى بن خاقان ، كان وزيرا للمتوكل ، وقد عمل ابن قتيبة هذا الكتاب له ، وتوسل به اليه ، فأحسن صلته ، واصطنعه ، وقدمه للمتوكل ، وأحسن الثناء عليه عنده ، حتى صرفه المتوكل الى بعض عمله ٠

(٢١) « أبانه » ميزه وفضله عن غيره ، و « حباه » منحه ، وخصه و « الخيم » — بكسر الخاء — الطبع والشيمة والسجية ٠

(٢٢) فى نسخة الجواليقى « به متعلقة ، وأنفسهم اليه صبة » وفى نسخة عندل « مشتاقة » ٠

(٢٣) « أن يلبسه الله لباس الضمير » اى : يظهر الله عز وجل ضميره الجميل ، وقوله « ويصور — الخ » اى يميل اليه ، وتقول : صاره يصوره ، مثل قاله يقوله ، =

فانى رأيت كثيرا من كتاب [أهل] (٢٤) زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة (٢٥) واستوطؤا مركب العجز ، وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر ، حين نالوا المدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة ، ولمرى كان ذلك (٢٦) فأين همة النفس ؟ وأين الأنفة من مجانسة البهائم ، وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه(٢٧) وارتضاه لسره ، فقرأ عليه يوما كتابا وفى الكتاب « ومطرنا كثر عنه الكلا » فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلا ؟ فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ، ثم قال : لا أدرى ، فقال : سل عنه ، ومن مقام آخر (٢٨) فى مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتابا ذكر فيه « حاضر طيء » فصحفه تصحيفا أضحك منه [٨] الحاضرين ، ومن قول آخر (٢٩) فى وصف برذون أهداه « وقد بعثت به [اليك (٣٠)] أبيض الظهر والشفتين » . فقيل له [لو قلت] أرثم ألمظ ، قال : فبيـاض الظهر [ما هو (٣٠)] ؟ قالوا : لا ندرى ، قال : انما جهلت من الشفتين

= وصاره يصيره ، مثل باعه يبيعه ، وأصاره يصيره ، مثل أقامه يقيمه ، ومن الأول قوله تعالى (فصرهن اليك ــ من ٢٦٠ من سورة البقرة) .

(٢٤) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الجواليقى .

(٢٥) الدعة : الراحة والخفض فى العيش ، وفعلها ودع يودع وادع ، مثل طهر يطهر فهو طاهر .

(٢٦) فى نسخة الجواليقى « ولعمرى ان كان .. ؟ ذاك فأين ــ الخ » .

(٢٧) قال الجواليقى « والخليفة السائل عن الكلأ المعتصم ، وكان أميا ، وذلك لأن الرشيد سمعه يقول وقد مات بعض الخدم : استراح من المكتب ، فقال الرشيد ، أو قد بلغت منك كراهة المكتب هذا ؟؟!! وأمر باخراجه منه ، والرجل الذى اصطفاه هو أحمد ابن عمار بن شاذى ، ويكنى أبا العباس ، وكان قد ولى العرض للمعتصم بعد الفضل بن مروان ، ولم يكن وزيرا ، انما كان الفضل قد اصطنعه لنفسه ، لثقته وصدقه ، فلما تكب الفضل رد المعتصم الأمر الى أحمد بن عمار ، وكان محمد بن عبد الملك الزيات اذ ذاك يتولى قهرمة الدار ، فورد كتاب على المعتصم من صاحب البريد بالجبل يصف فيه خصب السنة وفيه « كثر الكلأ » فقال المعتصم لأحمد بن عمار : ما الكلأ ؟ فقال : لا أدرى ، فقال : انا لله وانا اليه راجعون ، خليفة أمى وكاتب أمى ؟؟!! ثم قال : من يقرب منا من كتاب الدار ؟ فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات ، فدعا به ، فقال : ما الكلأ ؟ قال : النبات كله رطبه ويابسه ، ثم اندفع فى صفات النبت من حين ابتدائه الى اكتهاله الى هيجه ، فاستحسن المعتصم قوله ، فقال : ليتقلد هذا العرض على . ثم خص مكانه منه حتى استوزره » ا هـ .

(٢٨) قال الجواليقى « هذا شجاع بن القاسم كاتب أوتامش التركى ، قرأ على المستعين (أحمد بن محمد المعتصم) وصحف هذه اللفظة فقال : (حاضرطى) ا هـ ، وفى نسخة عندل « وصحف هذه اللفظة : فقال : جاء ضرطى ؟ .

(٢٩) لم تتيسر لنا معرفة هذا الآخر ، ولم يذكره أحد الشراح .

(٣٠) هذه الكلمة ساقطة من نسخة الجواليقى .

ما جهلتم من الظهر (٣٢) ، ولقد حضرت جماعة من وجوه الكتاب والعمال العلماء بتحلب الفيء (٣٣) وقتل النفوس فيه ، واخراب البلاد ، والتوقير العائد على السلطان بالخسران المبين ، وقد دخل عليهم رجل من النخاسين (٣٤) ومعه جارية ردت عليه بسن شاغية زائدة (٣٥) ، فقال : تبرأت من الشغا فردوها على بالزيادة ، فكم في فم الانسان من سن ؟ فما كان فيهم أحد عرف ذلك ، حتى أدخل رجل منهم سبابته في فيه يعد بها عوارضه فسال لعابه ، وضم رجل فاه وجعل يعدها بلسانه ، فهل يحسن [٩] بمن ائتمنه السلطان على رعيته وأمواله [ورضي بحكمه] ونظره أن يجهل هذا من نفسه (٣٦) . وهل هو في ذلك الا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ؟ ولقد جرى في هذا المجلس كلام [كثير (٣٧)] في ذكر عيوب الرقيق ، فما رأيت أحدا منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع (٣٨) ، ولا الحنف من (٣٩) الفدع ، ولا اللمى من اللطع (٤٠) .

فلما [أن] رأيت هذا الشأن كل يوم الى نقصان ، وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره ، جعلت له حظا من عنايتي وجزءا من تأليفي ، فعملت لمغفل التأديب كتبا خفافا في المعرفة ، وفي تقويم اللسان واليد ، يشتمل كل كتاب منها على فن ، وأعفيته من التطويل والتثقيل ، لأنشطه لتحفظه

---

(٣٢) اذا كانت جحفلة الفرس (شفته) العليا بيضاء فهو أرثم ، فاذا كانت جحفلته السفلى بيضاء فهو المظ ، فاذا كان أبيض الظهر فهو أرحل .

(٣٣) الفيء : الغنيمة والخراج ، وتحلبه : جبايته واستخراجه .

(٣٤) أصل النخاس بائع الدواب ، ثم قيل لبائع الرقيق نخاس أيضا .

(٣٥) يسن شاغية » اسم فاعل من الشغا ، وهو اختلاف نبتة الأسنان ، وهو أن يركب بعضها فوق بعض فتخرج عن منبتها ، والرجل أشغى ، والمرأة شغواء ، وانما تبرأ اليهم من الشغا لأنه لا يخفى على ذي عينين ، اذ المشاهدة تدركه .

(٣٦) عدد الأسنان اثنتان وثلاثون سنا : أربع ثنايا ، وأربع رباعيات ، وأربعة أنياب ، وأربعة ضواحك ، وأربعة نواجذ ، واثنتا عشرة رحى .

(٣٧) سقطت هذه الكلمة من نسخة الجواليقي .

(٣٨) الرقيق : اسم جنس للعبيد ، ولا مفرد له من لفظه ، والوكع بفتحتين : ميل ابهام الرجل على الأصابع حتى يرى شخص أصلها خارجا ، والكوع : وعوجاج اليد من قبل الكوع ، وهو رأس الزند الذي يلي الابهام .

(٣٩) الحنف : اقبال كل واحدة من الابهامين على صاحبتها ، وقال ابن الأعرابي : هو المشي على ظهر القدمين . والفدع في الكف : زيغ بينها وبين عظم الساعد ، وفي القدم زيغ بينها وبين عظم الساق .

(٤٠) اللمى - مثلث اللام - سمرة في الشفة تضرب الى السواد ، وهو من المحاسن ، والرجل ألمى ، والمرأة لمياء ، واللطع : أن تذهب الأسنان وتبقى أصولها ، أو هو بياض يصيب الشفاة ، مثل الذي يرى في شفاة السودان .

ودراسته أن فاءت به همته (٤١) وأقيد عليه بها ما أضل من المعرفة ، وأستظهر له باعداد الآلة لزمان الادالة أو لقضاء الوطر عند تبين فضل (٤٢) النظر ، وألحقه — مع كلال الحد ويبس الطينة — بالمرهفين (٤٣) ، وأدخله — وهو الكودن — فى مضمار العتاق (٤٤) .

وليست [١٠] كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الانسانية الا بالجسم ، ومن الكتابة الا بالاسم ، ولم يتقدم من الأداة الا بالقلم والدواة ، ولكنها لمن شدا شيئا من الاعراب : فعرف الصدر والمصدر (٤٥) ، والحال والظرف ، وشيئا من التصاريف والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والألف عن الياء ، وأشباه ذلك .

ولا بد له — مع كتبنا هذه — من النظر فى الأشكال لمساحة الأرضين ، حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحاد ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الأحجار ، والمربعات المختلفات ، والقسى والمدورات ، والعمودين (٤٦) ، ويمتحن معرفته بالعمل فى الأرضين لا فى الدفاتر ، فان المخبر ليس كالمعاين (٤٧) ، وكانت العجم تقول « من لم يكن عالما

---

(٤١) النشاط : طيب النفس وخفتها للعمل ، تقول : نشطته فنشط نشاطا ، وقوله « فاءت به » معناه رجعت به همته الى ما كان قد أغفل من النظر .

(٤٢) « أستظهر له » أى : احتاط له واستوثق ، والاعداد : تهيئة الشىء لوقت الحاجة ، و « زمان الادالة » وقت رجوع الدولة بعد زوالها ، والوطر : كل حاجة تكون لك فيها همة ، و « تبين فضل النظر » وضوحه وظهوره .

(٤٣) قال الجواليقى « كلال الحد — غير صواب ، لأن الكلال مصدر كل اذا أعيا ، فأما كل الحد فمصدره كل وكلول وكلة ... وهذا مثل ضربه للبليد القليل المضاء ، وشبهه بالسيف الكهام الذى لا يمضى فى الضريبة . و « بالمرهفين » مثل أيضا ضربه لذوى الفهم والذكاء ، والمرهف : المرقق المحدد ، شبههم به فى مضائهم وحدتهم » .

(٤٤) الكودن — بزنة كوثر — البرذون ، والكدانة : الهجنة ، والعتاق : جمع عتيق ، وهو السابق من الخيل .

(٤٥) الصدر : هو الفعل ، وهذه تسمية الكوفيين ، وانظر ص ٥١٠ الآتية من هذا الكتاب .

(٤٦) انظر الهامش رقم ١ فى ص ٤ السابقة .

(٤٧) « المخبر » بفتح الميم والباء وسكون الخاء بينهما — مصدر ميمى لأخبر ، وأصله الخبرة ، وهى العلم ، و « المعاين » بضم الميم وفتح الياء — مصدر ميمى لعاين الشىء اذا رآه وشاهده ، والمعنى ان العلم بالشىء ومعرفته ليست كرؤيته ، ويصح أن يكون كل من « مخبر » و « معاين » اسم فاعل بضم الميم فيها وكسر الحرف الذى قبل الآخر ، يعنى أن العارف بالشىء عن سماع ونحوه ليس كمن يراه ويعاينه .

بإجراء المياه ، وحفر فرض المشارب (٤٨) ، وردم المهاوى ، ومجارى الأيام في الزيادة والنقص ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر في استهلاله وأفعاله ، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ، ونصب القناطر والجسور والدوالى والنواعير على المياه ، وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب [١١] ، كان ناقصا في حال كتابته » .

وبد له — مع ذلك — من النظر في جمل الفقه ، ومعرفة أصوله : من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، كقوله : البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه ، والخراج بالضمان ، وجرح العجماء جبار ، ولا يغلق الرهن ، والمنحة مردودة ، والعارية مؤداة ، والزعيم غارم ، ولا وصية لوارث ، ولا قطع في ثمر ولا كثر ، ولا قود الا بحديدة . والمرأة تعاقل الرجل الى ثلث الدية ، ولا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا اعترافا ، ولا طلاق في اغلاق ، والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، والجار أحق بصقبه ، والطلاق بالرجال ، والعدة بالنساء ، وكنهيه في البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة والمعاومة والتنيا ، وعن ربح مالم يضمن ، وبيع [١٢] ما لم يقبض ، وعن بيعتين في بيعة ، وعن شرطين في بيع ، وعن بيع وسلف ، وعن بيع الغرر وبيع المواصفة ، وعن الكالىء بالكالىء ، وعن تلقى الركبان ، في أشباه لهذا [كثيرة] ، اذا هو حفظها ، وتفهم معانيها وتدبرها ، أغنته باذن الله تعالى عن كثير من اطالة الفقهاء .

ولا بد له — مع ذلك — من دراسة أخبار الناس ، وتحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلا اذا كتب ، ويصل بها كلامه اذا حاور .

ومدار الأمر على القطب ، وهو العقل وجودة القريحة ، فان القليل معهما باذن الله كاف ، والكثير مع غيرهما مقصر .

ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة ، وصناعته عن شين الكذب ، ويجانب — قبل مجانبته اللحن وخطل القول — شنيع [١٣] الكلام ورفث (٤٩) المزح : كان رسول الله

---

(٤٨) « فرض » — بضم الفاء — جمع فرضة ، وهى كل نقب أو ثلمة تنحدر الى نهر أو واد ، هذا أصله ، ثم كثر حتى سمى كل موضع يرده الناس من الأنهار فرضة ، والمشارب : جمع مشرب ، وهو مكان الشرب .

(٤٩) « شنيع الكلام ورفث القول » هذا مفعول يجانب ، أما قوله « اللحن وخطل القول » .

صلى الله عليه وسلم ـ ولنا فيه أسوة حسنة ـ يمزح ولا يقول الا حقا ، ومازح عجوزا فقال : « ان الجنة لا يدخلها عجوز (٥٠) » وكانت في علي عليه السلام دعابة ، وكان ابن سيرين يمرح ويضحك حتى يسيل لعابه ، وسئل عن رجل فقال : توفي البارحة ، فلما رأى جزع السائل قرأ : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ـ ٤٢ من سورة الزمر) ، ومازح معاوية الأحنف بن قيس فما رؤى مازحان أو فر منهما ، قال له معاوية : يا أحنف ، ما الشيء الملفف في البجاد ؟ قال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر (٥١) .

اذا ما مات ميت من تميم	فسرك أن يعيش فجىء بزاد
بخبز ، أو بتمر ، أو بسمن،	أو الشيء الملفف فى البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصا	ليأكل رأس لقمان بن عاد

[١٤] و « الملفف في البجاد » وطب اللبن (٥٢) ، وأراد الأحنف أن قريشا [كانت] تعير بأكل السخينة ، وهى حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر ، وعجف المال ، وكلب الزمان (٥٣) ؛ فهذا وما أشبهه مزح الأشراف ، وذوى المروءات ؛ فأما السباب وشتم السلف وذكر الأعراض بكبير الفواحش ، فمما لا نرضاه لخساس العبيد وصغار الولدان.

ونستحب له أن يدع في كلامه التقعير والتقعيب (٥٤) ، كقول

---

(٥٠) بكت هذه العجوز حين سمعت ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لها « انك لست بعجوز يومئذ » وقرأ قول الله تعالى (انا أنشأناهن انشاء ، فجعلناهن أبكارا ـ ٣٥ و ٣٦ من سورة الواقعة) .

(٥١) هذه الأبيات ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى ، وذكر الجاحظ أنها لأبى المهوش الأسدى ، قاله ابن السيد البطليوسى ، وكان بنو تميم قوم الأحنف يعيرون بحب الطعام والشره اليه ، ومن ذلك قول يزيد أيضا :

الا أبلغ لديك بنى تميم	بآية ما يحبون الطعاما

وكانت قريش ـ وهم قوم معاوية ـ تعير بأكل السخينة ، حتى سموهم سخينة ، قال خداش بن زهير :

يا شدة ما شددنا يوم ذاك على	ذوى سخينة لولا الليل والحرم

وقال حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها	وليغلبن مغالب الغلاب

(٥٢) الوطب ـ بفتح فسكون ـ زق اللبن خاصة ، والبجاد ـ بكسر الباء ـ هو الكساء فيه خطوط . وكانوا يلفون الوطب فى البجاد ويتركونه حتى يروب اللبن .

(٥٣) « كلب الزمان » شدته وقحطه ، و « عجف المال » هزاله وضعفه .

(٥٤) التقعير : الانتهاء الى قعر الشيء ، هذا أصله ، وتقول « قعر الرجل » اذا روى =

يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته [عنده] : « أان سألتك ثمن شكرها وشبرك ، أنشأت تطلها وتضهلها (٥٥) » ، وكقول [١٥] عيسى بن عمر – ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط – « والله ان كانت الا اثيابا في اسفياط قبضها عشاروك » (٥٦) .

فهذا وأشباهه كان يستثقل والأدب غض والزمان زمان ، وأهله يتحلون فيه بالفصاحة ، ويتنافسون في العلم ، ويرونه تلو المقدار في درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون ، فكيف به اليوم مع انقلاب الحال ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » ؟؟!!

ونستحب له – ان استطاع – أن يعدل بكلامه عن الجهة التي تلزمه مستثقل الاعراب ؛ ليسلم من المحن وقباحة التقعير ؛ فقد كان واصل بن عطاء سام نفسه للثغة [كانت به] اخراج الراء من كلامه [وكانت لثغته على الراء] ؛ فلم يزل يروضها حتى انقادت له طباعه ، وأطاعه لسانه ؛ فكان لا يتكلم [١٦] في مجالس التناظر بكلمة فيها راء ، وهذا أشد وأعسر مطلبا مما أردناه .

وليس حكم الكتاب في هذا الباب حكم الكلام ؛ لأن الاعراب لا يقبح منه شيء في الكتاب ولا يثقل ، وانما يكره فيه وحشي الغريب ، وتعقيد الكلام ، كقول بعض الكتاب (٥٧) في كتابه الى العامل فوقه

= فنظر فيما يغمض من الرأي حتى يستخرجه ، كأنه اذا تكلمُ بكلام غريب عويص احتيج الى اخراج معانيه كما يحتاج الى اخراج ما في القعر ، والتعقيب مثل التقعير ، ومعناه التعمق .

(٥٥) الشكر – بفتح فسكون – الفرج ، والشبر – بفتح فسكون – النكاح ، و (تطلها) تمنعها حقها ، و « تضهلها » تعطيها القليل من حقها .

(٥٦) « عيسى بن عمر » ثقفي من أهل البصرة ، من متقدمي النحاة ، عنه أخذ الخليل ابن أحمد ، وهو صاحب كتابي الاكمال والجامع ، وكان صاحب تقعير في كلامه واستعمال للغريب فيه . و « يوسف بن عمر » هو أبو عبد الله يوسف بن عمر بن هبيرة الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف ، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك ، ثم ولاه العراق ومحاسبة خالد بن عبد الله القسري ، و « أثياب » تصغير أثواب الذي هو جمع ثوب ، و « أسفياط » تصغير أسفاط وهو جمع سفط ، وهو – بفتحتين – يشبه القفة ، والعشارون : جمع عشار وهو الذي يأخذ من القوم عشر أموالهم ، وهو عامل الزكاة .

(٥٧) لم أقف على اسم هذا الكاتب ، ولم يبينه أحد من شراح الكتاب ، واللجب – بفتح فكسر – ذو الأصوات المختلطة لكثرته ، والعرمرم – بزنة سفرجل – الكثير أيضا ، وأصله من العرام ، وهو الحدة والشرة .

« وأنا محتاج الى أن تنفذ الى جيشا لجبا عرمرما » ، وقول آخر (٥٨) في كتابه : « عضب عارض ألم آلم فأنهيته عذرا » وكان هذا الرجل قد أدرك صدرا من الزمان ، وأعطى ببسطة في العلم واللسان ، وكان لا يشان في كتابته الا بتركه سهل الألفاظ ومستعمل المعاني ، وبلغني آن الحسن بن سهل أيام دولته رآه يكتب وقد رد عن هاء « الله » خطا من آخر السطر الى أوله ، فقال : ما هذا ؟ فقال : طغيان في القلم . وكان هذا الرجل صاحب جد ، وأخا ورع ودين ، لم يمزح بهذا القول ، ولا كان الحسن أيضا عنده ممن يمازح .

وتستحب له أيضا أن ينزل ألفاظه (٥٩) في كتبه [١٧] فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب اليه ، وألا يعطى خسيس الناس رفيع الكلام ، ولا رفيع الناس وضيع الكلام ؛ فاني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم ، وخلطوا فيه ؛ فليس يفرقون بين من يكتب اليه « فرأيك في كذا » وبين من يكتب اليه « فان رأيت كذا » و « رأيك » انما يكتب بها الى الأكفاء والمساوين لايجوز أن يكتب بها الى الرؤساء والأستاذين (٦٠) ، لأن فيها معنى الأمر ، ولذلك نصبت ، ولا يفرقون بين من يكتب اليه « وأنا فعلت ذلك » وبين من يكتب اليه « ونحن فعلنا ذلك » و « نحن » لا يكتب بها عن نفسه الا آمر أو ناه ؛ لأنها من كلام الملوك والعظماء ، قال الله عز وجـل : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ــ ٩ من سورة الحجر) وقال : (انا كل شيء خلقناه بقدر ــ ٤٩ من سورة القمر) وعلى هذا الابتداء خوطبوا في [١٨] الجواب ، فقال تعالى حكاية عمن حضره الموت : (رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ــ ٩٩ من سورة المؤمنين) ولم يقل رب ارجعن . وربمـا صـدر الكاتب كتابه ب « أكرمك الله » و « أبقاك » فاذا توسط كتابه ، وعدد على المكتوب اليه ذنوبا له ، قال : « فلعنك الله وأخزاك » فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه في حال ؟؟!! وكيف يجمع بين هذين في كتاب ؟ وقال أبرويز لكاتبه في تنزيل الكلام : « انما الكلام أربعة : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ،

---

(٥٨) ذكر الجواليقى ان اسم هذا الكاتب (احمدين) شريح ، من أهل مرو ، و « غضب » اى قطع ، والألم : المرض ، وعارضه : ما يحدث منه ويطرأ ، « ألم » فصل ماضى معناه نزل ، و « انهيته » جعلته نهاية ، او أبلغته ، وكان هذا الرجل قد أخذ على نفسه قضاء مهمة لأحد اخواته ، فنزل به مرض ، فاراد أن يعتذر لصديقه بمرضه عن التأخر في قضاء ما التزمه .

(٥٩) تنزيل الكلام : ترتيبه ، ووضع كل شيء منه في مرتبته اللائقة به ، وذكره في الوقت الذى ينبغى فيه .

(٦٠) فى نسخة « والأساتذة » .

وأمرك بالشيء ، وخبرك عن الشيء ؛ فهذه دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد ، وان نقص منها رابع لم تتم ؛ فاذ طلبت فأسجح (٦١)، واذا سألت فأوضح ، واذا أمرت فأحكم ، واذا أخبرت فحقق » وقال [له] أيضا : « وأجمع [١٩] الكثير مما تريد في القليل مما تقول » يريد الايجاز ، وهذا ليس بمحمود في كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب ، بل لكل مقام مقال ، ولو كان الايجاز محمودا في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن ، ولم يفعل الله ذلك ، ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للايجاز ، وكرر تارة للافهام ، وعلل هذا مستقصاة في كتابنا المؤلف في « تأويل مشكل القرآن » وليس يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب أو حمالة بدم (٦٢) أو صلح بين عشائر أن يقلل الكلام ويختصره ، ولا لمن كتب الى عامة كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز . ولو كتب كاتب الى أهل بلد في الدعاء الى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته « أما بعد [٢٠] فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيتهما شئت ، والسلام » ، لم يعمل هذا الكلام في أنفسها عمله في نفس مروان ، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ، ويعيد ويبدىء ، ويحذر وينذر .

★★★

هذا منتهى القول فيما نختـــــاره للكاتب ؛ فمن تكاملت له هذه الأدوات ، وأمده الله بآداب النفس — من العفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق ، وسكون الطائر ، وخفض الجناح — فهذا (٦٣) المتناهي في الفضل ، العالي في ذرى المجد ، الحاوي قصب السبق ، الفائز بخير الدارين ، ان شاء الله تعالى .

---

(٦١) « أسجح » أي : أرفق وسهل ، ومنه قول عقبة الأسدي :

معاوي اننا بشر ، فاســـجح   فلسنا بالجبـــال ولا الحديدا

وفي أمثالهم « ملكت فأسجح » وقوله « واذا سألت فاوضح » أي : بين سؤالك .

(٦٢) التحضيض والحض : الاغراء بالشيء والترغيب فيه ، والحمالة — بفتح الحاء — الكفالة ، والحميل : الكفيل وزنا ومعنى ، والعشائر : جمع عشيرة .

(٦٣) في ا « فذلك المتناهي » .

ملحق رقم (٢)

ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة

في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي (١)

للأستاذين يحيى الخشاب ، الباز العريني (٢)

الفصل الأول : في مواضعات متكلمي الاسلام فيما بينهم ٠

الفصل الثاني : في ذكر أرباب الآراء والمذاهب من أهل الاسلام ٠

الفصل الثالث : في ذكر أصناف النصارى ومواضعاتهم ٠

الفصل الرابع : في ذكر أصناف اليهود ومواضعاتهم ٠

الفصل الخامس : في ذكر أرباب الملل والنحل ٠

الفصل السادس : في ذكر عبدة الأوثان من العرب وأصنامهم ٠

الفصل السابع : في وصف الأبواب التي يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين ٠

الفصل الأول

في مواضعات متكلمي الاسلام

الشيء هو مايجوز أن يخبر عنه وتصح الدلالة عليه ٠

المعلوم هو ما يصح أن يقال فيه هل يوجد ٠

والموجود هو ما يصح عنه سؤال السائل هل يعدم الى أن يجاب عنه بلا ونعم وقيل الموجود هو الكائن الثابت ٠

والمعدوم هو المنتفي الذي ليس بكائن ولا ثابت ٠

---

(١) أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي ، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ٠

(٢) مستخرج من المجلة التاريخية المصرية (المجلد السابع سنة ١٩٥٨) ٠

القديم هو الموجود لم يزل ·

المحدث هو الكائن بعد أن لم يكن ·

الأزلي الكائن لم يزل ولا يزال ·

الجوهر هو المحتمل للأحوال والكيفيات المتضادات على مقدارها ، وعند المعتزلة المتكلمين أن الأجسام مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ وهى الجواهر عندهم ·

والخط عندهم المجتمع من الجواهر طولا فقط ·

والسطح ما اجتمع من الجواهر طولا وعرضا فقط ·

والجسم عندهم المجتمع من الجواهر طولا وعرضا وعمقا ·

والعرض أحوال الجوهر كالحركة فى المتحرك والبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود · فأما هذه الأشياء على رأى الفلاسفة والمهندسين فعلى خلاف ما ذكرته فى هذا الباب · وسأذكرها فى أبوابها ان شاء الله عند ذكر أقاويلهم ·

أيس هو خلاف ليس ،

قال الخليل بن أحمد ليس انما هى لا فى أيس فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء ، والدليل على ذلك قول العرب : أيتنى بكذا من حيث أيس وليس ·

الذات نفس الشىء وجوهره ·

الطفرة الوثوب فى ارتفاع ، تقول طفرت الشىء أطفره طفرا اذا وثبت فوقه ، والطفرة المرة الواحدة ·

الرجعة (١) عند بعض الشيعة رجوع الامام بعد موته ، وعند بعضهم بعد غيبته ·

التحكيم قول الحرورية لا حكم الا لله وهم **المحكمة** ·

الفصل الثانى

فى ذكر أسامى أرباب الآراء والمذاهب من المسلمين

وهى سبعة مذاهب :

المذهب الأول : المعتزلة ويتسمون **باصحاب العدل والتوحيد** وهم ست فرق (٢) :

الأولى : **الحسنية** ، وهم المنتسبون على زعمهم الى الحسن البصرى •

الثانية : **الهذيلية** (٣) ، أصحاب أبى الهذيل العلاف •

الثالثة : **النظامية** (٤) ، أصحاب ابراهيم بن سيار النظام •

الرابعة : **المعمرية** (٥) ، أصحاب معمر بن عباد السلمى •

الخامسة : **البشرية** (٦) ، نسبوا الى بشر بن المعتمر •

السادسة : **الجاحظية** (٧) ، أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ •

المذهب الثانى : **الخوارج** وهم أربع عشرة فرقة (٨) :

الأولى : **الأزارقة** (٩) ، ينتسبون الى نافع بن الأزرق ،

الثانية : **النجدات** (١٠) ، أصحاب نجدة بن عامر الحنفى •

الثالثة : **العجاردة** (١١) ، نسبوا الى عبد الكريم بن العجرد •

الرابعة : **البدعية** ، رئيسهم يحيى بن أصرم ، سموا البدعية لأنهم آبدعوا قطع الشهادة على أنفسهم أنهم من أهل الجنة •

الخامسة : **الحازمية** (١٣) ، نسبوا الى شعيب بن حازم •

السادسة : **الثعالبة** (١٣)

السابعة : **الصفرية** (١٤) ، أصحاب زياد بن الأصفر •

الثامنة : **الاباضية** (١٥) ، أصحاب عبد الله بن اباض •

التاسعة : **الحفصية** (١٦) ، أصحاب حفص بن (أبى) المقدام •

العاشرة : **اليزيدية** (١٧) ، أصحاب يزيد بن أبى أنيسة •

الحادية عشرة : **البيهسية** (١٨) ، نسبوا الى أبى بيهس الهيصم ابن جابر •

الثانية عشرة : **الفضلية** (١٩) ، أصحاب الفضل بن عبد الله •

الثالثة عشرة : **الشمراخية** ، أصحاب عبد الله بن شمراخ ٠

الرابعة عشرة : **الضحاكية** (٢١) ، أصحاب الضحاك بن قيس الشاري ٠

المذهب الثالث : أصحاب الحديث (٣٢) وهم أربع فرق :

الأولى : **المالكية** ، أصحاب مالك بن أنس ٠

الثانية : **الشافعية** ، أصحاب محمد بن ادريس الشافعي ٠

الثالثة : **الحنبلية** : أصحاب أحمد بن حنبل ٠

الرابة : **الداودية** ، أصحاب داود بن علي الأصفهاني ٠

المذهب الرابع : **المجبرة** (٢٢) وهم خمس فرق :

الأولى : **الجهمية** : أصحاب جهم بن صفوان الترمذي ٠

الثانية : **البطيخية** ، نسبوا الى اسمعيل البطيخي ٠

الثالثة : **النجارية** (٢٤) ، نسبوا الى الحسين بن محمد النجار ٠

الرابعة : **الضرارية** ، نسبو الى ضرار بن عمرو ٠

الخامسة : **الصباحية** ، أصحاب صباح بن معمر ٠

المذهب الخامس : **المشبهة** (٢٥) وهم ثلاث عشرة فرقة :

الأولى : **الكلابية** ، نسبو الى محمد بن كلاب ٠

الثانية : **الأشعرية** : أصحاب علي بن اسمعيل الأشعري ٠

الثالثة : **الكرامية** ، نسبوا الى محمد بن كرام السجستاني ٠

الرابعة : **الهشامية** (٢٦) ، أصحاب هشام بن الحكم ٠

الخامسة : **الجواليقية** ، أصحاب هشام بن عمر الجواليقي ٠

السادسة : **المقاتلية** ، أصحاب مقاتل بن سليمان ٠

السابعة : **القضائية** ، نسبوا الى ذلك لزعمهم أن الله ، تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، هو القضاء ٠

الثامنة : **الحبية** ، سموا بذلك لزعمهم أنهم لايعبدون الله خوفا ولا طمعا وأنهم يعبدونه حبا ٠

التاسعة : **البيانية** ، أصحاب بيان بن سمعان ٠

العاشرة : **المغيرية** ، نسبوا الى المغيرة بن سعيد العجلي ٠

الحادية عشرة : **الزرارية** ، أصحاب زرارة بن أعين بن أبي زرارة ٠

الثانية عشرة : **المنهالية** ، أصحاب المنهال بن ميمون العجلى .

الثالثة عشرة : **المبيضة** ، أصحاب المقنع هاشم بن الحكم المرزوى ، سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم مخالفة للمسودة من أصحاب الدولة العباسية .

المذهب السادس : **المرجئة** (٢٧) وهم ست فرق :

الأولى : **الغيلانية** ، أصحاب غيلان بن خرشة الضبى .

الثانية : **الصالحية** ، أصحاب صالح بن عبد الله ، المعروف بقنة .

الثالثة : **أصحاب الرأى** ، وهم أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت البزاز .

الرابعة : **الشبيبية** ، أصحاب محمد بن شبيب .

الخامسة : **الشمرية** ، نسبوا الى أبى شمر سالم بن شمر .

السادسة : **الجحدرية** ، أصحاب جحدر بن محمد التميمي .

المذهب السابع : **الشيعة** (٢٨) ، وهم خمس فرق :

الأولى : **الزيدية** ، وهم خمسة أصناف :

١ ـ **الأبترية** ، نسبوا الى كثير النوبى ، واسمه المغيرة بن سعد ، ولقبه الأبتر .

٢ ـ **الجارودية** ، نسبوا الى أبى الجارود زيادى بن أبى زياد .

٣ ـ **الدكنية** ، أصحاب الفضل بن دكين .

٤ ـ **الخشبية** ، ويعرفون بالصرخابية ، نسبوا الى صرخاب الطبرى ، وسموا الخشبية لأنهم خرجوا على السلطان مع المختار ولم يكن معهم سلاح غير الخشب .

٥ ـ **الخلفية** ، وهم أصحاب خلف بن عبد الصمد .

الثانية : **الكيسانية** ، وكيسان كان مولى لعلى بن أبى طالب (عم) ، وهم أربعة أصناف :

١ ـ **المختارية** ، أصحاب المختار بن أبى عبيد قبل مقالته من كيسان .

٢ ـ **الاسحاقية** ، نسبوا الى أسحق بن عمرو .

٣ ـ **الكربية** ، أصحاب أبى كرب الضرير •

٤ ـ **الحربية** ، نسبوا الى عبد الله بن عمر بن حرب •

الثالثة : **العباسية** ، ينسبون الى آل العباس بن عبد المطلب (رضهم) وهم صنفان :

١ ـ **الخلالية** ، أصحاب أبى سلمة الخلال •

٢ ـ **الراوندية** ، أصحاب القاسم بن راوند •

الرابعة : **الغالية** ، وهم تسعة أصناف :

١ ـ **الكاملية** ، أصحاب أبى كامل •

٢ ـ **السبائية** ، أصحاب عبد الله بن سبأ •

٣ ـ **المنصورية** ، أصحاب أبى منصور العجلى •

٤ ـ **الغرابية** ، سموا بذلك الاسم لأنهم يقولون على على (عم) كان أشبه بالنبى من الغراب بالغراب •

٥ ـ **الطيارية** ، وهم أصحاب التناسخ ، نسبوا الى جعفر الطيار•

٦ ـ **البزيعية** ، نسبوا الى بزيع بن يونس •

٧ ـ **اليعفورية** ، نسبوا الى محمد بن يعفور •

٨ ـ **الغمامية** ، سموا بذلك الاسم لزعمهم أن الله تعالى ينزل الى الأرض فى غمام كل ربيع فيطوف الدنيا ، سبحان الله عما يقولون •

٩ ـ **الاسماعيلية** ، وهم الباطنية •

الخامسة : **الامامية** ، وهم الرافضة ، سموا بذلك لرفضهم زيد بن على عليهما السلام ، فمنهم :

١ ـ **الناؤوسية** ، نسبوا الى عبد الله بن ناؤوس •

٢ ـ **المفضلية** ، نسبوا الى المفضل عمر ، ويسمون **القطعية** لأنهم قطعوا على وفاة موسى بن جعفر بن محمد •

٣ ـ **الشمطية** ، لأنهم نسبوا الى يحيى بن أشمط •

٤ ـ **الواقفية** ، سموا بذلك لأنهم وقفوا على موسى بن جعفر رضى الله عنه ، وقالوا هو السابع ، وأنه هو حى لم يمت حتى يملك

شرق الأرض وغربها ؛ ويسمون **المطورة** وذلك أن واحـدا منهـم ناظر يونس بن عبد الرحمن وهو من القطعية فقال له يونس : لأنتم أهون على من الكلاب المطورة فلزمهم هذه النبزة ٠

٥ ـ **الأحمدية** ، نسبوا الى امامهـم أحمد بن موسى بن جعفر ٠

نعوت الأئمة على مذهب الاثنى عشرية :

على المرتضى ، **الحسن** المجتبى ، **الحسين** سيد الشهداء ، **على** زين العابدين ، **محمد** الباقر ، **جعفر** الصادق ، **موسى** الكاظم ، **على** الرضى ؛ **محمد** الهادى ، **على** الصابر ، **الحسن** الطاهر ، **محمـد** المهدى القائم المنتظر وأنه لم يمت ولا يموت بزعمهم حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو محمد بن الحسن بن على بن محمـد بن على بن موسى بن جعفـر بن محمـد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهـم السلام أجمعين ٠

ملحق رقم (٣)

(التعريف بابن النديم وكتابه الفهرست)

لم يكن التاريخ حاكما عادلا ، يمنح للناس شهرة بنسبة أعمالهم ، ويكافئهم على قدر استحقاقهم ، فهذا رجل جمع صحائف من أقوال غيره ولفقها تلفيقا فمنحه التاريخ ألقابا ضخمة وخلد له ذكرا مطولا فى بطون الصحائف ، وآخر كان نابغة حقا فى تفكيره وعمله ثم أهمله التاريخ فقل أن تجد له ذكرا ، أو تعرف له حياة مفصلة .

ولعل أصدق ما ينطبق عليه هذا القول « ابن النديم » فكتابه « الفهرست » يدل على أنه كان رجلا فذا من نواح مختلفة كما سنبينه ، ثم تبحث فى كتب التراجم عن حياته وعمله فلا تظفر من ذلك بشىء له قيمة — فابن خلكان لم يترجم له مع أنه ترجم لمن لايعد شيئا اذا قيس به من تاجر ، ومالى ، وفقيه ، ومتصوف ومشعوذ ، وسفاك دماء . وصاحب « فوات الوفيات » لم يذكره فيما استدركه على وفيات الأعيان ، وأهملته كذلك أكثر كتب التراجم ، ومن ذكره منهم ترجم له ترجمة ناقصة لاتفى بالغرض كما فعل ياقوت فى كتابه « معجم الأدباء » فقد قال « محمد بن اسحق النديم ، كنيته أبو الفرج ، وكنية أبيه أبو يعقوب . مصنف كتاب الفهرست الذى جود فيه واستوعب استيعابا يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه بجميع الكتب ، ولا أبعد أن يكون قد كان وارقا يبيع الكتب . وذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه صنف فى سنة ٣٧٧ وله من التصانيف : فهرست الكتب . كتاب التشبيهات . وكان شيعيا معتزليا » .

هذا كل ما ذكره ياقوت ، ولا نعرف من هذه الترجمة متى كان مولده ولا فى أى قطر كان ، وكيف كانت حياته ، وما نوع العلوم التى تعلمها ، وعمن أخذ ، ومتى توفى — وكل الذى تعرفه بعد هذا أن ابن النجار فى كتابه « ذيل تاريخ بغداد » قال ان ابن النديم « صنف كتاب الفهرست فى شعبان سنة ٣٧٧ ومات يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ٣٨٥ » .

وقد يفهم من قول ابن النجار أنه ألف الكتاب فى شعبان سنة ٣٧٧ · والذى يظهر أنه انما يريد أنه أنهاه فى هذا الشهر من تلك السنة ـ وكل عمدة الذين يترجمون له بعد هذين النصين إنما هو على كتاب الفهرست نفسه وما يستنتج منه ـ والمتتبع للكتاب يرى أن المؤلف نص فى مواضع كثيرة على أنه ألفه سنة ٣٧٧ فيقول مثلا فى آخر المقالة الأولى « هذا آخر ما صنفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست الى يوم السبت مستهل شعبان سنة ٣٧٧ ولكنا نجد أنه نص فى مواضع مختلفة على أشياء حدثت بعد هذا التاريخ فيقول فى ترجمة المرزبانى أنه توفى سنة ٣٧٨ · ويقول فى وفاة ابن جنى أنه مات سنة ٣٩٢ ووفاة ابن نباتة التميمى أنه مات بعد الأربعمائة ـ وهذا يخالف مخالفة تامة ما ذكره المؤلف من أنه ألفه سنة ٣٧٧ وما نقله ابن النجار من أنه مات سنة ٣٨٥ فالذى يظهر أن المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧ وكان يترك فيها بياضا يملؤه بما يجده بعد ذلك أو يضع على النسخة تعليقات فى أزمنة مختلفة ـ يدل على ذلك قوله فى ترجمة المرزبانى « ان مولده فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٧ ويحيا الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٧٧ ·· وتوفى سنة ٣٧٨ » فظاهر أن الزمن الذى كتب فيه جملة « ويحيا الى وقتنا هذا » غير الزمن الذى كتب فيه « وتوفى سنة ٣٧٨ » وظل يعمل فى نسخته هذه الى أن مات · ثم كان العلماء بعده يتعاقبون عليه بالزيادات التى وجدت بعد هذا التاريخ · وقد طلب المؤلف نفسه ذلك ممن يأتى بعده من العلماء فيقول « وزعم بعض اليزيدية ان له « الحسن بن على » نحوا من مائة كتاب ، ولم نرها ، فان رأى ناظر فى كتابنا شيئا منها ألحقها بموضعها ·

أما اسمه فيكاد يجمع من ينقل عنه ومن يترجم له على أن اسمه محمد بن اسحق وبعضهم يقول محمد بن النديم · وتارة يقولون قال ابن النديم · ويختلفون فى كنيته فبعضهم يكنيه أبا الفتح · وبعضهم يكنيه أبا الفرج ـ ومولده على ما يظهر فى بغداد فابن أبى اصيبعة فى كتابه طبقات الأطباء يقول « قال محمد بن اسحق النديم البغدادى فى كتاب الفهرست » ومن العسير تحديد مولده وكل الذى نعرفه أنه يقول فى ترجمة الصفوانى لقيته سنة ٣٤٦ فهو اذن كان يعيش فى هذه السنة وكان على الأقل شابا يستطيع أن يصف ما يلقى ويدون سنة لقياه بل أكثر من هذا يقول فى ترجمة البردعى « رأيته سنة ٣٤٠ وكان بى آنسا » ·

وقد ذكروا أنه كان وراقا وتصفه بعض الكتب أيضا بانه كان كاتبا وكلتا الحرفتين أعانته تأليف هذا الكتاب ، فالوراقة كانت حرفة

احترفها كثير من العلماء ووظيفتها انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها ، فهذه المهمة كانت تقوم في ذلك العصر مقام الطباعة في عصرنا بل أكثر منها اذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتـــاب أو ينسخ تحت اشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيـه تحريف ويجلده ويبيعه ، وكان يقوم بهذا العمل أفراد ولكنه اذا اتسع كون ما نسميه الآن « بادارة » وقد اشتهرت الوراقة في عصر ابن النديم شهرة ذائعة ، والكتب الذى نقلت في عصره تدل جودة تصحيحها والعناية بها على مبلغ رقى هذه الصناعة ، وقد اتخذ صناعة الوراقة كثير من الأدباء والعلماء ترجم لهم ياقوت في معجم الأدباء بل كان ياقوت نفسه وراقا ينسخ الكتب ويبيعها وخلف مكتبة كبيرة انتفع بهـا ابن الاثير صاحب الكتاب الكامل في التاريخ ٠

وأما الكتابة فكانت حرفة يحترفها طائفة من الناس وكانت تتطلب معرفة بفنون مختلفة من العلوم وسعة في الاطلاع على النحو الذى ألف فيه صـبح الأعشى للقلقشـــندى ، ونهـــاية الأرب للنويرى ـ هاتان الصناعتان الوراقة والكتابة مكنتا ابن النديم من سعة الاطلاع على النمط الغريب الذى نعرفه في كتاب الفهرست ، فهو مطلع على كل ما ألف باللغة العربية في كل فن ديني أو فلسفي أو تاريخي أو أدبي ، هذا الى الدقة المتناهية في تحرى الحق فما رآه يقول قد رأيته ، وما ســـمعه ينص على انه لم يره ، ويخلى نفسه من تبعته ٠

وقد وردت عبارة في كتاب الفهرست استنتج منها « الأســـتاذ فلوجل » أن ابن النديم كان في القسطنطينية سنة ٣٧٧ وهى أنه ذكر عند الكلام « على مذاهب أهل الصين وشيء من أخبارهم » أنه لقى الراهب النجرانى الوارد من بلاد الصين في ســـنة ٣٧٧ وكان قد مكث بهـــا ست سنين ـ الى أن يقول « فلقيته بدار الروم وراء البيعة فرأيت رجلا شابا حسن الهيئة قليل الكلام الا أن يسأل فسألته الخ » وقد استنتج فلوجل أن دار الروم هى القسطنطينية ، وأن البيعة هى الكنيسة الكبرى التى صارت فيما بعد مسجد أبا صوفيا ، وهو استنتاج غير صحيح لم يوافقه عليه المستشرقون واستظهروا أن المراد بدار الروم محلة كان يسكنها الروم في بغداد ، وبالبيعة بيعة لهم هناك كما سمى المصريون حارة من حارات القاهرة بحارة الروم ، والدليل على هذا أنه يقول ان الجاثليق الكبير أرسل هذا الراهب الى الصين ثم عاد بعد ست سنين ، فالظاهر أن الجاثليق بغدادى ، وأنه عاد أى الى بغداد ، وأن المقابلة كانت بها لا بالقسطنطينية ٠

والحق أن كتاب الفهرست ذخيرة لاتقدر ، غرضه أن يحصى جميع الكتب العربية المنقولة من الأمم المختلفة والمؤلفة فى جميع أنواع العلوم ويصفها ويبين مترجميها أو مؤلفيها ، ويذكر طرفا من تاريخ حياتهم ويعين تاريخ وفاتهم فكان الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لاحصاء ما ألف الى آخر القرن الرابع الهجرى وأشمل وثيقة تبين ما وصل اليه المسلمون فى حياتهم العقلية والعلمية فى ذلك العصر وأكثر هذه الكتب التى وصفها قد ضاعت بتوالى النكبات المختلفة على المملكة الاسلامية ولاسيما فى غزو التتار لبغداد ، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها أيضا كما ضاعت معالمها ٠

والناظر فى كتاب الفهرست يعجب لهذا النشاط العلمى الذى كان فى العصر العباسى وكثرة المؤلفين والمترجمين فى جميع نواحى العلم كما يعجب بسعة اطلاع ابن النديم وحبه للوقوف على كل شىء حتى فى أدق مسائل الأديان المختلفة والمذاهب المتنوعة ، يفصل مذهب مانى ومزدك ، كما يفصل مذهب أبى حنيفة والشافعى ، ويستقصى البحث عن أحوال الصين والهند ، كما يستقصى البحث عن الشام والعراق وهو فى كل ذلك يقابل أصحاب النحل المختلفة ويسائلهم ويدقق فى أخبارهم ثم يدون ما سمع ٠

لذلك كان الكتاب ــ بحق ــ مرجع كل باحث من مسلمين ومستشرقين ، كان عمدة ابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء والقفطى فى أخبار الحكماء ، وجرجى زيدان فى تاريخ التمدن الاسلامى ، والأستاذ « خولسن » فى بحثه عن الصابئة ، والأستاذ فلوجل فى بحثه عن « مانى » ولا يزال موردا لاينضب لكل منقب وباحث ٠

وللمؤلف أسلوب فى كتابته غريب قل من احتذاه من المؤلفين ، وهو أسلوب اقتصادى يكره اللغو والمقدمات والاطالة فى أداء المعنى ويحب أن يندفع الى صميم الموضوع ابتداء من غير مواربة ولا تمهيد ، وخير نموذج لذلك فاتحة كتابه اذ يقول « رب يسر برحمتك » النفوس تشرئب الى النتائج دون المقدمات ، وترتاح الى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات ، فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات فى صدر كتابنا هذا اذ كانت دالة على ما قصدنا فى تأليفه » ثم يحصر ما يريده من أبواب

الكتاب ويأخذ فى الكلام فى دقة وايجاز حتى لاتستطيع أن تحذف جملة لأن معناها مكرر أو عبارتها مترادفة ·

ثم هو صادق يتحرى الصــدق ، ويميز بين ما رأى ومالم ير ، وينقل كل ذلك الى القارىء فى أمانة تســتدعى الاعجاب ـ لم يحاول ابن النديم أن يذوق عبارته ويصقلها حسبما تقتضيه قوانين البــلاغة ، ولكنه استطاع أن يؤدى ما يريد فى ضبط واحكام ·

ملحق رقم (٤)

المقـــدمة

فى فضل علم التاريخ

وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شيء من أسبابها

اعلم أن فن التاريـخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائـد ، شريف الغاية ، اذ هو يوقفنا (١) على أحوال الماضين من الأمم فى أخـلاقهم • والأنبياء فى سيرهم ، والملوك فى دولهم وسياستهم ؛ حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا • فهو محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ، ولا قيس الغائب منهـــا بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القـــدم والحيد عن جادة الصـــدق • وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصـــولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار • فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط ؛ ولاسيما فى احصاء الأعداد من الأموال والعساكر اذا عرضت فى الحكايات اذ هى مظنـة الكذب ومطية الهذر ؛ ولابد من ردها الى الأصول وعرضها على القواعد •

---

(١) بمعنى يطلعنا ، وهى لغة ضعيفة •

وهذا كما نقل المسعودى وكثير من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل ، وأن موسى عليه السلام أحصاهم فى التيه ، بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ٠

ويذهل فى ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش ٠ لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها ، تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة ٠

ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينما زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها ، وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثا أو أزيد ، فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر ٠ والحاضر يشهد لذلك ؛ فالماضى أشبه بالآتى من الماء بالماء ٠

ولقد كان ملك الفرس ودولتهم أعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير ، يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم ، والتهامه بلادهم ، واستيلائه على أمرهم ، وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم ، وهو من بعض عمال مملكة فارس ٠ يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها ٠ وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والأبواب أوسع من ممالك بنى اسرائيل بكثير ٠ ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه ٠ وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا ، كلهم متبوع على ما نقله « سيف (٢) » قال : وكانوا فى اتباعهم أكثر من مائتى ألف ٠ وعن عائشة والزهرى : أن جموع رستم التى زحف بها لسعد بالقادسية انما كانوا ستين ألفا كلهم متبوع ٠

وأيضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم ؛ فان العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها فى قلتها وكثرتها ، حسبما نبين فى فصل

---

(٢) هو سيف بن عمر الأسدى : من جامعى تواريخ الأمم والدول ٠

الممالك من الكتاب الأول . والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الأردن وفلسطين من الشام ، وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو معروف .

وأيضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون ، فانه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بفتح الهاء وكسرها ، ابن لاوى بكسر الواو وفتحها ، ابن يعقوب وهو اسرائيل الله ، هكذا نسبه فى التوارة . والمدة بينهما على ما نقله المسعودى ، قال : دخل اسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفسا ، وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة ، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة . ويبعد أن يتشعب النسل فى أربعة أجيال الى مثل هذا العدد . وان زعموا أن عدد تلك الجيوش انما كان فى زمن سليمان ومن بعده فبعيد أيضا ، اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا أحد عشر أبا . فانه سليمان بن داود بن ايشا ابن عوفيذ (ويقال ابن عوفذ) بن باعز (ويقال بوعز) بن سلمون بن نحشون ابن عمينوذب (ويقال حيمنا ذاب) بن رم بن حصرون (ويقال حسرون) ابن بارس (ويقال بيرس) بن يهوذا بن يعقوب . ولا يتشعب النسل فى أحد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذى زعموه ، اللهم الى المئين والآلاف فربما يكون ، وأما أن يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد . وأعتبر ذلك فى الحاضر المشاهد والقريب المعروف ، تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا . والذى ثبت فى الاسرائيليات أن جنود سليمان كانت أثنى عشر ألفا خاصة ، وأن مقرباته (٣) كانت ألفا وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه . هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم . وفى أيام سليمان عليه السلام وملكه كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم .

هذا ، وقد نجد الكافة من أهل العصر اذا أفاضوا فى الحديث عن عساكر الدول لعهدهم أو قريبا منه ، وتفاوضوا فى الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى ، أو أخذوا فى احصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين ، توغلوا فى العدد، وتجاوزوا حدود العوائد ، وطاوعوا وساوس الاغراب . فاذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم ، استنبطت أحوال أهل الثروة فى بضائعهم وفوائدهم ، واستجليت عوائد المترفين فى نفقاتهم ، لن تجد

(٣) المقربات : ج. مقربة . وهى من الخيل التى يقرب معلفها ومربطها لكرامتها .

معشار ما يعدونه . وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب ، وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد ، حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ، ولا يطالبها فى الخبر بتوسط ولا عدالة ، ولا يرجعها الى بحث وتفتيش ، فيرسل عنانه ويسيم فى مراتع الكذب لسانه ، ويتخذ آيات الله هزوا ، ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، وحسبك بهما صفقة خاسرة .

ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى أفريقية (٤) والبربرة من بلاد المغرب ، وأن افريقش بن قيس بن صيفى من أعاظم ملوكهم الأول ، وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل . غزا افريقية وأثخن فى البربر ، وأنه الذى سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال : ما هذه البربرة ، فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ ، وأنه لما انصرف من المغرب حجز هناك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ، ومنهم صنهاجة (٥) وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والبيلى الى أن صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر ، وهو الصحيح .

وذكر المسعودى أيضا أن ذا الاذعار من ملوكهم قبل افريقش وكان على عهد سليمان عليه السلام ، غزا المغرب ودوخه ، وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده ، وأنه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل ، فرجع . وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو أسعد أبو كرب ، وكان على يستأنف (٦) من ملوك الفرس الكيانية ، انه ملك الموصل وأذربيجان ولقى الترك فهزمهم وأثخن ، ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك ، وانه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس ، والى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر ، والى بلاد الروم ، فملك الأول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى الصين ، فوجد أخاه الثانى الذى غزا الى سمرقند قد سبقه اليها ، فأثخنا فى بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنائم ، وتركوا ببلاد

---

(٤) كذا المشهور بدون تشديد الياء ، وقد تشدد الياء : (افريقية) كما ذكرها ياقوت فى معجم البلدان .

(٥) صنهاجة بفتح الصاد كما هى معروفة فى المغرب ، وبكسر الصاد كما وردت فى كتب التاريخ واللغة .

(٦) كذا بالأصل فى جميع النسخ القديمة ، ونسخة لجنة البيان العربى : يستأنف واظنها غلطة مطبعية .

الصين قبائل من حمير فهم بها الى هذا العهد ، وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها (٧) ودوخ بلاد الروم ورجع •

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريقة فى الوهم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعه • وذلك أن ملك التبابعه انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن • وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها : فبحر الهند من الجنوب ، وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من المشرق ، وبحر السويس الهابط منه الى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب ، كما تراه فى مصور الجغرافيا • فلا يجد السالكون من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس • والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامى قدر مرحلتين فما دونهما • ويبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم فى عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله ، هذا ممتنع فى العادة • وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام والقبط بمصر ، ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام، ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الأمم ولا ملكوا شيئا من تلك الأعمال •

وأيضا فالشقة من البحر الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة ، فاذا ساروا فى غير أعمالهم احتاجوا انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمرون عليه ، ولا يكفى ذلك للازودة وللعلوفة عادة ، وان نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تفى لهم الرواحل بنقله ، فلابد أن يمروا فى طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها • وان قلنا ان تلك العساكر تمر بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة ، فذلك أبعد وأشد امتناعا ، فدل على أن هده الأخبار واهية أو موضوعة •

وأما وادى الرمل الذى يعجز السالك ، فلم يسمع قط ذكره فى المغرب على كثرة سالكه ومن يقص طرقه من الركاب والقرى (٨) فى كل عصر وكل جهة ، وهو على ما ذكروه من الغرابة تتوافر الدواعى على نقله •

وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك ، وان كانت طريقه أوسع من مسالك السويس ، الا أن الشقة هنا أبعد ، وأمم فارس والروم

---

(٧) درس الأثر : بمعنى محاه (لسان العرب) •

(٨) بمعنى : الأشخاص الذين يطوفون فى البلاد (قاموس) •

وانما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما فى الأعمال • وقد وقع ذلك بين ذى الاذعار منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية ، وبين تبع الاصغر أبى كرب ويستاسف منهم أيضا ، ومع ملوك الطوائف بعـــد الكيانيـــة والساسانية من بعدهم ، بمجاوزة (٩) أرض فارس بالغزو الى بلاد الترك والتبت ، وهو ممتنع عادة من أجل الأمم المعترضـــة منهم ، والحاجة الى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر • فالأخبار بذلك واهية مدخولة• وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها ، فكيف وهى لم تنقل من وجه صحيح • وقول ابن اســـحق فى خبر يثرب والأوس والخزرج : ان تبعا الآخر ــ سار الى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس • وأمـا بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم اليها بوجه لما تقرر • فلا تثقن بما يلقى اليك من ذلك ، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه • والله الهادى الى الصواب •

فصل : وأبعد من ذلك وأعرق فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة « والفجر » فى قوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد » ، فيجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بأنها ذات عماد أى أساطين وينقلون أنه كان لعاد ابن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده ، وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم ، وسمع وصف الجنة ، فقال لابنين مثلها ، فبنى مدينة ارم فى صحارى عدن فى مـــدة ثلثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وأنها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الشـــجر والأنهار المطردة (١٠) • ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته ، حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السـماء فهلكوا كلهم • ذكر ذلك الطبرى والثعالبى والزمخشرى وغـــيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة (١١) أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه ، وبلغ خبره الى معاوية ، فأحضره وقص عليه ، فبحث عن كعب الأحبار وسأله عن ذلك ، فقال هى : « ارم

---

(٩) كذا بالأصل فى جميع النسخ ، وتصويب العبارة : وأما مجاوزة أرض فارس ••• الخ •

(١٠) بمعنى الجارية •

(١١) كذا فى جميع النســـخ ، وهو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمى وكنيته : أبو قلابة • وهو من التابعين ــ كذا ذكره ياقوت فى معجم الأدباء •

ذات العَماد » وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال ، يخرج فى طلب ابل له ، ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال : هذا والله ذلك الرجل ·

وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شىء من بقاع الارض · وصحارى عدن التى زعموا أنها بنيت فيها هى فى وسط اليمن ، ومازال عمرانها متعاقبا والأدلاء تقص طرقها من كل وجه ، ولم ينقل عن هـذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين ولا من الأمم · ولو قالوا انهـا درست فيما درس من الآثار لكان أشبه · الا أن ظاهر كلامهم انهـا موجودة · وبعضهم يقول انها دمشق ، بناء على أن قوم عاد ملكوها · وقد ينتهى الهذيان ببعضهم الى أنها غائبة ، وانما يعثر عليهـا أهـل الرياضة والسحر · مزاعم كلها أشبه بالخرافات ·

والذى حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صـناعة الاعراب فى لفظة ذات العماد أنها صفة ارم ، وحملوا العماد على الأساطين فتعين أن يكون بناء · ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير « عاد ارم » على الاضافة من غير تنوين · ثم وقفوا على تلك الحكايات التى هى أشبه بالاقاصيص الموضوعه والتى هى أقرب الى الكذب ، المنقولة فى عداد المضحكات · والا فالعماد هى عماد الأخبية بل الخيام · وان أريد بها الأساطين فلا بدع فى وصفهم بأنهم أهل بناء واساطين على العموم ، بما اشتهر من قوتهم ، لا أنـه بناء خاص فى مدينة معينة أو غيرها · وان أضيفت كما فى قراءة ابن الزبير فعلى اضافة الفصيلة الى القبيلة ، كما تقول قريش كنانة ، والياس مصر ، وربيعة نزار · وأية ضرورة الى هذا المحمـل البعيد الذى تمحلت (١٢) لتوجيهه لأمثال هذه الحكايات الواهية التى ينزه كتـاب الله عن مثلهـا لبعدها عن الصحة ·

ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين ، ما ينقلونه كافة فى سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصـة العباسة أختـه مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه ، وأنه لكلفه بمكانهما من معاقرته اياهما الخمر أذن لهما فى عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما فى مجلسه ، وأن العباسة تحيلت عليه فى التماس الخلوة به ، لما شغفها من حبه حتى واقعها ، زعموا فى حالة سكر ، فحملت ووشى بذلك للرشيد ، فاستغضب ·

وهيهات ذلك من منصب العباسة فى دينها وأبويها وجلالها ، وأنها

---

(١٢) تمحل للشىء بمعنى : احتال فى طلبه · وفى العبارة اضطراب . والتصويب : « الذى تمحل لتوجيهه بأمثال هذه الحكايات » ·

بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا أربعة رجال هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده . والعباسة بنت محمد المهدى بن عبد الله أبى جعفر المنصور بن محمد السجاد بن على أبى الخلفاء ، بن عبد الله ترجمان القرآن، ابن العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، ابنة خليفة ، أخت خليفة ، محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته ، وامامة الملة ونور الوحى ومهبط الملائكة من سائر جهاتها ، قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة (١٣) الدين ، البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش . فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها ، أو أين توجد الطهارة والزكاء (١٤) اذا فقد من بيتها ، أو كيف تلحم نسبها بجعفر ابن يحيى وتدنس شرفها العربى بمولى من موالى العجم ، بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش . وغايته أن جذبت دولتهم بضبعه وضبع أبيه واستخلصتهم ورقتهم الى منازل الأشراف وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر الى موالى الأعاجم على بعد همته ، وعظم آبائه ؟ ولو نظر المتأمل فى ذلك نظر المنصف ، وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك رمانه ، لاستنكف لها عن مثله مع موالى من موالى دولتها ، وفى سلطان قومها ، واستنكره ولج فى تكذيبه . وأين قدر العباسة والرشيد من الناس ؟

وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة ، وأحتجافهم (١٥) أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على أمره وشاركوه فى سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف فى أمور ملكه . فعظمت آثارهم وبعد صيتهم ، وعمروا مراتب الدولة وخططها (١٦) بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واختاروها عن سواهم ، من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . ويقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم ، زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ، ودفعوهم عنها بالراح ، لمكان أبيهم يحيى من كفالة هرون ولى عهد وخليفة ، حتى شب

---

(١٣) بمعنى الوضع الصحيح الطبيعى الذى لم تشبه شائبة (قاموس) .

(١٤) فى جميع النسخ المطبوعة الذكاء بالذل ، وفى النسخة الباريسية المخطوطة : الزكاء ، بالزاى ، وهو الأصح ، بمعنى الصلاح .

(١٥) احتجف الشىء : استخلصه وحازه . والأصح استعمال كلمة احتجانهم فى هذا المقام . ولكن ابن خلدون يتعمد استعمال الكلمات الغريبة .

(١٦) جمع خطة بضم الخاء بمعنى : الأمر . وأما بالكسر كما اوردها محقق لجنة البيان العربى بمعنى « المكان المختط لعمارة ، فليس لها معنى فى هذا المقام .

فى حجره ودرج من عشه وغلب على أمره ، وكان يدعوه يا أبت • فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم ، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال، وتخطت اليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء ، وسيرت الى خزائنهم فى سبيل التزلف والاستمالة ، أموال الجبايه ، وافاضوا فى رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء ، وطوقوهم المنن وكسبوا (١٧) من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العانى (١٨) ، ومدحوا بما لم يمـدح به خليفتهم وأسنوا لعفاتهم (١٩) الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع من الضواحى والأمصار فى سائر الممالك ، حتى آسفوا البطانة وأحقدوا الخاصة ، واغصوا (٢) أهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ، ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية ، حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم ، لم تعطفهم ، لما وقر فى نفوسهم من الحسد ، عواطف الرحم ، ولا وزعتهم أواصر القرابة•وقارن ذلك عند مخدومهم نواشى الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة ، وكامن الحقود التى بعثتها منهم صغائر الدالة ، وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبائر المخالفـة كقصـــتهم فى يحيى بن عبد الله بن الحسن بن عـلى ابن أبى طالب ، أخى محمد المهدى الملقب بالنفس الزكيـة الخارج عـلى المنصور • ويحيى هذا هو الذى استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على أمان الرشيد بخطه ، وبذل لهم فيه ألف ألف درهم • على مـــا ذكره الطبرى ، ودفعه الرشيد الى جعفر ، وجعـــل اعتقاله بداره والى نظره • فحبسه مدة ، ثم حملته الدالة على تخلية سبيله ، والاستبداد بحل عقاله ، حرما (٢١) لدماء أهل البيت بزعمه ، ودالة على السلطان فى حكمـه • وسأله الرشيد عنه لما وشى به اليه ، ففطن ، وقال : أطلقته ، فأبدى له وجه الاستحسان وأسرها فى نفسه • فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه ، حتى ثل عرشهم ، وألقيت عليهم سماؤهم ، وخسفت الارض بهم وبدارهم ، وذهبت سلفا ومثلا للآخرين أيامهم • ومن تأمل أخبارهم ، وأستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الأثر ممهد الأسباب •

---

(١٧) يتعدى فعل كسب بنفسه الى مفعول ثان ، وهو هنا كذلك بمعنى : كسب فلانا مالا اى أناله • كما فى القاموس •

(١٨) أى الأسير •

(١٩) اسنوا الجوائز : أجزلوها ، والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف •

(٢٠) أصل الغصص للطعام ، واستعملها ابن خلدون للغيظ على التشبيه •

(٢١) أى لحرمة دماء اهل البيت •

وانظر ما نقله ابن عبد ربه فى مفاوضة الرشيد عم جده داود بن على فى شأن نكبتهم ، وما ذكره فى باب الشعراء من كتاب العقد فى محاورة الأصمعى للرشيد وللفضل بن يحيى فى سمرهم ، تتفهم أنه انما قتلتهم الغيرة والمنافسة فى الاستبداد من الخليفة فمن دونه • وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على اسماعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم وهو قوله :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وأن الرشيد لما سمعها قال : « اى والله انى عاجز » ، حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته ، وسلطوا عليهم بأس انتقامه ، نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال •

وأما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر ، واقتران سكره بسكر الندمان ، فحاش لله « ما علمنا عليه من سوء » • وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة ، وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ، ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السماك والعمرى ، ومكاتبته سفيان الثورى ، وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة فى طوافه ، وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها • حكى الطبرى وغيره أنه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة نافلة ، وكان يغزو عاما ويحج عاما • ولقد زجر ابن أبى مريم مضحكة فى سمره حين تعرض له بمثل ذلك فى الصلاة لما سمعه يقرأ « وما لى لا أعبد الذى فطرنى » وقال والله ما أدرى لم ؟ فما تمالك الرشيد أن ضحك ، ثم التفت اليه مغضبا ، وقال : يا ابن أبى مريم فى الصلاة أيضا ؟ اياك اياك والقرآن والدين ، ولك ما شئت بعدهما •

وأيضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه المنتحلين لذلك ، ولم يكن بينه وبين جده أبى جعفر بعيد زمن ، انما خلفه غلاما • وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها • وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأة « يا أبا عبد الله انه لم يبق على وجه الأرض اعلم منى ومنك ، وانى قد شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتابا ينتفعون به ، تجنب فيه رخص ابن عباس ، وشدائد ابن عمر ، ووطئه للناس توطئة » • قال مالك : « فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ » • ولقد أدركه ابنه المهدى أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال • ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر

الخياطين فى ارقاع الخلقان (٢٢) من ثياب عياله ، فاستنكف المهدى من ذلك، وقال : يا أمير المؤمنين على كسوة العيال عامنا هذا من عطائى ، فقال له لك ذلك ولم يصده عنه ، ولا سمح بالانفاق من أموال المسلمين . فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوته ، وما ربى عليه من أمثال هذه السير فى أهل بيته ، والتخلق بها ، أن يعاقر الخمر أو يجاهر بها . وقد كانت حالة الأشراف من العرب الجاهلية فى اجتناب الخمر معلومة ، ولم يكن الكرم شجرتهم ، وكان شربها مذمة عند الكثير منهم ، والرشيد وآباؤه على ثبج (٢٣) من اجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم ، والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب .

وانظر ما نقله الطبرى والمسعودى فى قصة جبريل بل بختيشوع الطبيب حين أحضر له السمك فى مائدته فحماه عنه ، ثم أمر صاحب المائدة بحمله الى منزله ، وفطن الرشيد وارتاب به ، ودس خادمه حتى عاينه يتناوله ، فأعد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة أقداح : خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى ، وصب على الثانية ماء مثلجا ، وعلى الثالثة خمرا صرفا . وقال فى الأول والثانى هذا طعام أمير المؤمنين ، ان خلط السمك بغيره أو لم يخلطه ، وقال فى الثالث : هذا طعام ابن بختيشوع ، ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد ، وأحضره للتوبيخ ، أحضر الثلاثة الأقداح، فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ، ووجد الآخرين قد فسدا وتغيرت رائحتها . فكانت له فى ذلك معذرة . وتبين من ذلك ان حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائدته ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبى نواس لما بلغه من انهماكه فى المعاقرة حتى تاب وأقلع .

وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق (٢٤) . وفتاويهم فيها معروفة ، وأما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامه به ، ولا تقليد الأخبار الواهية فيها . فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من أكبر الكبائر عند أهل الملة . ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم ، لما كانوا عليه

---

(٢٢) كذا ، والأصح : فى رقع الخلقان أو فى ترقيعها ، والخلقان : البالى من الثياب (قاموس) .

(٢٣) الثبج من كل شىء : معظمه ، أعلاه ووسطه . ومنه حديث عبادة : يوشك أن يرى الرجل من ثبج المسلمين أى من وسطهم ، وقيل : من سراتهم وعليتهم (قاموس) .

(٢٤) يقصد به مذهب الامام أبى حنيفة .

من خشونة البداوة وسذاجة الدين التى لم يفارقوها بعـد · فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى الحظر ، وعن الحلية الى الحرمة ·

ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسـعودي وغيرهم على أن جميع من سلف من خلفاء بنى أمية وبنى العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج ، وأن أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد · وهكذا كان حالهم أيضا فى ملابسهم فما ظنك بمشـاربهم ؟ يتبين ذلك بأتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة فى أولها من البداوة والغضاضة كما نشرح فى مسائل الكتاب الأول ان شاء الله · والله الهادى الى الصواب ·

ويناسب هذا أو قريب منـه مما ينقلونه كافة عن يحيى بن أكثم قاضى المأمون وصاحبه ، وأنه كان يعـاقر الخمر وأنه سـكر ليلة مع شربه (٢٥) ، فدفن فى الريحان حتى أفاق وينشدون على لسانه :

يا سيدى وأمـير النـاس كلهم
قد جار فى حكمه من كان يسـقينى

انى غفلت عن الساقى فصـيرنى
كما ترانى سليب العقـل والدين

وحال ابن أكثم والمأمون فى ذلك من حال الرشيد · وشرابهم انما كان النبيذ ، ولم يكن محظورا عندهم · وأما السكر فليس من شأنهم ، وصحابته للمأمون انما كانت خلة فى الدين · ولقد ثبت أنه كان ينام معه فى البيت · ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته أنه انتبه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة أن يوقظ يحيى بن أكثم · وثبت أنهما كانا يصليان الصبح جماعة · فأين هذا من المعاقرة ؟

وأيضا فان يحيى بن أكثم كان من علية أهل الحديث · وقد أثنى عليه الامام أحمد بن حنبل واسماعيل القاضى ، وخرج عنه الترمذى كتابه الجامع (٢٦) · وذكر المزنى الحافظ أن البخارى روى عنه فى غير الجامع ، فالقدح فيه قدح فى جميعهم ·

---

(٢٥) الشرب : الذين يشربون معا · جمع شارب · (قاموس) ·

(٢٦) كذا بالأصل فى جميع النسخ ، والتصويب : وخرج عنه الترمذى فى كتـابه الجامع ·

وكذلك ما يشيجه (٢٧) المجان بالميل الى الغلمان بهتانا على الله وفرية على العلماء ، ويستندون في ذلك الى أخبار القصاص الواهية التى لعلها من افتراء أعدائه ، فأنه كان محسودا فى كماله وخلته للسلطان ، وكان مقامه من العلم والدين منزها عن مثل ذلك . ولقد ذكر لابن حنبل مـــا يرميه به الناس ، فقال سبحان الله ، سبحان الله ، ومن يقول هذا ؟ وأنكر ذلك انكارا شديدا . . وأثنى عليه اسماعيل القاضى ، فقيل له ما كان يقال فيه ، فقال معاذ الله أن تزول عدالة مثله بتكذب باغ وحاسد ، وقال أيضا : يحيى بن أكثم ابرأ الى الله من أن يكون فيه شئ مما كان يرمى به من أمر الغلمان ، ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف من الله ،، لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمى بما رمى به . وذكره ابن حبان فى الثقـات ، وقال : لا يشتغل بما يحـكى عنه لأن أكثرها لا يصح عنه .

ومن أمثال هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد مـن حديث الزنبيل ، فى سهب اصهار المأمون الى الحسن بن سهل فى بنته بوران ، وأنه عثر في بعض الليالى في تطوافه بسكك بغداد على زنبيل (٢٨) مدلى من بعض السطوح بمعالق وجدل مغارة الفتل من الحرير ، فاقتعده وتناول المعالق فاهتزت وذهب به صعدا الى مجلس شأنه كذا . ووصف من زينة فرشه وتنضيد أبنيته وجمال رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس ، وأن امرأة برزت له من خلل الستور فى ذلك المجلس رائقـة الجمال فتانة المحاسن ، فحيته ودعته الى المنادمة ، فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ، ورجع الى أصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبـا بعثه على الاصهار الى أبيها . وأين هذا كله من حال المأمون المعروفة فى دينه وعلمه واقتفائه سنن الخلفـاء الراشدين من آبائه ، وأخـذه بسير الخلفاء الأربعة أركان الملة ومناظرته للعلمـــاء وحفظه لحـدود الله تعالى فى صلواته وأحكامه . فكيف تصح عنه أحوال الفساق المستهترين (٢٩) فى التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر ، سبيل عشاق الأعراب . وأين ذلك من منصب أبنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار أبيها من الصون والعفاف .

---

(٢٧) ثبج الكلام : لم يات به على وجهه (قاموس) . وفى نسخة : ينبزه بمعنى : لقبه بالسوء . وصحيحها : ما ينبزه به المجان .. الخ .

(٢٨) كذا بالأصل فى جميع النسخ ، ولعلها : عثر على زنبيل . أو بمعنى زل : أى لم ينبه للزنبيل فعثر فيه .

(٢٩) المستهتر بالشيء بالفتح المولع به لا يبالى بما فعل فيه وشتم له والذى كثرت أباطيله ١ هـ (قاموس) .

وأمثال هذه الحكايات كثيرة ، وفى كتب المؤرخين معروفة ، وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك فى اللذات المحرمة ، وهتك قناع المخدرات ، ويتعللون بالتأسى بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم . فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون بأشباه هذه الأخبار وينفرون عنها عند تصفحهم لأوراق الدواوين . ولو ائتسوا بهم فى غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون .

ولقد عدلت يوما بعض الأمراء من أبناء الملوك فى كلفه بتعلم الغناء وولوعه بالأوتار . وقلت له : ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك ، فقال لى : أفلا ترى الى ابراهيم بن المهدى كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنين فى زمانه ؟ فقلت له : يا سبحان الله ؟ وهلا تأسيت بأبيه أو بأخيه ؟ أو ما رأيت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم ؟! فصم عن عدلى وأعرض ! والله يهدى من يشاء .

ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات فى العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، والطعن فى نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق . يعتمدون فى ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم ، وتفننا فى الشمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه الاحاديث فى أخبارهم ، ويغلون عن التفطن لشواهد الواقعات وأدلة الأحوال التى اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم . فانهم متفقون فى حديثهم عن مبدأ دولة الشيعة ان أبا عبد الله المحتسب لما دعا بكتامة للرضى من آل محمد ، واشتهر خبرة وعلم تحويمه على عبيد الله المهدى وابنه أبى القاسم ، خشيا على أنفسهما فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر ، وأنهما خرجا من الاسكندرية فى زى التجار ، ونمى خبرهما الى عيسى النوشرى عامل مصر والاسكندرية فسرح فى طلبهما الخيالة ، حتى اذا أدركان خفى رحالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى ، فأفلتوا الى المغرب ، وأن المعتضد أوعز الى الأغالبة أمراء افريقية بالقيروان ، وبنى مدرار أمراء سجلماسة بأخذ الآفاق عليهما واذكاء العيون فى طلبهما ، فعثر اليسع صاحب سلجماسة من آل مدرار على خفى مكانهما ببلده ، واعتقلهما مرضاة للخليفة ، هذا قبل أن تظهر الشيعة على الأغالبة بالقيروان . ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وافريقية ، ثم باليمن ، ثم بالاسكندرية ، ثم بمصر والشام والحجاز . وقاسموا بنى العباس فى ممالك الاسلام شق

الأبلة (٣٠) وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزايلون من أمرهم · ولقد أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيرى من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بنى العباس فى مغاضبة جرت بينه وبين أمراء العجم ، وخطب لهم على منابرها حولا كاملا · ومازال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بنى أمية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم · وكيف يقع هذا كله لدعى فى النسب يكذب فى انتحال الأمر · وأعتبر حال القرمطى اذ كان دعيا فى انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم فساءت عاقبتهم ، وذاقوا وبال أمرهم · ولو كان أمر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة ، وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه ، وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه ، وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ، ثم انقرض أمرهم ، وشيعتهم فى ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل بن جعفر الصادق · ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها ، داعين الى بدعتهم هاتفين بأسماء صبيان من أعقابهم ، يزعمون استحقاقهم للخلافة ، ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة · ولو ارتابوا فى نسبهم لما ركبوا أعناق الأخطار فى الانتصار لهم ، فصاحب البدعة لا يلبس فى أمره ولا يشبه فى بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله ·

والعجب من القاضى أبى بكر الباقلانى شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة ، ويرى هذا الرأى الضعيف · فان كان ذلك لما كانوا عليه من الالحاد فى الدين والتعمق فى الرافضية ، فليس ذلك بدافع فى صدر دعوتهم ، وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئا فى كفرهم ، فقد قال تعالى لنوح عليه السلام فى شأن ابنه : انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم (٣١) · وقال

---

(٣٠) يقال : الأمر أو المال بيننا شق الا بلة . والابلة هى الخوصة أى ورقة الدم ، وشجرة تشبه النخلة ، وذلك لأنها تؤخذ فتشق طولا على السواء · والمعنى انهم قاسموا بنى العباس أعمالهم · وفى نسخة لجنة البيان العربى : « شق الأبلة » ، وهو تحريف ·

(٣١) سورة هود آية ٤٦ ·

صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها « يا فاطمة اعملى فلن أغنى عنك من الله شيئا » ·

ومتى عرف امرؤ قضية أو استيقن أمرا وجب عليه أن يصدع به ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، والقوم كانوا فى مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم فى القاصية بدعوتهم ، وتكرر خروجهم مرة بعد أخرى ، فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون ، كما قيل :

فلو تسأل الأيام ما اسمى ما درت وأين مكانى ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمى محمد بن اسماعيل الامام جد عبيد الله المهدى بالمكتوم ، سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم · فتوسل شيعة بنى العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن فى نسبهم · وازدلفوا بهذا الرأى القائل (٣٢) للمستضعفين من خلفائهم ، وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين وأهل دعوتهم ، حتى لقد أسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب ، وشهد بذلك عندهم من أعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى وأخوه المرتضى وابن البطحاوى ، ومن العلماء أبو حامد الاسفراينى والقدورى والصيمرى وابن الأكفانى والأبيوردى وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة ، وغيرهم من أعلام الأمة ببغداد فى يوم مشهود ، وذلك سنة ستين وأربعمائة فى أيام القادر ، وكانت شهادتهم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد ، وغالبها شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسب ، فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه ، والحق من ورائه · وفى كتاب المعتضد فى شأن عبيد الله الى ابن الأغلب بالقيروان بن مدرار بسجلماسة أصدق شاهد وأوضح دليل على صحة نسبهم · فالمعتضد أقعد (٣٣) بنسب أهل البيت من كل أحد · والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع ، وتلتمس فيه ضوال الحكم ، وتحدى اليه ركائب الروايات والأخبار ، وما نفق فيها نفق عند الكافة ·

---

(٣٢) أى الضعيف أو الخاطىء ·

(٣٣) بمعنى أكفا · يقال : قعد فلان بقرنه أى كان كفؤا له ، ويستعمل القاعد بمعنى الحافظ ·

فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والأفن (٣٤) والسفسفة وسلكت النهج الأمم ولم تجر (٣٥) عن قصد السبيل نفق في سوقها الابريز الخالص واللجين (٣٦) المصفى وان ذهبت مع الأغراض والحقود ، وماجت بسماسرة البغي والباطل ، نفق البهرج والزائف ٠ والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه وملتمسه ٠

ومثل هذا وأبعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين ، الامام بعد أبيه بالمغرب الأقصى ويعرضون تعريض الحسد بالتظنن في الحمل المخلف عن ادريس الأكبر أنه لراشد مولاهم قبحهم الله وأبعدهم ، ما أجهلهم ! أما يعلمون أن ادريس الأكبر كان أصهاره في البربر وأنه منذ دخل المغرب الى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو ، وأن حال البادية في مثل ذلك غير خافية ، اذ لا مكامن لهم يتأتى فيها الريب ، وأحوال حرمهم أجمعين بمرأى من جاراتهن ومسمع من جيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البنيان وعدم الفواصل بين المساكن!(٣٧) وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم من بعد مولاه بمشهد من أوليائهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم ٠ وقد اتفق برابرة المغرب الأقصى عامة على بيعة ادريس الأصغر من بعد أبيه ، وآتوه طاعتهم عن رضا واصفاق (٣٨) وبايعوه على الموت الأحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ٠ ولو حدثوا أنفسهم بمثل هذه الريبة ، أو قرعت أسماعهم ، ولو من عدو كاشح أو منافق مرتاب ، لتخلف عن ذلك ولو بعضهم ٠ كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقتالهم (٣٩) ومن بني الأغلب عمالهم ، كانوا بافريقية وولاتهم ٠ وذلك أنه لما فر ادريس الأكبر الى المغرب من وقعة بلخ ، أوعز الهادي الى الأغالبة أن يقعدوا له بالمراصد ويذكوا عليه العيون ، فلم يظفروا به ، وخلص الى المغرب ، فتم أمره وظهرت دعوته ، وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم

---

(٣٤) ضعف الرأى ٠

(٣٥) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جار أى لم تمل ا هـ ٠

(٣٦) الفضة ٠

(٣٧) ورد في لسان العرب : اطمأنت وتطامنت : انخفضت ٠

(٣٨) ورد في لسان العرب : « وأصفقت يده بكذا أى صادفته ووافقته » وقد استعملها ابن خلدون بمعنى الموافقة وهو ضعيف ٠ والأصح : عن رضا وحفق من حفق : أى ضرب يده على يده ٠

(٣٩) جمع قتل وهو العدو والمقاتل ٠

على الاسكندرية من دسيسة التشيع للعلوية وادهانه (٤٠) فى نجاة ادريس الى المغرب • فقتله ودس الشماخ من موالى المهدى أبيه للتحيل على قتل ادريس ، فأظهر اللحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه • فاشتمل عليه ادريس وخلطه بنفسه وناوله الشماخ فى بعض خلواته سما استهلكه به (٤١) • ووقع خبر مهلكه من بنى العباس أحسن المواقع ، لما رجوه من قطع أسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع جرثومتها • ولما تأدى اليهم خبر الحمل المخلف لادريس فلم يكن لهم الا كلا ولا (٤٢) • واذا بالدعوة قد عادت ، والشيعة بالمغرب قد ظهرت ، ودولتهم بادريس بن ادريس قد تجددت ، فكان ذلك عليهم أنكى من وقع السهام ، وكان الفشل والهرم قد نزلا بدولة العرب عن أن يسموا الى القاصية • فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الأكبر بمكانه من قاصية المغرب • واشمال البربر عليه الا التحيل فى اهلاكه بالسموم • فعند ذلك فزعوا الى أوليائهم من الأغالبة بافريقية فى سد تلك الفرجة من ناحيتهم ، وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم ، واقتلاع تلك العروق قبل أن تشبح (٤٣) منهم ، يخاطبهم بذلك المأمور ، ومن بعده من خلفائهم • فكان الأغالبة عن برابرة المغرب الأقصى أعجز ، ولمثلها من الزبون (٤٤) على ملوكهم أحوج ، لما طرق الخلافة من انتزاء (٤٥) مما لك العجم على سدتها ، وامتطائهم صهوة التغلب عليها ، وتصريفهم أحكامها طوع أغراضهم فى رجالها وجبايتها

---

(٤٠) بمعنى الغش •

(٤١) بمعنى أهلكه •

(٤٢) كذا بالأصل فى جميع النسخ ، ويظن أنها محرفة عن « كلالة » أى الوارث الذى ليس بولد للميت ولا والد له •

(٤٣) بمعنى تمتد وترسخ •

(٤٤) ورد فى لسان العرب : « يقال للناقة اذا كان من عادتها أن تدفع حالبها عن حلبها : « زبون » • وقد استعملت هنا بمعنى الأشخاص الذين يدافعون عن الملوك ، وان كان هذا الاستعمال ضعيفا ، وقد تكررت هذه العبارة بنصها عدة مرات في تاريخ ابن خلدون ، لذلك لا يمكننا أن نقول ان ابن خلدون قصد بها كلمة سواها •

(٤٥) بمعنى الوثوب •

وأهل خططها (٤٦) وسائر نقضها وابرامها كما قال شاعرهم :

خليفـــة في قفــص بين وصـــيف وبغـــا
يقـــول مـــا قـــالا لـــه كمـــا تقـــول الببغـــا

فخشى هؤلاء الأمراء الأغالبة بوادر السعايات وتلوا بالمعاذير فطوزا باحتقار المغرب وأهله ، وطورا بالارهاب بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من أعقابه يخاطبونهم بتجاوزه حدود التخوم من عمله ، وينفذون سكته فى تحفهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم ، تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه ، وتهديدا بقلب الدعوة ان ألجئوا اليه ، وطورا يطعنون فى نسب ادريس بمثل ذلك الطعن الكاذب ، تخفيضا لشأنه لا يبالون بصدقه من كذبه ، لبعد المسافة ، وأفن عقول من خلف من صبية بنى العباس ومماليكهم العجم فى القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق • ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى أمر الأغالبة ، فقرعت هذه الكلمة الشنعاء أسماع الغوغاء وصر عليها بعض الطاعنين أذنه ، واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة • وما لهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة ، فلا تعارض فيها بين المقطوع والظنون • وادريس ولد على فراش أبيه ، والولد للفراش • على أن تنزيه أهل البيت عن مثل هذا من عقائد أهل الايمان ، فالله سبحانه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا • ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن • ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء باثمه وولج الكفر من بابه • وانما أطنبت فى هذا الرد سدا لأبواب الريب ودفعا فى صدر الحاسد ، لما سمعته أذناى من قائله المعتدى عليهم ، القادح فى نسبهم بفريته ، وينقله بزعمه عن بعض مؤرخى المغـرب ممن انحرف عن أهـل البيت ، وارتاب فى الايمان بسلفهم • والا فالمحل منزه عن ذلك معصوم منه ، ونفى العيب حيث يستحيل العيب عيب • لكنى جادلت عنهم فى الحياة الدنيا ، وأرجو أن يجادلوا عنى يوم القيـامة • ولتعلم أن أكثر الطاعنين فى نسبهم انما هم الحسدة لأعقاب ادريس هذا من منتم الى أهل البيت أو دخيل فيهم ، فان ادعاء هذا النسب الكريم دعوى شرف عريض على الأمم والأجيال من أهل الآفاق ، فتعرض التهمة فيه • ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وسائر ديار المغرب ، قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا يطمع أحد فى دركه ، اذ هو

---

(٤٦) الخطة : الأرض • والدار يختطها الرجل فى ارض غير مملوكة ليتحجرها ويبنى فيها ، وذلك اذ أذن السلطان • (لسان العرب) • واهل خططها هنـا بمعنى الموظفين المشرفين على اعمال الخطط •

نقل الأمة والجيل من الخلف عن الأمة والجيل من السلف ، وبيت جدهم ادريس مختط فاس ومؤسسها بين بيوتهم ، ومسجده لصق محلتهم ودروبهم ، وسيفه منتضى برأس المئذنة العظمى من قرار بلدهم ،وغير ذلك من آثاره التي جاوزت أخبارها حدود التواتر مرات ، وكادت تلحق بالعيان ، فاذا نظر غيرهم من أهل هذا النسب الى ما أتاهم الله من أمثالها ، وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب ، واستيقن أنه بمعزل عن ذلك ، وأنه لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٤٧) وأن غاية أمر المنتمين الى البيت الكريم ممن لم يحصل له أمثال هذه الشواهد أن يسلم لهم حالهم ، لأن الناس مصدقون فى أنسابهم ، وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم ، فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء (٤٨) حسدا من عند أنفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفائل والقول المكذوب تعللا بالمساواة فى الظنة والمشابهة فى تطرق الاحتمال ، وهيهات لهم ذلك • فليس فى المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب ادريس هذا من آل الحسن • وكبراؤهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى بن محمد يحيى العوام ابن القاسم بن ادريس بن ادريس ، وهم نقباء أهل البيت هناك ، والساكنون ببيت جدهم ادريس ، ولهم السيادة على أهل المغرب كافة ، حسبما نذكرهم عند ذكر الأدارسة ان شاء الله تعالى •

ويلحق بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القائلة ما يتناوله ضعفة الرأى من فقهاء المغرب من القدح فى الامام المهدى صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما أتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعى على أهل البغى قبله ، وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك ، حتى فيما يزعم الموحدون أتباعه من انتسابه فى أهل البيت • وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن فى نفوسهم من حسده على شأنه • فانهم لما رأوا من أنفسهم مناهضته فى العلم والفتيا وفى الدين بزعمهم ، ثم امتاز عنهم بأنه متبوع الرأى مسموع القول موطأ العقب نفسوا ذلك عليه (٤٩) وغضوا منه بالقدح فى مذاهبه والتكذيب لمدعياته • وأيضا فكانوا يؤنسون (٥٠) من

---

(٤٧) قوله : « لا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مثل يكنى به عن ضعة مكانة شخص بالنسبة لشخص آخر •

(٤٨) وضعاء بضم الواو : جميع وضيع ، وهو الخسيس الدنىء ، ضد الشريف. (قاموس) •

(٤٩) أى حسدوه •

(٥٠) بمعنى : يعلمون •

ملوك لمتونة أعدائه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم ، لما كانوا عليه من السذاجة وانتحال الديانة • فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى ، كل فى بلده وعلى قدره فى قومه • فأصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدى ما جاء به من خلافهم والتثريب (٥١) عليهم والمناصبة (٥٢) لهم ، تشيعا للمتونة وتعصبا لدولتهم • ومكان الرجل غير مكانهم وحاله على غير معتقداتهم • وما ظنك برجل نقم على أهل الدولة ما نقم من أحوالهم وخالف اجتهاده فقهاؤهم ، فنادى فى قومه ودعا الى جهادهم بنفسه ، فاقتلع الدولة من أصولها وجعل عاليها سافلها ، أعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا وحامية ، وتساقطت فى ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الموت ، ووقوه بأنفسهم من الهلكة ، وتقربوا الى الله تعالى باتلاف مهجهم فى اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ، ودالت بالعدوتين من الدول ، وهو بحالة من التقشف والحصر (٥٣) والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا ، حتى قبضه الله وليس على شىء من الحظ والمتاع فى دنياه حتى الولد الذى ربما تجنح اليه النفوس ، وتخادع عن تمنيه • فليت شعرى ما الذى قصد بذلك ان لم يكن وجه الله ، وهو لم يحصل له حظ من الدنيا فى عاجله • ومع ذلك فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانفسحت دعوته • سنة الله التى قد خلت فى عباده •

وأما انكارهم نسبه فى أهل البيت فلا تعضده (٥٤) حجة لهم ، مع أنه ان ثبت أنه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه ، لأن الناس مصدقون فى أنسابهم • وان قالوا ان الرئاسة لا تكون على قوم فى غير أهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبما يأتى فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، والرجل قد رأس سائر المصامدة ودانوا باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم أمر الله فى دعوته ، فاعلم أن هذا النسب الفاطمى لم يكن أمر المهدى يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه ، وانما كان اتباعهم له بعصبية الهرغية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها • وكان ذلك النسب الفاطمى خفيا قد درس عند الناس وبقى

---

(٥١) التثريب كالتاديب والتعبير والاستقصاء فى اللوم (قاموس) •

(٥٢) ناصبه مناصبة : عاداه وقاومه •

(٥٣) بمعنى الامتناع عن اتيان النساء •

(٥٤) عضده بهذه ، بكسر الضاد : بمعنى أعانه وكان له عضدا (عن لسان العرب) •

عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم · فيكون النسب الأول كأنه انسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء ، وظهر فيها فلا يضره الانتساب الأول فى عصبيته ، اذ هو مجهول عند أهل العصابة · ومثل هذا واقع كثيرا اذ كان النسب الأول خفيا ·

وانظر قصة عرفجة وجرير فى رئاسة بجيلة وكيف كان عرفجة من الأزد ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رئاستهم عند عمر رضى الله عنه ، كما هو مذكور ، تتفهم منه وجه الحق · والله الهادى للصواب·

وقد كدنا أن نخرج من غرض الكتاب بالاطناب فى هذه المغالط ، فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ فى مثل هذه الأحاديث والآراء ، وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت فى محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا وناظره مرتبكا ، وعد من مناحى العامة ·

فاذن يحتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار فى السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال ، والاحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ومبادىء ظهورها ، وأسباب حدوثها ودواعى كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث ، واقفا على أصول كل خبر · وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول ، فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا ، والا زيفه واستغنى عنه ·

وما استكبر القدماء علم التاريخ الا لذلك ، حتى انتحله الطبرى والبخارى وابن اسحق من قبلهما ، وأمثالهم من علماء الأمة وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة (٥٥)،واستخف العوام، ومن لا رسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه ، فاختلط المرعى بالهمل (٥٦) واللباب بالقشر ، والصادق بالكاذب · والى الله عاقبة الأمور ·

ومن الغلط الخفى فى التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال فى الأمم

---

(٥٥) المهجلة : ما يحملك على الجهل (قاموس) ·

(٥٦) مثل لاختلاط الجيد بالقبيح ·

والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ، وهو داء دوى شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يتفطن له الا الآحاد من أهل الخليقة · وذلك ان أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات والأمصار ، فكذلك يقع فى الآفاق والأقطار والأزمنة والدول « سنة الله التى قد خلت فى عباده » · وقد كانت فى العالم أمم الفرس الأولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط ، وكانوا على أحوال خاصة بهم فى دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم (٥٧) ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم ، وأحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها آثارهم · ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب ، فتبدلت تلك الأحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها أو يشابهها ، والى ما يباينها أو يباعدها · ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلابة أخرى ، وصارت الى ما أكثره متعارف لهذا العهد ، يأخذه الخلف عن السلف · ثم درست دولة العرب وأيامهم وذهبت الأسلاف الذين شيدوا عزهم ، ومهدوا ملكهم. وصار الأمر فى أيدى سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال ، فذهبت بذهابهم أمم وانقلبت أحوال وعوائد نسى شأنها وأغفل أمرها ·

والسبب الشائع فى تبدل الأحوال والعوائد ، أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه ، كما يقال فى الأمثال الحكمية : الناس على دين الملك · وأهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والأمر فلا بد وأن يفزعوا الى (٥٨) عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك · فيقع فى عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول · فاذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضا بعض الشىء ، وكانت للأولى أشد مخالفة · ثم لا يزال التدريج فى المخالفة حتى ينتهى الى المباينة بالجملة · فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب فى الملك والسلطان ، لا تزال المخالفة فى العوائد والأحوال واقعة ·

والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ، ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده ، وتعوج به (٥٩) عن مرامه ، فربما

---

(٥٧) صنائع : جمع صناعة ، وجمع صنيعة بمعنى الاحسان (قاموس) ·

(٥٨) تركيب « لابد وأن » هو تركيب غير فصيح ، وقد استعمله ابن خلدون كثيرا فى كتابه · والأصح استعمال : « لابد أن ·· » · وفزع الى بمعنى : لجأ الى ·

(٥٩) بمعنى ترجع به ·

يسمع السامع كثيرا من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها ، فيجريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد ، وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط ٠

فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من أحوال الحجاج وأن أباه كان من المعلمين ، مع أن التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز أهل العصبية ، والمعلم مستضعف مسكين ، منقع الجذم (٦٠)٠ فيتشوف من المستضعفين أهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التى ليسوا لها بأهل ويعدونها من الممكنات لهم ٠ فتذهب بها وساوس المطامع ، وربما انقطع حبلها من أيديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ، ولا يعلمون استحالتها في حقهم ، وأنهم أهل حرف وصنائع للمعاش ، وأن التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ، ولم يكن العلم بالجملة صناعة ، انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ ، فكان أهل الأنساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم ، قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الأمم وشرفوا ، فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه للأمة ، لا تصدهم عنه لائمة الكبر ولا يزعهم عادل الأنفة ٠ ويشهد لذلك بعث النبى صلى الله عليه وسلم كبار أصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين ٠ بعث في ذلك من أصحابه العشرة فمن بعدهم٠ فلما استقر الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الأمم البعيدة من أيدى أهلها واستحالت بمرور الأيام أحوالها ، وكثر استنباط الأحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها ، فاحتاج ذلك القانون لمن يحفظه من الخطأ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فأصبح من جملة الصنائع والحرف كما يأتى ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل أهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان ، فدفع للعلم من قام به من سواهم ، وأصبح حرفة للمعاش ، وشمخت أنوف المترفين وأهل السلطان عن التصدى للتعليم ، واختص انتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند أهل العصبية والملك ٠ والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم ، ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما علمت ٠ ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الأمر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للمعاش ، وانما كان على ما وصفناه من الأمر الأول في الاسلام ٠

---

(٦٠) الجذم : الأصل ا هـ (قاموس) ٠

ومن هذا الباب أيضا ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ اذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة فى الحروب وقود العساكر ، فتترامى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرتب ، يحسبون أن الشأن فى خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل يظنون بابن أبى عامر صاحب (٦١) هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشبيلية اذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة أنهم مثل القضاة لهذا العهد ، ولا يتفطنون لما وقع فى رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نبينه فى فصل من الكتاب الأول . وابن أبى عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالأندلس وأهل عصبيتها ، وكان مكانهم فيها معلوما ، ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة القضاء كما هى لهذا العهد ، بل انما كان القضاء فى الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل (٦٢) . الدولة ومواليها ، كما هى الوزارة لعهدنا بالمغرب . وانظر خروجهم بالعساكر فى الطوائف (٦٣) وتقليدهم عظائم الأمور التى لا تقلد الا لمن له الغنى (٥٩) فيها بالعصبية فيغلط السامع فى ذلك ويحمل الأحوال على غير ما هى . وأكثر ما يقع فى هذا الغلط ضعفاء البصائر من أهل الأندلس لهذا العهد ، لفقدان العصبية فى مواطنهم منذ أعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم بها ، وخروجهم عن ملكة أهل العصبيات (٦٥) من البربر ، فبقيت أنسابهم العربية محفوظة ، والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة ، بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدهم القهر ، ورئموا للمذلة (٦٦) يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هى التى يكون لهم بها الغلب والتحكم ، فتجد أهل الحرف والصنائع منهم متصدين لذلك ساعين فى نيله . فأما من باشر أحوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية ، وكيف يكون التغلب بين الأمم والعشائر ، فقلما يغلطون فى ذلك ويخطئون فى اعتباره .

---

(٦١) كذا بالأصل فى جميع النسخ ، واظنها تحريف من الناسخ ، وصوابها : « حاجب هشام » . وهشام هذا هو أحد ملوك الأندلس ، وكان ابن أبى عامر حاجبا له .

(٦٢) بمعنى جماعة الدولة .

(٦٣) كذا بالأصل فى جميع النسخ والغالب أنه تحريف عن « صوائف » وهى غزوات الصيف .

(٦٤) كذا بالأصل فى جميع النسخ ولا معنى لها هنا والصحيح : الغناء بمعنى الاجزاء والكفاية .

(٦٥) بمعنى العشائر والقبائل .

(٦٦) فى القاموس : يقولون : « هو رؤوم للضيم أى ذليل راض بالخسف » . وهذه العبارة قليلة الاستعمال ، والأصح : رئموا المذلة بمعنى ألفوها .

ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونساءه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره ، كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم . والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة ، وأبناؤها متشوفون الى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم ، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم . والقضاة أيضا كانوا من أهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك ، فيحتاجون الى ذكر ذلك كله . وأما حين تباينت الدول ، وتباعد ما بين العصور ، ووقف الغرض على معرفة الملوك بأنفسهم خاصة ، ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ، ومن كان يناهضها من الأمم أو يقصر عنها ، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم ؟ انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين ، والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ ، اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على (٦٧) الملوك أخبارهم ، كالحجاج وبني المهلب والبرامكة وبني سهل بن نوبخت وكافور الاخشيدي وابن أبي عامر وأمثالهم ، فغير نكير الالماع بآبائهم والاشارة الى أحوالهم لانتظامهم في عداد الملوك .

ولنذكر هنا فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها ، وهي أن التاريخ انما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل . فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين به أخباره . وقد كان الناس يفردونه بالتأليف ، كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب ، شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلثمائة غربا وشرقا ، وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم ، فصار اماما للمؤرخين يرجعون اليه ، وأصلا يعولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه . ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الأحوال ، لأن الأمم والأجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير . وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة ، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من أجيال العرب بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الأوطان وشاركوهم فيما بقي من

---

(٦٧) عفا عليه : زاد (قاموس) .

البلدان لملكهم ، هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف ، الذى تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل ، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ، فقلص من ظلالها وفل من حدها ، وأوهن من سلطانها ، وتداعت الى التلاشى والاضمحلال أحوالها ، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر ، فخرجت الأمصار والمصانع ، ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل ، وضعفت الدول والقبائل ، وتبدل الساكن • وكأنى بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب ، لكن على نسبته ومقدار عمرانه • وكأنما نادى لسان الكون فى العالم بالخمول والانقباض فبادر بالاجابة • والله وارث الأرض ومن عليها • واذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره ، وكأنه خلق جديد ، ونشأة مستأنفة وعالم محدث • فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليقة والآفاق وأجيالها والعوائد والنحل التى تبدلت لأهلها ، ويقفو مسلك المسعودى لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتى من المؤرخين من بعده •

وأنا ذاكر فى كتابى هذا ما أمكننى منه فى هذا القطر المغربى اما صريحا أو مندرجا فى أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب ، وأحوال أجياله وأممه ، وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار ، لعدم اطلاعى على أحوال المشرق وأممه ، وأن الأخبار المتناقلة لا توفى كنه ما أريده منه • والمسعودى انما استوفى ذلك لبعد رحلته وتقلبه فى البلاد ، كما ذكر فى كتابه ، مع أنه لما ذكر المغرب قصر فى استيفاء أحواله ، وفوق كل ذى علم عليم ، ومرد العلم كله الى الله ، والبشر عاجز قاصر ، والاعتراف متعين واجب ، ومن كان الله فى عونه تيسرت عليه المذاهب وأنجحت له المساعى والمطالب • ونحن آخذون بعون الله فيما رمناه من أغراض التأليف ، والله المسدد والمعين وعليه التكلان •

وقد بقى علينا أن نقدم مقدمة فى كيفية وضع الحروف التى ليست من لغات العرب اذا عرضت فى كتابنا هذا • اعلم أن الحروف فى النطق كما يأتى شرحه بعد ، هى كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس ، أو بقرع الشفتين أيضا ، فتتغاير كيفيات الأصوات بتغاير ذلك القرع ، وتجىء الحروف متمايزة فى السمع ، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضمائر • وليست الأمم كلها متساوية فى النطق بتلك الحروف • فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى • والحروف التى نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت • ونجد للعبرانيين

حروفا ليست فى لغتنا ، وفى لغتنا أيضـا حروف ليست فى لغتهم ، وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم • ثم ان أهل الكتاب من العرب اصطلحوا فى الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها ، كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين ، واذا عرض لهم الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهملا عن الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه من لغتنا قبله أو بعده • وليس ذلك بكاف فى الدلالة ، بل هو تغيير للحرف من أصله • ولما كان كتابنا مشتملا على أخبار البربر وبعض العجم ، وكانت تعرض لنا فى أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا ، اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلناه ، لأنه عندنا غير واف بالدلالة عليه . فاصطلحت في كتابى هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمى بما يدل على الحرفين اللذين ، يكتنفانه ، ليتوسط القارىء بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين ، فتحصل تأديته وانما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الاشمام ، كالصراط فى قراءة خلف ، فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاى ، فوضعوا الصاد ورسموا فى داخلها شكل الزاى ، ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين • فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين الحرفين من حروفنا ، كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف ، مثل اسم بلكين فأضعها كافا وأنقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو اثنتين ، فيدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف والجيم أو القاف • وهذا الحرف أكثر ما يجىء فى لغة البربر • وما جاء من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ، ليعلم القارىء أنه متوسط فينطق به كذلك ، فنكون قد دللنا عليه • ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم • فاعلم ذلك ، والله الموفق للصواب بمنه وفضله •

ملحق رقم (٥)

الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة

تاليف

نجم الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغزى العامرى القرشى الدمشقى الشافعى *

الكواكب السائرة فى اعيان المئة العاشرة
حياة المؤلف

ليس بين يدينا سوى مصدر واحد تعرض لترجمة حياة صاحب الكواكب بشىء من التفصيل هو خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر للمولى محمد أمين ابن فضل الله المحبى وقد استقى المحبى هذه الترجمة من مصدرين للمؤلف نفسه ، أولهما كتاب فى ترجمة والده اسمه بلغة الواجد فى ترجمة شيخ الاسلام الوالد (١) ذكر فيه لمعا من تاريخ حياته منذ مولده حتى بلوغه السابعة والعشرين ، وثانيهما كتابه الذى ننشره ــ الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة (٢) ــ وأضاف المحبى الى ما نقله عن المصدرين المذكورين شيئا مما سمعه هو نفسه أو عرفه عن المؤلف لقرب عهده به . وحيث اننا لم نعثر على نسخة من كتاب بلغة الواجد فاننا سنقتصر فى درسنا لحياة النجم الغزى على خلاصة الأثر والكواكب السائرة.

اسمه ولقبه وكنيته ونسبه

اسمه محمد ولقبه نجم الدين وكنيته أبو المكارم وأبو السعود (٣) وهو ، حين ينتسب ، ابن محمد بدر الدين بن محمد رضى الدين بن محمد رضى الدين أيضا بن أحمد بن عبد الله بن بدر مفرج بن بدرى بن عثمان ابن جابر بن ثعلب بن ضوى بن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر ابن وهب بن ضباب بن على بن معيص بن عامر بن لؤى(٤) بن غالب(٥) فهو قرشى عامرى يتصل بنسبه كما نرى بعامر بن لؤى والى هذا أشار جده رضى الدين حين قال :

---

(١) جاء ذكر هذا الكتاب فى ثنايا كتاب الكواكب السائرة .

(٢) هكذا ورد اسم الكتاب فى العنوان ولكن المؤلف أسماه بالمقدمة « الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة » وفى ختام الجزء الأول والثانى والثالث ومطلع الجزء الثانى والثالث « كتاب الكواكب السائرة فى أعيان المئة العاشرة » .

(٣) ذكر له المحبى هاتين الكنيتين ج ١ : ١٣٥ المطبعة الوهبية مصر سنه ١٣٨٤هـ .

(٤) هناك اختلاف فى رواية سلسلة هذا النسب فالغزى يذكرها فى ترجمة جده كما أوردناها اذا استثنينا اسمه واسم والده والألقاب التى أضفناها الى الأسماء الأربعة أى المحمدين بينما يضع المحبى (ابن مفرج) الأول قبل « ابن بدر » و « جحيش بن مفيقر » بدل (على بن معيص) المحبى ج ١ : ١٣٥ و ج ٤ : ١٨٩ وتختلف نسخة جامعتنا (ج) عن نسخة المكتبة الظاهرية التى اعتمدناها فى أنها تعمل ذكر (ابن) قبل (شداد) .

(٥) وغالب هو ابن فهر وفهر فى النسب عند العرب هو جذم قريش كلها فما دونه قريش وما فوقه عرب مثل كنانة وأسد وغيرها راجع العقد طبع المطبعة العامرية سنة ١٢٩٣ ج ٢ : ٤٥ .

«وأبو الفضل كنيتي وانتسابي من قريش لعـــامر ابن لؤي (٦)

وكان أبوه شافعيا وكذلك جده من قبله ووالد جده ويظهر آن جدهما الأكبر ضوى هو أول من نزح من غزة الى دمشق فعرف بالغزى(٧) ومهما يكن من أمر فالواضح أنه من بيت علم ووجاهه وأدب فقد ألف والد جده (رضى الدين الغزى) كتابا فى تراجم أهل القرن التاسع رتبه على حروف المعجم وبدأ بالشيخ سراج الدين البلقينى ثم ذكر المحمدين ثم الأحمدين ومن بعد ذلك على حروف الهجاء من الألف الى الياء (٨) .

وكان جده من علماء الشافعية بدمشق فى زمنه وكذلك كان والده فى عصره ، وقد ترجم النجم حياتيهما فى كواكبـه وأثنى عليهما ثنـاء عظيما (٩) وكان للنجم أخ شاعر اسمه أحمد مات والنجم فى السابعة من عمره وقد ترجمه فى الجزء الثالث من كواكبه وذكر شيئا من شعره وزعم أنه لم تحفل جنازة فيما عهد أهل عصره أعظم مما حفلت جنازته الا جنازة أبيه من بعده ، وأخ آخر شاعر أيضا يكنى بأبى الطيب مات قبل النجم بنحو عشرين سنة وقـد ترجمه المحبى فى الثناء عليه بحيث ذكر أنه كان من أذكياء العالم وأنه كان أبلغ الشعراء فى زمانه وأدقهم نظرا فى الشـعراء وان شعره من أجود الشعر رونقا وديباجة وأورد له مقطعات منه تدل على براعة فائقة (١٠)

مولده ونشأته

ما أقل ما يكتبه المؤرخون فى كتب التراجم عن نشأة الرجال حين يعرضون لترجمة حياة كل منهم ، ولعله من حسن حظنا الآن ان يكون النجم نفسه قد كتب ترجمة حياته فى شبابه فانه ذكر أمورا عن نفسه فى صغره ما كنا لنعرفها لو كتب ترجمته غيره ومن الخير أن ننقل سيرته هذه كما قصها هو نفسه ، قال :

« مولدى كما رأيته بخط شيخ الاسلام يوم الاربعاء حـادى عشر شعبان المكرم سنة سبع وسبعين وتسعمئة وسط النهـار وقت الظهيرة

---

(٦) المحبى ج ١ : ١٣٥ .

(٧) المحبى ١ : ١٣٥ .

(٨) انظر خزائن الكتب فى دمشق وضواحيها لحبيب الزيات (مطبعة المعارف — مصر سنة ١٩٠٢) ص ٧٧ .

(٩) اول الجزء الثانى وأول الجزء الثالث .

(١٠) المحبى ١ : ١٣٥ — ١٣٩ .

ودعا لى الوالد بعد ما كتب ميلادى فقال : انشأه الله تعالى وعمره وجعله ولدا صالحا برا تقيا وكفاه وحماه من بلاد الدنيا والآخرة وجعله من عباده الصالحين وحزبه المفلحين وعلمائه العاملين ببركة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل (١١) .

انتهى ما وجدته بخط الشيخ الوالد ولا بأس بذكر شيء مما من الله تعالى على به على عادة علماء الحديث وان كنت فى نفسى مقصرا وعن حلية العلماء مقهقرا فأقول ربيت فى حجر والدى وتحت كنفه حتى بلغت سبع سنوات وقرأت عليه من كتاب الله تعالى قصار المفصل وحضر بين يديه عيد الفطر عام وفاته وقلت يا سيدى أريد أن أقرأ عليك من أول البقرة قال وتعرف تقرؤها قلت نعم قال هات المصحف فجئته به فقرأت عليه الفاتحة ثم من أول البقرة الى « المفلحون » فقال لى يكفيك الى هنا فاطبقت المصحف بعد ان لقننى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وأنعم على حينئذ بأربع قطع فضة ترغيبا لى وأمرنى وأنا ابن ست سنوات أن أصوم رمضان ويعطينى فى كل يوم قطعة فضة فصمت معظم الشهر وكان ذلك ترغيبا منه وحسن تربية وصمت رمضان السنة التى مات فيها الا يوما أو يومين وانا ابن سبع وبقيت اجلس معه للسحور وكان يدعو لى كثيرا واحضرنى دروسه انا واخى الشيخ كمال الدين فى سنة اثنتين وثمانين وثلاث وثمانين واربع وثمانين وحدثتنى والدتى عنه انه كان يقول ان أحيانى الله تعالى حتى يكبر نجم الدين أقرأته فى كتاب التنبيه واجازنى فيمن حضر دروسه اجازة خاصة واجازنى فى حزبه الذى كتبه مفتى مكة الشيخ قطب الدين اجازة عامة فى عموم أهل عصره من المسلمين ثم ربيت بعد وفاته فى حجر والدتى انا واخوتى فاحسنت تربيتنا ووفرت حرمتنا وعلمتنا الصلوات والآداب وحرصت على تعليمنا القرآن وجازت شيوخنا على ذلك وكافأتهم وقامت فى كفالتنا بما هو فوق ما تقوم به الرجال مترملة علينا راغبة من الله سبحانه فى حسن الثواب والنوال وجزيل الحظ من قوله صلى الله عليه وسلم انا أول من يفتح باب الجنة الا انى ارى امرأة تبادرنى فاقول لها مالك من انت فتقول انا امرأة قعدت على ايتام لى رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال الحافظ المنذرى واسناده حسن ان شاء الله تعالى وقال صلى الله

---

(١١) ومن الخير ان نشير هنا الى أن فى الصفحة الأخيرة من نسخة الكواكب السائرة التى تملكها الجامعة الأميركية سجلا كتبه المرحوم اسماعيل الغزى لتاريخ المواليد لتسعة من أولاده ومن بينهم المرحوم فوزى الغزى وعلق على كل تاريخ دعاء كالذى أشار اليه هنا النجم .

عليه وسلم انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة واومأ بيده يريد ابن زريع السبابة والوسطى وامراة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى باتوا او ماتوا رواه ابو داود عن عوف ابن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال الخطابى السعفاء التى تغير لونها الى الكمودة والسواد من طول الايمة يريد بذلك انها حبست نفسها على اولادها ولم تتزوج فتحتاج الى الزينة والتصنع للزوج فجزاها الله عنا احسن الجزاء وعوضها عما تركت من أجله لوجهه فى دار البقاء وساعدها على ذلك كله شقيقها الخواجة زين الدين عمر ابن الخواجا بدر الدين حسن ابن سبت واجزل الينا خيرا وكان معيشتنا من ريع وقف جدنا وملك ابينا وميراثه الذى تلقيناه عنه احسنت والدتنا التصرف فى امو لنا وفى مؤنتنا وكسوتنا ولم تملنا منه أحد قط ونقول هو ببركة والدهم ثم انها أعزها الله ومد فى اجلها اشغلتنا بقراءة القرآن وطلب العلم فقرأت القرآن على الشيخ عثمان اليمانى ثم نقلنى الوالد قبل وفاته الى الشيخ يحيى العمادى، فختمت عليه القرآن مرات واقرأنى فى الأجرومية والجزرية والشاطبية والالفية تصحيحا وحفظا لبعضهن وحفظت عليه معظم القرآن ..

ثم اخذت فى طلب العلم فترددت الى مجلس الشيخ العلامة زين الدين عمر بن سلطان مفتى الحنفية فقرات عليه الاجرومية حفظا وحلا وشرحها للشيخ خالد ثم لزمت درس شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين العيثاوى فقرأت عليه شرح الجزرية للمكودى وقرأت عليه شرح المنهاج بتمامه الا فرقا يسيرا من اواسطه واواخره ولكن سمعت عليه ما فاتنى وقرأت عليه نصف شرح المنهاج الصغير الاول لشيخ الاسلام والدى وسمعت عليه مواضع صالحة من شرح المحلى وقرأت من أوائل شرح البهجة للقاضى زكريا وسمعت عليه من أول الارشاد واوسطه بقراءة الشيخ محمد ابن داود وصاحبه الشيخ محمد الزوكارى الصالحيين وسمعت عليه عقيدة الشيبانى بقراءة أبى الصفاء بن الحمصى وله على تربية وحنو وعطف وهو أعز شيوخى عندى وأحبهم الى جزاهم الله عنى خيرا وقرأت عليه فى الحديث من أول البخارى وغيره والى الآن فى صحبته من سنة احدى وتسعين وتسعمئة ، ثلاث عشرة سنة أطال الله صحبتنا ومتعنى بحياته ونفعنى ببركته ولزمت شيخنا مفتى الفرق شيخ الاسلام ابا الفضل محمد محب الدين القاضى الحنفى اعز الله جانبه فقرأت شرحه على منظومة الشيخ العلامة محب الدين بن الشحنة كما تقدم فى ترجمته ومن أوائل المطول وقرأت عليه نحو ربع صحيح البخارى وكتب لى به وبغيره اجازة بخطه وهو متعه الله بحياته الى الآن يواصل الينا احسانه وانعامه علما وثناء ومالا وغير ذلك مما لا نستطيع مكافأته الا ان يجازيه الله عنا احسن الجزاء ويمتعنا

بحياته وعلومه ما تعاقب الصباح والمساء وقرأت على السـيد الشريف الحسيب النسيب الامام العلامة اللوذعى المحقق الفهامة قاضى القضاة فى حلب ثم المدينة ثم آمد بضميمة الافتاء بها وقضاء البيرة السـيد محمد ابن السيد حسن السعودى تغمده الله تعالى برحمته حين قدم علينا دمشق الشام فى سنة ثمان وتسعين وتسعمئة مواضع من تفسير القاضى العلامة ناصر الدين البيضاوى منها تفسير قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو الآيتين باشارته واجازنى بمروياته منها تفسير المفتى الاعظم والامام الاقدم ابى السعود محمد بن العمادى رحمه الله تعالى ولم آر فى موالى الروم اذكى منه ولا ارغب فى العلم منه رحمه الله تعالى واجازنى من المصريين شيخنا شيخ الاسلام شمس الدين الرملى المصرى وشيخنا العارف بالله تعـالى الأستاذ الأعظم زين العابدين البكرى متع الله بحياتهما كتابة الى .... وفتح الله تعالى على بالنظم والنثر والتأليف من سنة احـدى وتسـعين وتسعمئة (١٢) .

مؤلفاته

اما مؤلفاته فقد ذكر منها تلك التى وضعها منذ بدأ التأليف حتى سنة الف واربع حين كان فى السابعة والعشرين من عمره وها هى اسماؤها :

١ ـ الحلة البهية (نظم الاجرامية ـ وقد اقتدى فى نظمها بوالده لشرح الاجرومية) .

٢ ـ شرح القطر لابن هشام .

٣ ـ شرح القواعد لابن هشام .

٤ ـ المنحة النجمية فى شرح الملحة البدرية (منظومة فى أربعة آلاف بيت شرح فيها منظومة والده فى النحو) .

٥ ـ منظومة فى النحو (مئة بيت) .

٦ ـ منظومة فى التصريف والخط (مئة بيت) .

٧ ـ نظم العقيان فى مورثات الفقر والنسيان للناجى .

٨ ـ البهجة (مختصر فى النحو) .

٩ ـ قطعة على التوضيح لابن هشام .

---

(١٢) المحبى ج ٤ ، ١٨٩ ـ ١٩٢ .

١٠ ـ قطعة على الشافية لابن الحاجب ٠

١١ ـ شرح لامية الافعال لابن مالك فى التصريف ٠

١٢ ـ نظم شرح المحب احلموى على منظومة المحب بن الشحنة فى المعانى والبيان ٠

١٣ ـ نظم فرائض المنهاج فى الفقه ٠

١٤ ـ تحفة الطلاب (شرح منظومة والده فى ضبط شأن القاعدة الفقهية ـ ما كان أكثر عملا أو اشق فهو اكثر فى الثواب) ٠

١٥ ـ الدرة المنيرة فى شروط التكبيرة (شرح منثور لابيات ابى الوفا الحوى فى شروط تكبيرة الاحرام) ٠

١٦ ـ تحفة النظام فى تكبيرة الاحرام (شرح منظوم للابيـات المذكورة سابقا) ٠

١٧ ـ شرح كتاب اللآلىء المبدعة فى الكنايات المخترعة لجده ٠

١٨ ـ اللآلىء المجتمعة (منظومة فى خصائص الجمعة) ٠

١٩ ـ نظم/كتاب ما رواه الاساطين فى عدم الدخول عـلى السـلاطين للسيوطى ٠

٢٠ ـ المختار (اختصار كتاب المنهل الروى فى الطب النبوى للسيوطى).

٢١ ـ الهمع الهتان فى شرح أبيات الجمع للشيخ علوان ٠

٢٢ ـ منبر التوحيد ومظهر التغريد فى شرح جمع الجوهر الفريد فى أدب الصوفى المريد (شرح على الفية التصوف لجده ويراه هو أعظم مؤلفاته التى ذكرها) ٠

٢٣ ـ مجالس فى تفسير سورة الاسراء (املاها فى سنة ٩٩٨) ٠

٢٤ ـ مجالس فى التفسير الى سورة طه (املاها فى سـنتى ٩٩٩ ـ ١٠٠٠) ٠

٢٥ ـ بلغة الواحد فى ترجمة شيخ الاسلام الوالد (وهو الكتـاب الذى كتب فيه أيضـا ترجمة حيـاته حتى سن السابعة والعشرين وقائمة مؤلفاته حتى ذالك العهد) ٠

ويذكر عن نفسه ان كل مؤلفاته هذه كوامل ما عدا شرح التوضيح

وشرح الشافية وشرح اللآلىء المبدعة وأن الأخير مشرف على الكمال ثم ينبىء عن عزمه فى ان يكتب فى الفقه وانه شارع فى مؤلفات اخرى · ويعرض فيما يقول المحبى الى ذكر كثير من التقاريظ التى قرظت بها كتبه · (١٣)

وهنا يعود المحبى فيضيف الى هذه القائمة أسماء الكتب التى ألفها النجم بعد هذا التاريخ وهى :

٢٦ ـ عقد النظام لعقد الكلام (نظم لبعض مقولات السلف الشهيرة) ·

٢٧ ـ تحبير العبارات فى تحرير الامارات ·

٢٨ ـ التنبيه فى التشبيه (فى سبعة مجلدات) (١٤) ·

٢٩ ـ منظومات فى فوائد متفرقة ·

٣٠ ـ العقد المنظوم فى رحلة الروم وقد ذكر المحبى هذا الكتاب فى ترجمة الشمس الميدانى (١٥) ·

٣١ ـ الكواكب السائرة فى اعيان المئة العاشرة ·

٣٢ ـ لطف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الأولى من القرن الحادى عشر ·

ويلوح ان النجم لم ينقطع عن الدروس والاستفادة حتى بعد شروعه بالتأليف فان المحبى يذكر عنه أنه سمع الحديث المسلسل بالأولية من محدث حلب شيخ الاسلام محمود بن محمد البيلونى الشافعى حين قدم دمشق فى سنة ألف وسبع واجازه بمروياته وانه أخذ عن محدث مكة المشرفة شيخ الاسلام الشمس محمد بن عبد العزيز الزمزمى الشافعى فى سنة ألف وسبع أيضا (١٦) ثم تصدر للاقراء والتدريس فدرس بالشامية البرانية وقد تفرغ له عنها الشهاب العيثاوى اختيارا وكذلك فرغ له عن تدريس بالعمرية وعن امامة بالجامع الاموى وعن وعظ·· (١٧) واذن له العيثاوى بالكتابة على الفتوى قبل وفاته بنحو عشرين سنة فكتب

---

(١٣) المحبى ج ٤ : ١٩٤ ·

(١٤) يذكر الاستاذ حبيب الزيات فى كتابه خزائن الكتب فى دمشق وضواحيها (مطبعة المعارف ـ مصر سنة ١٩٠٢ ص ٨٤) كتاب حسن التنبــه لما ورد فى التشبه لنجم الدين الغزى ويشير الى وجود ٤ أجزاء منه (من الثالث الى السابع) فى خزانة المكتبة الظاهرية ولعله الكتاب المشار اليه بهذا الجدل باسم « التنبيه الى التشبيه » ·

(١٥) المحبى ج ٤ : ١٧١ ·

(١٦) المحبى ٤ : ١٩٢ ·

(١٧) المحبى ج : ١٩٧ ـ ١٩٨ ·

في هذه المدة على فتوى واحدة في الفقه وغير واحدة في التفسير تأدبا مع العيثاوى فلما كان قبل وفاته بنحو خمسة أيام دخل النجم عليه فحضرت فتوى ففال له آكتب عليها فكتب وقال اكتب اسمكم قال بل اكتب اسمك فكتبه ثم تتابعت عليه الفتاوى فاستمر يفتى من سنه خمس وعشرين وألف الى سنة احدى وستين وهى سنة وفاته ٠ وكان مغرما بالحج الى بيت الله الحرام واتفق له مرات فأول حجاته كانت فى سنة احدى والف (١٨)٠ وسافر الى حلب مع شيخه العيثاوى فى جماعة من مشايخ دمشق الى الوزير محمد باشا بقصد رفع التكليف عن اهل دمشق فى سـنة الف وخمس وعشرين (١٩) وفى سنة اثنتين وثلاثين نحى عن تدريس الشامية البرانية ذلك ان محمد البحرى سعى للشمس الميدانى فيها بدلالة باكير محضر باشى فوردت البراءة من الروم على الميدانى فى تدريسها وسلمها اليه قاضى القضاة بدمشق فسافر النجم لأجلها الى الروم وقرر بالمدرسـة بقيد الحياة فتسلمها غير ان باكير بعث براءة اخرى بتقرير الشمس فى المدرسة ايضا فترافع النجم والشمس لدى قاضى القضـــاة فأبرز النجم نقـلا عن علماء الحنفية ان السلطان اذا اعطى رجلا وظيفة بقيد الحياة فلما رأى قاضى القضاة المولى عبد الله المعروف ببلبل زاده النقل قال للنجم الحق لك لكن تطيعنا على رعاية سن هذا الرجل ونقسم بينكما التدريس فصارت الوظيفة بينهما شطرين الى أن مات الشمس الميدانى بعد سنة فضم الشطر الثانى الى النجم (٢٠) ٠

وجلس الى التدريس تحت قبة النسر سبعة وعشرين عاما وتهافت عليه الطلاب واخذوا عنه طبقة بعد طبقة بحيث ذكر المحبى انهم فى الكثرة لا يحوم الاحصاء حولهم (٢١) ومن غريب ما روى أنه حصل له فى بعض مجالسه تحت قبة النسر أنه كان بين الوافدين عليه من الطلاب الشـيخ حسين بن فرفرة المجذوب وكان النجم يقرىء صحيح البخارى فأخذ الشيخ حسين يورد كلاما خاليا من الضبط ويسأل سؤالات خارجة عن المقصود فقال له النجم اسكت فقال له بل انت اسكت وقام مغضبا من مجلس الدرس فاتفق ان النجم مرض بعد ايام واعتراه طرف من الفالج فأسكت وحضر الدرس نحو ستة أعوام وهو ساكت ثم تقرب الى خاطر الشيخ

---

(١٨) المحبى ج ٤ : ١٩٨ ٠

(١٩) ج ٤ : ١٩٨ ٠

(٢٠) المحبى ٤ : ١٧١ ــ ١٧٣ و ١٩٨ ٠

(٢٦) المحبى ٤ : ١٩٩ ٠

حسين فانطلق لسانه بعد ذلك وكان يقبل يد الحسين ويعتذر اليه بعدها ويوده ٠ (٢٢)

وكان للنجم في الحجاز صيت ذائع وذكر شائع بحيث رووا عنه أنه لما حج حجته الأخيرة سنة ١٠٥٩ هـ ٠ توافد عليه الناس وازدحموا حوله بحيث كادوا يسدون عليه الطريق قال الشيخ حمزة بن يوسف الدوماني : « انه لما حج في سنة تسع وخمسين والف كان النجم حاجا تلك السنة وهي آخر حجاته وكذلك الشيخ منصور السطوحي المحلي كان حاجا قال وكنت في صحبة الشيخ منصور فبينما انا ذات يوم عند الشيخ منصور بخلوة عند باب الزيادة واذا بحس ضجة عظيمة قال فخرجت فنظرت واذا بالشيخ النجم بينهم وهم يقولون له اجزنا ومنهم من يقول هذا حافظ العصر ومنهم من يقول هذا حافظ الشام ومنهم من يقول هذا محدث الدنيا فوقف عند باب الزيادة وقال لهم أجزتكم بما تجوز لي روايته بشرطه عند أهله بشرط ألا يلحقنا أحد حتى نطوف ثم مشى الى المطاف فما وصل اليه الا وخلفه اناس اكثر من الأول فوقف واجازهم كما تقدم وقال لهم بشرط الا يشغلنا احد عن الطواف قال فوقف الناس وطاف الشيخ قال ولم يكن يطوف مع الشيخ الا اناس قلائل كانما اخلي له المطاف فلما فرغ من الطواف طلبوا منه الاجازة ايضا فاجازهم ثم ارسل الشيخ منصور ودعاه الى الخلوة فذهب ولحقه الناس الى باب الخلوة وطلبوا منه الاجازة فاجازهم ودخل الخلوة ثم جاء الشمس محمد البابلي ثم بعد هنيهة جاء الشريف زيد صاحب مكة فلما استقر بهم المجلس تذاكروا امر الساعة فأخذ الشمس البابلي في الكلام فقال النجم بصوت مزعج وقد جلس على ركبتيه وشرع يورد احاديث الساعة باسانيدها وعزوها لمخرجيها ويتكلم على معانيها حتى بهر العقول وأطال في ذلك ثم لما فرغ قال البابلي تجيزونا يا مولانا بما لكم وكذلك استجاره الشيخ منصور والشريف زيد وأنا ومن حضر فاجاز الجميع ثم قدم لهم الشيخ منصور من عنده سماطا واردفه الشريف زيد باشياء من المآكل فلما فرغوا انصرف الشيخ النجم وبقي البابلي فقال للشيخ سبحان الله ما هذا الا عن نبأ عظيم فقال له الشيخ منصور أنا كنت اذا رأيت كتبه وتصانيفه أعجب منها واذا اجتمعت به لا يتكلم الا قليلا فاعجب من ذلك ولكن الآن تحقق عندي علمه وحفظه » (٢٣) ٠

والظاهر ان فالجه لم يكن قويا بحيث ذكر المحبي ان الذي اعتراه قبل

---

(٢٢) المحبي : ٢ ١١٢ ٠

موته بست أو سبع سنوات كان طرف فالج فكان لا يتكلم الا قليلا (٢٤) وتوجـه النجم قرب موته الى القدس هو والشيخ ابراهيم الصمادى فى جمعية عظيمة ونزلا الى الرملة وزارا تلك المعاهد ورجعا الى دمشق فتخلى النجم للعبادة وترك التأليف وبلغت به السن الى الهرم (٢٥) ووقع له قبل موته بيومين فيما روى المحبى أنه طلع الى بساتينه أوقاف جده واسترأ الذمة من الفلاحين وطلب منهم المسامحة وفي اليوم الثانى دار على اهـــله ابنته وبنتها وغيرهم وزارهم واتى الى منزلة بيت زوجته ام القاضي يحيى ابن حميد وصلى المغرب ثم جلس لقراءة الاوراد واخذ يســـأل عن اذان العشاء واخذ في ذكر لا اله الا الله وهو مستقبل القبلة ثم سمع منه وهو يقول بالذى ارسلك ارفق بى فدخلوا عليه فرأوه قد قضى نحبه ولقى ربه رحمه الله تعالى وكانت وفاته يوم الأربعاء ثانى عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين وألف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام ودفن بمقبرة الشيخ ارسلان ورثاه جماعة من الفضـــلاء منهم الأديب محمـد ابن يوسف الكريمى رثاه بقصيدة طويلة مطلعها :

لمـا لجنـات العلى   شيخ الشيوخ انتقلا

وجعل تاريخ الوفاة فى بيت هو آخر القصيدة وهو هذا :

يا نجـــم دين الله من   افق دمشـــق افلا (٢٦)

---

(٢٣) المحبى : ٤ : ١٩٩ .
(٢٤) المحبى ٤ : ١٩٩ .
(٢٥) المحبى ٤ : ٢٠٠ .
(٢٦) المحبى ٤ : ٢٠٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي جعل العلماء نجوما يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر كما يهتدى بنجوم السماء وكواكبها ، وفضلهم في الرتبة والمقام بوراثة علوم الأنبياء الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، على ملوك الأرض في محافل عساكرها ومواكبها ، ونزههم من رياض العلوم ، وحدائق الحقائق والفهوم، في لطائف غرائبها وظرائف عجائبها ، ورفعهم في مناصب الفضل ومراتب الكرم بما امتطوا من ركائب الهمم ، ونجائبها ، فسبحانه من اله عظيم ، ورب متفضل كريم ، خص هذه الطائفة بمزيد العناية حتى علا بهم الى مراقى الزلف ومراتبها ، وامتن عليهم بما انعم عليهم من التوفيق والهداية ثم اثابهم فضلا منه بما نسب اليهم مما أقدرهم عليهم من احتمال الكلف في أفعال جوارحهم وجوانحهم ومكاسبها ، أحمده وهو أهل للمحامد ، وكل مثن عليه بها وحامد ، فهو قائم ببعض واجبها ، وأشكره على ما انال من النعم وافاده ، ومن طلب منه الزياده ، فليس مثل الشكر لطالبها ، واتوب اليه توبة تأخذ يوم القيامة مع الاعتماد عليه بيد تائبها ، وأشهد ان لا الله الا الله وحده لا شريك له شهادة توصل النفوس المطمئنة الى مطالبها ومآربها، وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله خير نبى نباه وارسله الى خير أمة أخرجت للناس في شمائلها ومناقبها ،صلى الله عليه وعلى آله وأهليهم، وأصحابه وأحزابه ومحبيه ، صلاة تتضاعف أجورها · ويتزايد وفورها ، عن حصر عادها وحاسبها ، ما زهت البلاد في الآماد باوتادها وامجادهـا وابدالها وابطالها وعصائبها وسلم تسليما كثيرا ·

أما بعد فيقول المفتقر ، الى رحمة المقتدر ، نجم الدين محمد بن محمد ابن محمد بن محمد بن أحمدى الغزى العامرى القرشي الشافعي أدخله الله تعـالى في زمرة أهل العلم ، وجعله من أهـل التقى والفهم ، وأنجح الله قصوده ، وأسعد جدوده ، ورحم آباءه وجدوده ، ان الله تعالى جعل في كل قرن سابقين من هذه الأمة ، الى ورود مناهل بره ، واختص من كل عصر مقربين من الأعيان والأئمة ، اطلعهم على لطائف سره ، فهم نتائج الدهر التي طلعت بطوالعها السعود في كل زمان ، ووسائط العقود التي نظمتها يد القدرة في كل حين من الأحيان ، بحيث ان الازمنـــة تنقضى فلا يبقى من آثارها ، سوى أخبار هذه الطائفة وآثارها ، وقد أخبر عن هؤلاء ونوه بمقامهم الفائق ، خير الخـلائق الصـادق ، المبعوث بتقرير الشرائع والحقائق فقال فيما أخرجه الحافظ أبو نعيم في الحلية عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل قرن

سابق واخرج الحكيم الترمذى من حديثه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل قرن من أمتى سابقون وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما بلفظ الا لكل قرن من أمتى سابقون فهذه الأحاديث مصرحة وناصة ان السبق لا يختص بالقرون الأولى خاصة وان كان سبق سابقى كل زمان باعتبار ذلك الزمان ، فان الخبر لا ينزع من هذه الأمة فى حين من الأحيان ، وقد أخرج الامام أبو عبد الله أحمد بن حنبل والحافظ أبو عيسى الترمذى والامام أحمد عن عمار بن ياسر والحافظ أبو يعلى عن على والحافظ أبو القاسم الطبرانى فى أكبر معاجمه عن عبد الله ابن عمر وعن عبد الله بن عمرو قالوا رضى الله تعالى عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ولا شك ان العلماء هم مظنة هذه الخيرية وهم أحق الناس بالتفضيل لوجود الأهلية وقد قال الله تعالى فى كتابه المكنون ، هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وقد أخرج الامام أبو نعيم فى الحلية والخطيب البغدادى فى تاريخه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار أمتى علماؤها وخيار علمائها رحماؤها الا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا الا وان العالم الرحيم يجىء يوم القيامة وان نوره قد أضاء [٢] (٢٧) يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرى وقد قلت :

خير الورى العلماء	وخيرها الرحماء
بالعلم يغفر منهم	ذنبهم والخطاء
والعالمون لهم فى	يوم المآب السناء
لا تحقرن عليما (٢٨)	فانهم عظماء

وقلت :

انما سادة الورى النجباء	ونجوم الهدى هم العلماء
ينقضى الدهر والمكارم منهم	أبد الدهر ما لهن انقضاء
كيف تعفو آثارهم وهى تبدى	للأناسى فضلها الأنبياء .
فهم الدائمون معنى وإن ما	توا فوالله انهم احياء
كن عليما ان شئت أو كن محبا	انما الحب لو فهمت ولاء

(٢٧) النسخة الخطية التى اعتمدنا غير مرقمة وهنا تنتهى الصفحة الاولى منها وتبدأ الصفحة الثانية بالكلمة التى تلى الرقم وساتابع الاشارة الى الصفحات برقم بين هلالين معكوفين كاللذين فى أعلاه .

(٢٨) بالأصل عليهما .

واني طالما كنت أتشوق إلى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين من أهل المئة العاشرة من العلماء الانجاب ، فلم أجد من تعرض لهذا المعنى أو دخل في هذا الباب ، غير أن الشيخ المحدث النحوي شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الف كتابا جمع فيه تراجم طوائف من اواخر المئة التاسعة واوائل المئة العاشرة سماه بالتمتع بالاقران ، ولم اقف على مجموع هذا الكتاب وانما وقفت على نحو كراسة منه فاستدللت بالصبابة على العباب ووقفت له أيضا على الجزء الثاني من تاريخه الذي جعله لحوادث الزمان ، وسماه بمفاكهة الاخوان ، وأوله من مستهل سنة سبع وعشرين وتسعمئة الى ختام سنة احدى وخمسين فرأيته ذكر فيه وفيات من بلغه وفياتهم في تلك المدة لكنه لم يخرج فيه لتراجمهم من عهده ثم وقفت بعد على الجزء الأول منه فرايته ابتدأ فيه من أول سنة ثمانين وثمانمئة وهي سنة ميلاده انتهى فيه الى سنة ست وعشرين وتسعمئة وكنت قد وقفت قبل ذلك على قطعة من تاريخ كتبه الحافظ العلامة بدر الدين العلائي الحنفي في حوادث القاهرة من سنة سبع عشرة وتسعمئة الى أواخر سنة أربع وثلاثين ثم وقفت على تعليقة بخط والد شيخنا الشيخ الامام الفقيه أبو الندا شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي رحمه الله تعالى علق فيها وفيات شيوخه وبعض أقرانه وترجم أكثرهم فذكر من مآثر كل مترجم ما يليق بمقامه ومكانه ثم وقفت على قطعة صالحة من تاريخ العلامة شهاب الدين أحمد الحمصي الخطيب الشافعي الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات فاذا هو تاريخ عجيب ، غير انه سلك فيه مسلك الايجاز والتقريب ، فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب فجمعت فيه من تراجم القوم ، ما يغلو في السوم ، ويحسن له الانتخاب ، وتحريت فيه بقدر الطاقة والامكان ، وجه الحق والصواب ، وسلكت فيه بين طريقتي الايجاز والاطناب ، لانه أقرب لتناول المقتصدين ، وانفع لمن يريد الكشف عن أحوال المترجمين ، (معتمدا) فيما أنقله على خطوط هؤلاء المشايخ أو على خط من يوثق به من كل ذي قدر في العلم شامخ ، وقدم في الفضل راسخ ، أو على ما تلقيته من المعتبرين ، أو أخذته على الفضلاء البارعين ، مما يدخل في تراجم الاعيان ، أو تاريخ مواليدهم أو وفياتهم بحسب الامكان ، من أهل القرن المذكور من العلماء الاعلام ، بدمشق المحروسة وحلب وغيرها من بلاد الشام ، ومن علماء القاهرة والحرمين الشريفين حسبما تيسر لنا مع التحري والاجتهاد في كل مقام ، وضممت الى ذلك نبذة من تراجم اعيان التخت العثماني ، ووفيات أعيان الملك السلطاني ، ممن اتفقت وفياتهم فيما حدد من الزمان منتخبا لذلك من الشقائق النعمانية ، ومن رحلة والدي المسماة بالمطالع البدرية ، ومن غيرها

مما بلغني وتحققه ، وتلقيته عن الثقاة وتلقنته ، وأضفت الى ذلك أيضا ما تيسر من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ، ليتم نظم الكتاب في قلائد عقيانه وسلوكه ، معتمدا في هذا النوع على كتاب الاعلام ، بما في مكة من الأعلام ، للشيخ العلامة المبرز عن الأقران ، القطب الحنفي المكي عرف بابن قاضي خان ، وعلى غيره أيضا مما تيسر لنا الاطلاع عليه في هذا الشأن .

ثم اني وقفت بعد ذلك على تاريخ العلامة رضى الدين بن الحنبلي الحلبي الحنفي المسمى بدر الحبب ، في تاريخ أعيان حلب ، وهو كتاب في مجلد ضخم تخين ، يشتمل على الغث والسمين ، والتافه والثمين ، وربما طول فيه بعض التراجم بمالا تعلق له بالمرام ، وليس له بفن التاريخ التئام ، وربما أكمل الأسماء لئلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش أو تاجر أو مغن (٢٩) أو مطنبر أو عاشق أو معمار أو غيرهم من العوام ، فانتخبت منه تراجم بعض أعيان كتابه وضممتها الى كتابي ، واعرضت عما لم يقع اختياري عليه مما اتى به وليس في بابه حسبما قضى به تمييزى وانتخابي، لأني وضعت هذا الكتاب على أسلوب أهل الحديث والاتقان ، ولم ارسمه كيف اتفق ولا على أى وضع كان ، ثم وقفت على تاريخ مختصر للامام المحدث المسند المعتبر ابي المفاخر عبد القادر المحيوى ابن النعيمي الشافعي سماه بالعنوان ، في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان ، وقد ذيل عليه ولده العلامة المحيوى محيي الدين فانتقيت منه ما لا غنى لكتابنا عنه ثم وقفت على طبقات الأولياء الكبرى والوسطى كلاهما للشيخ القدوة الشعراوى عبد الوهاب فانتقيت منه ما دخل في شرط كتابي من تراجم الصالحين الانجاب مع ذكرهم الشيخ العلامة الولى المحدث شرف الدين الكناوى من الصالحين ، ممن يدخل في شرط كتابنا من تراجم المتعينين ، في شرح منظومته التي جعلها في تقييد اسماء مشاهير الأولياء والعارفين ، لم ذكر تراجم أعيان من أخذ عن شيخ الاسلام الوالد من العلماء والصالحين والبارعين ممن يدخل في شرط الكتاب [٣] أيضا ملخصا لذلك من جزء له كتب فيه تراجم جماعة من طلبته والملازمين فكان كتابا جامعا ازبد هذه الامهات ، ملخصا لمقاصد جامعيها من العلماء الاثبات ، وكل ذلك مع توفير القرائن وتهيئة الأسباب ، وتيسير الجمع والتأليف من قبل الكريم الوهاب ، وسميته بالكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم اسماء المحمدين ، على ترتيب حروف المعجم الواقعة في أوائل أسماء المترجمين وعلى تقسيمه الى ثلاث طبقات :

---

(٢٩) بالأصل منحى .

(الطبقة الأولى) فيمن وقعت وفاته من أول القرن الى ختام سنة ثلاث وثلاثين .

(الطبقة الثانية) فيمن وقعت وفاته من أول سنة أربع وثلاثين الى ختام سنة ست وستين .

(الطبقة الثالثة) فيمن وقعت وفاته من أول سنة سبع وستين الى نهاية سنة ألف .

وأعلم أنى لا ألتزم استقراء جميع الأعيان ، ولا الاستقصاء فى استيفاء أماثل تلك البلدان ، لكنى لا أترك ذكر احد بلغنى وجوده فى هذه الازمان ، وكذلك لا أدعى العصمة فى كل خطاب ، ولكنى اتحرى وارجو أن أكون ممن اجتهد وأصاب .

ومما اصطلحت عليه فى هذا الكتاب ، أنى مهما وجدته من المكارم لبعض أهل التراجم اثبته فى ترجمته بالايراد الجازم ، ومن اشتهرت عنه الديانة ، وذكر عنه شىء مما يخالف الصيانة ، تركت نقله بالكلية ، أو ذكرته بالصيغة التمريضية ، أو نسبته الى قائله وتبرأت من حقه وباطله ، ومن ثبت عنه شىء يخل بقبول روايته ، أو اشتهر عنه ما يدعو الى نفى عدالته ، اشرت الى حاله ولم استقص (٣٠) فى التعيين ، أو بينت بعض حاله منسوبا الى بعض الناقلين ، وانى أعين اسم المترجم واسم أبيه وبعض أجداده على ترتيب الحروف على حسب التيسير ، ومن لم أظفر باسم أبيه جعلت ترجمته باعتبار الوضع الأخير ، وأذكر اسم المترجم ولقبه وكنيته فى الأكثر ، وقد اقتصر على واحد منها حيث لم اطلع على غيره ولم أعثر ، (٣١) واحدد وقت الميلاد والوفاة فى الغالب ، وقد لا أظفر بتحديد ذلك فأقربه بعبارات تناسب ، وما وجدته فى هذا الكتاب من تحديد المواليد والوفيات ، مما يخالف كلام الغير فاعتمده فانى حققته عن الثقات .

وأعلم أيضا انه لم يبعثنى على تأليف هذا الكتاب وغيره ، مما (عنيت) بترصيفه وجمعه ، أولويتى بهذا الشأن وتقدمى على أئمة العصر الحافظين لأصل (٣٢) العلم وفرعه ، ولكنى لما رأيت ايثار الراحة والدعة على الجد والدأب ، قد غلب فى هذا العصر وصار دأبا لأكثر أهل الفضل والأدب ، بادرت الى انهاز هذه الفرصة وصرفت من شباب ، العمر

---

(٣٠) بالأصل استقصى .

(٣١) بالأصل أظهر ولكنها اصلحت فى الهامش بـ « أعثر » .

(٣٢) بالأصل لأهل .

اوفر حصة ، فألفت فى كثير من الفنون فى كل مهذب محرر وجئت من سبأ التحقيق بنبأ ابناء هذا الزمان بامكان ما ظنه المتوانى عن الترقى فى معالى الفهم للطايف المعانى أنه قد تعذر أو تعسر ، ولم أبال بتغيير الحسدة فى وجوه الحسان ، من ابكار الافكار ، ولم أتاخر علما منى بان الحسد ينقطع بعد نزول الحمام ، كما قال شيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد فى خطبة شرح الالمام :

اداب على جمع الفضائل جاهدا	وادم لها تعب القريحة والجسد
وأقصد بها وجه الاله ونفع من	تلقاه ممن جد فيهـا واجتهـد
وأترك كلام الحاسـدين وبغيهم	هملا فبعد الموت ينقطع الحسـد

وفى معنى ما ذكره من انقطاع الحسد بعد الموت ما نرويه عن شيخ الاسلام الوالد أجازة عن والده أجازة ان لم يكن سماعا عن الامام العلامة برهان الدين البقاعى انه قال :

الا رب شخص قد غدا لى حاسـدا	يرجى مماتى وهو مثلى فـانى
وياليت شعرى ان امت ما ينالـه	وماذا عليـه لو اطيـل زمانى
وما تبتغى الحسـاد منى واننى	لفى شغل عنهم بأعظم شـان
نعم اننى عمـا قريب لميت	ومن [ذا] الذى يبقى على الحدثان
كأنك بى انعى لديـك وعندهـا	ترى مصرعـا صمت له الاذنـان
فلا حسـد يبقى لذاك ولا قـلى	فتنطق فى مدحى بـاى معـانى
وتنظر أوصافى (٣٣) فتعلم انهـا	علت عن مـدان فى أعز مكـان

وتقل الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى طبقاته عن أبى المواهب الشاذلى رضى الله تعالى عنه انه كان يقول (٣٤) أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حياتهم ، متأسف عليهم بعد مماتهم ، وهنـاك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم ، انتهى وقد قيل فى المعنى :

ترى الفتى ينـكر فضـل الفتى	ما دام حيـا فاذا ما ذهب
يحمله الحـرص على لفظـة	يكتبهـا عنـه بمـاء الذهب

---

(٣٣) بالأصل أوصانى -

(٣٤) بالأصل يقل -

وقد وجدت هذا المعنى فى الأثر وذلك اخرجه أبو نعيم فى الحلية عن سليمان بن موسى الاشدق قال أخوك فى الاسلام ان استشرته فى دينك وجدت عنده علما وان استشرته فى دنياك وجدت عنده رأيا وله وان فارقك فلم تجد منه خلفا وسليمان المذكور كان من أكابر السلف قال الزهرى ان مكحولا ياتينا وسليمان بن موسى يعنى لسماع الحديث وأيم الله أن سليمان لأحفظ الرجلين أخرجه فى الحلية أيضا ولنا فى معنى كلام سليمان :

أخوك فى الاسلام يجديك فى	علم ورأى منه أو أنس
كان قد احتجت الى نفعه	واذ به قد صار فى الرمس
أصبحت اسافا على صاحب	قد كنت تاسى (٣٥) منه بالامس
ما احوج المرء الى خله	واحوج الجنس الى الجنس
ويلاه من عصر رأينا به [٤]	تلاعب الاذناب بالرأس
صرنا الى وقت بكينا به	على افتقار الكمل الحمس
لسنا نرى ممن مضى واحدا	ولو بلغنا مطلع الشمس

ومن هنا ينبغي فيما اردناه ، والابتداء فيما قصدناه ، سائلين من الله تعالى حسن التوفيق ، والهداية الى سواء الطريق ، انه ولى ذلك والقادر عليه ، والمدبر لكل أمر والراجع كل أمر اليه ·

أخبرنا شيخ الاسلام الوالد أجازة ان لم يكن سماعا قال انا (٣٦) شيخ الاسلام قاضى القضاة جمال الدين أبو اسحاق ابراهيم ابن شيخ الاسلام علاء الدين القلقشندى أنا (٣٦) العلا على بن اسمعيل بن محمد بن بردس قراءة عليه وانا أسمع انا (٣٦) أبو حفص عمر بن اميلة المراغى سماعا انا (٣٦) الفخر أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن البخارى انا (٣٦) أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد انا (٣٦) أبو الوليد ابراهيم بن منصور الكرخى سماعا انا (٣٦) الحافظ الكبير أبو بكر أحمد ابن على بن ثابت الخطيب سماعا انا (٣٦) الشريف أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمى قراءة عليه انا (٣٦) أبو على محمد بن أحمد بن عمرو

---

(٣٥) كذا بالأصل ·

(٣٦) يعنى : أخبرنا ·

اللولوى انا (٣٧) أبو داود سليمان بن الاشعث ثنا (٣٨) يحيى اسمعيل وابن أبى خلف ان يحيى بن يمان أخبرهم عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن عائشة رضى الله تعالى عنها مر بها سائل فاعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فاكل معها فقيل لها فى ذلك فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم ٠

---

(٣٧) يعنى أخبرنا ٠

(٣٨) يعنى حدثنا ٠

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

(أ) المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (٦٣٠ ـ ١٢٣٨) : على بن أحمد بن أبى الكرم :

١ ـ « الكامل فى التاريخ » ١٢ جزءا (بولاق ١٢٧٤) .

الأدريسى (٦٤٩ ـ ١٢٥١) : محمد بن عبد العزيز الشريف الفاوى .

٢ ـ « نزهة المشتاق فى ذكر الأمصار والأقطار والبلدان » (روما ١٥٩٢) .

الأشعرى (٣٢٤ ـ ٩٣٦) : الامام أبو الحسن على بن اسماعيل :

٣ ـ « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » نشره ربتر (اسطنبول ١٩٢٩) .

الأصفهانى (٣٥٦ ـ ٩٦٧) : أبو الفرج :

٤ ـ «كتاب الأغانى» ٢١ جزءا القاهرة ١٢٨٥ ، القاهرة (١٣٢٧ ـ ١٩٣٦) .

ابن أبى أصيبعة (٦٦٧ ـ ١٢٠٧) ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الحزرجى :

٥ ـ « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » جزآن (القاهرة ١٢٩٩ ـ ١٣٠٠) .

البكرى (٤٨٧ ـ ١٠٩٧) : أبو عبيد الله بن عبد العزيز :

٦ ـ « المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب » (باريس ١٩١١) .

البلاذرى (٢٧٩ ـ ٨٩٢) : أحمد بن يحيى بن جابر :

٧ ـ « فتوح البلدان » (القاهرة ١٣١٨ هـ) .

الثعالبى (٤٢٩ ـ ١٠٢٧) : أبو منصور عبد الملك :

٨ ـ « يتيمة الدهر » أربعة أجزاء القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٩٣٤) .

الجاحظ (٢٥٥ ـ ٨٦٨) : أبو عثمان بن بحر :

٩ ـ « كتاب التاج فى أخلاق الملوك » (القاهرة ١٣٣٢ ـ ١٩٢٤) حققه المرحوم أحمد زكى باشا .

١٠ ـ « كتاب البيان والتبيين » أربعة أجزاء (القاهرة ١٩٢٨) .

١١ ـ « كتاب التبصر بالتجارة » الطبعة الثانية (القاهرة ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥) نشره وصححه وعلق عليه السيد حسنى عبد الوهاب باشا التونسى .

حاجى خليفة (١٠٦٧ ـ ١٦٥٧) : مصطفى كاتب شلبى :

١٢ ـ « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » (ليبسك ولندن ١٨٣٥ ـ ١٨٥٨) .

ابن حزم (٤٥٦ ـ ١٠٦٤) : أبو محمد على بن أحمد :

١٣ ـ « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » أربعة أجزاء (القاهرة ١٣١٧ هـ) .

١٤ ـ النظم الاسلامية ، بالاشتراك مع الدكتور على ابراهيم حسن ، الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٦٢) .

١٥ ـ « كافور الاخشيد » بحث ، مستخرج من مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة مايو ١٩٦٤ .

الحمادى اليمانى (من فقهاء السنة فى اليمن فى أواسط القرن الخامس الهجرى) محمد بن مالك بن أبى الفضائل :

١٦ ـ « كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » . (مطبعة الأنوار ١٣٥٧ ـ ١٩٣٩) .

ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد بن عبد الله :

١٧ ـ « كتاب الممالك والمسالك » طبعة دى غويه (ليدن ١٨٨٩) وبذيله نبذة من كتاب « الخراج وصنعة الكتابة لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى » .

الخضرى : محمد :

١٨ ـ تاريخ الدولة العباسية (القاهرة ١٩١٦) .

الخطيب البغدادى (٤٦٣ ـ ١٠٧٠) : الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن على :

١٨م ـ « تاريخ بغداد أو مدينة السلام » ١٤ جزءا (القاهرة ١٣٤٩ ـ ١٩٣١) .

الخفاجى : شهاب الدين أحمد :

١٩ ـ « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » (القاهرة ١٢٨٢ هـ) .

ابن خلدون (٨٠٨ هـ ــ ١٤٠٥ ــ ١٤٠٦ : عبد الرحمن بن محمد :

٢٠ ــ « مقدمة ابن خلدون » (بيروت ١٨٨٦) ونسخة محفوظة بالمكتبة الزكية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ١٥ ٠

٢١ ــ « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ٧ أجزاء (القاهرة ١٢٨٤ هـ)٠

ابن خلكان (٦٨١ ــ ١٢٨٢) : شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن أبى بكر الشافعى :

٢٢ ــ « وفيات الأعيان » جزءان (بولاق ١٢٨٣ هـ) المطبعة اليمنية بمصر (١٣١٠ هـ) وترجمه الى الانجليزية دى سلان (باريس ١٨٤٢ ــ ١٨٤٨) ٠

الخوارزمى : (٣٨٧ ــ ٩٩٧) أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب :

٢٣ ــ « كتاب مفاتيح العلوم » صنفه سنة ٣٦٦ هـ (القاهرة ١٣٤٤ هـ) (ليدن ١٨٩٥) ٠

ابن زولاق (٣٨٧ ــ ٩٩٧) : أبو محمد الحسن بن ابراهيم :

٢٤ ــ « العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج » نشره ابن سعيد المغربى » (٦٧٣ ــ ١٢٧٥) فى كتاب المغرب فى حلى المغرب (ليدن ١٨٩٨ ــ ١٨٩٩) ٠

الشهرستانى (٥٤٨ ــ ١١٥٣ هـ) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم :
٢٥ ــ « الملل والنحل » ٥ أجزاء (القاهرة ١٣١٧ هـ) ٠

الطبرى (٣١٠ ــ ٩٢٢) أبو جعفر محمد بن جرير :

٢٦ ــ « تاريخ الأمم والملوك » طبعة دى غويه ــ ليدن (١٨٨١ م) ٠ القاهرة ١٣٢٦ ٠

٢٧ ــ « تفسير محمد بن جرير الطبرى » فى ثلاثين مجلدا ٠

٢٨ ــ « اختلاف الفقهاء » نشر يوسف شاخت بعض أجزاء من هذا الكتاب تحت عنوان : « الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين فى كتاب اختلاف الفقهاء لمحمد بن جرير الطبرى « ليدن » ١٩٣٣ ٠

الحريرى (ولد بالبصره ٤٤٦ هـ وتوفى بها ٥١٥ هـ ــ ١٠٥٤ ــ ١١٢١ م) أبو محمد القاسم الحريرى ٠

٢٩ ــ « مقامات الحريرى » ٠

٣٠ ـ « ملحمة الأعراب » ٠

٣١ ـ « درة الغواص فى أوهام الخواص » ٠

البيرونى : هو أبو الريحان البيرونى (ت ٤٤٠ هـ ـ ١٠٤٨ م) الخوارزمى :

٣٢ ـ « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ٠

٣٣ ـ « تاريخ خوارزم »

٣٤ ـ « التفهيم فى صناعة التنجيم » ٠

٣٥ ـ « قانون المسعودى » وهو أنفس ما ألف فى علم الهيئة ألفه السلطان مسعود الغزنوى ٠

أبو حامد الغزالى : ولد أبو حامد بطوس من أعمال فارس (٤٥٠ ـ ١٠٥٧ وتوفى ٥٠٥ ـ ١١١١ م) ٠

٣٦ ـ « احياء علم الدين » ٠

٣٧ ـ « كتاب المنقذ من الضلال » ٠

٣٨ ـ « آداب الصوفية » ٠

٣٩ ـ « بداية الهداية » ٠

٤٠ ـ « تهذيب النفوس بالآداب الشرعية » ٠

٤١ ـ « جواهر القرآن ودرره » ٠

٤٢ ـ « الرسائل القدسية فى قواعد العقائد » ٠

٤٣ ـ « أسرار الحج فى الفقه الشافعى » ٠

٤٤ ـ « تهافت الفلاسفة » ٠

٤٥ ـ « معيار العلم فى المنطق » ٠

ابن باجة : ولد (٥١٣هـ ـ ١١١٨م) وعاش بسرقسطة وتوفى بفاس (٥٣٣ هـ ـ ١١٣٨ م) ٠

٤٦ ـ « تدبير المتوحد » ٠

ابن طفيل : ولد أبو بكر محمد بن طفيل فى مدينة قادس بالأندلس وتوفى (٥٧١ هـ ـ ١١٧٥ م) ٠

٤٧ ـ قصة حى يقظان ٠

محيى الدين بن عربى : ولد ابن عربى بمرسيه (٥٦٠ ـ ١١٦٢) وتوفى (٦٣٨ ـ ١٢٤٠ م) ٠

٤٨ ـ « كتاب خيار مشايخ العرب وزهادهم » ٠

٤٩ ـ « كتاب الفتوحات المكية » ·

٥٠ ـ « كتاب تلقين المهتدى » ·

٥١ ـ « الأحكام الكبرى والوسطى والصغرى » ·

٥٢ ـ « كتاب التهجد » ·

٥٣ ـ « كتاب العافية » ·

٥٤ ـ « كتاب المعارف الالهية » ·

٥٥ ـ كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم ·

٥٦ ـ « رسالة مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية » ·

٥٧ ـ « كتاب فصوص الحكم » ·

أبو نصر العقبى المتوفى (٤٢٨ هـ ـ ١٠٣١ م) ·

٥٨ ـ « نسبه الى يمين الدولة محمود الغزنوى » ·

مسكويه : هو أبو الحسن مسكويه المتوفى (٤٢١ هـ ـ ١٠٢٤ م) ·

٥٩ ـ « تجارب الأمم » ·

السمعانى : الحافظ أبو سعيد عبد الكريم التميمى السمعانى ولد بمرو (٥٠٦ ـ ١١٠٨) وتوفى (٥٦٢ ـ ١١٦٤) ·

٦٠ ـ « تاريخ مرو » ·

٦١ ـ « تذيل تاريخ بغداد » ·

٦٢ ـ « الأنسـاب » ·

عمـارة اليمنى : هو نجم الدين عمارة اليمنى المتوفى (٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤ م)

٦٣ ـ « النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية » ·

٦٤ ـ « كتاب تاريخ اليمن » ·

ابن الجوزى : هو الحافظ جمال الدين عبد الرحمن بن جعفر بن الجوزى المتوفى (٥٩٧ ـ ١١٩٩) الذى ينتسب الى أبى بكر الصديق ·

٦٥ ـ « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » ·

٦٦ ـ « زاد المسير فى علم التفسير » ·

٦٧ ـ « الموضوعات » يتناول الأحاديث الموضوعة ·

٦٨ ـ « تلقيح فهو الأثر » وهو تعليق على كتاب المعارف لابن قتيبة ·

٦٩ ـ « لفظ المنافع فى الطب » ·

جرجس المكين : من أشـهر مؤرخى العصر السـلجوقى الأخـير (المتوفى ٦٨٠ ـ ١٢٨٣) هو عبد الله بن أبى الياسر بن أبى المكـارم بن العميد ، وهو مسيحى مصرى :

٧٠ ـ « المجموع المبارك » أو « التاريخ المبارك » لقد كان هـذا الكتاب أهم المصادر العربية هو وكتاب مختصر تاريخ البشر لأبى الفداء التى ظلت فى متنـال المستشرقين الأوروبيين المشتغلين بالتاريخ الاسلامى فترة طويلة ٠

ابن العبرى : هو جريجورس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبرى (أى اليهودى) ولد (٦٠١ ـ ١٢٢٦) فى ملطية بارمينيا الصغرى وتوفى فى مدينة المراغة بشمال غرب ايران (٦٨٥ ـ ١٢٨٦ م) :

٧١ ـ « مختصر تاريخ البشر » كتبه بالسريانية وترجمه جماعة من المسلمين الى العربية ٠

الطوسى (٤٦٠ ـ ١٠٦٧) محمد بن الحسن :

٧٢ ـ « فهرست كتب الشيعة » (كلكتا ١٨٥٥ م) ٠

طيفور (٢٨٠ ـ ٨٩٣ ـ ٨٠٤) أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر :

٧٣ ـ « تاريخ بغداد « الجزء السادس « الطبعة هـ » كار (لايبسك ١٩٠٨) ٠

ابن عبد ربه (٣٣٩ ـ ٥٤٠) : شهاب الدين أحمد :

٧٤ ـ « العقد الفريد » ٣ أجزاء (القاهرة ١٣٤٦ ـ ١٩٢٨) ٠

العمـرى (٧٤٢ ـ ١٣٤١) : شهاب الدين أحمد بن فضل الله :

٧٥ ـ « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » نشره وعلق عليه أحمد زكى باشا (القاهرة ١٣٤٢ ـ ١٩٢٤) ٠

ابن العميد (٦٧٢ ـ ١٢٧٣) الشيخ المكين جرجس ابن العميد :

٧٦ ـ « تاريخ المسلمين » (١٦٢٥ م) ٠

العينى : (٨٥٥ ـ ١٤٥١) : بدر الدين محمود بن أحمد بن العميد :

٧٧ ـ « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ٠

ابن قتيبة (٢٧٦ ـ ٨٨٩) : أبو محمد عبد الله بن سلم :

٧٨ ـ « المعارف » (١٣٥٢ ـ ١٩٣٤) ٠

٧٩ ـ « عيون الأخبار » أربعة أجزاء (القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٣٤٨ م) ٠

ابن القلانسي (٥٥٥ ــ ١١٦٠) : أبو يعلى حمزة :

٨٠ ــ « ذيل تاريخ دمشق » مصحوب شذرات من تواريخ ابن الفارقي ، وسبط ابن الجوزي والذهبي (بيروت ١٩٠٨) ٠

القلقشندي (٨٢١ ــ ١٤١٨) : أبو العباس أحمد :

٨١ ــ « صبح الأعشى في صناعة الانشا » ١٤ جزءا (القاهرة ١٩١٣ ــ ١٩١٧) الكتبي (٧٦٤ ــ ١٣٦٣) محمد بن شاكر ابن أحمد الحلبي ٠

المراكشي (٦٦٩ / ١٢٧٠ ــ ١٢٧١) يحيى الدين أبو محمد عبد الواحد ابن علي التميمي :

٨٢ ــ « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » طبعة دوزي ، ليدن (١٨٨١) وترجمه وشرحه ٠

ابن مسكويه (٤٢١ ــ ١٠٤ م) : أبو علي أحمد بن محمد ٠

٨٣ ــ « كتاب تجارب الأمم » جزءان نشره هـ٠ف ٠ (القاهرة ١٣٣٢ ــ ١٣٣٣ /١٩١٤ ــ ١٩١٥) ترجمه الى الانجليزية د٠س ٠ (اكسفورد ١٩٣١) ٠
وذيله أبو شجاع وهلال الصابي الجزء الثالث (القاهرة ١٣٣٤ ــ ١٩١٦) ٠

المقدسي (٣٨٧ ــ ٩٩٧) : شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي المقدسي المعروف بالبشاري :

٨٤ ــ « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » طبعة دي غويه (ليدن ١٨٧٧) ٠

المقريزي : (٨٤٥ ــ ١٤٤١) تقي الدين أحمد بن علي :

٨٥ ــ « اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء) (بيت المقدس ١٩٠٨) ٠

المقري (١٠٤١ ــ ١٦٣٣) : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني :

٨٦ ــ « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » أربعة أجزاء (بولاق ١٢٩٧ ــ ١٨٦٢) ٠

ابن ميسر (٦٧٧ ــ ١٢٧٨) : محمد بن علي بن يوسف بن جلب :

٨٧ ــ « تاريخ مصر » طبعة هنري ماسيه (القاهرة ١٩١٩) ٠

ابن النديم (٣٨٣ ــ ٩٩٣) : محمد بن اسحاق :

٨٨ ــ « كتاب الفهرست جزءان » لايبسك ١٩٧١ م (القاهرة ١٣٤٨) ٠

النوبختى (٣٠٢ ــ ٩١٤) : أبو محمد الحسن بن موسى :

٨٩ ــ « كتاب فرق الشيعة » استانبول (١٩٣١) ٠

هلال الصابى (٤٨٨ ــ ١٠٥٦) : أبو الحسن بن أبى اسحاق ابراهيم الكاتب :

٩٠ ــ « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » نشره هـ٠ف امدروز (بيروت ١٩٠٤) وذيل به مرجليوث كتاب (تجارب الأمم) لمسكويه القاهرة ١٩١٩) ٠

ياقوت (٧٢٦ ــ ١٢٣٩) : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى :

٩١ ــ « معجم البلدان » ١٠ أجزاء (القاهرة ١٣٢٣ ــ ١٩٠٦) ٠

٩٢ ــ « ارشاد الأريب الى معرفة الأديب » طبعة ذكرى رجب القاهرة (١٩٠٧ ــ ١٩١١) ٠

اليعقوبى (٢٨٢ ــ ٨٩٥) : أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح :

٩٣ ــ « تاريخ اليعقوبى » جزءان ٠

٩٤ ــ « كتاب البلدان » طبعة دى غويه ــ ليدن (١٨٩٢) ٠

أبو يوسف (١٩٢ ــ ٨٠٧) : يعقوب بن ابراهيم :

٩٥ ــ « كتاب الخراج » (بولاق ١٣٠٢ هـ) والمطبعة السلفية بمصر ١٩٤٦ ٠

المصادر العربية

١ ــ ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى .
ــ الحلة السيراء ، القاهرة ، ١٩٦٣ (جزءان) .

٢ ــ ابن الأثير عز الدين على بن أحمد بن محمد الجزرى الشيبانى .
ــ الكامل (ط . بيروت نقلا عن تورنبرغ ١٩٦٥) .
ــ اللباب فى معرفة الأنساب (القاهرة ١٣٥٧/١٣٦٩) .
ــ أسد الغابة فى معرفة الصحابة (القاهرة ١٢٨٠ ــ ١٢٨٦) .

٣ ــ الاربلى أبو الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح .
ــ كشف الغمة فى معرفة الأئمة ــ النجف ١٣٨٥ .

٣م ــ الاسفراييني أو المظفر طاهر بن محمد .
ــ التبصير فى الدين وتمييز الفرق الناجية من فرق الهالكين (ط . الكوثرى ــ القاهرة ١٩٥٥) .

٤ ــ الأشعرى القمى سعد بن عبد الله بن أبى خلف .
ــ المقالات والفرق ــ مطبعة حيدرى ، طهران ١٩٣٦ .

٥ ــ الأشعرى أبو الحسن على بن اسماعيل بن ابراهيم .
ــ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين (استامبول ١٩٢٩)

٦ ــ الأصبهانى أبو الفرج .
ــ مقاتل الطالبيين ، القاهرة ١٩٤٩ .
ــ الأغانى (ط . دار الكتب ــ القاهرة ١٩٢٥ ــ ١٩٧١) .

٧ ــ الاصطخرى أبو القاسم ابراهيم .
ــ مسالك الممالك (ليدن ١٨٧٠ ــ ١٨٩٣) .

٨ ــ الأصفهانى ــ حمزة بن الحسن .
ــ تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء (ط . بيروت ١٩٦١) .

٩ ــ ابن أبى اصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجى .

ـ كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطبـــاء (القاهرة ١٢٩٩ ـ ١٣٠٠) و (ط · بيروت ١٩٦٥) ·

١٠ ـ الباقلانى أبو بكر محمد بن الطيب ·

ـ التمهيد فى الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ·

١١ ـ البغدادى الخطيب أبو بكر أحمد بن على :

ـ تاريخ بغداد ، القاهرة ·

١٢ ـ البغدادى أبو منصور عبد القاهر بن طاهر الأشعرى ·

ـ الفرق بين الفرق (القاهرة ١٩٢٤) وهو اختصار الرسغى ·

١٣ ـ البكرى أبو عبيد الله بن عبد العزيز ·

ـ كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب (ط · دى سلان باريس ١٩١١) ·

١٤ ـ البلاذرى أحمد بن يحيى بن جابر ·

ـ فتوح البلدان (تحقيق صلاح الدين المنجد) القاهرة ١٩٥٦

ـ أنساب الأشراف ، القاهرة ١٩٥٩ ·

١٥ ـ البياسى يوسف بن محمد بن ابراهيم الأنصارى ·

ـ الاعلام بالحروف الواقعة فى صدر الاسلام مخطوط دار الكتب ـ القاهرة رقم ٣٩٩ تاريخ ·

١٦ ـ البيرونى أبو الريحان محمد بن أحمد ·

ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، مكتبة المثنى ـ بغداد ·

ـ تحقيق ما للهند من مقولة (ليبزيغ ١٨٨٧) ·

١٧ ـ ابن أبى حاتم ـ عبد الرحمن :

ـ الجرح والتعديل ط الهند ١٣٧٣ ـ ١٩٥٣ ·

١٨ ـ ابن حجر العسقلانى :

١ ـ فتح البـــارى ـ شرح على صحيح البخـــارى ـ القاهرة ١٣٤٨هـ ·

٢ ـ هدى السارى ـ مقدمة فتح البارى ـ ط القاهرة .

٣ ـ لسان الميزان ـ ط الهند .

١٩ ـ ابن سعد : ٢٣٠هـ .

الطبقات الكبير : ٩ أجزاء ط ليدن .

٢٠ ـ ابن تغرى بردى جمال الدين توسف الاتابكى .

ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب)

٢١ ـ التنوخى أبو على المحسن بن على بن محمد .

ـ جامع التواريخ المسمى نشـــوار المحاضرة وأخبـار المذاكرة (القاهرة ١٩٢١ ـ وغليوث) .

٢٢ ـ الثعالبى أبو منصور عبد الملك بن محمد .

ـ لطائف المعارف (ط . ليدن ١٨٦٨) .

٢٣ ـ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر .

ـ التاج فى أخلاق الملوك (القاهرة ١٣٣٢/١٩١٤) و (ط . بيروت ١٩٦٨) .

ـ البيان والتبيين ط . بيروت ١٩٦٨ و ط. القاهرة سـنة ١٣٣٣) .

ـ آثار الجاحظ ـ (بيروت ـ ١٩٦٩) .

ـ رسائل الجاحظ (دار النهضة ـ بيروت ١٩٢٧) .

ـ كتاب التبصر بالتجارة (الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٥٤ ـ ١٩٣٥) .

ـ المحاسن والأضداد (ط. ليدن ١٨٩٨) .

٢٤ ـ الجهشيارى أبو عبد الله محمد بن عبدوس .

ـ الوزراء والكتاب (ط . القاهرة ١٩٣٨) .

٢٥ ـ ابن الجوزى أبو الفرج عبد الرحمن .

ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . حيدرآباد ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ .

٢٦ ـ ابن أبى الحديد عز الدين أبو حامد عبد الحميد .

ـ شرح نهج البلاغة (ط . ١٣٢٩ البابى الحلبى) .

٢٧ ـ ابن حزم أبو محمد على بن أحمد الظاهرى .

ـ كتاب الفصل فى الملل والنحل (القاهرة ١٣١٧ ـ ١٣٢٠) ٠

٢٨ ـ الخطيب البغدادى أبو بكر أحمد بن على ٠

ـ تاريخ بغداد ، (القاهرة ١٩٣١) ٠

٢٩ ـ ابن حوقل أبو القاسم محمد بن على البغدادى الموصلى ٠

ـ صورة الأرض (نشر بيروت) ٠

٣٠ ـ ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ٠

ـ المسالك والممالك (المجلد السادس من المكتبة الجغرافية ـ ليدن ١٨٨٩) ٠

٣١ ـ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ٠

ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ بيروت ١٩٦٦ ٠

ـ المقدمة ط ٠ بولاق سنة ١٣٢٠ ٠

٣٢ ـ ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ٠

ـ وفيات الأعيان ـ بيروت ١٩٦٦ ـ ١٩٧٢ ٠

٣٣ ـ الدميرى كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى ٠

ـ حياة الحيوان الكبرى (بولاق ١٣٢٤) ٠

ـ الدينورى أحمد بن داوود أبو حنيفة ٠

ـ الأخبار الطوال ـ القاهرة ١٩٦٠ ٠

ـ الذهبى شمس الدين محمد بن أحمد ٠

ـ مختصر تاريخ دول الاسلام (حيدرآباد ١٣٣٨/١٩١٨) ٠

ـ تاريخ الاسلام ـ القاهرة ١٣٦٧ ٠

ـ سير أعلام النبلاء القاهرة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ٠

٣٤ ـ الرازى فخر الدين محمد بن عمر التميمى البكرى ٠

ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (القاهرة ١٩٣٨) ٠

٣٥ ـ ابن رسته أبو على أحمد بن عمر ٠

ـ الأعلاق النفيسة (ليدن ١٨٩١ ـ مكتبة المثنى ببغداد) ٠

٣٦ ـ الرسعنى عبد الرزاق بن أبى بكر بن خلف ٠

ـ مختصر الفرق بين الفرق (ط ٠ الهلال ـ القاهرة ١٩٢٤) ٠

٣٧ ـ الروذراورى أبو شجاع محمد بن الحسين الوزير ٠

ـ ذيل تجارب الأمم ـ ط ٠ القاهرة ١٩١٦ ٠

٣٨- ابن سلام الجمحى :

- طبقات فحول الشعراء - تحقيق شاكر. - الناشر دار المعارف بمصر .

٣٩- ابن السبكى : عبد الوهاب .

- طبقات الشافعية - الناشر عيسى البابى الحلبى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

٤٠ - ابن عبد البر :

١ - الاستيعاب فى أسماء الأصحاب على هامش الاصابة لابن حجر ط محمد مصطفى محمد - القاهرة ١٩٣٥ - ١٩٣٩م .

٢ - التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد - الناشر القدسى القاهرة ١٣٥٥هـ .

٤١ - ابن قيم الجوزية :

اعلام الموقعين - القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

٤٢ - ابن الأنبارى - ابو البركات .

- لمع الأدلة فى أصول النحو - الناشر : سعيد الأفغانى ط الجامعة السورية ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م :

٤٣ - ابن هشام :

- السيرة النبوية « تأليف ابن اسحاق شرح وتهذيب ابن هشام » تحقيق السقا وآخرين :

٤٤ - أبو الحسن الأشعرى :

- مقالات الاسلاميين : ط النهضة بمصر - ٣ أجزاء - ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .

٤٥ - أبو حنيفة الدينورى :

- الأخبار الطوال : تحقيق عبد المنعم عامر - مراجعة جمال الدين الشيال - مجلد واحد - ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩ .

٤٦ - أبو الطيب اللغوى : عبد الواحد .

- مراتب النحويين : تحقيق - محمد أبو الفضل ابراهيم ط الفجالة القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

٤٧ ـ أبو يوسف :

ـ كتاب الخراج ط الثانية ١٣٥٢هـ ط السلفية بالقاهرة ٠

٤٨ ـ أحمد بن حنبل :

ـ المسند ط شاكر ١٥ جزءا ٠

٤٩ ـ الاصمعى :

ـ الأصمعيات ـ تحقيق وشرح أحمـــد شاكر وعبد الســلام هارون ـ ط دار المعارف بمصر ٠

٥٠ ـ الألوسى :

ـ بلوغ الأرب فى معرفة علوم العرب ـ ط دار الكتاب العربى ـ ٣ أجزاء تحقيق محمد بهجت الأثرى ٠

٥١ ـ البخارى : ٢٥٦هـ ٠

ـ الصحيح : ٤ مجلدات ط القاهرة ١٢٨٦هـ « عن النسخة التى شرح عليها القسطلانى » ٠

ـ كتاب الكنى : « جزء من تاريخه » ط الهند ٠

٥٢ ـ سبط ابن الجوزى يوسف بن قز أوغلو ٠

ـ تذكرة الخواص (المطبعة العلمية ، النجف ١٩٦٩) ٠

٥٣ ـ ابن سعد أبو عبد الله محمد كاتب الواقدى ٠

ـ الطبقات الكبرى (ط ٠ سخاو ـ ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩٢١) ٠

٥٤ ـ ابن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ٠

ـ كتاب الأموال (القاهرة ١٣٥٣) ٠

٥٥ ـ السيوطى عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين (٩١١/١٦٠٥) ٠

ـ تاريخ الخلفاء (ط ٠ القاهرة ١٣٥١) ٠

٥٦ ـ ابن شاكر محمد الكتبى الدارانى ٠

ـ فوات الوفيات القاهرة ١٩٤٧ ٠

٥٧ ـ التهاونى :
ـ كشاف مصطلحات العلوم والفنون ـ جزءان ط الهند .
٥٨ ـ ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى .
ـ مجالسه ـ مجلدان تحقيق عبد السلام هارون ـ ط دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ .
٥٩ ـ الجرجانى ـ الشريف .
ـ التعريفات ط مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م .
٦٠ ـ الشهرستانى أبو الفتح محمد بن عبدالكريم .
ـ كتاب الملل والنحل (ط . محمد سيد كيلانى ـ القـــاهرة ١٩٦١ وعلى هامش ابن حزم ـ القاهرة ١٣٤٧) .
٦١ ـ الصابىء هلال بن ابراهيم بن هلال .
ـ رسوم دار الخلافة (بغداد ١٩٦٤) .
ـ تحفة الامراء بتاريخ الوزراء ـ بيروت ١٩٠٤ (نشرة امدروز) .
٦٢ ـ ابن الصباغ : على بن محمد بن أحمد المالكى (سنة ٨٥٥هـ) .
ـ كتاب الفصول المهمة فى معرفة الأئمة ـ مخطوط المكتبة الأهلية فى باريس رقم ٥٨٣٢ .
٦٣ ـ الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن على بن بابويه القمى .
ـ الأمالى (ط . طهران ١٣٨٠هـ) .
٦٤ ـ الصفدى صلاح الدين خليل بن ايبك الدمشقى .
ـ الوافى بالوفيـــات ريتر وغـــيره ـ طبع استامبول ودمشق ١٩٦١ ـ ١٩٧٠ .
٦٥ ـ الصولى : أبو بكر محمد بن يحيى .
ـ أخبار الراضى والمتقى (من كتاب الأوراق) أو تاريخ الدولة العباسية (نشر هيوارث دن ـ القاهرة ١٩٣٦) .
٦٦ ـ ابن الضيرفى أبو القاسم على بن منجب المصرى .
ـ الاشارة الى من نال الوزارة (طبع القاهرة ١٩٢٤) .
٦٧ ـ ابن طاهر أبو الفضل أحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور .
ـ بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية (ط . بغداد ١٩٦٨) .

٦٨ ـ الطبرسى أبو على الفضل بن الحسن ٠

ـ اعلام الورى بأعلام الهدى (مطبعة حيدرى ـ طهران ١٣٣٨) ٠

٦٩ ـ الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير ٠

ـ تاريخ الرسل والملوك ١٠ أجزاء (طبعة محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٦٧) ٠

٧٠ ـ ابن الطقطقى ٠ محمد بن على بن طباطبا ٠

ـ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية (القاهرة ١٩٢٧) ٠

٧١ ـ ابن طولون شمس الدين محمد بن على (٩٥٣/١٠٤٦) ٠

ـ الأئمة الاثنا عشر (ط ٠ صادر ـ بيروت ١٩٥٨) ٠

٧٢ ـ ابن ظافر أبو الحسن على بن أبى منصور الخزرجى الأسدى ٠

ـ كتاب أخبار الدول المنقطعة ـ مخطوط المتحف البريطانى رقم ٣٦٨٥ ٠

٧٣ ـ ابن عبد الحكم أبو القاسم القرشى المصرى ، ٨٨٩ ٠

ـ فتوح مصر والمغرب القاهرة ١٩٦١ ـ القاهرة ١٩١٤ ٠

٧٤ ـ ابن عبد ربه شهاب الدين أحمد ٠

ـ العقد الفريد ٠ دار الكتب ـ القاهرة ٠

٧٥ ـ ابن العبرى أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطى ٠

ـ تاريخ مختصر الدول ٠ ط ٠ بيروت ١٩٥٨ ٠

٧٦ ـ ابن العديم كمال الدين عمر من ال أبى جرادة ٠

ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب ـ نشر المعهد الفرنسى ـ تحقيق سامى الدهان ـ دمشق ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦ ٠

٧٧ ـ ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشى ٠

ـ البيال المغرب فى حى المغرب (ليدن ١٩٤٨ ، ١٨٥١) و ط ٠ باريس سنة ١٩٣٠ ٠

٧٨ ـ عريب بن سعيد القرطبى ٠

ـ صلة تاريخ الطبرى ط ٠ القاهرة ١٣٠٢ ٠

٧٩ ـ ابن عساكر أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الدمشقى ٠
ـ تهذيب تاريخ دمشق (بدران ـ طبع دمشق ١٣٣٣ ـ ١٣٤٥).
٨٠ ـ أبو الفداء الملك اسماعيل بن عماد الدين على صاحب حمـــاة
ـ المختصر فى أخبار البشر (القاهرة ١٣١٥) ٠
٨١ ـ الفراء أبو يعلى الحنبلى ٠
ـ الأحكام السلطانية (القاهرة ١٩٣٨) ٠
٨٢ ـ ابن الفراء ٠
ـ رســل الملوك ومن يصلح للرســالة والسفارة ـ القـــاهرة ١٩٤٧ ٠
٨٣ ـ ابن الفقيه الهمذانى : أبو بكر أحمد بن محمد ٠
ـ البلدان (ط ٠ ليدن ١٨٨٥) ٠
٨٤ ـ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ٠
ـ الامامة والسياسة (القاهرة مطبعة النيل) ٠
ـ المعارف (القاهرة ١٣٥٣) ٠
ـ عيون الأخبار (القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٣٤٨) ٠
٨٥ ـ قدامة بن جعفر أبو الفرج الكاتب البغدادى ٠
ـ كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ليدن ١٨٨٩) ٠
٨٦ ـ القزوينى زكريا بن محمد بن محمود ٠
ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ بيروت ١٩٦٠ ٠
٨٧ ـ القلقشندى أبو العباس أحمد ٠
ـ صبح الأعشى فى صناعة الانشا ـ طبعة دار الكتب ٠
ـ مآثر الانافة فى معالم الخلافة ـ الكويت ١٩٦٤ ٠
٨٨ ـ القفطى الوزير جمال الدين ٠
ـ أخبار العلماء باخبـــار الحكماء (مختصر الزوزنى ـ ليبزيغ ١٣٢٠)
٨٩ ـ ابن القوطية أبو بكر محمد بن عبد العزيز ٠
ـ تاريخ افتتاح الأندلس (بيروت ١٩٥٨) ٠

٩٠ ـ ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ٠
ـ أحكام أهل الذمة ، دمشق ١٩٦١ مجلدان ٠

٩١ ـ ابن كثير أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشى ٠
ـ البداية والنهاية ، (القاهرة ١٩٣٢) ٠

٩٢ ـ الكشى الطوسى أبو عمرو بن عمر ٠
ـ معرفة أخبار الرجال (النجف ١٩٦٤) ٠

٩٣ ـ الكندى أبو عمر محمد بن يوسف ٠
ـ كتاب الامراء والولاة وكتاب القضاة (ط ٠ ليدن ١٩١٧) ٠

٩٤ ـ الماوردى أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ٠
ـ الأحكام السلطانية (القاهرة ١٢٩٨) ٠

٩٥ ـ المبرد محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ٠
ـ الكامل (القاهرة ١٩٥٦) ٠

٩٦ ـ ابن المرتضى المهدى لدين الله أحمد بن يحيى ٠
ـ طبقات المعتزلة (بيروت ١٩٦١) ٠

٩٧ ـ المسعودى أبو الحسن على بن الحسين بن على ٠
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعة القاهرة ١٩٣٨ ٠
ـ التنبيه والاشراف (القاهرة ١٩٣٨) ٠

٩٨ ـ مسكويه أبو على أحمد بن محمد ٠
ـ تجارب الأمم ، القاهرة ١٩١٤ ـ ١٩١٥ ٠

٩٩ ـ المقدسى شمس الدين أبو عبد الله محمد البشارى ٠
ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) ٠

١٠٠ ـ المقدسى المطهر بن طاهر ٠
ـ البدء والتاريخ (ط ٠ باريس ١٨٩٩ ـ ١٩٠٦) ٠ وينسب الكتاب الى أبى زيد البلخى ٠

١٠١ ـ المقرى أحمد بن محمد التلمسانى ٠
ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (القاهرة ١٩٤٩) ٠

١٠٢ ـ المقريزى تقى الدين أحمد بن على ٠

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (القاهرة ١٣٢٦) ٠

ـ المقفى مخطوط المكتبة الأهلية فى باريس رقم ٢١٤٤ ٠

ـ شذور العقود فى ذكر النقود (نشرة بعنوان النقود الاسلامية محمد بحر العلوم ـ النجف ١٩٦٧) ٠

ـ اتعاظ الحنفاء فى أخبار الأئمة الفاطميين الحنفـــاء (تحقيق الشيال ـ القاهرة ١٩٦٧) ٠

ـ الكشف والاعراب عما بديار مصر من الأعراب ـ القاهرة ٠

١٠٣ ـ ابن المقفع عبد الله ٠

ـ رسالة الصحابة القاهرة ١٩٤٦ ٠

١٠٤ ـ ابن النديم محمد بن اسحق ٠

ـ الفهرست (ط ٠ فلوجل ـ ١٨٧٢) ٠

١٠٥ ـ النوبختى أبو محمد الحسن بن موسى ٠

ـ كتاب فرق الشيعة (النجف ١٩٥٩) ٠

١٠٦ ـ النويرى أحمد بن عبد الوهاب ٠

ـ نهاية الأرب ، طبع دار الكتب ٠

١٠٧ ـ وكيع القاضى محمد بن خلف بن حيان ٠

ـ أخبار القضاة (القاهرة ١٩٧٤) ٠

١٠٨ ـ ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى ٠

ـ معجم البلدان (ط٠ ليبزيغ ١٨٦٦ ـ ١٨٧٣ بيروت ١٩٦٢) ٠

ـ ارشاد الأريب (معجم الأدباء) ١٩٣١ طبعة القاهرة ٠

١٠٩ ـ الزمخشرى ـ أبو القاسم جار الله ٠

ـ الفائق فى غريب الحديث ط الهند ٠

١١٠ ـ السجستانى أبو حاتم سهل بن محمد ٠

ـ كتاب المعمرين ط ٠ ليدن ١٨٩٩م ٠

١١١ ـ السخاوى ٠

ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ط الترقى بدمشق ١٣٤٩ هـ ٠

١١٢ ـ السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن ٠

ـ تدريب الراوى شرح على تقريب النواوى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط الاولى ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩م ٠

ـ المزهر فى اللغة والأدب ـ تحقيق محمد جاد المولى ط دار احياء الكتب العربية ٠

ـ تنوير الحوالك ـ شرح على موطأ بن مالك ٣ أجزاء ط صبيح القاهرة ٠

ـ الشماريخ فى علم التاريخ ط ليدن ١٣١٢هـ ٠

١١٣ ـ الشافعى ـ محمد بن ادريس ٠

ـ رسالته فى علم الأصول ـ ط مصطفى محمد ـ القاهرة ٠

ـ المسند ـ ط الأولى مصر ١٣٢٧هـ ٠

المراجع العربية

١ ـ جورج سارتون :

ـ تاريخ العلم .

٢ ـ جورجى زيدان .

ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ القاهرة ١٩٣٦ م

ـ تاريخ التمدن الاسلامى ـ ١٩١٤ م .

٣ ـ جون ديوى .

ـ المنطق نظرية البحث ـ ترجمة زكى نجيب محمود ط دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٠م .

٤ ـ جولد تسهير :

ـ العقيدة والشريعة فى الاسلام ـ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين .

٥ ـ جوستاف لوبون :

ـ فلسفة التاريخ ـ ترجمة عادل زعيتر .

٦ ـ حسن عثمان .

ـ منهج البحث التاريخى ـ ط الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٥م

٧ ـ على سامى النشار .

ـ مناهج البحث عند مفكرى الاسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الاسلامى ـ ط دار المعارف ١٩٦٥م .

٨ ـ كارل بروكلمان :

ـ تاريخ الأدب العربي ـ ترجمة عبد الحليم النجار ـ ج ١ و ٢ القاهرة ١٩٥٩ م ٠

٩ ـ كارل بوبر :

ـ عقم المذهب التاريخي ـ ترجمة عبد الحميد صبره ـ الناشر دار المعارف بالاسكندرية ١٩٥٩ م ٠

١٠ ـ كولنجوود :

ـ فكرة التاريخ ـ ترجمة محمد بكير خليل ـ الناشر لجنة التأليف والترجمة ١٩٦١م ٠

١١ ـ لانجلوا وسينوبوس :

ـ النقد التاريخي ـ ترجمة عبد الرحمن بدوى ـ النـــاشر دار النهضة العربية بمصر ١٩٥٩م ٠

١٢ ـ المبرد ـ محمد بن يزيد ٣٨٥هـ ٠

ـ الكامل فى اللغة والأدب ـ ط مصطفى محمد ١٣٥٥هـ بولاق ٠

١٣ ـ متز :

ـ الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ٠

١٤ ـ محمد أبو زهرة :

ـ الحديث والمحدثون ـ ط الاولى ـ القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٦ ٠

١٥ ـ محمد اقبال :

ـ تجديد الفكر الدينى فى الاسلام ـ عباس محمود ٠

١٦ ـ محمود قاسم :

ـ المنطق ومناهج البحث ـ ط الثانية ١٩٥٣م ٠ مكتبة الانجلو المصرية ٠

١٧ ــ مصطفى السباعى :

ــ السنة ومكانتها من التشريع الاسلامى ــ ط الأولى ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١ م · الناشر مكتبة دار العروبة ·

١٨ ــ مصطفى عبد الرازق :

ــ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ــ ارقاهرة ١٣٦٣هـ ــ ١٩٤٤م ·

١٩ ــ مصطفى صادق الرافعى :

ــ تاريخ آداب العـرب ــ ٣ أجزاء ــ ط الاستقامة بالقــاهرة ١٣٥٣ هـ ·

٢٠ ــ مييه ــ أنطوان ·

ــ منهج البحث فى اللغة والأدب ــ ترجمة محمد مندور ·

٢١ ــ ناصر الدين الأسد :

ــ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ــ دار المعارف بمصر ١٩٥٦ ·

٢٢ ــ نجيب العقيقى :

ــ المستشرقون ــ ٣ أجزاء ــ ط دار المعارف بمصر ·

٢٣ ــ هرنشو :

ــ علم التاريخ ــ ترجمة عبد الحميد العبادى ·

٢٤ ــ و· وولش ·

ــ المدخل الى فلسفة التاريخ ــ ترجمة أحمد حمـدى محمود ــ الناشر : مؤسسة سجل العرب ١٩٦٢م ·

٢٥ ــ أوديت بدران ·

ــ التصنيف فى المكتبات · ــ بغداد : الجامعـــة المستنصرية ، ١٩٧٦ ·

٢٦ ــ خالد الحديدى · فلسفة علم تصنيف المكتبات كمدخل لفلســفة العلوم · ــ القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٩ ·

٢٧ ـ عابر ابراهيم القنديلجي ٠ تعديل تصنيف ديوى العشرى للمكتبات العربى ٠ ـ بغداد : دار الحرية ، ١٩٧٦ ٠

٢٨ ـ عبد الوهاب أبو النور ٠ التصنيف الببليوغرافى لعلوم الدين الاسلامى ـ القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٣ ٠

٢٩ ـ مبادىء الفهرسة والتصنيف/عبد الكريم الأمين (وآخرون) ٠ ـ بغداد : الجامعة المستنصرية ، ١٩٧٩ ٠

٣٠ ـ محمود الأخرس ٠

ـ التصنيف ٠ ـ عمان : المؤلف ، ١٩٦٥ ٠

٣١ ـ محمود الأخرس :

ـ نظام تصنيف ديوى العشرى ٠ ـ عمان : جمعية المكتبات الاردنية ، ١٩٧٩ ٠

٣٢ ـ محمود الشنيطى :

ـ موجز التصنيف العشرى : الجداول / ترجمة محمود الشنيطى وآخرين ، القاهرة سنة ١٩٧٠ ٠

٣٣ ـ عز الدين اسماعيل :

ـ الفن والانسان ، دار العلم ٠ بيروت ، ١٩٧٤

٣٤ ـ على عبد الواحد وافى :

ـ عبقريات ابن خلدون ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ٠

٣٥ ـ عمر فروخ :

ـ تاريخ الفكر العربى ، بيروت ، ١٩٦٢ ٠

٣٦ ـ ف٠ كيللى :

ـ المادية التاريخية ، تعريب الاستاذ أحمد داود ، دمشق ، دار الجماهير ، ١٩٦٧ ٠

٣٧ ـ الفارابى :

ـ احصاء العلوم ، تحقيق الدكتور عثمان أمين ، الفكر العربى ، ١٩٤٩ ٠

٣٨ ـ فرانز روزنتال :

ـ علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور أحمد صالح العلى ، المثنى ، بغداد ، ١٩٦٣ .

٣٩ ـ فؤاد شبل :

ـ توينبى : مبتدع المنهج التاريخي الحديث ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٥ .

٤٠ ـ قسطنطين زريق :

ـ نحن والتاريخ ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٩ .

٤١ ـ محمد اقبال :

ـ تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ، ترجمة عباس محمود ، لجنة التأليف .

٤٢ ـ محمد أبو ريان :

ـ تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام ، النهضة المصرية . بيروت ، ١٩٧٠ .

٤٣ ـ محمد عبد الغنى حسن :

ـ علم التاريخ عند العرب ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦١ .

٤٤ ـ محمد مصطفى زيادة :

ـ المؤرخون فى القرن الخامس عشر الميلادي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤ .

٤٥ ـ أحمد محمود صبحى :

ـ فى فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، ١٩٧٥ .

٤٦ ـ أرنست كاسيرر :

ـ فى المعرفة التاريخية ، ترجمة أحمد حمدى محمود ، المؤسسة المصرية .

٤٧ ـ أرنولد توينبى :

ـ مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد شبل ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٦ .

٤٨ ـ أسد رستم :

ـ مصطلح التاريخ ، بيروت ، المطبعة الأمريكية ٠

٤٩ ـ ألبان ويدجرى :

ـ التاريخ وكيف يفسرونه ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية ، القاهرة ١٩٧٢ ٠

٥٠ ـ التهانوى :

ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٣ ٠

٥١ ـ جرجى زيدان :

ـ تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال ٠

٥٢ ـ جرجى زيدان :

ـ تاريخ للتمدن الاسلامى دار الهلال ٠

٥٣ ـ « جماعة من الأساتذة السوفيت » :

ـ المادية الديالكتية ترجمة فؤاد مرعى وآخرين ، دمشق ، دار الجماهير ٠

٥٤ ـ جواد على :

ـ تاريخ العرب قبل الاسلام المجمع العلمى العراقى ٠

٥٥ ـ جيمس كولينز :

ـ الله فى الفلسفة الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، فرانكلين القاهرة ، ١٩٧٣ ٠

٥٦ ـ حسن الساعاتى :

ـ علم الاجتماع الخلدونى : قواعد المنهج ، المعارف ، ١٩٧٦ ٠

٥٧ ـ راشد البراوى :

ـ التفسير القرآنى للتاريخ ، النهضة العربية ، ١٩٧٣ ٠

٥٨ ـ زكريا ابراهيم :

ـ ابن حزم الاندلسى : الفكر الظاهرى الموسوعى ، المصرية للتأليف ، أعلام العرب (٥٦)

٥٩ ـ زيغريد هونكه :

ـ شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضـــون وكمال دسوقي ، بيروت ، ١٩٦٩ ٠

٦٠ ـ ساطع الحصري :

ـ دراسات عن مقدمة ابن خلدون الخانجي ، ١٩٦١ ٠

المراجع الأجنبية

— Baironi :

1. The Chronology of Ancient tnNations (London : 1879).
— Bemont et Monod :

2. «Histoire de l'Europe au Moyen-Age» (395-1270), (Paris, 1921).
— Gibbon : Edward.

3. «The History of the Decline and Fall of the Roman Empire» by G.B. Bury.

4. Religion et Philosophie dans l'Asie Centrale (Paris, 1863).
—Guard : S.

5. Fragments relatifs à la Doctrine des Ismaelis, (Paris, 1874).
Hitti : Philip. K.

6. «History of the Arabs» (London, 1940, 1944).

7. «The Origins of the Druze People and Religion» (Columbia, 1928).

Dozy : R.P.A.

8. «Histoire des Musulmans d'Espagne» (Leyden, 1861), trans. into English, by F.G. Stokes, The Moslems in Spain (London ; 1913).

9. «Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes» (Amsterdam, 1845)

10. «Supplément aux Dictionnaires Arabes», 2 vols. (Leyden, 1881).

11. «Essai sur l'Histoire de l'Islamisme», trans. du Hollandais par Victor Chauvin (Leyden-Paris, 1879).

De Sacy, Silvestre :

12. «Exposé de la Religion des Druzes», précédé d'une introduction et de la vie du Khalife Hakim-Biamrallah, 2 vols (Paris, 1838).

13. «Chrestomathie Arabe», 3 vols, (Paris, 1836-1827).

114. «Recherches sur l'initiation à la Secte des Ismaeliens», (Journal Asiatique, 1824).

La Stange : Guy.

115. «Baghdad During the Abbasid Caliphate» (Oxford, 1924).
Steingass, F.

116. «Persian-English Dictionary» (London, 1930).
De Goeje : M.G.

117. «Mémoires sur les Carmathes de Bahrain et les Fatimides» (Leyen, 1886).

Vasil, Ev. A.A. :

118. «Cambridge Mediaeval History», vol. IV.

Finaly : George

119. History of the Byzanitne Empire», 716-1703 A.D. (London : 1859).

Crewwell, K.A.C.

120. «Early Muslim Architecture», 2 vols. (Oford, 1928 and 1938).
Kremer : Alfred Von.

121. «The Orient under the Caliphs», 2 vols, (Calcutta, 1920).

Lewis : Bernard

122. «The Origins of Ismailism» (Cambridge, 1940).

Lane Poole : Stanley.

123. «The Muhammadan Dynasties» (Paris, 1925).

124. «Coins and Medals» (London, 1892).

125. «A History of Egypt in the Middle Ages» (London, 1924).

126. «The Moores in the Spain» (London, 1887).
Metz Adam.

127. «The Renaissance of Islam», trans. into English by S. Khuda Bukhsh and D.S. Margoliouth (London, 1939).

Migeon : G.

28. «Manuel d'Art Musulman», 2 vols. (Paris, 1927).

Muir : William Temple :

29. «The Caliphate, Its Rise, Decline, and fall» (Edinburgh, 1925).

Nicholson, A. Reynold.

30. «Literary History of the Arabs» (Cambridge, 1930).

Hell : Joseph :

31. «The Arab Civilisation», trans from German by Khuda Bukhsh (Cambridge, 1936).

Heyd : W.

32. «Histoire du Commerce du Levant au Moyen-age», 2 vols. (Leipzig, 1925).

Wustenfeld : F. Von :

33. Die Geschichtschriber der Araber und ihre Werke, (Goetingen, 1882).

Butler :

34. «The Arab conquest of Egypt».

Zaky Hssan :

35. «Les Tulunides».

36. «Les Tulunides».

Wiet :

37. «L'Egypte Arabe».

Lane-Poole : «The Moors in Spain».

Dozy : «The Moslems in Spain».

1. Aristotle : Aristotle-Metaphysics, trans. R. Hope, Ann Arbor, Michigan, 1966.

2. Barett, W. : The Philosophy of Time, edt. by R. M. Gale, Anchor, New York.

3. Carr, E. H. : What is History, Penguin, 1961.
Dover 1958.

4. Collingwood, R. G. : The Idea of History, Galaxy. New York. 1956.

5. Eliade, M. : Cosmos and History, The Myth of the Eternal Return, trans. W. R. Transk, Harper and Row, New York, 1959.

6. Izutsu, T. · God and Man tn The Quran, The Keio Institute, Tokyo 1964

7. Leighton, J. : The Field of Philosophy, Appleton, New York.

9. Barthold, W. : Turkestan down to the Mongol invasion (2 me ed, London 1928).

10. Bouvat. Les Barmécides d'aprés les auteurs arabes et persans. Paris 1909, 1912.

11. Buchler, Harun al Rashid and Charles the great, Massachusetts, 1931.

12. Cahen, Claude, Points de vue sur la Revolution Abbaside, R. H. 1963.

13. Chabot, J. B. Littérature Cyriaque, Paris 1934.

14. Frye, R. N. The Role of Abu Muslid. Mus. world, 37, 1947.

15. Ghévond. Histoire des Guerres et des conquétes des Arabes en Arméni. (Tr. française d'aprés la russe) par Chahnazarina, Paris 1856.

16. Gibb, H.A.R. : The Arab Canquests in Cental Asia, London 1923.

Studies on the Civilization of Islam, London 1962.

17. Gibb and Kramers. Shorter Encyc. of Islam. (Brill 1916).

18. Graber. O. Umayyad Palace and the Abbassi de Revolution. Stu. Isl. 1963.

19. Heyd. Histoire du Commerce du Levant (2 vols.) 2-me éd. - Paris 1936.

20. Khuda Bukhsh, S. Contri butions ta the Study of Islamic Civilization. (2 vols.) Calcutta, 1929-1930.

21. Lane-Poole, Stanley. Mohammadan Dynasties, London 1893 (rep. in Beyrouth).

22. Loekkaard, F. Islamic Taxation in the Classical période Copenhagen 1930.

23. Mynldermans, J. La Domination Arabe en Arménie, (extrait de l'His. Univ. de Vardan), Paris 1927.

24. Sadighi, Gh. H. Les Mouvements Religieux Iraniens du II and III siécle de l'Hégire, Paris 1938.

25. Sha'ban, M. Abdelhay. The Social and Political Background of the Abbasid Revolution Harvard, 1960.

26. Sourdel, Dominique. Le Vezirat Abbaside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hégire) Damas, 1959-1960 (2 vols).

27. De Tell Mahré, Denys (attribué à. Chronican Anonymum Pseudo-Dionysianum (Tome I et II du Corp. Scrip. Chris. Or.) Publie Par J. B. Chabòt (Trad. latine) Paris, 1895.

28. Johanson, E.D. : A history of libraries in the Western world. New York. Scarecrew Press. 1965.

Johnson, Albert Frederick : A programmed course in cata loguing and classification London, Deutsch. 1968. 132 p.

30. Ker, N.R. (ed.) : Medieval libraries in Great Britain. 2nd ed. London. Royal Historical Society, 1964.

31. Khurshid, Anis : Cataloguing of Pakistani names. Harachi, 1964 p.

32. Mann, Margaret : Introduction to cataloging and the classification of books. 2nd ed. Chicago, ALA, 1943. 276 p.

33. Metcalfe, J. · Alphabetical subject indication of information. New Brunswiek, Graduate School of Library Science, Rutgers State University, 1965.

34. Mahdi, M. : Ibn Khaldun's Philosophy of History, Chicago, 1969.

Mazlish, B. : Psychanalysis and History, Prentice-Hall, 1963.

36. Meerhoff, H. : The Philosophy of History in our Time, An Anthology Selected and edited, Anchor, New York, 1959.

37. O'dea, Thomas F. : The Sociology of Religion, Prentice, New Delhi, 1969.

38. Rad krishnan : History of Philosophy : Eastern and Western, Allen, London, 1967.

39. Sahakian, W. S, : Outline History of Philosophy, Barnes, New York, 1968.

40. Walsh, W. N. : Introduction to Philosophy of History, Hutchinsons, London. 1951.

41. The Encyclopedia of Philosophy, Macmillan, New York, 1967.

42. The Encyclopedia of Social Sciences, Macmiflan, New York, 1967.

43. A Dictionary of English Synonyms and Synonymous Expressions, Battan, New York, 1966.

الفهرس

تقـــديم ٥

١ ـ الوقت والزمن عند العرب قبل الاسلام وبعـده ١٣

٢ ـ اسماء شهور التقاويم المختلفـة ٧١

٣ ـ تاريخ العرب قبل الاســلام ٧٥

٤ ـ مصادر تاريخ العرب قبل الاسلام ٨٠

٥ ـ الابحاث الأثرية فى شبه الجزيرة العربية ٨٨

أولا : اليمن والرحالة العرب ٨٨

ثانيا : البتراء مملكة النبط ٩٨

ثالثا : بصرى ١٠٠

رابعا : تدمر ١٠٣

خامسا : الصــفويون ١٠٦

سادسا : الحـيرة ١٠٧

سابعا : الغساسنه ١٠٩

ثامنا : مــكة ١١٤

تاسعا : حضرموت وكنده ١١٧

٥ ـ الكتابات العربية قبل الاسلام ١٢٤

أولا : الكتابات المعينية ١٢٣

ثانيا : الكتابات القتبانيــة ١٢٥

ثالثا : الكتابات الســـينية ١٢٨

رابعا : الخط المسند ـ الحميرى ١٣١

٦ ـ ما جاء فى الكتب السماوية وكتب الشعوب القديمة . . . ١٤٠

٧ ـ تطور علم التاريخ الاسلامى حتى نهاية العصور الوسطى . ١٤٧

٨ ـ التأريخ العام ١٦٥

٩ ـ التصـــنيف ١٧٧

١٠ـ تصنيف العلوم ١٨٠
Classified abridged Encyclopedic Works.
١١ـ الفارابى ١٨١
١٢ـ الخوارزمى ١٨٤
١٣ـ أبو محمد بن حزم ١٩٠
١٤ـ الفهرســة . ١٩٣
١٥ـ ابن النـديم ١٩٨
١٦ـ الفهرســة فى الاندلس ٢٠٢
١٧ـ ابن الخير أبو بكر ٢٠٣
١٨ـ ابن الاكفانى : شمس الدين محمد السنجارى ٢٠٦
١٩ـ فهرس أسماء البلدان واعجامها ٢٠٧
٢٠ـ فهرسة التراجم والطبقات ٢١٠
٢١ـ فلســفة التاريخ ٢١٥
٢٢ـ ابن خلدون ٢١٧
٢٣ـ الموسوعات التاريخيــة ٢١٩
٢٤ـ القلقشندى ٢٢٢
٢٥ـ ملحق رقم (١) ترجمة ابن قتيبه وكتاب أدب الكاتب . . ٢٢٥
ملحق رقم (٢) الخوارزمى ٢٤١
ملحق رقم (٣) ابن النــديم ٢٤٩
ملحق رقم (٤) ابن خلدون ٢٥٥
ملحق (٥) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة . . ٢٨٣
المصادر والمراجع العربية ٣٠٥
المصادر العربيــة ٣١٣
المراجع العربية ٣٢٥
المراجع الأجنبية ٣٣٣

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٨/٨٤١٩
ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٢٠٢٢ ـ ٧

عولج علم التاريخ الإسلامى من جميع نواحيه المادية والفلسفية ، أما عن تطوره والمراحل التى مر بها حتى بلغ غايته فى نهاية العصور الوسطى ، فإن مرجعاً لم يتناوله تناولاً موضوعياً ، وذلك عن طريق تتبع المصنفات التى تبين هذا التطور وتثبته بما لا يدع مجالاً للشك على أن الذى أعنيه بتطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى ، هو تتبع الخطوات التى مرت بها الكتابة التاريخية منذ فجر الإسلام دون التعرض للمنهج الذى أتبع فى الكتابة من نقل ونقد وجرح وتعديل ، الذى وضعت أصوله خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى . وقد مهدت لموضوع هذا الكتاب بتناول التقاويم التى هى الوقت والزمن قبل الإسلام وحتى نهاية العصور الوسطى ، فعلم التاريخ علم متزمن فهو الوحيد بين العلوم باستثناء ــ علم الموسيقى ــ الذى يقوِّم بالزمن . فالتاريخ ليس إلا إضافة الزمن إلى الحدث حتى لا يكون أقصوصة أو أسطورة ، فالتاريخ هو الإنسان والمكان والزمن .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤٥٠ قرشا